

الإمام يحيى وبناء الدولة اليمنية الحديثة

١٩١٨/١٣٣٧ - ١٩٤٢/١٣٦٠ م

سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة
كثيبة الحكمة من سيرة إمام الأئمة

تأليف

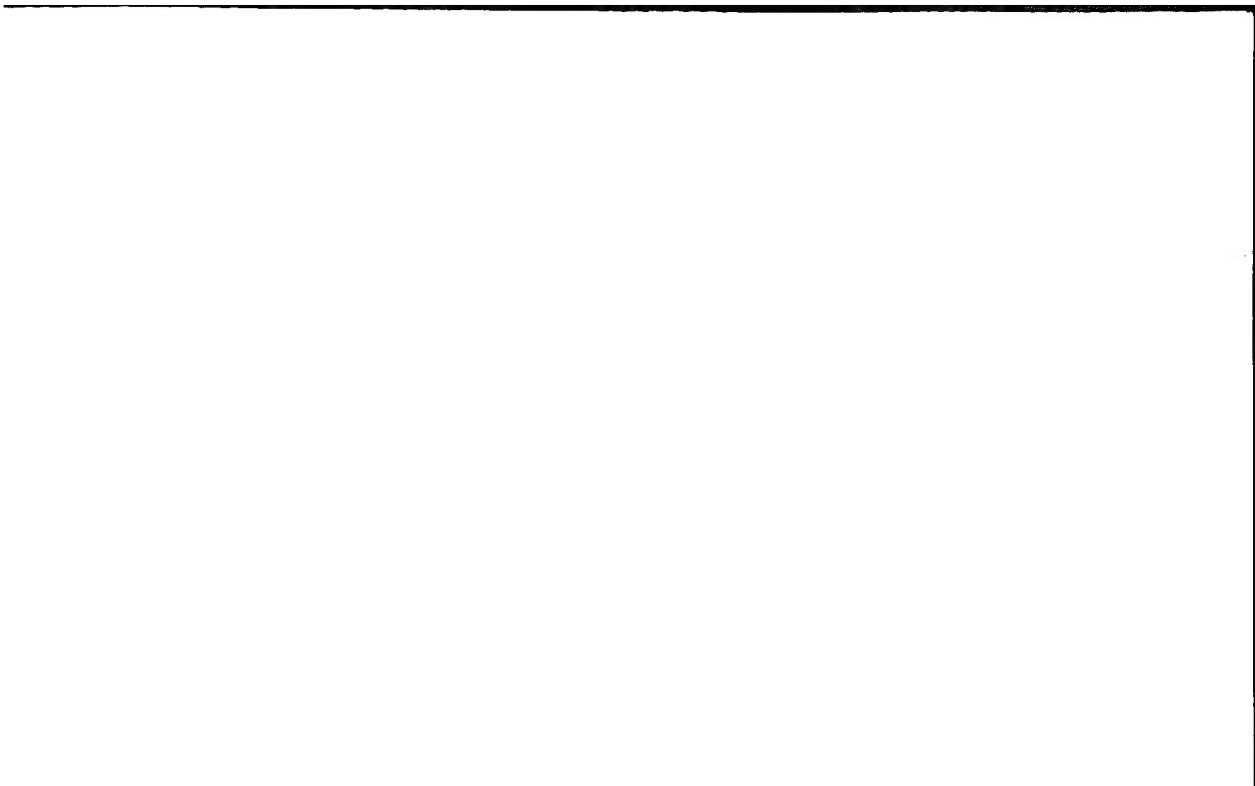
المؤرخ العلامة القاضي

عبد الكريم بن أحمد مطهر

ت ١٩٤٧/١٣٦٦ م

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى ضاحية
جامعة اليرموك





سيرة الإمام
يحيى بن محمد حميد الدين
المسماة
كنية الحكم من سيرة اسام الأئمة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

رقم التـصنيف : ٢١٠٩٢

المؤلف ومن هو في حكمه : عبد الكريم بن أحمد مطهر

دراسة وتحقيق د. محمد عيسى صالحية

عنوان الكتاب : سيرة الامام يحيى بن محمد حميد الدين

: المسماه كتيبة الحكمة من سيرة امام الامة

الموضوع الرئيسي : ١- الديانات

٢- العلماء المسلمون - تراجم

رقم الإيداع : (١٩٩٧/١٠/١٥٦٨)

بيانات النشر : عمان : دار البشير

• تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة التسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر (١٩٩٧/١٠/١٥٦٨)

مركز جوهرة القدس التجاري - العبدلي - هاتف : ٦٥٩٨٩٢ / ٦٥٩٨٩١ - فاكس : ٦٥٩٨٩٣
تلکس : ٢٣٧٠٨ بشير - ص.ب : ١٨٢٠٧٧ / ١٨٣٩٨٢ - عمان ١١١١٨ الاردن

دار البشير

Dar Al-Bashir

For Publishing & Distribution

Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali - Tel: 659891 / 659892 - Fax: (659893)

Tlx. (23708) Bashir - P.O.Box. (182077) - (183982) - Amman 11118 Jordan

١٤٩٩٥

الهيئة العامة لكتبة المسجد

٩٥٣.٣٥٥

١٤ ط.س

١٤٧٨

رقم التسجيل

رقم التسجيل

الإمام يحيى وبناء الدولة اليمنية الحديثة

١٩١٨/١٣٣٧ - ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م

٩٥٣.٣٥٥

١٤ ط.هـ

س

٧٦

سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

المسألة
كنية الحكم من سيرة إمام الأمة

تأليف

المؤرخ العلامة

عبد الكريم بن أحمد مطهر

ت ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م

الجزء الأول

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد علي ضالحي

جامعة اليرموك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى روح مَنْ يعيشُ في ضمير شعبي
الإمام المنصور بالله، محمد بن يحيى حميد الدين
وإلى روح ولده الشهيد الإمام يحيى
وإلى أرواح رفقاء الدرب الطويل، من المجاهدين
الأبرار الذين كتبوا بدمائهم الزكية
تاريخ اليمن الحديث.
هم الشعلة المتقدة التي أنارت الطريق
وأهدت إلى سواء السبيل.
الخالدون في جنات الخلد.



مقدمة

يقول العزيز القدير ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠. والقرآن الكريم زاخرٌ بقصص الأولين عبرةً وعِظةً، وصقلاً للعقول والبصائر، وذكراً للمؤمنين.

نُسَطِّرُ هذا التقديمَ بآيةٍ كريمةٍ مؤكدين التزامَ الحقائقِ الموضوعيةِ بتوجيهِ الخطابِ للعقولِ لا الأهواءِ، مشفوعاً بحقائقٍ ساطعةٍ ضاقت بها زخُمُ الإدعاءِ والترويجِ. إنه مَنْ يَمْلِكُ أدنى بصيرةٍ يفهمُ أنَّ للحقَّ والعدلَ صورةً، واحدةً، وأنَّ للباطلَ والجورَ صوراً كثيرةً ولذا سَهَّلَ اقترافُ الباطلِ والجورِ وتبريره، وصَعَّبَ تحريَ الحقِّ والعدلِ وتركيبه، وما ذاك إلا كالرمايةِ والخطأِ فيها، فإنَّ إصابتَ الهدفِ تحتاجُ إلى جهدٍ وتحقيقٍ، ونقيضها لا يحتاجُ إلى شئٍ من ذلك لقد كان يقينُ الإمامِ يحيى بأنه على هُدى بينَ وصراطِ مستقيمٍ فوقَ إيمانه، وكان صبرُهُ على عنتِ الولايةِ باليمنِ فوقَ يقينه، ولذا تمكَّنَ من انتزاعِ النصرِ من رحمِ الهزيمةِ صبراً وصابرَ ورابطَ وأتقى الله إن أسلمية الإمامِ الشهيد يحيى بن حميد الدين كانت تجسيد حي بأنه على نهجِ قويمٍ كما كان عليه جدُّه أبو الشهداء، أميرُ المؤمنين، علي بن أبي طالب، كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ، الذي قُتِلَ بضربةِ سيفٍ أشقى العبادَ وكان القاتلَ زاهداً متعبداً.

إنَّ إسلاميةَ الإمامِ يحيى لا تخرجُ عن نسبةٍ جدِّه، أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ، للإسلامِ حيث قال: الإسلامُ هو التسليمُ، والتسليمُ هو اليقينُ واليقينُ هو التصديقُ، والتصديقُ هو الإقرارُ، والإقرارُ هو الأداءُ، والأداءُ هو العملُ.

لقد عمل الإمامُ يحيى باليمنِ نصفِ قرنٍ في يقينٍ، ينقطعُ معه الشكُّ، وبصبرٍ أولي العزمِ خدمةً للدينِ، الذي هو أسمى مراتبِ الإدراكِ الإنساني

لمعاني الحياة في اعتدالٍ ووسطيةٍ لا تُقَرُّ التعصّب ولا التزمّت، وبذلَ حياته في خدمة المصالح العامة، ووضع الأسس السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية لبناء يمنٍ حديثٍ مستقلٍّ متطورٍ، مُوحّدٍ، تقدّميٍّ، شوريٍّ (ديمقراطيٍّ)، يمنٍ إسلاميٍّ العقيدة، عربيٍّ الانتماء، قوميٍّ التطلعات، إنسانيٍّ الوجدان، له خصوصياته في مكارم الأخلاقٍ ومحمود الخصال، وخطوة الإمام يحيى بعقد صلح دَعَّان سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م، هي تعبيرٌ عن البُعد الديني والتاريخي للإمام يحيى، والخصوصية اليمنية، ولم يكن استجابةً لدعوة الكواكبي وزملائه من رواد الإصلاح، ووثائق المؤتمر العربي الذي عُقد في باريس في السنة نفسها، والتي كانت في مجملها تطالبُ بالحكم اللامركزي دون إعلان الانفصال عن الخلافة العثمانية. والتي لم تكن حافزاً للإمام لعقده لقد وضع الإمام يحيى بصلح دَعَّان اللبنات الأولى للاستقلال الشامل ولكن على مراحل. داعياً للعودة إلى النابيع الصافية للأصول الإسلامية. وهنا تجلت إسلامية الإمام يحيى، ووسطيته الدينية وشجاعته السياسية في نزاهة وصلاية ومقدرة فذة على الصمود تجاه المواقف الصعبة والتي كان يحسبها البعض مستحيلة التحقيق والمنال، وبإسلاميته وبقينه ومثابرته أضفى شعوراً جماعياً بوحدة الإنتماء إلى مدرستين إسلاميتين، زيدية وشافعية في اليمن، ألقت جهوداً أبنائه بقيادته وصاغت طاقاتهم في مرحلة نضالية حفاظاً على كينونة اليمن ومستقبله ملتزماً بمبادئ وأهداف هي في مجملها مرضاة رب العالمين، وخدمة للمسلمين وصيانة الشرع القويم من الابتذال، وغدت كلمة الله هي العليا، فكانت الدولة الإسلامية اليمنية التي شاد أركانها، حاضنة للإسلام بمبادئ سامية قوامها الحكم بكتاب الله وسنة نبيه، صلى الله عليه وآله وسلم، مزهقاً لحكم الطاغوت الذي استشرى ضرره، فأراح الحق على أهل دولته وأقر الرؤوس على كواهلها، وأنفذ شرع الله، وأنهض شوكة الدين، وأظفر الله جهاده وامته في زمن تكالبت فيه قوى الشر على الأمة الإسلامية تجزأةً وتقطيعاً، ما كان للإمام

يحمي من وقيد همة سوى النأي باليمن عن مطالع الإفرنج والحفاظ عليها كياناً واحداً مستقلاً. وإذ حلت الكارثة بالدولة العلية، وأجبرت القوى الإفرنجية العساكر التركية على الاستسلام والإخلاء، كان للإمام يحيى عين على اليوم، وعين على الغد، فبنى الجيش المنظم، ورتب له المدارس والمكاتب الحربية، وأوجد له مصانع الأسلحة، صنع اليانليون البنادق والذخائر والزانات وأعيرة الرصاص، ومن المدافع صنعوا الثقيلة والهاون وعادي الجبل، بأيدي يمنية تصنع، وثقف أبناء اليمن التدريب، وفنونه من خبراء نجح في استمالتهم نحو عدالة قضية بلده وأمته.

كان الإمام يحيى يعمل وبكل حمية لاسترداد المحتل من الوطن، لا يقف على الأرجوحة بين قطبي اليأس والأمل، وإنما مع الحق يطلب ضالته، فحرر أجزاء من الوطن المحتل. كتب سكود المعتمد البريطاني في عدن إلى وزير المستعمرات البريطاني يقول: إن الإمام يرغب بالحصول على كل شيء، ولا يتنازل عن أي شيء، وحين ضربت بريطانيا بالبوارج الحربية موانئ اليمن ومدنها أيقن بأن الفجر بات قريباً..

ثم كان مطلبه التالي، وحدة أبناء الوطن تالفاً وعدالة وعملاً لتحقيق السلم الاجتماعي، فعند الإمام: إن أعظم قوة للإسلام هي الاتفاق والتعاون ووحدة أبناء الكلمة سنون طوال مرث والروح الجماعية على اليمن، والبعض يستلب اليمن خدمة لمصلحه، ارتضع البعض من حليها اللقاح، فكيف يالف المساواة والعدل كبقية عباد الله، ففارق وتمرد وطغى، فما كان إلا السيف دواء، وفرض الأمن والاستقرار وعم السلام ربوع الوطن، أمن المسافرين واطمان التاجر، وما الأمن والأستقرار إلا مواطن عدالة، فكانت الرعاية بأيسر أسباب الخدمة، مشاكل الرعاية لا تحل إلا بطريقة شرعية مدنية عصرية، فكانت اختيارات الإمام يحيى ترسم للحكام والعمال والقضاة منهج العدالة القويم، اجتهد دون الانغلاق على مذهب واحد، ودون حبس فكرة في رؤية واحدة، وإنما في إطار شمولية الإسلام كأطار كامل للإجتماع والسياسة، مذهب

الراجح، التيسير على عباد الله ورعاية مصالحهم.

كانت الشورى قاعدة حكمه، ما اتخذ قراراً إلا بمشاورة سادات وعلماء وعقال وأعيان وفقهاء أهل اليمن، وكل ذلك صدعاً لأمر الله ونواهيته ﴿وشاورهم في الأمر﴾. كثيرة هي الأحداث والتكالبات والمؤامرات والإرجافات التي حاقت باليمن، وما خاب من استشاره فشورية الإمام يحيى أوصلت اليمن لبر النجاة.

وكما وصل الشورى إلى حكم اليمن بعد والده المنصور بالله محمد، فقد التزمها عبر جميع مراحل نضاله في سبيل التحرير والتوحيد، ثم جهوده المتواصلة في تثبيت الاستقلال وتكوين اليمن الحديث، خاضعاً محبباً لحاكمية الله عزوجل، ملتزماً بالقرآن الكريم دستورنا وبالسنة النبوية الشريفة والإجماع والقياس تعاليماً وأنظمة وقوانين في وسطية العالم المجتهد والأمم المحقق لاصول الدين وفروعه.

لقد كان الإمام يحيى، رحمه الله عليه، يعلم أين موطن أقدامه في الكون والحياة، فنَبّه إلى وقوع الحرب العالمية الأولى قبل وقوعها بسنوات، وعرف أخطار وعد بلفور وما فيه من نكبات، وسعى لنسج علاقات مع اليابان ودية وتجارية، فقد أوصى ولده الحسين برسالة بعثها إليه يقول الامام يحيى لولده الحسين «وإننا نؤمل أن تكون هذه الزيارة فاتحةً للمناسبات وتنظيم العلاقات الودية والتجارية بين مملكتنا والأمبراطورية العظيمة الشرقية» كان هدفه التطوير والتنمية الشاملة بمعاييرها العادلة الثابتة.

وعبر الإمام يحيى عن نفسه من خلال هذه المبادئ والأهداف، وأقام كياناً مستقلاً يحكمه إمام مجتهد، معبر عن تيار عصره، ملتزم بموروثاته الروحية والخلقية، في زمن تكالبت فيه قوى الشر على الأمة الإسلامية تجزئة وتقطيعاً. بريطانيا أمسكت بخناق مصر والعراق وفلسطين والأردن وجنوب اليمن

وبعض أجزاء الجزيرة، وفرنسا أنشبت أظافرها في سوريا ولبنان والجزائر وتونس وإيطاليا عدت على ليبيا لتجعلها بقية متممة للدولة الإيطالية وبالرغم من كل ذلك قال عنه حساده وخصومه بأنه عزل اليمن وأخرها عن التطور، ومن البديهيّات أن أصحاب هذه المقولات وغيرها كانوا يريدون لليمن ما كانت عليه الأقطار العربية. وأن يكونوا هم حكام اليمن.

كما قالوا أن الإمام يحيى رحمه الله أغلق اليمن لتجهيلها ونسوا أين تعلموا وأهم منه أن ذلك ينافي التزامه الديني وأدائه الوطني، ولمزيد من الإجابة على هذه الدعاوى، يجدها القاري فيما كتب عن الإمام يحيى رحمه الله آخرها مقال للمفكر الأديب العالم المؤرخ الأستاذ عبد الله البردوني في جريدة صوت الأمة الأسبوعية العدد الخامس عشر السنة السادسة بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٤١٨ الموافق ١/٨/١٩٩٧م الصادرة في صنعاء، وغيرها من الجرائد والكتب منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب اليمن والحضارة للقاضي العلامة عبد الله الشماحي رحمه الله (الطبعة الأولى) وغير ذلك مما كتب في العهد الجمهوري.

إننا هنا لسنا بصدد الدفاع عن الإمام يحيى رحمه الله أو تمجيده بقدر ما يهمنا رصد جهوده مع الأخيار من أبناء اليمن، لبناء يمن مستقل، موحد، مستقر، متطور، يحكمه الكتاب الكريم والسنة الشريفة. نقوم برصد وتحليل وتحقيق ودراسة بمنظور موضوعي مجرد من العاطفة أو الجهل المركب آفتي الرأي السديد والقول المصيب. ولسان الحال قول الشاعر.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
إن الذين لا يلبسون الحق بالباطل يدركون أنه ما كان للإمام يحيى رحمه الله
من اهتمام بالغ صارم متجدد سوى النأي باليمن عن مطامع الفرنجة والحفاظ
على هويتها العربية الإسلامية في كيان واحد مستقل، موحد مستقر ملتزما
بموروثاته الروحية وخصوصيات شعبه اليمني المسلم، مواكبا لحركة التاريخ

نحو تطور مرحلي تعاوني شامل.

وحين وضعت المسألة الشرقية موضع التنفيذ وعمل البعض لطرد الأتراك . كان الإمام يحيى رحمه الله السابق في الوفاء بعهوده التي أقرها صلح دعان سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م بينه وبين الأتراك حميته الهاشمية وأنفته العربية المنبثقة من عقيدته الإسلامية، أبت إلا الوفاء، فما نكث عهداً، ولا ابرأ ذمته، ولا نفص يده مما أبرم.

ومن هنا يمكن القول، إن أبرز قيم جهاد الإمام يحيى الحقيقية تكمن في يقينه وصبره وإنه عاصر وعالج واقع مجتمعه وعصره، الذي عكس صدق إحساسه وصرامة إصراره على مبادئه وأفكاره، ومدرسته التي تحمّل من أجلها الأمرين وواجه الصعاب والاحن. واستكمالاً لنهجنا في بذل كنوز اليمن للباحثين والدارسين، فقد عمدنا إلى نشر مخطوطة [كتيبة الحكمة] للمؤرخ العلامة القاضي عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله مطهر رحمه الله، وهو الجزء الذي يتناول جانباً من سيرة الإمام يحيى المختص ببناء الدولة الإسلامية اليمنية ١٣٣٧هـ - ١٣٤٢هـ وحوى عظام الأمور النازلة باليمن إبان وبعيد الحرب العالمية الأولى وطلبنا إلى الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية، أستاذ التاريخ بجامعة اليرموك، دراسته وتحقيقه، وما خطر ببالنا أن يكون لنا عليه إملاء أو تدخل، فكانت له الحرية بنزاهة وعدالة، فكان للرأي الآخر مكانه في الدراسة، حتى غطي مساحات واسعة وكثيرة من الدراسة.

ما تطلع الإمام يحيى إلأ لربه معيناً وللإسلام ديناً، ولليمن وأهلها موطناً، ولأمته العربية والإسلامية ملاذاً وملجأً.

ما مقصدي سلمى ولا ليلي ولا هند ولا أنا للهوى مُغرى به
كلا ولا للعود أهوى لحنه يوماً ولا للراح مشغوفاً به
أيضاً ولا للمال أطلب جمعه قد مال عن قارون بل أؤدي به

لقد كان رحمه الله مع الصفوة من العلماء والمشايخ ذوي الشوكة باليمن
من الشوافع والزيود، كتفاً بكتفٍ، وساعداً بساعدٍ كان التطور الديني
والسياسي والاجتماعي، يسندهم الكفاح والاصرار حتى تحرر اليمن، وتعمق
الاستقلال في النفوس.

ما كان هدفنا، وما زال مقصدنا إلا جلاء الحقيقة لأولئك الذين لم يقعدوا
مقعد الشكر، وما دروا أن الزف لا يوازن الحجر، فلا ضير أن مضى الإمام يحيى
شهيداً، حيث لقي ربّه راضياً مرضياً نسأل الله عز وجل أن يكون التحاقه
بالرفيق الأعلى مع الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين الذين صدقوا
ما عاهدوا الله عليه وحسن أولئك رفيقا.

إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام، هذا إن عدل

ولله درّ من قال:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

أضرع إلى الأعلم فوق كل ذي علم أن يهدينا الصراط المستقيم.

وآخر دعوانا، أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
 وآله الطيبين الطاهرين أولاً وآخراً، والله يهدينا صراطه المستقيم
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد بن الحسين بن يحيى حميد الدين، رحمة الله عليهم

تصويبات مقدمة الكتاب			
الخطأ	الصواب	السطر	الصفحة
الإمام	الإمام	أ	١٣
مطامع	مطالع	ج	١
والروح الجماعية	-	ج	١٦
-	الروح الجماعية	ج	١٧
بالشورى	الشورى	د	٧
دستوراً	دستورنا	د	١٠
إنه	وإنه	و	٨
يوازى	يوازن	ز	٦

الباب الأول

الإمام يحيى

النشأة والدراسة والمكانة العلمية

الفصل الأول: النشأة والدراسة

المبحث الأول: مشيخة الإمام يحيى.

المبحث الثاني: إجازات الإمام يحيى من علماء العصر.

المبحث الثالث: العلوم العقلية والنقلية التي درسها.

الفصل الثاني: مكانة الإمام يحيى العلمية.

المبحث الأول: تلاميذه وجهوده.

المبحث الثاني: إجازة الإمام يحيى لأحد علماء الأزهر الشريف

الشيخ عبد المعطي السقا.

: إجازة الإمام يحيى للعلامة أحمد زكي باشا.

المبحث الثالث: اختيارات الإمام يحيى الفقهية.

المبحث الرابع: مشاركة الإمام يحيى في السياسة والحرب قبل

مبايعته بالإمامة.

الباب الأول

الإمام يحيى : النشأة والدراسة والمكانة العلمية.

الفصل الأول

النشأة والدراسة

أجمع المؤرخون اليمينيون، على اختلاف مشاربهم وأهوائهم، على علو مكانة الإمام يحيى العلمية، ونعتوه بأوصافٍ يتضح منها اشتغال الإمام يحيى بالعلوم طوال حياته فهو «قاموس العلوم، وتيار منطوقها والمفهوم»^(١)، وهو «الإمام للجهابذة المجتهدين، وخاتمة الأئمة من الحفاظ والمحدثين»^(٢)، وفي وصف ثالث : «كان عالماً ومحققاً وشاعراً اشتهر بالقوة والشجاعة»^(٣)، وقال عنه أحمد ابن عبد الله الجنداري إنه «عالمٌ تحرير، بلغ درجة عالية من الاجتهاد»^(٤) و«قصده أجلة العلماء من الشام ومصر ومن الهند وبغداد»^(٥)، ووصفه القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ بأنه «كأن عالماً محققاً في علوم العربية والفقه، فروعِهِ وأصولِهِ، شاعراً أديباً»^(٦)، أما صاحب نزهة النظر فذكر عن الإمام يحيى أن «له الشعرَ البليغ والاختيارات الثابتة في المعاملات»^(٧).

إن هذا الاتفاق بين المؤرخين يدفعنا إلى إطالة النظر في دراسة النشأة المبكرة

-
- (١) العقد الثمين في شمائل أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى، ق، ٣.
(٢) فرجة الهموم، ١٩٥.
(٣) الثناء الحسن على أهل اليمن للمروني، ٢٨٦.
(٤) الدرّة المنتقاة، ق، ٣.
(٥) عمدة القارئ، ق، ٦.
(٦) هجر العلم ومعاقله، ١٦٩٦.
(٧) نزهة النظر، ٦٣٠.

للإمام والبيئة التي شبَّ فيها والعلوم التي تلقاها في صغره وشيوخ العلماء الذين درس عليهم وأثر هؤلاء جميعاً في تكوين شخصيته العلمية والسياسية فيما بعد.

من المعروف أنَّ والدَه الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين، والذي نشرنا سيرته من خلال كتاب الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور، لمؤلفه علي بن عبد الإرياني مات ولم يعقب سوى ولدٍ وحيد هو الإمام يحيى وبتناً تدعى أم هانئ، تزوجها عبد الرحمن بن حسين الشامي^(١)، ولذا أولى الإمام المنصور ولده وبنته رعاية متميزة فقد دفع بولده وبنته إلى أجل علماء العصر، بعد أن أودعها ميازيب علمه، فقد وصفت ابنته أم هانئ بأنها:

عقيلة آل المصطفى الطهر والتي بكل الأمور الصالحات تحلت

أمّا الإمام يحيى، فقد وُلدَ بالحيمة في ١٥ ربيع الأول من سنة ١٢٨٦هـ/ يونيو ١٨٦٩م^(٢). في السنة التي أنفذ الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد، والدَه الإمام المنصور بعصاية من قبائل أرحب، لدفع الباطنية من بلاد الحيمة، حيث أوقع بقبائل يام الباطنية. وكان وزير الصافية والأمير الكبير على الأجناد. نشأ يحيى بن محمد حميد الدين بصنعاء، تحت رعاية والده في طلب العلم واكتساب الفضائل، فما أن بلغ السادسة من عمره، حتى دفعه إلى مشايخ العصر، فحفظ القرآن وختمه، وظلَّ والدُه يُحبُّ إليه الاشتغال بالعلم حتى أجاد فنونه، فداوم على حضور حلقات الدرس في صنعاء وفي جبل الأهنوم والمدان وشهارة.

المبحث الأول: مشيخة الإمام يحيى

- والدُه الإمام المنصور بالله، محمد بن يحيى حميد الدين:

درس عليه الفرائض وشرح الأزهار وأصول الأحكام وبعض عقود العقيان، كما

(١) المرجع السابق، ٨٨.

(٢) نقل الجنداري تاريخ ولادة يحيى من خط والده الإمام المنصور بالله، انظر الدرّة المنتقاة، ١٢.

قرأ على والده النحو والفقه والحديث وخاصةً الأسانيد اليعقوبية في علم الحديث، وأما المرشد بالله ومجموع الإمام زيد وغيرها من العلوم الإنسانية التي أُجيز بها الإمام المنصور إجازةً عامة^(١)، وكان الإمام المنصور محققاً في المعقول والمنقول، مدققاً في الفروع والأصول، قد أحرز من المعارف العلمية واللطائف الأدبية ما تقرُّ به العين^(٢).

- شيخ الإسلام، علي بن علي اليماني الصنعاني ت ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م

وقد بلغ رتبةً عاليةً من الاجتهاد، وكان عالماً فاضلاً، له اشتغال بجميع فنون الفقه والأصول والنحو والتفسير، وقد أجازَه كثيرٌ من مشايخه، منهم القاضي محمد بن أحمد العراسي، ورئيس العلماء أحمد بن محمد الكبسي والسيد الحافظ إسماعيل بن محسن بن إسحق، بعد هجرته إلى طرف الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى وهو بالأهـنوم، وأضفى عليه الإمام يحيى لقب شيخ الإسلام ونصَّبه للقضاء والتصدر على عموم الحكام وقد أخذ عنه الإمام يحيى في صنعة في النحو، حيث درس عليه، حاشيةً على متممة الأجرومية للرعيني، لمؤلفها عبد الله بن أحمد الفاكهي والمعروفة بالفاكهي، ومصباح الراغب ومفتاح حقائق المآرب، شرح كافية ابن الحاجب تأليف السيد محمد بن عز الدين بن صلاح والمعروفة بحاشية السيد، وقطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري والايجاز والمعاني للإمام يحيى بن حمزة، وقد لازم الإمام يحيى فترةً طويلةً، حتى كان صلح دَعَّان سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م بين الإمام يحيى والأترار، فعاد شيخ الإسلام علي إلى صنعاء، وصار رحلةً الأعلام في طلب العلم.

وكان الإمام يحيى يعهدُ إليه حلَّ المشاكل والفصل في الخصومات الشائكة، حيث كلَّفه سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م بالفصل في قضية الأموال والغيول الموقوفة على المساجد والمدارس في لواء تعز، والتي ادَّعى بعض أهل تعز بعدم جواز وقفيتها، وطلبوا بردها إلى ملكيتهم وقد أصدر حكماً جازماً بوقفيتها.

(١) أئمة اليمن، ٤ / ٢.

(٢) المصدر السابق، ٥ / ٢.

وقد كانت له شهادة تقريظ في عالمية الإمام، إذ قال:

يحيى زعيم المعالي مَنْ به حيَّتْ مدارسُ العِلْمِ فهو الأَوْحَدُ العَلَمُ^(١).

- محمد بن عبد الملك بن حسين الأنسي ت ١٣١٦ هـ / ١٩٨٩ م.

كان علامة في الأدب، وله باعٌ طويلٌ في الفقه والنحو والمنطق والأصول، شاعراً، شرح الجزرية للقاضي زكريا، وقرأ البحر، أي: شرح ملحمة الإعراب للحريري والحاشية على متممة الأجرومية للفاكهي ومصباح الراغب المعروفة بحاشية السيد وكتاب محمد بن أبي بكر الخبزي في النحو المعروف بالموشح في شرح الكافية وأتقن شروحات العديد من كتب المنطق وعلم الكلام والفقه، وكان الإمام يحيى قد درس عليه علم المنطق، فأخذ منه في تهذيب علم المنطق للتفتازاني والمطلع في شرح إيساغوجي (المدخل في علم المنطق) لزكريا الأنصاري.

ويبدو أن التلميذ يحيى بن محمد حميد الدين كان محلَّ تقديرٍ من قبل شيخه

فقد حرر يحيى سؤالاً نحوياً إلى شيخه وهو في بضعة عشر سنة قال فيه:

[الطويل]

أيا فاضلاً ما زال في العلم بارعاً	إماماً لديه مشكل النحو واضح
لقد سمع المملوك بيتين فيهما	سؤال لأرباب الجهالة فاضح
لنا إبل ما روعتها الصفائح	ولا نفرتها بالصياح الصوائح
إذا سمعت أضيفنا من رعاها	أتين سراعاً يتدزن الذبائح
فما مقتضى رفع الذبائح فيهما	وجه وجوب النصب في الحال واضح
أجب عن سؤالي واغتنم أجر سائل	له في صفات الفاضلين مدائح

وقد أجاب عليها شيخه شعراً، ويُن في جوازه بأوجه ثلاث:

أولها: بالرفع، فاعل لقوله إذا سمعت أو بدل من فاعل الفعل قبله

(١) نزهة النظر، ٤٣٨ - ٤٤٠.

وثالثها ما قيل في رفع ضارع من الشاهد المشهور بيت الطوائح
بتقدير فعل في إجابة سائل ولكنَّ ذا وجهٌ به الضعفُ واضح
وذلك أنَّ الفعلَ منه مغيَّرٌ فتقديرُ فعلٍ فيه لا شكَّ صالح^(١)

وحين بلغ الإمام يحيى العشرين من العمر، كان من بين النبلاء الأدباء،
الذين شاركوا في بعث المحاورات الأدبية واللطائف الفنية، التي بدأها شيخه
القاضي محمد بن عبد الملك الأنسي، فقد كانت اعترت الآداب والمعارف كآبة
الخمول بسبب تفشي التركية في الدواوين الرسمية على أيدي المأمورين الأتراك
آنذاك، سيما وأنَّ ارهاصات التريك بدت تطلُّ برطانتها، فكان من مبتكرات
محمد بن عبد الملك سؤال:

أيُّهما الأفضل في أيام الربيع الزهرة أم الخضر؟

وقد قدَّم له: حرَّرت سؤالاً أدبياً لقصد مفاكهة الإخوان، ورياضة الأذهان،
ليعلم الجهول حين يقف على الجواب، «أنَّ في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا،
وأنَّ محلَّ الأديب قشيبٌ وغصنٌ روضه رطيب».

وقد شارك في هذه المحاورات الأدبية العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري،
والعلامة أحمد رزق السياني والعلامة عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن الإمام
والعلامة، علي بن محسن بن عبد الكريم بن إسحاق، والعلامة المؤرَّخ محمد بن
إسماعيل الكبسي، والقاضي عبد الله بن علي الجيوري والقاضي الحسن بن علي
العريض والفقيه العلامة عبد الله بن علي عبد القادر وغيرهم كثير وكان للإمام
يحيى مشاركة بين هؤلاء الأعلام، جبال العلم. فقال ضمن جوابه:

(١) أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ٥.

[الكامل]

فأقول صَحَّ الزهرُ أبهى منظراً
جمع السواد مع البياض وخضرة
مع صفرة تحكي القطائف لونها
من عصفر أو أقحوان ناعم
فألزهرُ قد عمَّ الغصونَ جميعها
عندي من الغصن الرطيب وأنضرُ
هذا مع الورد الذي هو أحمرُ
إن زال أبيضه أتنا الأصفُرُ
أو زال أصفره أتنا آخرُ
ودوامه متناولاً لا ينكرُ^(١)

- زيد بن أحمد بن عبد الله الكبسي ت ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م

عالمٌ في الفقه، وله مشاركةٌ في علوم أخرى، تولى التدريسَ في جامع صنعاء، وكان المملي عن شيخه محمد عشيّش، حين كُفَّ بصرُ شيخه، وُصِفَ بأنه كان «عالمًا عاملاً، ورعاً تقياً ناسكاً فاضلاً، حسنَ الأخلاق، كثيرَ الإحسان للفقراء، وقد أوردت المصادرُ أنَّ الإمامَ يحيى قد أخذَ عن العلامةِ زيد بن أحمد الكبسي في الأمالي ليحيى بن الحسين بن هارون، أبو طالب، الحسني الهاروني، وأنَّ شيخه، حين شرعَ في إملاء ما لقيه آل البيت، امثالُ عيسى بن زيد وعبد الله ابن الحسن والقاسم الرسي، من الشدائدِ والمحنِ في أثناء تواريخهم، غلبَ على شيخه البكاءُ العظيمُ حتى لم يتمكن من الإملاء، وتركَ التدريسَ لهم في ذلك اليوم^(٢) وأمالي أبي طالب هي كتابُ تيسيرِ المطالب من أمالي أبي طالب، ليحيى ابن الحسين بن هارون، في الحديث، جاءتْ مرتبةً على أربعةٍ وستين باباً^(٣)، كما قرأ عليه الأسانيد اليعقوبية، المسماة بدررِ الأحاديث النبوية بالأسانيد اليعقوبية، ليحيى بن الحسين بن القاسم والصحيفة لزين العابدين وشطراً من أصول الأحكام في الحلال والحرام وما يتبعها من الأحكام لأحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر.

(١) أئمة اليمن (سيرة الإمام الهادي) ١٠٠-١٠٨.

(٢) أئمة اليمن، ٧٧/٢، نزهة النظر، ٣٠١، هجر العلم ومعاقله، ١٧٩٥.

(٣) انظر فهرس المكتبة الغربية، ٦٩-٧١، وله كتاب (التحرير) مخطوط في المكتبة الغربية، رقم ٧٢ فقه.

- عبد الرزاق بن محسن بن محمد الرقيحي ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥.

كان عالماً ورعاً، حافظاً واعظاً، جَدَّ واجتهد في طلب العلم، وكان كثيرَ التهجد والصيام لأيام البيض أي يوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كلِّ شهر^(١)، وقد لازمَ التدريسَ والوعظَ في الجامع الكبير بصنعاء، وهو من مشايخ الإمام يحيى في الفقه، ويُذكر للرقيحي ولوعه بتقييد الشوارد النافعة والظرائف واللطائف الأدبية والحوادث التاريخية^(٢).

- محمد بن علي بن محمد الجديري ت ١٣١٦هـ / ١٨٩٨ م.

كان متبحراً في علم الكلام، أجازَه المؤرخُ محمد بنُ إسماعيل الكبسي إجازةً عامَّةً في رجب ١٢٩٨هـ وقد وُصِفَ بحسنِ المحاضرة وكمالِ المروءة، اعتاد على تقديم الطعام لطلبة العلم والأغراب والضعفاء والمساكين، واستجازَ منه العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري، وقد أخذَ الإمامُ يحيى في علم الكلام^(٣) عن شيخه الجديري.

- محمد بن أحمد بن محمد العراسي ت ١٣١٦هـ / ١٨٩٨ م.

كان إماماً في الفقه، متصدياً للفتوى، اشتغل بالتدريس في جامع صنعاء، وقد صنَّفَ تخریجَ أحاديث الثمرات وشرحَ شفاء الأمير الحسين في الحديث، وشرحَ الأزهار.

وله منظومتان، إحداهما مفتاح السعادة في حكم التوحيد، والأخرى: في الخصائص للسيوطي، وقد أخذَ عنه الإمامُ المتوكل على الله في الحديث، وكذا في الناظري في الفرائض^(٤).

(١) سميت بالبيض لاستنارة جميعها بالقمر.

(٢) نزهة النظر، ٣٥٥، أئمة اليمن: ٤٣-٤٤، سيرة الإمام يحيى.

(٣) أئمة اليمن، ٢ / ٢٧٤، سيرة الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى.

(٤) نيل الوطر، ١ / ٣٧٩، نزهة النظر، ٥٠٢، أئمة اليمن، ٢٦٥ (سيرة الإمام المنصور بالله).

كما درس الإمام يحيى على محمد بن أحمد حميد ت ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م في النحو واللغة، وكان القاضي محمد بن أحمد حميد قد هاجر إلى الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، واستقر بمدينة حوث، ويبدو أن الإمام يحيى قد درس عليه عندما كان يدرس في الروضة^(١).

- إسماعيل بن علي الريمي ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م

وقد كان محققاً في الفروع وبرع فيه، وشارك في الحديث والنحو، قعد للتدريس في جامع صنعاء، فأخذ عنه جماعة من الطلبة في الفروع والحديث والنحو، ويبدو أن الإمام يحيى قد درس عليه في البداية جانباً من تلك العلوم، ولكنه واظب على استظهار وتلاوة القرآن عند إسماعيل الريمي المذكور، فقد عرّف عن إسماعيل الريمي قيامه بحفظ المصاحف وتجويده فنّ القراءات^(٢).

- سعد بن محمد بن عبد الله بن محمد الشرقي ت ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م وولده محمد ت ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م

وكان سعد عالماً محققاً في الفقه والنحو والمنطق وغيرها من العلوم، كان من أخلص أعوان الإمام المتوكل محسن بن أحمد، وكذا الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين ثم الإمام يحيى، حيث أجاز الإمام يحيى، وقد جاء في وثيقة نشر صورتها إسماعيل بن علي الأكوغ في كتابه هجر العلم ومعاقله^(٣):

بسم الله الرحمن الرحيم

: ختم أمير المؤمنين

المنصور بالله رب العالمين

ولما كانت أصلاب الرجال الحميدة لا تلد إلا الحمية، وأرومات المناصب

(١) أئمة اليمن، ٥/٢، نزهة النظر، ٥٠٦.

(٢) نزهة النظر، ١٩٥.

(٣) هجر العلم ومعاقله، ٢٢٢١.

السعيدة لا ينتج عنها إلا السعيد الرشيد، صدق هذه الكلي أو كذبها مشاهدات الأفعال في معالي شواخها أو محكمات الأقوال في حضيض رواتجها، وكامن زائنه الأعمال الشريفة والعناصر المنيفة القاضي العلامة سعد بن محمد الشرقي المذحجي الكندي فإنه من عنفوان شبابه، اشتغل بالعلم والعمل، ولازم أئمة الهدى في سرعة أو مهل، وأورث ذلك من بعده من الخلف فاتصل به العز والشرف، وأستحق بذلك الامتيازات في المعاملات عند من أنكر أو عرف، فهو من الأئمة وإليهم، معولاً في جميع الأمور عليهم، ثبته الله في أقواله وأفعاله، وأصلح بحميد سعيه من تعثر باثقاله

كتبه شهر القعدة عام ١٣٢٠

بمحروس النواش.

والوثيقة تبين المكانة العلمية التي ارتقى إليها القاضي سعد، أما ابنه محمد، فقد كان بارعاً في النحو والصرف والبيان والحديث والفقه، كان حاكماً على حجور وجهاتها من أيام الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، واستمر كذلك في عهد الإمام يحيى، وقد أخذ الإمام يحيى عن القاضي محمد بن سعد خصوصاً في النحو، وذكره الإمام يحيى نفسه ضمن شيوخه وآخرين^(١)، وقد أفاد القاضي إسماعيل الأكوبي بأنه قد عرف القاضي محمد بن سعد وقال فيه «كان على جانب عظيم من الزهد والورع وحسن الأخلاق^(٢)» ومن ناحية ثانية، فقد وقفنا عند ما أورده الإمام يحيى في إجازته للشيخ عبد المعطي السقا أحد علماء الأزهر، والتي سنتناولها بالتحليل فيما بعد - حيث أورد أسماء شيوخه، ومن بينهم عبدالله بن علي الحضوري ت ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م ومحمد بن محمد جفمان المفتي ت بعد ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م.

(١) نزهة النظر، ٥٣١، أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى) ١ / ٣٣٩.

(٢) هجر العلم ومعاقله، ٢٢٢٢.

أما مصادرُ العصرِ فوقفتُ صامتةً إزاءَ ذلك، ونحن نميلُ إلى أنَّ الإمامَ يحيى قد درسَ على هذين الشيخين في سني دراسته الأولى، فقد ذكرَ أنَّ عبد الله ابنَ علي الحضورى كان جاراَ للإمام المنصورِ محمد بن يحيى في صنعاء، ويوصفُ بالفضلِ والورع والتقوى والاشتغالِ بالعلم، ولا ندري إن كانَ الإمامُ يحيى قد درسَ عليه سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م، عندما وصل عبد الله بن علي الحضورى يحملُ رسالةً من أحمد فيضي إلى قفلةٍ عذَر للإمام، تلك الرسالةُ التي درسناها في الدرِّ المنثورِ في سيرة الإمام المنصور^(١). أما محمدُ بنُ محمد جفمان المفتي، فقد تولى التدريس بجامع صنعاء وبمسجد صلاح الدين، وكان مخلصاً في خدمته للأتراك، عندما تولى القضاءَ بناحية سنحان، ثم في ناحية بلادِ البُستان وحتى حين كان مفتياً في صنعاء، وكان لعظيم ميله إلى الأتراك آثاره في استفزازِ العديدِ من أتباع الإمام يحيى ضده، وقبله الإمامُ المنصورُ محمد بن يحيى، حيث ترصده رجالان وحاولوا قتله، في عهد الإمام المنصور، ثم تحرَّك العامةُ ضده عندما وقعت صنعاءُ تحتَ سيطرة الإمام يحيى للمرة الأولى سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م ثم كان قتله حين توجه أحمد فيضي إلى شُهارة. ومن الجدير بالذكر، أنَّ الإمامَ يحيى حوّل لورثته بالذِّية الشرعية سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م. ويبدو أنَّ الإمامَ يحيى قد درسَ عليه إبانَ تدريسه في جامع صنعاء^(٢). ومن شيوخه أيضاً القاضي علي بن عبد الله الإرياني حيث درسَ عليه سننَ أبي داود وكناقدُ درسناه في الدر المنثور.

يمثلُ خروجُ الإمام يحيى من صنعاء في شوال ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م إلى طرفِ والده، بدايةً مرحلةٍ جديدةٍ في سيرة الإمام يحيى العلمية^(٣)، فقد لحقَ بوالده إلى الجراف، ثم ارتحلَ إلى غولة زندان من بلادِ أرحب، ومنها إلى السنارة من جبل

(١) انظر الرسالة في الدر المنثور، ص ١٤٠، ١٥٧-١٦٢.

(٢) نزهة النظر، ٥٧٧، الدرة المتقاة لأحمد بن عبد الله الجنداري، ٨٤ (وفيه أن الإمام قد عفا عنه).

(٣) الدر المنثور، ١/ ٢٣٦.

الأهـنوم حيث سار الإمام يحيى مع عائلة والده إلى جبل بـرط وطوال هذه السنوات كان يداوم على حضور دروس والده حتى إذا كانت سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢ م. استأذن والده في الطلوع إلى هجرة علـمان للدراسة على الشيوخ، سواء في هجرة مـعمرة أو هجرة علـمان أو المدان، وقد كانت دراسته على كل من الشيوخ التالي ذكرهم:

- لطف الباري محمد بن شاكـر ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م، وكان بارعاً في الأصول والعربية، واستقر به المقام في هجرة علـمان، عاكفاً على التدريس في فنون العلم طوال حياته، وخاصة علوم التحقيق والتدقيق والنظر^(١)، فقد درس عليه الإمام يحيى، أصول الفقه، والتفسير، والمنطق والنحو والصرف والبيان والمعاني، وقضى الإمام يحيى خمس سنوات، من سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م - ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م، ملازماً لشيخه لطف الباري، ينهل من معين علمه، وقد شاركه في الأخذ عن العلامة لطف الباري الكثير من الطلبة الدارسين، منهم العلامة، أحمد بن عبد الله الجنداري، والذي وصف شيخه لطف الباري قائلاً: «شيخنا الأوحـد، العلم المفرد، الفقيه العلامة، والراقي من الفضل أرقى سنامه»^(٢)، وقال عنه تلميذه محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين «فريد العصر ووحيد الدهر، رأس أهل التحقيق وواسطة عقد أهل التدقيق»^(٣).

- أحمد بن عبد الله بن محسن القحيطا المعروف بالجنداري ت ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م. كان إماماً متبحراً في علم أصول الدين، وانتهت إليه الرئاسة في علم الحديث:

(١) النظر: مختص بمقدمات الدليل الذي به يحصل العلم النظري، انظر، أحمد محمد

صبيحي، يحيى بن حمزة، ٢٩١.

(٢) أئمة اليمن، ٣١٣، (سيرة الإمام يحيى)، الدرة المنتقاء، ١، نزهة النظر، ٢٩٣.

(٣) أئمة اليمن، ٣١٤.

عليه ورجاله وأحوال رواته، في عصره، وله اليد الطولي في علم التفسير وحفظ أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، هاجر إلى قفلة عذر ثم انتقل إلى هجرة علّمان بجبل الأهنوم زمن المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، وانقطع للتدريس بجبل الأهنوم حتى وفاته. وقد درس عليه الإمام يحيى الثلاثين مسألة، للرصاص ت ٦٥٠ هـ، وآمال المرشد بالله يحيى بن الحسين بن إسماعيل الشجري ت ٤٧٩ هـ، والتي تعرف بالخميسيات، لأنه كان يُمليها يوم الخميس من كل أسبوع، وهي أربعون حديثاً مشروحة، ودرس عليه الفرائض ومجموع السيد حميدان، وهي رسائل في أصول الدين في الرد على المخالفين، وحقائق المعرفة.

وتقتني المكتبة اليمنية، العديد من مؤلفات الجنداري والتي كان يُدرّسها لطلبة العلم، منها: سمط الجمان في شرح الرسالة الناصحة للإخوان، شرح فيها رسالة الإمام عبدالله بن حمزة في علم الكلام^(١)، وحاشية على العقد الثمين في معرفة رب العالمين، ونور الصباح على الإيضاح، وشرح نكت الفريدة في تلخيص العقيدة، وشرح أبيات للصاحب بن عباد، وفي علم الحديث ورجاله له: البرق اللّموغ في الجمع بين الأماليين والمجموع، وحاشية على آمال المرشد بالله، وأخرى على آمال أبي طالب، وتحفة الإخوان بنظم تاريخ قرناء القرآن والجامع الوجيز وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام استجاز منه إجازة عامة، سنة ١٣٢٦ هـ/ ١٩١٧ م، وذكر إسماعيل بن علي الأكوع أن الإمام يحيى كان من أكثر طلاب أحمد بن عبدالله الجنداري انتفاعاً به في علم السنة^(٢).

(١) فهرس المكتبة الغربية، رقم ١٣٥٠، ١٣٣٧.

(٢) نزهة النظر، ٩٨، أئمة اليمن، ١٦/٢، أجود المسلسلات ١٢-٢١، الدرة المنتقة، ٢ هجر العلم ومعاقله، ١٤٧٨.

- عبدالله بن أحمد المجاهد ت ١٣٢٦هـ / ١٠٩٠٨م

إمامٌ في الفقه والفروع والفرائض، محققٌ في النحو والصرف والمعاني: هاجرَ إلى الإمام الهادي شرف الدين بن محمد سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م، ودرسَ بجامع الإمام الهادي يحيى بن الحسين بصعدة، ثم انتقلَ إلى جبل الأهنوم، فعكفَ على التدريس في مدينة المدان، ثم انتقلَ إلى شهارة، بناءً على طلبٍ من الإمام المنصور محمد بن يحيى لإحياء هجرة العلم بها.

وقد لازمه الإمام يحيى من سنة ١٣١٥هـ - ١٣١٧هـ، إبان تدرّيسه في المدان، حيثُ درسَ عليه شرح الأزهاري، وحين انتقلَ عبدالله بن أحمد المجاهد إلى شهارة، رافقه الإمام يحيى في رحلته هذه، ودرسَ عليه وشاركه الجنداري في دراسة شرح السيد الهادي على منظومته، ودراسة ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، وقد ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز فوصفه بأنه «مفخر العلماء، ومرجع الفضلاء، ومنتجع الطلبة وفارس المحققين في الحلبة، فتح من الفقه مغلقاته، وذلل مستعصياته»^(١).

- عبد الوهاب بن محمد أحمد المجاهد ت ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م

عالمٌ مبرّرٌ في الفقه والأصولين والنحو والصرف والمعاني والبيان، هاجر مع عمّه عبدالله بن أحمد المجاهد إلى الإمام الهادي شرف الدين بن محمد، ثم انتقلَ إلى الأهنوم مؤيداً للإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين، فاشتغلَ بالعلم درساً وتدرّيساً، وتصدّر للتدريس بعد وفاة عمّه سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م. وكان من الرجال الذين يعتمدُ عليهم الإمام يحيى، إذ أوكلَ إليه القيامَ بالعديد من المهام. ومع أن المصادر لم تُشر إلى دراسة الإمام يحيى على عبد الوهاب بن محمد، إلا أن إجازة الإمام يحيى إلى الشيخ عبد المعطي السقا،

(١) أئمة اليمن، ١٣٤ (سيرة الإمام يحيى)، نزهة النظر، ٣٧٠، الدرة المتقاة، ٢، المدارس الإسلامية، ٣٨١، هجر العلم ومعاقله، ١١٠٠.

قد ورد فيها اسمُ عبد الوهاب بن محمد كأحد المشايخ الذين درس عليهم الإمام يحيى، فقد جاءَ فيها: «والعلامة الزاهد، عبد الله بن أحمد المجاهد، رحمه الله تعالى، وابن أخيه، علامة العصر، القاضي، وجيه الإسلام، عبد الوهاب بن محمد بن أحمد المجاهد، أبقاه الله»^(١).

ونحن نميلُ إلى الاعتقاد، بأنَّ الإمام يحيى قد أخذَ عليه بعدَ سنة ١٣٢١ هـ، ذلك أنَّ الإمام يحيى قد بدا له في هذه السنة ١٣٢١ هـ الوصولُ إلى حُبور، فبقيَ فيها إلى جمادى الأولى ثم نهَضَ إلى القفلة، ثم عادَ إلى الأهنوم ثم طلعَ إلى شُهارة، فيكونُ قد حضرَ مجالسَ درسيه خلالَ فترة تنقله ما بين الأهنوم وشُهارة^(٢).

المبحث الثاني: إجازات الإمام يحيى من علماء العصر:

أوردت المصادرُ إشاراتٍ إلى خمسِ إجازاتٍ استجازها الإمام يحيى من علماء عصره، وكانت واحدةً منها استجازها الإمام يحيى من العلامة أحمد عبد الله الجنداري، حيثُ أجازَه إجازةً عامة سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م، وفقِ الشروطِ المعروفةِ بينَ علماء العصر، والمستندةً على صحة النقل وضبط اللفظ، والتوقف عند الاشتباه، وأُجيزَ الإمام يحيى بأن يروي جميعَ مروياته من العلوم الإسلامية من معقولٍ ومنقولٍ وفروع وأصول، وكنا قد درسنا العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري سابقاً، وأما العلماء الآخرون الذين أجازوا الإمام يحيى فنذكرهم:

إبراهيم بن عبد الله الغالبي ت ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م والذي عُرف ببراعته في العربية والبيان والمنطق وتدريسه شرحَ إيساغوجي المدخل في المنطق، تأليف

(١) انظر. الإجازة، ٦١ ب.

(٢) الدرة المنتقة، ٣، هجر العلم ومعاقله، ١٣٣٣.

فرفيوس الصوري، وشرح التهذيب في المنطق لسعد الدين التفتازاني، والعلامة إبراهيم بن عبدالله الغالبي وهو صاحب المسائل الضحائية، التي امتحن بها الإمام شرف الدين بن محمد وصاحب المشكاة النورانية، وهي الأسئلة التي وجّه بها للمهدي محمد بن القاسم الحوثي الذي دعا لنفسه في برط، وكان إبراهيم بن عبدالله الغالبي قد ذهب إلى بلاد فيفا وبني مالك من ناحية بني جماعة، فأقام هناك لإرشاد العامة وتفقيهم، وقد كان الإمام يحيى قد أخذ عنه بالإجازة^(١).

- محمد بن عبدالله الغالبي ت ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م.

حافظ مجتهد، عالم في الفقه وأصوله وعلم الحديث والنحو والصرف والمنطق والبيان، انتقل إلى صعدة سنة ١٣٠٠هـ، فلزم الإمام شرف الدين بن محمد ثم الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى، وقد أخذ منه الإمام يحيى بصعدة، واستجاره وهو يسكن في هجرة ضحيان، وكان ذلك سنة ١٣٢٥هـ / ١٩١٦م^(٢).

- علي بن حسين بن حسن المغربي ت ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م.

نشأ مجتهداً في طلب العلم والمعارف، حتى عدّ علامة عصره، ما ترك التدريس ولا مله، تولى القضاء في بلاد يريم وذمار والطويلة وحجة وصنعاء، وكان نائب كوكبان وكان ضمن وفد العلماء الذين ساروا إلى استانبول سنة ١٣٢٥هـ البحث في القضية اليمنية مع السلطنة العثمانية، وقد أخذ عنه كثير من أهل العلم، واستجاره الإمام يحيى واجازه إجازة عامة^(٣) في رواية كتاب الأمم لا يقاطئ الهمم لمؤلفه إبراهيم بن حسين الكردي وفي اتحاف الأكابر باسانيد الدفاتر.

(١) لامية النبلاء، ٥٤، نزهة النظر، ٢٨، هجر العلم ومعاقله، ١٢٠١.

(٢) لامية النبلاء، ٧٠، نزهة النظر، ٥٥٠، هجر العلم ومعاقله، ١٢٠٢.

(٣) نزهة النظر، ٤٣١، أئمة اليمن، ٥ / ٢ (سيرة الإمام يحيى).

- الحسين بن علي العمري ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م.

عالمٌ محققٌ في علوم السنة روايةً ودرايةً، تفوق في العلوم الشرعية والعقلية والنقلية، أجاد فنون علوم العربية، تولّى نظارة الأوقاف في صنعاء في العهد العثماني، وتولّى فصل الخصومات بين كل من يرد إليه من المتخاصمين، وكان له شأنٌ في ترتيبات صلح دَعَّان سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م. ما ترك التدريس والإفادة، وقد أجاز الإمام يحيى في رواية كتاب الأساس لعقائد الأكياس للقاسم بن محمد وفي إتحاف الأكابر بأسانيد الدفاتر لمحمد بن علي الشوكاني ورواية كتاب الأمم لايقاز الهمم لإبراهيم بن حسين الكردي وكتاب المطرب الجامع لأهل المشرق والمغرب، مؤلفه عبد القادر بن خليل المدني. وما زال الحسين بن علي العمري كعبة مقصودة لطلاب العلم حتى وفاته.

لقد بلغ عددُ الشيوخ العلماء الذين درس عليهم الإمام يحيى أكثر من عشرين عالماً، تنوعت دراسته عليهم، وحصل قدرًا متقدماً من العلوم وهي ما سنعرض له فيما يلي:

المبحث الثالث: العلوم العقلية والنقلية التي درسها:

من خلال تحليلنا للعلوم التي درسها الإمام يحيى على شيوخه، سواءً في المرحلة الأولى من حياته أو في مرحلة الدراسة المتعمقة في شبابه، نخلص إلى أن الإمام يحيى قد أعدَّ إعداداً علمياً متميزاً، إنصبَّ على دراسة وحفظ القرآن ودراسة أصول الدين وأصول الفقه وعلم الكلام والمنطق والحديث وفنون العربية من نحوٍ وصرفٍ ومعاني وبيانٍ وبلاغة، ففي أصول المذهب، أتقن دراسة العقد الثمين في معرفة رب العالمين، مؤلفه الأمير الحسين بن بدر الدين محمد ت ٦٦٢هـ، وهو كتابٌ تعليمي، يُعتَبَرُ من أوائل الكتب الدراسية في حقل أصول الدين، مؤلفه من أجل علماء الزيدية، وتعدُّ كتبه من أهم الأصول

التي يعتمد عليها علماء الزيدية، ويدرسونها كمنهاجٍ مقررٍ، وهو مبنيٌّ على طريقة السؤال والجواب، ومثاله:

أيُّها الطالب للرشاد، والهارب بنفسه عن هوة الحاد، فإذا قيل لك مَنْ ربُّك؟
فقل: ربي الله،

فإن قيل لك، بَمَ عَرَفْتَ ذلك؟

فقل: لأنَّه خلَقني، وَمَنْ خلَقَ شيئاً، كان ربُّه.

ويمضي الكتابُ في بسطِ أساسيات المذهب الزيدي بأسلوبٍ سهلٍ سلسٍ، لا يملُّه دارسه^(١).

ودرس الثلاثين مسألةً وهي المعروفة بمصباح العلوم في معرفة الحي القيوم، للعلامة أحمد بن الحسن الرصاص ت ٦٥٠هـ، وهو كتابٌ مدرسيٌّ أيضاً يختصُّ بأصول المذهب، وفي الفقه:

أتقن الإمام يحيى كتاب التجريد، للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسن الهاروني.

وهو شرحٌ لفتاوي الإمامين: القاسم بن إبراهيم الرسي، والهادي يحيى بن الحسين، وكذا كتاب الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، وهو المصدرُ المعوَّلُ عليه في فقه الزيدية حيثُ بذلَ مؤلفه الإمام أحمد بن يحيى المرتضى أكثرَ من ألفين وثماني مئة من مسائل الشريعة منظوماً ومفهوماً، وكذا غاية السؤل إلى علم الأصول للحسين بن القاسم بن محمد ت ١٠٥٠ وشروحاته وحواشيه، واتقن الناظري في الفرائض وأصول الأحكام لأحمد بن سليمان بن محمد بن مطهر.

وفي علم الكلام: كانت له دراساته الواسعة التي شملت كتاب حقائق

(١) بحوث في الملل والنحل، ٤٧٨.

المعرفة للإمام أحمد بن سليمان، وكتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد وهو كتاب الأساس لعقائد الأكياس في معرفة رب العالمين وعدله على المخلوقين وما يتصل بذلك من أصول الدين، وهو من أشهر كتبه في علم الكلام، وقد اهتم بشرحه عدد من أعلام عصره.

وفي علم المنطق، أتقن تهذيب المنطق للتفتازاني، والمطلع في شرح إيساغوجي وكانت له دراساته الواسعة واتقائه المتميز لعلوم الحديث، وخاصة آمالي أحمد بن عيسى بن زيد ت ٢٤٧هـ وقد طبع باسم: رأب الصدع في ثلاثة أجزاء، بتحقيق علي بن إسماعيل بن عبد الله المؤيدي، وقد أخرج المؤلف فيه ٢٧٩٠ حديثاً عن الرسول والصادق والباقر، وهو كصحيح البخاري، ودرس آمالي أبي طالب، ويسمى تيسير المطالب، تأليف، أبي طالب يحيى بن الحسين وآمالي المرشد بالله للمرشد بالله يحيى بن الحسين بن إسماعيل ومجموع الإمام زيد في الحديث والصحيفة للإمام علي بن موسى الرضا، والأسانيد اليعقوبية في علم الحديث، إضافة إلى ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، فيكون الإمام يحيى قد برع في علم الحديث وعلمه ورجاله وإسناده ودرايته وروايته.

أما في علوم العربية، من نحوٍ وصرفٍ وبيانٍ ومعانيٍ وبلاغة، فقد حاز فيها الإمام يحيى قصب السبق، فمنذ نعومة أظفاره اشتغل بدراسة علوم العربية، فدرس الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الأعجاز للإمام عبد الله بن حمزة. وكذا الكتب الأساسية المعتمدة في علم النحو، مثل الأجرومية والألفية وقرطبي الندي بشرحاتها جميعاً وحواشيها والتعليقات عليها، وكانت له المشاركة الأدبية في المحاورات واللطائف.

ولا أراني بحاجة للحديث عن إبداعه في الشعر وجزالة اللغة وتملكه لناصية البيان. فشعره مبذول في معظم مؤلفات العصر، تحتاج إلى جهود

الأدباء لجمعه من مظانه.

وبالاجمال، فالامام يحى يُعدُّ وبمقاييس العصر الذي عاش فيه، والبيئة التي شبَّ فيها، جديراً بأن يحظى بلقب «العلامة والفقيه». فقد حصل من العلوم ما يؤهله لذلك في أصول الدين والفقه والمنطق والكلام والحديث وعلوم العربية بفنونها المختلفة، علاوة على حفظه القرآن الكريم، وحفظ الكثير من أقوال الصحابة والتابعين.

إنَّ هذه المكانة العلمية المتميزة للإمام يحى دفعته لطلب الإجازة العامة من نفرٍ من كبار شيوخ العصر، وقد حازها بالفعل، وبلغ درجة جعلته يُجيزُ عدداً من العلماء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

الفصل الثاني

مكانة الإمام يحيى العلمية

المبحث الأول: تلاميذه وجهوده

لم تحُل المهام التي كان يكلف بها الإمام يحيى مِنْ قِبَل والده أو حتى عندما بُويع بالإمامة، دونَ اشتغاله بالتدريس والإفادة، فقد داوَمَ في سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٣٢٨ على تدريس كتابِ شفاء الأوام للأُمير الحسين بن محمد، وكتابِ الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وتدريس كتابِ الروضِ النضير، وشرح مجموع الإمام زيد بن علي، وكذا تدريس الصحيفة وكتابِ الشفاء كاملاً، ودَرسَ في مقامه بِقَفْلة عَدْر سنة ١٣٣١ هـ صحيفة زين العابدين بن علي بن الحسين^(١).

وقد عُرف من تلاميذه: عبدُ الرحمن بنُ حسين الشامي ت ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م فقد أخذَ عنه الروضَ النضير، وفي الترغيب والترهيب وشفاء الأوام^(٢) كما أخذَ عنه أحمدُ بن يحيى بن عامر ت ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م، ومع أنه شاركَ الإمامَ يحيى في طلبه للعلم والدراسة عند القاضي لطف الباري بن محمد بن شاكر، إلا أنه كان يأخذ في بعض الأيام في سماع بعض كتب الحديث في حضره وسفره في مقام الإمام يحيى^(٣)، وكان من عادة الإمام يحيى املاءُ كتب الحديث في نهار كل يوم^(٤).

(٢) نزهة النظر، ٣٣٩.

(١) أئمة اليمن، ١١٨.

(٤) المصدر السابق، ٣٣٩.

(٣) نزهة النظر، ٣٣٩.

ومن المآثر التي لا زالت تحتفظ بها المكتبة اليمنية، ولها دلالتها في تثمين جدية الإمام في اشتغاله بالعلوم، منطوقها والمفهوم، دارساً ومدرساً، وجود نسخة مخطوطة من إزاحة الأشكال عن ما ورد عن المعتزلة من الأقوال لمؤلفها، المحسن بن أحمد الشهاري، كان قد نسخها الإمام بخطه سنة ١٣٠٦ هـ^(١) وتعليق آخر يعود إلى صفر سنة ١٣١٨ يفيد امتلاك الإمام يحيى لكتاب «درر العبارات»، وقرر الإشارات في تحقيق معاني الاستعارات لمؤلفه أحمد بن محمد مكي، شهاب الدين. ومن ناحية أخرى، فقد زود الإمام يحيى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، بمجموعة قيمة من المؤلفات المخطوطة، ضمها إلى مكتبة عبدالله بن زيد الحسيني الموقوفة، وأمر محمد بن أحمد الحجري بصنع فهارس لها وأذاعها بين الباحثين والدارسين.

ومت طباعة الفهارس في مطبعة المقام بصنعاء^(٢)، غير أن عالمية الإمام تبدو واضحة من خلال وثيقتين، لا زالتا محفوظتين في مكتبة الجامع الكبير، وهما وثيقة إجازة الإمام يحيى إلى عبد المعطي السقا، أحد علماء الأزهر الشريف، والوثيقة الثانية: اختيارات الإمام يحيى في المعاملات. ولنا وقفة مع كل واحدة منهما والثالثة رسالة من الإمام يحيى للعلامة أحمد زكي باشا.

المبحث الثاني: إجازة الإمام يحيى لأحد علماء الأزهر الشريف الشيخ عبد المعطي السقا:

كان الشيخ عبد المعطي السقا قد نشر الإرشادات السنية في الأحكام الفقهية سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م وفي سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٢ م - ١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م، وقع في مجلدين. وقد كتب الشيخ عبد المعطي السقا إلى الإمام يحيى طالباً إجازة مروياته من العلوم الإسلامية، لأخذ العلم عن أربابه، فأجازه

(١) فهرس المكتبة الغربية، مجموع رقم ٩٧ علم الكلام.

(٢) نزهة النظر، ٥٤٣.

الإمام يحيى بكتاب الإجازة الذي أرسله إليه في شوال سنة ١٣٤٤ هـ /
١٩٢٥ م، ولما كانت هذه الإجازة تكشف جانباً مهماً من شخصية الإمام يحيى
العلمية، فإننا نورد صورة الإجازة الوثيقة التي لا تزال محفوظة في المكتبة الغربية
بجامع صنعاء الكبير، مجموع رقم ١١ قديم، ورقم مجموع ٤٨ جديد، بين
الأوراق ٦٠-٦٤.

وجاء فيها:

هذه صورة إجازة كتبها مولانا الإمام أمير المؤمنين
المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين
حفظه الله تعالى، للشيخ العلامة عبد المعطي السقا
أحد علماء الجامع الأزهر
بمصر في شهر شوال، أحد
شهور سنة ١٣٤٤ هـ.

٦٠ ب في الصورة التي حرّزتها بخطي لسيدي العلامة، عماد الإسلام، يحيى بن علي الذاري، وقدمها إلى الحضرة المشرفة.

بعد البسملة بقلم مولانا أمير المؤمنين ما لفظه:

يقولُ عبدالله، المفتقرُ إلى عفوِ الله، أميرُ المؤمنين، المتوكِّلُ على الله، يحيى بنُ أميرِ المؤمنين، المنصورِ بالله، محمد بنِ يحيى حميد الدين، ضاعفَ اللهُ لهم الحسناتِ، وغفر لهم السيئاتِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي رفعَ درجاتِ العلماءِ وجَعَلَهُم قادةً في الدين وحُكماءَ، وشرَّفَهُم بالشهادةِ على وحدانيتهِ وعدْلِهِ، إبانةً منه تعالى لقدرِ العلمِ وأهلِهِ، وفضَّلَهُم بوراثَةِ الأنبياءِ، وحكَمَ بأنهم أهلُ خشيتِهِ الأتقياءِ،

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ، لا شريكَ له، شهادةً صادرةً عن محضِ اليقين، خاليةً عن الظنِّ والتخمين، راسخةً في الفؤادِ، كافلةً بالفوزِ في المعادِ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله، أرسلَه بالحقِّ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، وجعله للنبوَّةِ ختاماً، ورفعَ له في الدارينِ أُلويةً ومقاماً، وأنزَلَ عليه القرآنَ، ونسخَ بدينِهِ الأديانَ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ، نَجاةً الخلقِ عندَ كُلِّ مَزَلَةٍ، وعصمتَهُم من الفتنِ المِضْلَةِ، ورضي اللهُ عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصارِ وعن التابعين لهم بإحسان على ممرِّ الأعصارِ.

وبعد:

فإنَّ اللهَ تعالى لم يخلِ عبادَهُ من قائمٍ من العلماءِ بحجةٍ، وداعٍ إلى نهجِ الرِشادِ وسواءِ المحجةِ، أودعَهُم اللهُ أمانتَهُ حتى يردُّوها إلى نُظرائِهِم ويزرعوها في قلوبِ أشباهِهِم، وإنَّ مَن سلكَ تلكَ الطريقَةَ، وحملَ أعباءَ تلكَ الحقيقةِ الشَّيخِ العلامةِ الصدرِ الفهامةِ الحلالِ عبدالمعطي السقا، وهو أحدُ علماء الجامعِ

الأزهر، حماهم الله وحاطهم عن الشرِّ، فإنه كتب إلينا على بُعد الدارِ، وشطَّ المزارِ من مصرَ المعزِيَّة إلى الديارِ اليمينية؛ طالباً إجازة مروياتنا من العلوم الدينية الإسلامية، لأخذ العلم عن أربابه، وحمله عن أهله ونصابه، عملاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ عُذُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَاتِّحَالَ الْمَبْطُلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ».

وقد روى الإمام المنصور بالله، عبدُ الله بنُ حمزة بن سليمان، عليه السلام، بإسناده إلى أمير المؤمنين عليٍّ، عليه السلام، أنه قال: أئِهَا النَّاسُ، إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكُمْ فِي عَتَرَةِ نَبِيِّكُمْ، فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ عَنْ عِلْمِ تَنَوَّسَخَ مِنْ أَصْلَابِ السَّفِينَةِ هَؤُلَاءِ مِثْلُهَا فِيكُمْ، وَهُمْ كَالْكُهُوفِ لِأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَهُمْ بَابُ السَّلَمِ، فَادْخُلُوا فِي السَّلَمِ كَافَّةً، وَهُمْ بَابُ حِطَّةٍ مِنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ، خَذُوا عَنِّي عَنْ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ، حِجَّةً مَنْ ذِي حِجَّةٍ «قَالَهَا فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا مِنْ بَعْدِي أَبَدًا، كَتَابَ اللَّهُ وَعَتَرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، إِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَأَنِي أَنَّهَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ». وَهَذَا الْخَبَرُ تَسْمِيَهُ عُلَمَاءُ الْعَتَرَةِ وَأَشْبَاعُهُمْ خَبَرَ السَّفِينَةِ الْكَبِيرِ. [الطويل]

إِذَا شِئْتَ مِنْهَا جَاءَ إِلَى الْحَقِّ هَادِيًا	لَسَالِكِهِ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْمَأْخِذِ
فَلَا تَعُدُّ عَنْ نَهْجِي كِتَابٍ وَسَنَةٍ	وَعُضُّ عَلَى مَا فِيهَا بِالنَّوَاجِذِ
وَلَا تَعُدُّ عَنْ مِنْهَا جِ آلَ مُحَمَّدٍ	سَفِينَةَ نُوحٍ مَلْتَجَى كُلِّ عَائِدٍ
هُمْ سَيْفٌ مَظْلُومٍ وَهُمْ حَتْفٌ ظَالِمٍ	وَهُمْ غَيْثٌ مَحْتَاجٍ وَهُمْ غَوْثٌ لَائِدٍ

ورغباً لوصل الإسناد الذي هو لحفظ علوم هذه الأمة خير عماد، قال الإمام الناصر الكبير الحسن بن علي الأطروش - عليه السلام - حديث بلا سند كبيت بلا عمد.

وفي رواية الإمام المؤيد بالله، أحمد بن الحسين بن هرون، عليه السلام، في خطبة شرح التجريد، عن الإمام الناصر، عليه السلام: الأسانيد سلاح المؤمن، وكل حديث لا سند فيه فهو خل وبطل. وقال السيد الامام أبو العباس، إبراهيم الحسني، عليه السلام، «لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد». وروى الإمام المؤيد بالله، عليه السلام، في خطبة شرح التجريد بإسناده، عن الباقر عليه السلام أنه قال: مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِلَا إِسْنَادٍ فَهُوَ كحاطبٍ ليل.

قال المؤيد بالله، عليه السلام: «والحجة في السماع قوله تعالى: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم» فقرن الرواية بالسماع من نبيّه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ولما جاء عن صاحب الشريعة، صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. وقوله، صلى الله عليه وآله وسلم، «تسمعون ويستمعون منكم ويستمعون ممن سمع منكم» إلى غير ذلك من الأخبار، وأقوال السلف الصالح والآثار.

فنقول: إنّا قد أجزنا للشيخ المذكور على الشرط الذي بين علماء هذه الأمة وحفاظها يدور، وهو صحة النقل وضبط اللفظ، والتوقف عند الاشتباه، أن يروي عنا جميع مروياتنا من العلوم الإسلامية من معقول ومنقول وفروع وأصول، ما تلقيناه عن مشايخنا، بحار العلوم، وأطواد الحلوم، ولنا مشايخ عدة:

أولهم ودرّة تاجهم والدنا الإمام المجدّد، أمير المؤمنين، المنصور بالله رب العالمين، محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن الإمام المنصور بالله، القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين الأملحي بن علي بن يحيى بن محمد العالم بن الإمام يوسف الأصغر، الملقّب بالأشلي بن القاسم بن الإمام الداعي إلى الله

هـ يوسف الأكبر بن الإمام المنصور بالله يحيى / بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحافظ بن الإمام ترجان الدين، نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم طباطبا الغمر بن إسماعيل الديباج عن إبراهيم الشبه بن الحسن المثني الرضي بن الحسن السبط أمير المؤمنين بن الوصي الأنزع البطين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، بنت رسول الله الأمين محمد المصطفى المكين، مختار رب العالمين، صلى الله عليه وآله وسلم:

[مجزوء الرجز]

سلسلة من ذهب منوطة بالشهب
ودوحة ترددت بين وصي ونبوي

والمولى العلامة الرباني، شيخ الإسلام، علي بن علي اليماني، أبقاه الله تعالى.
والعلامة بدر العلوم الساري، أحمد بن عبد الله الجنداري رحمه الله.
والعلامة ملحق الأصاغر بالأكابر، لطف الباري بن محمد شاكر، رحمه الله تعالى.

والعلامة جبل العلم الراسي، محمد بن أحمد العراسي رحمه الله.
والعلامة المحقق الزاهد، عبد الله بن أحمد المجاهد، رحمه الله تعالى.
وابن أخيه، علامة العصر، القاضي، وجيه الإسلام، عبد الوهاب بن محمد ابن أحمد المجاهد، أبقاه الله.

ومنهم،

السيد العلامة، زيد بن أحمد الكبسي، رحمه الله.
والسيد العلامة، محمد بن علي الجديري، رحمه الله تعالى.
والعلامة الحافظ، عبد الرزاق بن محسن الرقيحي الصنعاني، رحمه الله تعالى.
والعلامة، محمد بن أحمد حميد، رحمه الله.

والعلامةُ الفاضلُ، إسماعيلُ بنُ علي الريمي عافاه الله.
والعلامةُ عبدالله بنُ علي الحضوري، رحمه الله تعالى.
والقاضي العلامةُ محمدُ بن محمد جفغان
ومنهم:

القاضي العلامةُ، حليفُ العلم والجهدِ محمدُ بن سعد الشرقي، أبقاه الله.
ووالده القاضي العلامة، سعدُ بن محمد الشرقي.
ومنهم،

المولى العلامةُ، شرفُ الأنام، حجةُ الإسلام، الحسينُ بنُ علي العمري، عمره
الله تعالى.
ومنهم:

القاضي عليُّ بنُ حسين المغربي، رحمه الله.
ومنهم:

الأخوان القاضيان العالمان، محمدُ بنُ عبدالله الغالبي وصنوه إبراهيمُ بنُ
عبدالله، رحمهما الله تعالى.

وقد أحلنا المجازَ له في تفصيلِ أسانيدِ مؤلفاتِ العلومِ على ما صحَّحتُ لنا
روايته من كتبِ الأسانيدِ وهي:

إتحافُ الأكابرِ بأسانيدِ الدفاتير، للقاضي العلامة، شيخ الإسلام محمد بن
علي الشوكاني والأئمُّ لإيقاظِ الهمم، للشيخ إبراهيم بن حسين الكردي.

/ والمطربُ المغربُ الجامعُ لأهلِ المشرقِ والمغربِ، للشيخ عبد القادر بن ٦٢ أ

خليل المدني.

فطريقنا في إتحاف الأكابر عن شيخنا بدر العلوم الساري، أحمد بن عبد الله الجنداري عن شيخه السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله أبو طالب، رحمه الله، عن القاضي أحمد بن محمد الشوكاني، عن والده شيخ الإسلام، محمد بن علي الشوكاني. ح وعن شيخنا أحمد بن عبد الله الجنداري عن شيخه عبد الله أبو طالب، عن القاضي عبد الله بن محسن الحيمي عن المؤلف شيخ الإسلام محمد ابن علي الشوكاني.

وطريقنا في الأمم لا يقاظ الهمم للشيخ إبراهيم بن حسن الكردي عن شيخنا أحمد بن عبد الله الجنداري عن شيخه عبد الكريم بن عبد الله، أبو طالب عن القاضي أحمد بن محمد الشوكاني عن والده شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني عن شيخه السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني، عن الشيخ عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي عن محمد بن إبراهيم بن حسن الكردي عن والده المؤلف الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي ح.

ونرويه عن شيخنا أحمد بن عبد الله الجنداري عن شيخه السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله أبو طالب، عن القاضي عبد الله بن محسن الحيمي عن شيخ الإسلام، محمد بن علي الشوكاني عن السيد عبد القادر بن أحمد الكوكباني عن محمد بن حيوة السندي، عن سالم بن عبد الله بن سالم البصري، عن أبيه عن المؤلف الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي.

وطريقنا في إتحاف الأكابر، عن المولى القاضي الحسين بن علي العمري، عمه الله، عن شيخه العلامة، أحمد بن محمد السياغي عن العلامة الحسن بن أحمد بن يوسف الرباعي عن المؤلف، شيخ الإسلام، محمد بن علي الشوكاني ح. وعن العلامة الحسين بن العمري عن شيخه أحمد بن محمد السياغي عن

شيخه السيد العلامة الإمام، عباس بن عبد الرحمن عن المؤلف، شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ح.

وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد العلامة الحافظ المسند محمد بن إسماعيل الكبسي، عن المؤلف شيخ الإسلام، محمد بن علي الشوكاني.

وطريقنا في الأمم، عن العلامة الحسين بن علي العمري عمه الله عن شيخه أحمد بن محمد السياغي عن شيخه، الحسن بن أحمد الرباعي عن شيخ الإسلام، محمد بن علي الشوكاني عن شيخه السيد عبد القادر بن أحمد الكوكباني عن محمد بن حيوة السندي عن سالم بن عبد الله بن سالم البصري، عن أبيه عن المؤلف الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي ح.

وعن العلامة الحسين بن علي العمري، عن شيخه أحمد بن محمد السياغي عن السيد الإمام، عباس بن عبد الرحمن عن شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني عن شيخه صديق بن علي المزجاجي عن شيخه سليمان بن يحيى الأهدل / عن أحمد بن محمد الأهدل عن أحمد بن محمد النحلي عن المؤلف ٢٦ ب الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي.

وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد العلامة المجتهد المسند محمد بن إسماعيل الكبسي عن السيد أحمد بن زيد الكبسي عن السيد حسن بن يحيى الكبسي عن السيد قاسم بن محمد الكبسي عن البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير عن الخطيب الشيخ محمد بن أبي الغيث، عن المؤلف الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي.

وعن العلامة الحسين بن علي العمري، عن السيد العلامة القاسم بن الحسين بن المنصور عن السيد العلامة محمد بن محمد الظفري عن السيد العلامة علي بن أحمد الظفري عن شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني عن

السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني عن الشيخ عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي عن أبيه عن الشيخ علاء الدين المزجاجي عن المؤلف الشيخ إبراهيم ابن حسن الكردي ح. وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن شيخه أحمد بن محمد السياغي عن الحسن بن أحمد الرباعي عن والده أحمد بن يوسف الرباعي عن السيد عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأمير عن والده عن الشيخ محمد بن أبي الغيث عن المؤلف الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي.

وطريقنا في اتحاف الأكابر عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن القاضي العلامة محمد بن أحمد العراسي عن السيد محمد بن يحيى الأنخفش، عن المؤلف شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ح. وعن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن السيد العلامة عبد الكريم بن عبدالله أبو طالب عن القاضي أحمد بن محمد الشوكاني عن والده المؤلف شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ح.

وعن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن السيد عبد الكريم بن عبدالله أبو طالب عن القاضي عبدالله بن محسن الحيمي عن المؤلف شيخ الإسلام، محمد بن علي الشوكاني.

وطريقنا في الأمم،

عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن السيد عبد الكريم بن عبدالله أبو طالب عن القاضي أحمد بن محمد الشوكاني عن والده شيخ الإسلام، محمد بن علي الشوكاني عن السيد عبد القادر بن أحمد الكوكباني عن عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي عن محمد بن إبراهيم بن حسن الكردي عن والده المؤلف الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي وعن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن السيد عبد الكريم بن عبدالله أبو طالب عن القاضي عبدالله ابن محسن الحيمي عن شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني عن شيخه السيد عبد القادر بن أحمد الكوكباني عن شيخه عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي عن

محمد بن إبراهيم الكردي عن أبيه المؤلف إبراهيم بن حسن الكردي ج.

وعن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن القاضي العلامة محمد بن أحمد العراسي عن السيد محمد بن يحيى الأخفش عن شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني عن شيخه صديق بن علي المزجاجي عن شيخه سليمان بن يحيى الأهدل عن أحمد بن محمد الأهدل عن أحمد بن محمد النحلي عن المؤلف الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي.

وطريقنا في المطرب المَعْرِبِ للشيخ عبد القادر/ بن خليل المدني عن ١٦٣ العلامة الحسين علي العمري، عمّه الله، عن شيخه أحمد بن محمد السياغي عن الحسن بن أحمد الرباعي عن السيد العلامة عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير عن المؤلف الشيخ، عبد القادر بن خليل المدني ح.

وعن العلامة، الحسين بن علي العمري عن السيد أحمد بن محمد الكبسي عن السيد علي بن أحمد الظفري عن السيد عبد الله بن محمد الأمير عن المؤلف ح.

وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد أحمد بن محمد الكبسي عن السيد يحيى بن مطهر عن السيد عبد الله بن محمد الأمير عن المؤلف ح.

وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن القاضي العلامة محمد بن محمد العمراني عن السيد العلامة عبد الله بن محمد الأمير بالإجازة العامة عن السيد العلامة المحدث، شيخ القراء علي بن أحمد الشرفي عن المؤلف الشيخ عبد القادر بن خليل المدني.

هذا: والذي نوصي به المجاز، وفقنا الله وإياه إلى رضاه، هو تقوى الله سبحانه سرّاً وإعلاناً، فذلك أفضل ما تواصى به المؤمنون، والعمل بطاعته، واجتناب مساخطه، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله وعترته أهل بيته، فإن كتاب الله وسنة رسوله وعترته هي أسباب الفوز والنجاة.

روى الإمام الناطق بالحق أبو طالب، يحيى بن الحسين بن هارون، عليهم السلام، في أماليه بسنده إلى علي، عليه السلام، قال: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه، والبيت غاص بمن فيه، قال: ادعوا الحسن والحسين، قال: فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه، قال: فجعلت أرفعهما عن وجه رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ففتح عينيه وقال: دعهما يتمتعان مني واتمتع منهما، فإنهما ستصيبهما بعدي إثره.

قال: أيها الناس، إني قد خلفت فيكم كتاب الله وستي وعترتي أهل بيتي، فالمضيغ لكتاب الله كالمضيغ لستتي، والمضيغ لستتي كالمضيغ لعترتي، أما إن ذلك لن يفترق حتى اللقاء على الحوض.

وهذا الحديث مبين لوجه الجمع بين ما روي أن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، ذكر مع الكتاب السنة وحدها، وما في صدور حديث الغدير المتواتر فإنه ذكر مع الكتاب العترة فقط، فلا منافاة بين استخلاف السنة مع الكتاب واستخلاف العترة مع الكتاب، فيكون الثلاثة: الكتاب والسنة والعترة مستخلفات على الدلالة والهداية كما نص هذا الحديث، وقد أخرج حديث في «إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يرذا الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، ابن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل، وأخرجه مسلم في صحيحه وأبو يعلى عن أبي سعيد الترمذي والطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من ثلاث طرق، قال في كل واحدة صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه، يعني من تلك الطرق الثلاث، وأخرجه ابن عقدة في الموالات والطبراني في الكبير والضيأ في المختار، وأبو نعيم في الحلية، وعبد بن حميد بسند جيد وأبو موسى المدني في الصحابة، والحافظ، أبو الفتوح العجلي في كتاب الموجز في فضائل الخلفاء وابن أبي شبة واسحق بن راهويه بسند جيد والدولابي في

الذرية الطاهرة والبراء والزندي الشافعي.

وغيرهم بالفاظ يسيرة الاختلاف ومتفقة المعاني، وفي هذا دلالة على أنه لا يخلو كل زمان ممن يكون أهلاً للتمسك من أهل البيت، العترة الطاهرة إلى قيام الساعة، وفي الحديث «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى يقابل آخرهم المسيح الدجال».

قال الإمام المتوكل على الله، يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي بن أحمد بن يحيى المرتضى في القصص: الحق في مدح خير الحق. فنحن طائفة الحق التي وردت فيها الأحاديث مما الكل يرويه

قال القاضي العلامة، عبد الله بن زيد العنسي، رحمه الله تعالى، ظاهرين بالحجة والبرهان متولين على بعض البلدان، بذلك حكم الرحمن. وإن بهم يرد عن الإسلام كيد الكائدين، وينفي بدع المبتدعين.

روى السيد الإمام الناطق بالحق أبو طالب، عليه السلام، بإسناده في أماليه إلى جعفر بن محمد عن آبائه، عليهم السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عند كل بدعة من بعدي يكاد بها الإيأان - ولياً من أهل بيتي - موكلأ يذب عنه، يعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين، فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله، وقد رواه السيوطي عن أبي نعيم في الحلية، وأبي نصر السجزي في الإبانة بلفظ: إن عند كل بدعة كيد بها الإسلام وأهله ولياً صالحاً يذب عنه، ويتكلم بعلماته، وهو في هذه الرواية مطلق مقيّد بأهل البيت كما في رواية الإمام أبي طالب فيحمل المطلق على المقيّد؛ لأنها وردا في حكم واحد، وهو الإخبار عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، بما ذكر، كما هو مقرر عند أهل الأصول، ولقد خص الله هذه العترة بفضائل لا تحصى كثرة، وفيهم نزلت آية المودة والاصطفاء والتطهير والمباهلة والإطعام والسؤال من اللطيف الخبير،

ووردت فيهم الأخبار الصحيحة والأثار الواضحة الصريحة، وعصم الله إجماعهم عن الخطيئات، وشرع الصلاة عليهم في تشهد الخمس الصلوات، معدن النبوة والوصاية والخلافة والواجب حبهم وبغض أعدائهم على الخلق كافة، ولما نزل قوله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، قيل: يا رسول الله: من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟»، قال: علي وفاطمة وابناهما.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: من أحب أن يحيا حيوتي ويموت مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتول علياً وذريته من بعده، فإنهم لن يخرجوك من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة، أخرجه الباوردي وابن منده عن زياد بن مطرف، وفي رواية أبي نعيم. وليعتمد بالأئمة من بعدي فإنهم عتري، خلقوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين منهم حبل لا أنا لهم الله شفاعتي، وأخرج الحاكم في المستدرک عن ابن عباس: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة اختلفوا فصاروا لحزب الشيطان.

قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرج ابن عدي في الكامل عن أنس وأبي داود عن ابن عباس والترمذي وقال: حسن غريب، والبيهقي في شعب الإيمان والحاكم في المستدرک. وقال صحيح، على شرط الشيخين ولم يخرجاه، أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي، وأخرجه الحاكم الجشمي في جلاء الأبصار عن علي، عليه السلام، وإلى هنا وقف شرط القلم.

والحمد لله على ما أنعم وما خص به وعم، وصلى الله على من به يبدأ الذكر الجميل ويختتم، وعلى آله وصحبه وسلم.

ونستمد من المجاز له، ويمن وقف على ما حررناه من العلماء العاملين والفضلاء الصالحين الدعوات خير الدارين، وبأن يحفظ علينا دين الإسلام

ويحميه وأهله عن كيد أعدائه اللثام، وأن يجعل خيراً أعمارنا آخرها، وخيراً أعمالنا خواتمها. وخير الأيام يوم لقائه، آمين اللهم آمين، وسلاماً على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين وحرر في شوال سنة ١٣٤٤.

ومن خلال دراستنا لوثيقة الإجازة، فإننا نسجل الملاحظات التالية:

أولاً: المؤلفات التي أجازها الإمام يحيى لشيخ الأزهر عبد المعطي السقا هي:

- اتحاف الأكابر بأسانيد الدفاتر لمؤلفه شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وهم معجم بأسماء الكتب مرتب على حروف المعجم، وقد قام قطب أحسن محمود بتصحيحه وإعداده للطباعة، وطبع ضمن مجموعة في الأسانيد الهندية، الدكن، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف النظامية سنة ١٣٢١هـ / ١٩١٠م.

- الأُمُّ لإيقاظ الهمم، للشيخ إبراهيم بن حسن الكردي، وهو يتضمن أسانيد الصحيحين والسنن الأربعة وما تيسر من كتب الحديث وغيره.

- المطرب المغرب الجامع لأهل المشرق والمغرب للشيخ عبد القادر بن خليل المدني ت ١١٨٧هـ بمدينة نابلس من فلسطين، وكان مهتماً بتلقي الحديث وجمع رجاله ماهراً في الإسناد، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً، وشرع في عمل المعجم لشيوعه بعد أن جال البلاد شرقاً وغرباً، دخل مصر وغزة والرملة والقدس والشام وأيدن والاستانة، ودخل زبيد ناشر فيها علوم الإسناد^(١).

ثانياً: كان الإمام يحيى قد نال حق رواية كتاب الإتحاف من ثمانية روايات استجازها من العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري والعلامة الحسين بن علي

(١) فهرس الفهارس ٧٧٢.

العمري والعلامة علي بن حسين المغربي.

كما استجاز رواية الأمم من عشر روايات من العلماء الشيوخ الذين سبق ذكرهم بإسناد متصل بالمؤلف إبراهيم بن حسن الكردي، واستجاز رواية المطرب العرب لعبد القادر بن خليل المدني بسبع روايات، أخذها من الحسين بن علي العمري.

ثالثاً: كانت الإجازة من حيث أسلوب صياغتها وشروطها متفقة مع مثيلاتها من إجازات العصر، فقد أجاز الإمام يحيى الشيخ عبدالمعطي السقا على الشرط الذي بين علماء الأمة وحفاظها، وهو صحة النقل وضبط اللفظ، والتوقف عند الاشتباه.

رابعاً: أورد الإمام يحيى في الإجازة أسماء مشايخه الذين أجازوه بذلك، وبلغ عددهم عشرين عالماً، ثم تناول إسناده في رواية كل كتاب بسند تام كامل، يصل إلى مؤلف الكتاب نفسه، وكان حريصاً على نقد السند.

خامساً: أوصى المجاز بتقوى الله سرّاً وإعلاناً، والعمل بطاعة الله واجتناب سخطه والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله وعترته أهل البيت، فإن كتاب الله وسنة رسوله وعترته هي أسباب الفوز والنجاة، وحول هذه الوصية أورد العديد من الأحاديث المسندة وأفاض في تخريج الأحاديث، وحق العترة في الذود عن الدين، وإعلان الحق، ومن ثم ذكر فضائل آل البيت ووجوب مناصرتهم ومحبتهم ومنقبة اصطفائهم.

سادساً: استمد من المجاز له ومن العلماء الذين وقفوا على هذه الإجازة، الدعوات الصالحات لخير الدارين، وأن يحفظ الله دين الإسلام ويحميه وأهله من كيد أعدائه اللئام.

وختّم الإجازة بقوله «وأن يجعل خير أعمارنا آخرها، وخير أعمالنا خواتمها،

وخير الأيام يوم لقائه».

ومن ناحية أخرى، فقد أوردَ صاحب فهرس الفهارس والاثبات^(١)، أنه وقفَ على إجازة كتبها الإمام يحيى بن محمد حميد الدين سنة ١٣٤٥ هـ للعلامة أحمد زكي باشا فيها «إن طرق روايتنا لما نحن بصدده متعددة على قدر تعدد طرقهم، ومن أخصر الطرق وأمتعها ما نرويه بالسند المتصل إلى القاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن اليميني لما رواه عن مشايخه الأعلام في مؤلفه «الأعلام بأسانيد الأعلام»، وهو مؤلف نفيس حاوي من الأسانيد ودواوين التواريخ ما يروي الغلة ويزيل العلة.

ونحن نروي ما حواه ويتصل سندننا بمؤلفه عن شيخنا العلامة شرف الدين القاضي الحسين بن علي العمري، عمره الله، عن شيخه أحمد بن محمد السياغي عن القاضي الحسن بن أحمد الرباعي عن القاضي أحمد بن محمد القاطن» ثم رفع الإمام يحيى سنده من طريق المترجم إلى سيرة ابن هشام واكتفاء الكلاعي وروض السهيلي وكامل ابن الأثير ووفيات ابن خلكان وأغاني الأصبهاني وفتوح مصر لابن عبد الحكم، والعقد الحسن في طبقات أهل اليمن لأبي الحسن الخزرجي، صاحب الخلاصة، وقرة العيون بأخبار اليمن الميمون وبغية المستفيد في أخبار زييد لابن الديبع.

وهذا باب في دراسة التاريخ الإسلامي عامة واليميني خاصة، وقد ذكر صاحب فهرس الفهارس بأن الإمام يحيى بن محمد حميد الدين «لعله خاتمة ملوك الإسلام الذين أجزوا وأجازوا»^(٢).

(١) انظر، الكتاني، فهرس الفهارس، ٩٣٩/٢.

(٢) المرجع السابق، ٩٣٩/٢.

هذه صورة تاجان تذكيرنا مولانا الامام امير المؤمنين
المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين
حفظه الله تعالى الشيخ العلامة عبد العلي
السقا احد علماء الجامع الأزهر
بمصر في شهر شوال
شهر ١٣٤٣

في الصورة التي حررتها على يد العلامة عماد الدين محمد بن علي الزماري وقد تمها الى الحضرة المستنصرية
بعد البسملة تعال مولانا امير المؤمنين بافضل بقول عجلوا المنتصر الى غفر الله عنه امير المؤمنين التوسل
على الله كي يراد امير المؤمنين المنصور بالله محمد بن علي حميد الدين ضاعف اهلهم
الحسنات وغفر لهم السيئات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رفع درجات العلم و جعله قادة
 في الدين وحكاما و شرقيهم بالنسبة هادة على وحدانيتهم وعدله ابا نة منتهى
 لقد العلم و اهله و فضلهم بورا نة الانبياء و حكم باخهم اهل خشية الاقبا
 و اسرهم ان لاله الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن محض
 اليقين خالية عن النطق التخييل و السخر في النود كما قاله بالنور في المعاد و اسرهم
 ان محمد امده و رسوله ارسله بالحق بشيرا و نذيرا و داعيا الى الله باو دة و سراجا
 هديا و جعله النبوة ختامها و رفع له في الاردين النبوة و مقامها و انزل
 عليه القرآن و نسخ به بينه الاديات صلى الله عليه و على اله بجاه الحق عند
 كل منزلة و عصمهم من الفتن المضلة و رضي الله عن الصحابة الاخيار من المهاجرين
 و الانصار و عن التابعين لهم باحسان عليهم السلام و اعصمهم من الفتن فان الله
 تعالى لم يخل عباده من قائم من العلماء محجة و داع الى الحق الرشاد و سوا الحق و ادعهم
 الله امانته حتى يردوها الى نظرهم و يزعموها في قلوب اسبابهم و ان من
 سلك تلك الطريق و حمل اعباء تلك المهمة السبع العلامة الناضل الصدر الغيا
 المحلل عبد العظمى الفخري ساعد الله و ادنو انما العمل الجامع الا انه رحا هم الله فاهم
 عن الشرفاء كتب النبالة بعد الدار و وسط الزمان مصر المعزية الى الدنيا بالدين على
 اجازة مروياتنا من العلم الدينية الاسلامية لاحد العلم عن اربابته و جعله عن اهل
 و نصابة عملا بقوله صلى الله عليه و آله و سلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدو و لم ينفعن عنه تحريخ
 الغالين و انتم الى المبطلين و تاويل الجاهلين و قد روى الامام المنصور بالله
 عبد الله بن حمزة بن سليمان عليه السلام كساؤه الى امير المؤمنين علي عليه السلام ان قال لي
 الناس ان العلم الذي انزله الله على الانبياء قبلكم في عترة نبيكم فاني نياه بكم علم
 تنو سحر من اصلا باصحاب السنية هو لا و مثلها فيكم و هم كما لكم من الاصحاب الكرام
 و هم باب السلم فادخلوا في السلم كما فدهم باب حطه من دخله غفر له و ادعى عن
 خاتم المرسلين محمد من ذي جوده قالها في حجة الوداع اني تارك فيكم ما ان سخطتم
 به لن تضلوا من بعدى ابدأ كتاب الله و عتري اهل بيتي ان اللطيف الخبير
 نهاي اخي الن يوتر قاسحتي يرد اعلى الموض و هو من الخبر تسمية علمي و
 العترة و اسما عهم خبر السنية العشرة

ان الله ذا العليم حليم
فليطردعننا نحن اهل
الدين والدار

، اذا شئت منها جال الحق هاديا ، لسالك عند اختلاف الماخذ ،
 ، فلا تعد عن فحوى كتاب وسنة ، وعرض على ما فيها بالنواخذ ،
 ، ولا تعد عن هزهاج ال محمد ، سيفينه نوح ملتجأ كل عابذ ،
 ، هم سيف مظلوم وهم حنف ظالم ، وهم غيث محتاج وهم غوث لائذ ،
 ، ولا غبا الوصل الاسناد الذي هو معظ علوم هذه الامة خير عاذا قال الامام
 الناصر الكبير الحسن بن علي الاظم وشي عليه السلام حديث بلا سنة كبيت بلا علم
 وفي رواية الامام الموريد بالله احمد بن الحسين بن هرون عليه السلام في خطبة شرح
 التوحيد عن الامام الناصر عليه السلام الاسانيد سلاح المؤمن وكل حديث لا سند
 فيه فهو جمل وبطلان زور والامام الموريد بالله عليه السلام في خطبة شرح التوحيد بكسادة
 عن الباقر عليه السلام انه قال من طلب العلم بلا اسناد فهو كمن اطب ليل قال الاكف
 الموريد بالله عليه السلام والمجد في السماع قوله تعالى فلو لا نفر من كل فرقة منهم
 طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ففكرت الرواية السماع
 من نبيهم صلى الله عليه واله وسلم فلما جاء عن صاحب الشريعة صلى الله عليه واله وسلم من قوله
 نضر الله امرئ سمع مقالتي فبلغها فرب حامل فقه غير فقيه وبس حامل
 فقه الى من هو افقه منه وقوله صلى الله عليه واله وسلم سمعون وسمعتم فكم يسمع
 ممن سمع منكم الى غير ذلك من الاخبار واقوال السلف الصالح والانا كره
 فنقول انا قد اجزنا الشيخ المذكور على الشرط الذي بين علماء هذه الامة
 وحفاظها يدورن وهو صحة النقل وضبط اللفظ والتوقف عند الاستنباط
 ان يروى عنا جميع هروياتنا من العام الاسلاميه من معقول ومنقول
 وفروع واصول ما تلقيناها عن مشايخنا بحار العلم والطوايد الحامه ولنا مشايخ
 عدة اولهم ودره تاجهم والذنا الامام المجدد احمه المؤمنين المنصور بالله
 رب العالمين محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن الحسين
 بن الامام المنصور بالله العزم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرضا بن احمد بن الامام
 الحسين الاعلى بن علي بن يحيى بن محمد العالم بن الامام يوسف الاصغر الملقب بالاضل
 بن القاسم بن الامام الداعي الى الله يوسف الرابع بن الامام المنصور بالله يحيى

من الامام الناصر لدين الله احمد بن الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسن الحافظ
من الامام ترحمان الدين نجم الال الرسول القاسم بن ابراهيم طباطبا الغفر بن
اسماعيل الديباج بن ابراهيم الشيبه بن الحسن الثاني الرضوي بن الحسن السبط
امير المؤمنين من الوصي الاميرع البطيخ بن ابي الموحسين علي بن ابي طالب
وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت رسول الله الامير محمد المصطفى
الكلية مختار رب العالمين صلى الله عليه واله وسلم
سلسلة من ذهب ، منوطة بالشهاب ،
ودوحة ترددت ، بين وصي ونبي ،
والمولى العلامة الرباني شيخ الاسلام علي بن علي الباني انتقاء الله تعالى
والعلامة بدرالعلم الساري احمد بن عبد الله الخزازي رحمه الله العلامة علي الصاغر
بالاكابر لطف الباري بن محمد شاكر حمد الله تعالى والعلامة جليل العلم الرازي
محمد بن احمد العراسي رحمه الله العلامة المحقق الزاهد عبد الله بن احمد المجاهد
رحمه الله تعالى واول من شيد العلامة القاضي وحيد الاسلام عبد الوهاب
بن محمد بن احمد المجاهد انتقاء الله ومنهم السيد العلامة زيد بن احمد الكلباسي
والسيد العلامة محمد بن علي الجبيري رحمه الله تعالى والعلامة الحافظ عبد الرزاق
بن محسن الرقي الصنعاني رحمه الله تعالى والعلامة محمد بن احمد حميد رحمه الله
والعلامة الفاضل اسمعيل بن علي الرقي عافاه الله والعلامة عبد الله بن علي الحضوري
رحمه الله تعالى والقاضي العلامة محمد بن محمد بن جعفر بن القاضي العلامة
حليف العلم والمجاهدين سعد الشرف انتقاء الله ووالده القاضي العلامة
سعد بن محمد الشرف ومنهم المولى العلامة شرف الانا فخر محمد الاسلام الحسين بن
علي العربي عمه الله تعالى ومنهم القاضي العلامة علي بن حسين المغربي رحمه الله
ومنهم الاخوان القاضيان العالمان محمد بن عبد الله الغلابي وصنوه ابراهيم
بن عبد الله رحمه الله تعالى وقد احلنا الحار له في تفصيل
اسانيد مولفات العليم على ما صححت لنا روايته من مكتب الاسانيد
وهي اتحاف الاكابر بسناد الدفاتر للقاضي العلامة شيخ الاسلام محمد بن علي
الشافعي والعلامة لايضا لهما من ابراهيم بن محمد بن الحسين

هذا
الذي هو العلامة

والمنظور

والمطرب العرب الجامع لاهل المشرق والمغرب للشيخ عبد القادر بن
 خليل المديني في قطر بقمنا في احوال الاكابر عن شهاب الدين بن عبد السلام الساري احمد بن
 الجنداري عن شيخه السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب بن محمد بن عبد الله بن القاسم
 احمد بن محمد الشوكاني عن والده شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني في حقه وعن شهاب احمد
 بن عبد الله الجنداري عن شيخه السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب بن محمد بن عبد الله بن القاسم
 عبد الله بن محمد بن الحسين بن المولى شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني في حقه وعن شهاب احمد
 الانباط الصفي بن ابراهيم بن حسن الكندي عن شهاب احمد بن عبد الله الجنداري
 عن شيخه السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب بن محمد بن عبد الله بن القاسم احمد بن محمد الشوكاني في
 حقه وعن والده شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني في حقه السيد العلامة عبد القادر بن احمد
 الكوكبي عن شيخه عبد الخالق بن ابي بكر المزحاجي عن محمد بن ابراهيم بن حسن الكندي
 عن والده المولى شيخ ابراهيم بن حسن الكندي في حقه وعن شهاب احمد بن
 عبد الله الجنداري عن شيخه السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب بن محمد بن عبد الله بن القاسم
 عبد الله بن محمد بن الحسين بن المولى شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني في حقه السيد عبد القادر
 بن احمد الكوكبي عن محمد بن حمويه السدي عن سالم بن عبد الله بن سالم
 البصري عن ابيه عن المولى شيخ ابراهيم بن حسن الكندي في حقه وعن شهاب احمد بن
اتحاف الاكابر عن المولى العلامة الحسين بن علي العمري عن والده عن شيخه
 العلامة احمد بن محمد السباعي عن العلامة الحسن بن احمد بن يوسف الرازي عن المولى
 شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني في حقه وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن شهاب احمد بن محمد
 السباعي عن شيخه السيد العلامة الامام عكلس بن عبد الرحمن بن المولى شيخ الاسلام
 محمد بن علي الشوكاني في حقه وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد العلامة الحافظ
 المسند محمد بن اسماعيل الكبيسي عن المولى شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني في حقه وعن شهاب احمد بن
 في الامم عن العلامة الحسين بن علي العمري عن والده عن شيخه احمد بن محمد السباعي عن شهاب احمد
 الحسن بن احمد الرازي عن شيخه الاسلام محمد بن علي الشوكاني في حقه السيد عبد القادر
 بن احمد الكوكبي عن محمد بن حمويه السدي عن سالم بن عبد الله بن سالم العمري
 عن ابيه عن المولى شيخ ابراهيم بن حسن الكندي في حقه وعن العلامة الحسين بن علي العمري
 عن شهاب احمد بن محمد السباعي عن السيد الامام عكلس بن عبد الرحمن بن المولى شيخ الاسلام محمد
 بن علي الشوكاني في حقه عن شهاب احمد بن علي المزحاجي عن محمد بن علي المزحاجي عن شهاب احمد

عن احمد بن محمد الاهدل عن احمد بن محمد النخعي عن المولى الشيخ ابراهيم بن حسن الكردى
عن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد العلامة محمد بن الحسين بن محمد بن اسمعيل
الكبيسي عن السيد احمد بن زيد الكبيسي عن السيد حسن بن يحيى الكبيسي عن السيد قاسم
بن محمد الكبيسي عن السيد المير محمد بن اسمعيل الامير عن الخطيب الشيخ محمد بن ابي
الغيث عن المولى الشيخ ابراهيم بن حسن الكردى عن العلامة الحسين بن علي العمري
عن السيد العلامة القاسم بن الحسن بن المنصور عن السيد العلامة محمد بن محمد الطنزي
عن السيد العلامة علي بن احمد الطنزي عن شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن السيد العلامة
القادر بن احمد الكوكبي عن الشيخ عبد الخالق بن ابي بكر الزحاجي عن ابيه عن الشيخ علا الدين
المزحاجي عن المولى الشيخ ابراهيم بن حسن الكردى عن العلامة الحسين بن علي العمري
عن شيخ احمد بن محمد السباعي عن الحسن بن احمد الرباعي عن والده احمد بن يوسف الرباعي
عن السيد عبد الله بن محمد بن اسماعيل الامير عن والده عن الشيخ محمد بن الحسن بن ابي
الغيث عن المولى الشيخ ابراهيم بن حسن الكردى وطريقنا في احوال الكا
عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن القاضي العلامة محمد بن احمد العراسي عن السيد
محمد بن يحيى الاحفش عن المولى شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن القاضي العلامة
علي بن حسين المغربي عن السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله ابو طاهر عن القاضي
احمد بن محمد الشوكاني عن والده المولى شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن القاضي
العلامة علي بن حسين المغربي عن السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طاهر عن القاضي
عبد الله بن محمد بن الحسين بن المولى شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن
الامير عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طاهر
عن القاضي احمد بن محمد الشوكاني عن والده شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن السيد عبد القادر
بن احمد الكوكبي عن عبد الخالق بن ابي بكر المزحاجي عن محمد بن ابراهيم بن حسن الكردى
عن والده المولى الشيخ ابراهيم بن حسن الكردى عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي
عن السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طاهر عن القاضي عبد الله بن محمد بن الحسين بن علي شيخ الاسلام
محمد بن علي الشوكاني عن سيد السيد عبد القادر بن احمد الكوكبي عن شيخ عبد الخالق بن
ابي بكر المزحاجي عن محمد بن ابراهيم الكردى عن ابيه المولى الشيخ ابراهيم بن حسن الكردى
عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن القاضي العلامة محمد بن احمد العراسي عن السيد محمد بن
الاحفش عن شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن سيد صدوق بن علي المزحاجي عن شيخ
سلم بن يحيى الاهدل عن احمد بن محمد الاهدل عن احمد بن محمد النخعي عن المولى الشيخ ابراهيم
بن حسن الكردى وطريقنا في المطرب المعرب للشيخ عبد القادر

في جليل

من خليل المديني عن العلامة الحسين بن علي العمري عن محمد بن احمد بن محمد السباعي عن الحسن
بن احمد الرازي عن السيد العلامة عبد الله بن محمد بن اسمعيل الالهي عن المولى الشيخ
عبد القادر بن خليل المديني ح وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد محمد بن محمد
الكبيسي عن السيد علي بن احمد الظفري عن السيد عبد الله بن محمد الالهي عن المولى
ح وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد احمد بن محمد الكبيسي عن السيد يحيى بن
مطر عن السيد عبد الله بن محمد الالهي عن المولى ح وعن العلامة الحسين بن علي
العمري عن العلامة محمد بن محمد العمري عن السيد العلامة عبد الله بن محمد الالهي عن المولى
السيد العلامة البدر المقتدر محمد بن اسمعيل المديني عن المولى الشيخ عبد القادر بن خليل المديني
عن المولى الذي نوصي به الحماز له وفقنا الله واياه الى رضاه هو يروي اسما
سرا واعلاما فاذكره افضل ما تروا به المومنون والعمل بطاعته واجتناب مساخط
والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله وعقده اهل بيتك فان كتاب الله وسنة رسوله وعقده
هي اسباب الفوز والنجاه وروى الامام الناطق بالحق ابو طاهر محمد بن الحسين بن هرون عن
ابي امامه بسنده ان علي عليه السلام قال لما شغل رسول الله صلى الله عليه وآله في حربه البيت فاحضر عن فيه قال
ادعوا الحسن والحسين قال فجعل يلتمس احدهما حتى اعطى عليه قال فجعلت اذنيهما عن فجع رسول
صلى الله عليه وآله قال ففتح عينيه وقال دعوا حتى يفتعنا مني واتممت منهما فافهم استصحبهما
اثمه ثم قال اها الكثر اني قد خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعقدي اهل بيتي فالمضيح
والكتاب الله كالمضيح لسنتي والمضيح لسنتي كالمضيح لعقدي اما ان ذلك لم يفتقر
سنتي انما هي على الحضر وهذا هو الوريث ما بين يدي من النبي فان ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر مع الكتاب
السنة وحدثها وما في صدر حديث الخبر المتواتر فانه ذكر مع الكتاب العترة فوطظنا فافهم
ما بين استخلاف السند مع الكتاب واستخلاف العترة مع الكتاب فتكون الثلاثة الكتاب والسنة
والعترة مستخلفات على الدلالة والهداية كما نصت هذه الحديث وقد اخرج حديث اني تاركا
فيكم ما ان عظماء من تخلصوا من بعد عن اهد اجتناب الله وعقدي اهل بيتي ان اللطيف الخبير
شأنه ان يترك من يترك الحق حتى يرد اعلى الخوض فانظروا كيف تخلصون فيهما ابن سعد والثاني
واحمد بن حنبل واخرجه سلم في صحيحه وابو يعلى عن ابي سعيد والترمذي والطبراني في الاوسط
والحاكم في المستدرج من ثلاث طرق قال في كل واحدة صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه
يعني من تلك الطرق الثلاث واخرجه ابن عثمة في المسند في الطبراني في الكبير والضايف
الختار وابو نعيم في الحلية وعبد بن حميد بسنده جيد وابو موسى المديني في الصحابة والخط
الرواجح العمري في كتاب الجوز في فضائل الخلفاء وابن ابي شيبه والشيخ في الصحيحين
سند جيد والرواية في البيهقي في الطائفة والبيهقي في البشارة والبيهقي في البشارة

بالاجازة العامة عن السيد العلامة المحدث
شيخنا العزير علي بن محمد السري عجم

وعرفهم بالحق فاستبصر الاختلاف في معتق المعاني وفي ههنا دلالة انه لا يحل اكل زمان عن كونه اهلا
 للتمسك من اهل البيت العترة الطاهرة الى قيام الساعة وفي الحديث لا تزال طائفة من امتي على الطاعة
 حتى يقابل اخرهم السيد الرجل قال الامام المتكلم على معنى كثره الذين من شمس الدين بن الامام المهدي محمد بن علي
 المرتضى عليه السلام في التخصيص الحق في مدح خير الخلق في
 ٤ فحين بلغنا لذي القعدة وردت في الاحاديث مما الكلب و به
 جاز القاضى العلامة عبد الله بن زيد العنسى رحمه الله تعالى في ههنا من الجهر والبرهان مستل من
 على بعض البلدان في حكم الرحمن وان يحسم بر دعوى الاسلام كيد الكاكرين وينبغي بذكر
 بروى السيد الامام الناطق بالحق ابو طاهر علي السلام بكنا ده في اما ليدال جعفر بن محمد عن ابيه عن
 علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من كان منكم يدين من بعدي يكا د بها الايمان وليا من اهل
 بيتي منكم لا يذب عنه يعطى الحق فينبه ويرد كيد الكاكرين فاعلموا ان اول الابصار روية في كل
 علي بن ابي طالب روية السيوطي عن ابي نعيم في الحلية والي نص السجدي في الابان لمن لا يعرفه
 كيد بها الاسلام واهله وليا صالحا يذب عنه ويتكلم بعلاماته وهوي هذه الرواية بطريق
 مقيد باهل البيت كما في رواية الامام ابي طالب فيقول المطلق على التقدير لا يذب ويرد ايضاً واحد
 وهو الاخبار من النبي صلى الله عليه واله وسلم بما ذكره ههنا من عند اهل الاصول ولقد تضمنت
 ههنا العترة بقصا بل لا تحصى كثرة وفيهم نزلة اية المودة والاصطفى والتفخير
 والمباهاة والاطعام والسؤال من اللطيف الخبير ووردت فيهم الاخبار الصريحة والاثار الواضحة
 الصريحة وعصم اسرارهم عن الخطيئات وشروع الصلوة عليهم في شهادتهم في السموات معونة النبوة
 والرسالة والحلقة والواحد جبرهم وبغض أعدائهم على الخلق كما في رواية في قوله تعالى قل لا اسألكم عليه
 اجر الا المودة في القربى قيل يا رسول الله من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وحسن علياً مودعته قال في حفظها
 وابنائها وقال صلوات الله عليهم ان يحيى حيواتهم ويوتى محاق ويدخل الجنة التي وعدت ربي فليسكن
 علياً ودرتهم من بعده فافهم ان يحيى حيواتهم من باب هدى ولن يدخلوا في باب ضلاله اخرجه
 الباقين وروى ابن منبه عن زياد بن مطرف في حديثه ابي نعيم وليعقده بالاية موعدي فافهم عترة
 خلتوا من طينتي وروى في اخرها وعلى قول العبد بن الفضل من احدى الناطقين منهم
 جلي لا انا لهم ابن شاعني واخرج الحاكم في المستدرى عن ابن عجل النجم امان لا اله الا الله
 من الفرق واهل بيتي امان لا اله الا الله في فاذا خالفتها قيله اخلفنا افسار واجتنبنا
 حال الى كم حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واخرج ابن عدي في الكمال عن انس بن مالك
 داود عن ابن عباس والتهذي وقال حسن عريب واليه في شعب الايمان والى كم في المستدرى
 وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه احسن الله ما يفيدكم من نفعه وجبروت لمح الله واجبه
 اهل بيتي يحيى واخرج الحاكم في المستدرى في خلا لا بصار عن علي عليه السلام والى ههنا وقوله في قوله
 والله لا اله الا الله ما انتم وما خص به وعصم وصلى الله عليه من به بيد الذكر الجليل ويحيى فيكم وعلى الركن
 ولست قد من الحماز له ومن وقف على ما حرمنا من العلم العالمين والفضل الصالحين الذين
 الدارين وان يحفظ علياً ديرة الاسلام ويحميه واهله عن كيد أعدائهم اللئام وان يجعل خير الامم
 اخرها وخير الاعمال حجتهم في اخير الازمان لتكتموا صلاتهم ايامهم في ههنا

خير امة اخرجت للناس
 ايمان خاتمهم

المرسلين والحمد لله رب العالمين وروى في اخرها عن علي بن ابي طالب

المبحث الثالث: اختياراتُ الإمام يحيى الفقهية:

الاختياراتُ في الفقه والأحكام مسألةٌ معروفةٌ عندَ الأئمةِ الزيديةِ، وهي تتطلبُ اجتهاداً يقومُ على حلِّ بعضِ المشكلاتِ الصعبةِ في المعاملاتِ والأحوالِ الشخصيةِ، وكان الإمامُ عبدُالله بنُ حمزة قد وضعَ كتابه «صفوةُ الاختيارات في أصولِ الفقه»^(١). لتيسيرِ المعاملاتِ والتصديِّ لكثيرٍ من مشكلاتِ عصره، ومثله صَنَّفَ الإمامُ المؤيَّدُ بالله، يحيى بنُ حمزة ت ٧٤٩هـ، كتابَ الاختيارات المؤيَّدية. وكانت تصدَّى حلَّ المشكلاتِ الاجتماعيةِ وقضايا المعاملاتِ والأحوالِ الشخصيةِ أيضاً. ومع أنَّ مصطلح «اختيارات» لا يختصُّ بالضرورةِ بالمعاملاتِ والأحوالِ الشخصيةِ، فقد يكونُ في الأدبِ أو النحوِ أو أيةِ علومٍ أخرى، إلا أنَّ ورودَ المصطلحِ عندَ الأئمةِ الزيديةِ، إنما كانَ مقتصرأً على المعاملاتِ والأحوالِ الشخصيةِ، ولا تكونُ تلكِ الاختياراتُ ولا توضعُ للتنفيذِ إلا إذا كانت هناكَ ضروراتُ اجتماعيةٌ قصوى تقتضي ذلك.

ويبدو أنَّ سوءَ الأوضاعِ القضائيةِ في اليمنِ إبَّانَ العهدِ العثماني، وتسَلَّطَ المشايخِ على الرعايا واللجوءُ إلى الأعرافِ والتقاليدِ عندَ أبناءِ القبائلِ لحلِّ مشاكلهم بما كانَ يخالفُ أحكامَ الشريعةِ الإسلاميةِ مثلَ المبالغةِ في تقديرِ الديةِ، أو عدمِ توريثِ النساءِ، مقابلَ إعطائهنَّ ما عُرِفَ بالزيارةِ والعيارةِ وغيرها من الأمورِ، التي أُطلقَ عليها حكمُ الطاغوتِ كانت دوافعَ أوجبتِ الاختيارات. ومع أنَّ الاختياراتِ التي نشرها الإمامُ يحيى بينَ الحكامِ تحدُّ من نفوذِ وسلطاتِ شيوخِ القبائلِ، وتكونُ عاملاً لبسطِ سلطةِ الدولةِ المركزيةِ في مواجهةِ الانتفاضاتِ القبليةِ، فإنها من ناحيةٍ أخرى، تقدَّمُ بما يُفيدُ علوَّ كعبِ الإمامِ يحيى في ميدانِ الدراساتِ الفقهيةِ، وإدراكه لطبيعةِ المشاكلِ التي يُعاني منها المجتمعُ اليمنيُّ إثرَ فكاكه من السيطرةِ التركية.

(١) أئمة اليمن، ١٠٩.

عمد الإمام يحیی إلى حکامه فالزَمَهُمْ أَنْ تَكُونَ أَحْکَامُهُمُ الْقَضَائِيَّةُ بموجب الاختياراتِ الفقهية التي بعثها لهم، ولتقدير أهمية هذه الاختيارات، سواءً من حيث الجهد العلمي الذي بُذِلَ لاستخراجها، فُعِدَّتْ اجتهاداً للإمام يحیی، أو تيسيرها لأحوال العباد، وكف الظلم عن الرعايا، فقد طلبنا إلى قاضي الأحوال الشخصية بالمحكمة الكلية عوض حسين رواجبه، في الكويت والأردن النظر في اختيارات الإمام يحیی وابداء الرأي فيها، وقد عقد فضلاً للمسائل التي تناولتها الاختيارات، وعلى دراسته للمخطوط نتكىء وبناء عليها كانت المسائل التي عالجتها هذه الاختيارات خمس عشرة مسألة هي:

المسألة الأولى:

«لاهبة ولا وقف لبعض الورثة دون بعض لحديث النعمان بن بشير^(١)، ولقوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَضَارٍّ وَصِيَّةٌ﴾^(٢) ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾^(٣) ويُستثنى من ذلك، إذا كان الوارثُ ذا عاهة تُعجزه عن الكسب أو من الضعفاء الذين لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلاً»، الفقهاء لهم رأي في ذلك، فأبو حنيفة يرى التسوية مستحبة وليس فرضاً وحملوا الأمر بالعدل بين الأولاد على النَّدب والنصيحة، فإن فَضَّلَ الأبُّ بعض الأولاد على بعض صَحَّ التفضيل ونُفذ مع الكراهية، أما الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وطاووس والثوري وبعض المالكية والشافعية والبخاري وابن حزم والظاهري فقد ذهبوا إلى أن التفضيل في الإعطاء حرامٌ وممنوعٌ سواء في ألْهبة أو الوقف، والاستثناء الوارد في المسألة لسبب الحاجة قاله الإمام أحمد: كأن يحتاج الولدُ لزمانته أي طول المرض المُقْعِد أو لكثرة أولاده أو ركبته الديون، وصار غارماً، أو لزيادة فضلٍ منه على غيره، فلا شيء في التفضيل والنفس لهذا أميل.

وعلى هذا يكون اختيار الإمام يحیی في هذا المسألة مثل اختيار الإمام أحمد،

(١) حديث النعمان بن بشير، انظره، التاج الجامع للأصول، ٢/ ٢٥٠، نيل الأوطار للشوكاني ٨/ ٦.

(٢) سورة النساء، آية ١٢. (٣) سورة البقرة، ١٨٢.

وفيه نفس الاستثناء لنفس الغرض، ولأنه أرفق بالناس وأقرب إلى العدالة، فهو اختيارٌ موفق.

المسألة الثانية: «لا وصية لوارث».

كان اختيارُ الإمام يحيى هذا متفقاً مع نصِّ السُّنة ومتابعة مجتهدِي السُّنة، لأنَّه أرفق وأعدل، وحتى لا يكونَ إضراراً بالورثة بالوصية لبعضهم وإثارةً لعداوتهم وأحقادهم. فهو اختيارٌ متابعٌ لجمهور المسلمين وفيه تقليلُ الخلافِ بينهم، وإن كانَ مذهبُ الزيدية هو الأقرب إلى القرآن. فإنَّ هذا الاختيارُ هو الأقربُ إلى الأحاديثِ المروية المخالفة له والناسخة له^(١).

المسألة الثالثة: «الكفاءة غيرُ معتبرة مع بلوغ المرأة ورضاها».

الكفاءة، المساواة، ويُقصدُ بها تساوي الزوجين ومناسبتها لبعض، بحيث لا يحقرُ أحدهما الآخر. ويدو أن الإمام يحيى قد أخذ في هذا الاختيار بنصِّ حديث عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: جاءت فتاةٌ إلى رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: إنَّ أبي زوجني ابنَ أخيه ليرفع بي خسيستهُ.

قال : فجعل الأمر إليها.

فقالت: أجزتُ ما صنع أبي، ولكن أردتُ أن أعلمَ النساء أن ليسَ إلى الآباء من الأمر شيءٌ. رواه ابنُ ماجه وأحمد والنسائي.

لقد ترك الإمام يحيى في اختياره خلافَ المذاهب في ذلك، كما هو مذهب مالك والظاهرية^(٢). ويظهر أن الإمام يحيى قصدَ منع الأولياء من تهديد الزوج

(١) حول الحديث انظر البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والدارقطني والبيهقي، نيل الأوطار ٤٥/٦-٤٧، التاج الجامع للأصول، ٢/٢٦٦، المحلى لابن حزم، ٩/٣١٦، (صاحب البحر الزخار في فقه الزيدية، فيه تجوز الوصية للوارث).

(٢) المحلى، ١٠/٢٤.

بدعوى فسخ النكاح لعدم الكفاءة لابتزازه أو لطرده، أو لتعطيل حظ الفتاة
بالزواج حيث لم ترَضَ الزواج على هوى الأولياء.

وهذا أكثر تحقيقاً للعدالة، وأبعد عن الخصومات والمشاحنات وهو قصدٌ
حسنٌ موافقٌ للقرآن الكريم، قال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَخَوَةٌ، وقال تعالى: «إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ».

لقد كانت مسألة الكفاءة موضعَ نظرٍ في عقد نكاح الشريفة فاطمة بنت
محمد بن هادي المطري، والعاقد لها السيد صالح بن عبد الله المطري بالزواج
المذكور علي بن حسن مرشد السعودي^(١) والذي اعترض عليه سادات غيل
مغدف في ٦ ربيع الثاني ١٣٧٩ واستندوا في دعواهم على ما جاء في الروايل،
شرح الآثار للمذهب الزيدي في سياق الأنساب، وسقوط المروءة ما لفظه:
وكذلك الفاطمية لا يحلُّ نكاحها من غير فاطمي ولو رضيت. ورضي الولي؛
لأنه يتضرر بذلك في عرفنا كما يتضرر بسائر الحرف الدنية. وقد صدر حكمٌ
حرره حاكم خمر، بصحة الزواج، ثم فسخ الحكم في ١٧ جمادي الآخرة سنة
١٣٧٥هـ.

واسند النظر فيه بصورة قاطعة للإمام أحمد^(٢).

لقد كان اختيار الإمام يحيى في هذه المسألة صائباً، فقد خالف أولئك
الذين اشتروا الكفاءة في النسب لصحة زواج الفاطمية، واتبع منهج السنة
ومجتهدى الزيدية، الذين أجازوا زواج الفاطمية بمن ترضاه ويرضاه وليها،
ويظهر أن الإمام يحيى قد تأكد من مشكلة العنوسة السائدة في المجتمع
لأسباب عديدة منها: كثرة عدد القتلى من الحروب الواقعة في اليمن، سواء بين

(١) عمه محسن بن مرشد السعودي، شيخ الشيوخ، المدرس في سودة شُطِبَ إلى سنة ١٣٥٣هـ

ثم انتقل إلى حوث مدرساً حتى توفي سنة ١٣٦٦هـ، انظر، هجر العلم، ٥٢٢.

(٢) انظر وثائق الحكم في هجر العلم ومعاقله، ١١٠٥، ١١٠٦.

القبائل بعضها البعض، أو بين أهل اليمن والقوى الخارجية الطامعة في اليمن، فكان اختياره: «الكفاءة غير معتبرة مع بلوغ المرأة ورضاها».

المسألة الرابعة: لا تُقبل شهادة شهود المدعي بعد طلبه ليمين المدعي عليه وتحليفه؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«شاهدك أو يمينه»، لأنَّ المراد كفّ الدعوى.

وهذه مسألة في أدب القضاء مذكورة في كتاب «نيل الأوطار»^(١)، ومثله حديث وائل بن حجر، رواه مسلم والترمذي. وملخصه «أنَّ البيّنة لا تُسمع بعد الحلف، وأنَّ اليمين تُسقطُ الدعوى» وهذه المسألة موضع خلاف بين فقهاء الإمام جعفر الصادق والظاهرية واللقاني من المالكية وابن أبي ليلى، وإسحاق ابن راهويه وأبي عبيد وأبي علي من الشافعية، وكذا أبو حنيفة وابن أبي الدم وابن فرحون وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري والليث بن سعد والقاضي شريح. وقد ردّ على هؤلاء ابن حزم في المحلى^(٢).

وعليه، فاختيار الإمام يحى هو الاختيار الصحيح، وقد سارت القوانين الحديثة عليه كما في كتاب الوسيط، شرح القانون المدني المصري، ٥٣٤ / ٢ عند شرحه للمادة ٤١٢ من القانون، وكان الأخذ بهذا الاختيار في نصّ القانون المدني العراقي والسوري واللبناني والليبي والفرنسي، وكذلك ما جاء في كتاب وسائل الإثبات، لمحمد مصطفى الزحيلي^(٣) من ترجيح المذهب القائلة بمثل اختيار الإمام يحى.

(١) انظر، نيل الأوطار، ٣١٣ / ٨، كتاب الوسيط، شرح القانون المدني المصري للسنهوري، ٥١٤ - ٥١٤، في الإثبات.

(٢) المحلى، ٣٧٢ / ٩.

(٣) وسائل الإثبات، ٣٦٤ / ١.

المسألة الخامسة: «لا تُشترط الألفاظ في البيع والإجازة، إذ المناط هو التراضي فكل ما دل عليه نفذ به البيع، إلا ما نهي عنه كالملاسة والمناذرة».

هذا الحكم هو قاعدة كلية من قواعد الفقه الإسلامي^(١)، وكان لفقهاء المسلمين رأي في هذا الحكم، تناوله أبو حنيفة والشافعي والزيدي، حيث لا عقد بالإشارة إلا من الأخرس والمصم - من اعتقل لسانه لمرض أو غيره، والأعجم الذي يسمع ولا يتكلم، وأما مالك فقد أجاز التعاقد بالإشارة^(٢).

وكذا العقد بالمعاطاة وهي المبادلة الفعلية الدالة على التراضي. فلفقهاء رأي في ذلك، أجازها أبو حنيفة^(٣)، وأجازها مالك والإمام أحمد^(٤)، أما الشافعي فلم يجزها^(٥)، والشيعة الجعفرية مثل الشافعي.

وعلى هذا يكون اختيار الإمام يحيى اختيار جمهور المسلمين، وخروجاً على المذهب الجعفري والزيدي، وهو اختيار صحيح، وافقه الفقه الغربي كما في القانون الفرنسي، وفيه التيسير على المسلمين، وخصوصاً في الوقت الحاضر حيث السلع مسعرة، وعلى كل صنف لافتة بسعره، فلو أخذ أحد الناس كيساً ووزن فيه عنباً ودفع للبائع الثمن حسب اللافتة والوزن ومشى كان بيعاً صحيحاً، أما استثناء الإمام ما نهي عنه كالملاسة والمناذرة، فهو استثناء صحيح إذ لا جد ولا رضا في الملاسة والمناذرة والتضاحك، فلا يكون رضا وبالتالي لا عقد، وهذا كله منهي عنه، فهو استثناء موفق.

(١) انظر مجلة الأحكام العدلية (القواعد)، مادة ٢، مادة ٣، الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ٣٨.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير على مختصر خليل، ٣/٣.

(٣) البدائع ١٣٤/٥.

(٤) المهذب، ٢٥٧/١.

(٥) المغني، ٤/٤.

المسألة السادسة:

«ما باعه الفضوليُّ عن الصغيرِ للحاجةِ الماسةِ في سني الشدةِ، فهو نافذٌ عليه من بابِ الصلاحيةِ لتضييقِ الحادثةِ، ولكنْ معَ عدمِ الغبنِ في الثمنِ زماناً ومكاناً، ومصيرُ الثمنِ إلى الصغيرِ نفقةٌ لقوله تعالى: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾^(١) وهو محسن».

هذه مسألةٌ فقهيةٌ مبنيةٌ على تطبيقِ القواعدِ الكليةِ للفقه الإسلامي.

- تجدها في تصرفاتِ الفضولي في البيع، وتجدها في تصرفاتِ النائب عن المحجورِ عليه أو في النفقةِ على الصغارِ أو حقوقِ القاصرين.

إن تفسيرَ القرطبي لآيةِ أصلٍ في رفعِ العقابِ عن كلِّ محسنٍ، وبالرجوع إلى القواعدِ الفقهيةِ، نجدُ أنَّ حكمَ هذه المسألةِ مبنيٌّ على أنها حالُ ضرورةٍ واستثناءٌ من القاعدةِ الشرعيّةِ، لا يجوزُ لأحدٍ أن يتصرّفَ في مالٍ الغيرِ بلا إذنه، فقد جاءتْ قواعدُ أخرى تبيحُ التصرفَ في ملكِ الغيرِ بدونِ إذنه، مثل الضروراتِ تبيحُ المحظوراتِ وقواعدُ أخرى تقيدُ هذا الجوازَ، وتضعُ له ضوابطَ، وهي:

- لا ضررَ ولا ضرار.

- الضروراتُ تقدّرُ بقدرِها.

- الحاجةُ تنزلُ منزلةَ الضرورةِ.

- تصرف الراعي منوطٌ بمصلحةِ الرعية.

وقد جوّزَ المسألةَ بضوابطِها ابنُ حزمٍ في المُحلى^(٢)، والإمامُ مالكٌ^(٣)، وعلى هذا فاجتهادُ الإمامِ يحيى تطبيقُ هذه القواعدِ واستدلاله بالضرورةِ وبمصلحةِ

(١) التوبة، ٩٢.

(٢) المُحلى، ٨/٣٢٤.

(٣) كتابُ البهجة لأبي الحسن التسولي، شرح تحفة الحكام لابن عاصم الغرناطي، ٢/٢٩٩ ط بيروت).

الصغير وبحاجته الماسة، وبالآية الكريمة، كُله استدلالٌ صحيحٌ موافقٌ للوجه الشرعيِّ بهذه القواعد. واستثناؤه حالُ الغُنِّ في البيع حيث مصلحةُ الصغير وصيرورته نفقةً عليه، وهي من الحاجاتِ الأساسية للإنسان، كلُّ ذلك اجتهادٌ في محله.

ولكنَّ تقييدهُ المسألة بكونها في سني الشدَّة، فيه زيادةٌ، فتكفي الحاجةُ الماسةُ لبيع مالِ الصغير للإنفاقِ عليه أو حاجةٌ أخرى مبررةً شرعاً.

المسألة السابعة:

«المرأة التي غابَ عنها زوجها، وليسَ له مالٌ تستنفقُ منه، وليس لها أيضاً مالٌ، إذا جاوزت غيبةَ زوجها ثلاثَ سنين، وجُهلَ حاله، -أحيٌ هو أم ميتٌ- وأرادت الفسخَ، فلها ذلك، لحديث أبي هريرة^(١)، وحديث امرأة ثابت بن قيس بن شماس^(٢) له دخلٌ في هذا الباب، ولقوله تعالى «ولا تضاروهن لتضيّقوا عليهن»^(٣)، «فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها»^(٤). ولقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «في الرجل لا يجدُ ما ينفق على امرأته يفرّق بينهما»^(٥).

هذه المسألة من مسائل الأحوال الشخصية للإنسان، ومن القانون الاجتماعي للمسلمين، وهي مسألةٌ اختلفَ اجتهادُ المجتهدين فيها على مذاهبٍ شتى إذ لكل مذهبٍ تفصيلاته وشروطه^(٦). وفيها التفريقُ لعدم القدرة

(١) انظره في نيل الأوطار، ٦/٣٦٣.

(٢) انظره في نيل الأوطار، ٦/١٢٧٦ (مشروعية خلع المرأة زوجها في الإسلام بحكم القضاء مقابل تنازلها عن حقوقها).

(٣) الطلاق، ٦. (٤) البقرة، ٢٢٩.

(٥) نيل الأوطار، ٦/٣٦٤.

(٦) انظر أقوال الفقهاء، رسالة التفريق لعدم الانفاق في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية الأردني، قدمها عبد الفتاح عايش عمرو إلى كلية الشريعة بالجامعة الأردنية.

على الإنفاق، والتفريق للغيبة لمدة ثلاث سنوات، وجهل حاله، أحي هو أم ميت.

إن اختيار الإمام يحیی في هذه حسم للمسألة، بقوله بالفسخ قولاً واحداً للجميع، وهو اجتهادٌ جديدٌ مزیّدٌ على كل المذاهب في مسألة التفريق لغياب الزوج، والتفريق لعدم النفقة، والتفريق لفقد الزوج، وبهذا الاجتهاد فتح الإمام يحیی الباب للمجتهدین بعده، وثبت اجتهادهم في إصدار قانون الأسرة اليمني رقم ٣ لسنة ١٩٧٨، الذي أصدره مجلس قيادة الثورة بقيادة أحمد حسين الغشمي في ٨ / ١ / ١٩٧٨، وهو أول قانون للأسرة والأحوال الشخصية في البلاد العربية يفتح باب الاجتهاد، ولا يلزم القاضي بمذهب معين^(١)، وجاءت مواد اجتهاد لجنة التشريع مكملة لاجتهاد الإمام يحیی^(٢).

المسألة الثامنة:

«الهبة والنذرة ونحوهما، الواقعة من البائع للمشتري لأجل الحيلة في إبطال الشفعة، لا اعتبار لها - لأن ذلك لا يكون إلا بعد التواطؤ على ثمن الجميع - ويكون التعبير بلفظ النذر مجرداً عن إرادة المعنى الذي وُضع له اللفظ - ولو لم يتم بينهما البيع لرجوع النادر عما نذر به على المشتري».

هذه مسألة صورية العقد والحيل فيها، وهي من مسائل القانون المدني في آثار الالتزام بالعقد في أبواب البيوع في الفقه الإسلامي، ولا تجد قانوناً مدنياً إلا وقد نص فيه على دعوى صورية العقد^(٣). وتكون بعقد ظاهر وعقد مستتر،

(١) انظر المواد، ١٥٩، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٥، ١١١، ١١٢.

(٢) مواد القانون تناولت التفريق لعدم الإنفاق، بالتمرد أو العسر، والتفريق للغياب والتفريق للمفقود. ومن الجدير بالذكر أن الإمام يحیی من القائلين بالتفريق بين الزوجين إذا أعسر الزوج عن النفقة، انظر، نيل الأوطار ٦ / ٣٦٥، سطر ٧.

(٣) حول صورية العقد وشروحاته، انظر الوسيط للسنهوري، ١٠٧٣ / ٢ - ١١٢٣.

والقصدُ الحيلةُ، مثل: هبة الرجلِ لزوجته في صورة بيع، فالعقدُ الظاهرُ هو البيعُ والعقدُ المتسترُ عليه الحقيقي هو الهبةُ، ويكونُ الغرضُ إخفاءَ الهبة عن أعين الآخرين من ورثة أو أقارب لأي سبب.

ومثال آخر، أن يُكتبَ في عقد البيع لعقارٍ ثمناً أكثرَ من الثمن الحقيقي توقياً من الأخذِ بالشفعة، ويحتفظُ المتعاقدان بثمنٍ حقيقيٍّ بينهما في ورقة إيصال.

وقد اختلفَ فقهاء المسلمين في ذلك^(١)، ولكنَّ اختيارَ الإمام يحيى في هذه المسألة، واجتهاده صحيحٌ، وجاءَ موافقاً للوجه الشرعي ولما ذهب إليه الشيعة، وتعليقه صحيحٌ، فهو ينظرُ إلى العقد الحقيقي ويُبطلُ الصوريَّ، وهكذا فعلت القوانين الحديثة.

المسألة التاسعة:

«لا تأثيرٌ للصِّرة المجهولة التي تُضمُّ إلى الثمنِ لأجلِ إبطالِ الشفعة بجهالةِ الثمن - لأنها كالزيادة في الثمن، ولا تكونُ إلا بعدَ التواطؤِ بين المتبايعين على قدرِ الثمن - وإذا فُرِضَ كونُها من الثمنِ حقيقةً، فالجهالةُ في مثل ذلك يسيرةٌ، يلزَمُ الشافعُ قيمتها، لأنَّ جهالتها دونَ جهالة ما شُفِعَ من مبيعٍ كثيرٍ ولا سببٌ للشافع إلا في بعضه».

هذا اجتهادٌ من الإمام يحيى في إبطالِ إحدى حيلِ الشفعة، وتعليقه في هذا الاجتهادِ صحيحٌ، ويلحقُ هذا كمثالٍ في المسألة الثامنة، وهو موافقٌ لمذهب المسلمين ما عدا الأحناف^(٢).

(١) حوله انظر، بدائع الصنائع لعلاء الدين الكاساني، ٣٥/٥، الدرر المختار بحاشية ابن عابدين، باب الشفعة، ٢٤٣/٦، المحلى، ٢٨/٨، أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، ١٧١/٣، اللمعة الدمشقية للشهيد العاملي، ٤١/٣.

(٢) انظر اجتهاد الأحناف في كتاب تنقيح الفتاوي الحامدية لابن عابدين، ١٦٥/٢.

المسألة العاشرة:

«شهادة المثل مقبولة ما لم يُؤثَر عن الشاهد الزور والدخول في الكبائر التي تصم وتعمي - وإذا قُبِلَت شهادة الكافر عند مظنة عدم وجود المسلم، فبالأولى شهادة غير العدل عند مظنة عدمه».

هذه مسألة في البيّنات على ما يدّعيه الناس أمام القضاء، وأشهرُ بيّنات الفقه الإسلاميّ شهادة الشهود، ومستندُها الشرعيُّ قوله تعالى: «واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين، فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء، أن تضلَّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا»، وقوله تعالى: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ وقوله في سورة الطلاق ﴿فإذا بلغن أجلهنَّ فأمسكوهن بمعروفٍ أو فارقوهن بمعروفٍ، وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم، وأقيموا الشهادة لله﴾ وتناول هذه المسألة القرطبيُّ في تفسير الآية الأولى من سورة البقرة^(١)، وابن رُشد^(٢) في قبول الشاهد، أما العدالة فذهب الجمهور إلى أنها صفةٌ زائدة على الإسلام، وهو أن يكون ملتزماً بواجبات الشرع ومستحبّاته، مجتنباً للمحرّمات والمكروهات أما أبو حنيفة فعنده، يكفي في العدالة ظاهر الإسلام، وأن لا تعلم منه جرحة، وفي كتاب اللعة الدمشقية لا بدّ من البلوغ والعقل والإسلام، إلا عند عدم وجود مسلمين.

لقد جاء في اجتهاد الإمام يحيى التسامح في شرط التبريز في العدالة واشترائط محافظة الشاهد على أحوال المروءة، فهو تقريبٌ من مذهب أبي حنيفة، وأخذ بقول المذهب القائل: الأصل في المسلم العدالة حتى يثبت عليه الفسق، وبذلك يكون قد خرج الإمام يحيى قليلاً عن شروط الشيعة في

(١) انظر تفسير القرطبي، ٣/ ٣٩٥.

(٢) بداية المجتهد، ٢/ ٤٢٣.

الشاهد. أما اجتهاد الإمام يحيى في قوله: وإذا قُبِلَتْ شهادة الكافر.. الخ فهي إشارة إلى الآيات ١٠٦، ١٠٧ من سورة المائدة، فهذه قد أجازت قبول شهادة الشاهدين غير المسلمين؛ لعدم وجود مسلم؛ عند الضرب في الأرض، فشهادة المسلم المستر الحال، الذي لم يُعرف بشهادة الزور، ولا بالكبائر التي تصم وتعمي أولى. وهذا قياس صحيح واستدلال صحيح، والعصر الحالي يؤيده، وبذلك يخف الطعن في الشهود لتضييع الإثبات على صاحب الحق، وذلك تيسيراً وتخفيفاً في شروط الشاهد في الإثبات أمام القضاء.

المسألة الحادية عشرة:

«إجبارُ الزوجة على الرجوع إلى طاعة زوجها، ولو بالحبس أو حبس وليها، إذا لم يتحقق الضرر من الزوج - وهذا من مواضع النظر».

هذه مسألة من الأحوال الشخصية، وهي نشوز الزوجة عن طاعة زوجها وإصرارها على ذلك، وقد ورد في هذا الموضوع آيات من القرآن، وأحاديث من السنة واجتهاد من الفقهاء^(١). واجتهاد الإمام يحيى في هذه المسألة يمكن اعتباره تأكيداً وتقريباً للمذاهب الإسلامية فيما عدا الإمام مالك، فهو يقول بقول المذاهب بإجبارها بالقوة الجبرية، ولو بالحبس لها ولوليها، إذا لم يتحقق الإضرار بها من الزوج، وأما عبارة: «وهذا من مواضع النظر» فتفيد بعدم الجزم في الاجتهاد إن لم تكن العبارة من مؤلف كتيبة الحكمة أو ناظم أرجوزة الاختيارات.

(١) انظر، سورة النساء، ٣٤، ٣٥، وتفسير القرطبي، ١٧٢/٥ - ١٧٦، كتاب مغني المحتاج للخطيب الشربيني، ٢٦١/٣، معجم الفقه الحنبلي ١/١٥١، المحلى، ١٠/٨٧، اللعة الدمشقية، ٤٢٩/٥.

المسألة الثانية عشرة: «ما بيع في سني المجاعة لا شفعة فيه:

- لحاضر لم يطلب الشفعة،
- أو غائب بطلب المعيشة،
- أو صغير، لا مصلحة له عند البيع».

هذه مسألة من مسائل الشفعة: وهي إبطال عقد البيع بين عاقيه، لحق أجنبي عنهما في المبيع، لاشارك أو جوار، وأخذه المبيع بالثمن الذي بيع فيه بين المتعاقدين، فهو استحقاق الشريك أو الجار الحصة المبيعة في الشركة، أو الملاصقة لجواره عند بيعها. ودليل ثبوتها السنة النبوية لحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما جعل النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، الشفعة في كل ما لم يقسم، فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة» رواه البخاري وأحمد وأبو داود وابن ماجه، وروى مثله الترمذي وصححه وروى مثله مسلم والنسائي^(١). وقد اختلف اجتهاد الفقهاء فيها^(٢). ومن مذهب العترة القائلين بالشفعة في عموم المبيعات، خرج اجتهاد الإمام يحيى وعدل باجتهاده عن القاعدة إلى الاستثناء استحساناً لظرف مناسب ومصلحة مستوجبة، وهو حال المجاعة، ففيها، على رأي الإمام يحيى واجتهاده، يتغير الحكم حتى لا تفوت المصلحة المستوجبة لهذا التغيير، وقد جاء مثل ذلك في مجلة الأحكام العدلية العثمانية، المشقة تجلب التيسير، مادة ١٧ وكان اجتهاد الإمام يحيى في الأولى: لا شفعة لحاضر لم يطلب الشفعة. أخذاً بمذهب الإثنى عشرية مع قطع مادة العذر، سراعاً لمصلحة وحاجة استقرار البيوع في ظرف مستوجب، وهو سني المجاعة.

- وأما لا شفعة فيه لغائب بطلب المعيشة، فالأصل ثبوت حق الشفعة

(١) انظر، نيل الأوطار، ٥/ ٣٧٢.

(٢) انظر، المحلى، ٩/ ٨٢.

للحاضر والغائب، فإذا عاد الغائب فله أخذ حقه في الشفعة.

وعند الزيدية «يجب متى بلغه البيع السير أو إرسال رسول، إذا كانت مسافة غيبته ثلاثة أيام فيما دونها، وإن كانت المسافة فوقها لم يجب»! وقال ابن حزم في المحلى^(١): «وخالف هذا الأصل إبراهيم النخعي، قال: لا شفعة لغائب. وقاله كذلك الحارث العكلي. وقال عثمان البتي: الغائب غيبة قريبة له شفعة بعكس من كانت غيبته بعيدة، فلا شفعة له.

وعلى هذا يكون اجتهاد الإمام يحیی في هذه المسألة متوسطاً في الأمر بين المجيزين والمانعين، والتوسط هو ما ذهب إليه عثمان البتي، ولكنه غير مقيّد بزمن المجاعة، فقيده الإمام يحیی بزمن المجاعة، ويكون الغياب بطلب المعيشة، وهي غيبة طويلة، فيها تعطيل حقوق العباد في استعمال ما اشتروه، إن أُجيز الغائب غيبة طويلة بحقه في الشفعة، فكان في هذا الاختيار التيسير على الناس.

- وأما لا شفعة فيه لصغير لا مصلحة له عند البيع فيكون للأصل في الشفعة للشريك مطلقاً سواء أكان صغيراً أو كبيراً، راشداً أو محجوراً عليه، وهي تثبت عند الشيعة الإمامية للصبي والمجنون والسفيه ويتولّى الأخذ بها الولي مع الغبطة في الأخذ كسائر التصرفات، فإن ترك الولي الأخذ لهم بالشفعة، فلهم عند كمال رشدهم الأخذ، إلا أن يترك لعدم المصلحة.

قال ابن أبي ليلى: لا شفعة لصغير، ويظهر أنه يستدل بأن انتظار استقرار البيع حتى يبلغ الصغير، فيه ضرر أكثر من ضرر الشريك الصغير ليأخذ بالشفعة بعد الرشد، فهذا ضرر محقق، وذلك ضرر متوقع أو متوهم، والمفروض في المسألة لا مصلحة للصغير وقت البيع.

(١) المحلى، ٩/ ٩٤.

وعلى هذا، يكونُ اجتهادُ الإمامِ يحیی في هذه المسألةِ حسمَ الخلافِ في مسألةٍ فيها وجهانٌ عندَ الشيعةِ الإمامية، وأخذَ وجهِ عدمِ الاستحقاقِ للشفعةِ للصغيرِ، إذا لم يكنْ له مصلحةٌ عندَ البيعِ، لأنَّ الأخذَ بالشفعةِ أصلاً مقررٌ للمصلحةِ ويدورُ معها.

ولما لم تكنْ معلومةٌ عندَ البيعِ فلا يأخذُ بها بعدَ كمالِ رشدِه، خصوصاً والظرفُ زمنٌ مجاعةٍ، وهي داعيةٌ إلى استقرارِ بیوعِ الناسِ واستفادتهمِ بمشترياتهمِ على الفورِ، وكذلك بأثمانٍ مبيعاتهمِ دفعاً للمشقةِ التي تلحقهمِ في ذلك الظرفِ الحرجِ.

المسألة الثالثة عشرة :

«الغالبُ أنه لا تحقُّقُ للأثمانِ في سني المجاعةِ لعدمِ استقرارها».

هذه مسألةُ تسعيرِ الأقواتِ وتثمينِ المواد^(١)، وللفقهاء فيها آراءٌ تراوحتْ بينَ القولِ بالتسعيرِ في ظروفٍ، وعدمِهِ، وقد جاءَ في اختيارِ الإمامِ يحیی في هذه المسألةِ العملُ بالسنةِ النبوية، وأخذَهُ بالغالبِ في أنَّ الأثمانَ لا تتحقَّقُ بشكلٍ ثابتٍ في سني المجاعةِ لعدمِ استقرارها.

المسألة الرابعة عشرة :

«العملُ بالخطِّ معتبرٌ، إذا عُرِفَ الخطُّ، وكان كاتبُهُ معروفاً بالعدالة».

هذه مسألةٌ منصوِّصٌ عليها في الشرعِ، فهي نقلٌ واختصارٌ لذلك النصِّ الطويل^(٢)، وما فعلَهُ الإمامُ يحیی هو تقريرُ النصِّ القرآني الكريمِ والفقهِ الإسلامي. ولكنَّهُ أوجزَ العبارةَ.

(١) حول هذه المسألة، انظر، نيل الأوطار، ٢٤٨/٥، الطرق الحكيمة لابن قيم الجوزية ٣٥٥، الحاوي الكبير، ٤٠٧/٥.

(٢) سورة البقرة، ٢٨٢، تفسير القرطبي، ٣/٣٨٢، تبصرة الحكام لابن فرحون، ١/٣٥٦.

المسألة الخامسة عشرة:

«لا عبرة بالعرف الجاري في بعض الجهات بتأجيل مهر الزوجات إلى الموت أو الطلاق، ما لم يذكر التأجيل لفظاً فله حكمه».

هذه مسألة من مسائل المهر في الأحوال الشخصية عند المسلمين، وقد تناولها بالشرح الوافي ابن قيم الجوزية^(١) وأورد آراء فقهاء المسلمين في هذه المسألة. ومن خلال دراسة أقوال الأئمة العلماء في المسألة يكون اجتهاد الإمام يحيى على خلاف مع العلماء، ومع لجنة تشريع قانون الأسرة اليمني رقم ١٩٨٧/٣، المشار إليه سابقاً.

كانت هذه الاختيارات موضع اهتمام وتقريظ علماء وشيوخ العصر، فقد نظم القاضي عبد الرحمن بن علي الحداد، سنة ١٣٣٩ هـ أرجوزة سماها «الانتصارات نظم الاختيارات»^(٢) وقعت في ٨٧ بيتاً، اقتصرت على المسائل الثلاثة عشرة دون الرابعة عشرة والخامسة عشرة، وله عذره فالرابعة عشرة إنما هي تقرير لما جاء في نص القرآن الكريم، والرابعة عشرة، فيها اجتهاد مخالف لكل الفقهاء والعلماء.

والنظرة الشاملة للاختيارات تفيّد بفتح ذهن الإمام يحيى على مشاكل الرعية وحلّها بطريقة شرعية مدنية معاصرة. وتظهر مدى قدرته على الاجتهاد، وتضلّعه في دراسة المذاهب الإسلامية دون الانغلاق على مذهب واحد، ودون حبس فكره في إطار المذهب الواحد، ومذهبه الراجح هو التيسير على عباد الله ورعاية مصالحهم.

(١) أعلام الموقعين، ٩٢/٣.

(٢) انظر، المجموع رقم ٤٨، المكتبة الغريبة، بالجامع الكبير بصنعاء ٨١-٨٣.

المبحث الثالث : موقف علماء العصر من الاختيارات

لقيت اختيارات الإمام يحيى الرضا والقبول من قبل العلماء والحكام في مختلف المناطق. وعُبرَ عن هذا الرضا والقبول بأبيات التقرير، التي نظمها العلماء والحكام للثناء عليها، وإعلان فعاليتها في حل العديد من المشاكل أو الاجتماعية القائمة، سواء على صعيد المعاملات من بيع أو شراء وتسعير أو التصرف بالملكية أو الأحوال الشخصية وقضايا أدب القضاء.

وكان شيخ الإسلام، علي بن أبي اليمان في طليعة من قرّظ هذه الاختيارات فقال من قصيدة له:

حوى من المسائل المختارة ما اشتهرت عن ثاقب أنظاره
أعني الإمام بن الإمام الأعظم يحيى، أمير المؤمنين الأفخم^(١)
وقال حاكم العدين، حمود بن محمد بن الإمام في تقريره من قصيدة:

منهم أمير المؤمنين يحيى من جدّد الدين لنا وأحيا
وبعدُ فالمسائل المنقّدة من الإمام عندنا معتمده
لأنه يلزمنا اجتهاده بأمره في الحكم واعماؤه
ومن يكن للاجتهاد صالحاً يعرف فيه الاجتهاد واضحاً

فحاكم العدين يرى في الاختيارات تجديداً وفي صاحبها إماماً مجتهداً، واجتهاده واضحٌ بين.

كما أشاد بالاختيارات أحد تلامذة الحسين بن علي العمري، على لسان استاذة الحسين من قصيدة، منها:

(١) انظر المصدر السابق، ٨٣ أ.

وأَوْضَحَتْ مَنَاهِجَ الشَّرِيعَةِ وَشَيَّدَتْ حَصُونَهَا الْمُنِيعَةَ
وَأَنْصَفَتْ لِلْحَائِرِ الْمَظْلُومِ مِنْ كُلِّ خَبٍّ مَعْتَدٍ أَثِيمِ
مَسَائِلُ دَلِيلُهَا مِثْلُ الْقَمَرِ جَاءَتْ بِحَسْمِ الدَّاءِ فِي كُلِّ نَظَرِ
وَسَهَّلَتْ رَفَعَ خَصَامِ النَّاسِ وَأَذْهَبَتْ خَيْرَ هَوَى الْإِلْبَاسِ^(١)

فالاختياراتُ في رأيِ الحسينِ بنِ عليِّ العَمَريِّ، إنما جاءتْ لِإِنْصَافِ الْمَظْلُومِ مِنْ كُلِّ مَعْتَدٍ أَثِيمٍ، وَحَسْمَتِ الدَّاءِ الَّذِي كَانَ مُسْتَشْرِياً فِي الْأُمَّةِ، وَيسِرَتْ وَسَهَّلَتْ مَصَالِحَ الْعِبَادِ، وَأَبْعَدَتْ عَنْهُمْ الْأَذَى وَالضَّرَرَ، وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ تُؤَكِّدُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي بَدَايَةِ دَرَسِنَا لِلْإِخْتِيَارَاتِ، فَمَا وُضِعَتْ اجْتِهَاداً وَنَفَازاً إِلَّا لِلتَّصَدِّيِّ لِمُعَالَجَةِ مُشْكَلَاتِ اجْتِمَاعِيَّةٍ تَوَطَّنَتْ فِي الْمَجْتَمَعِ الْيَمَنِيِّ لِعَقُودٍ، سَادَ خِلَالُهَا قَضَاءُ الْأَعْرَافِ وَالتَّقَالِيدِ، حَكْمُ الطَّاغُوتِ الْمُضَادِّ لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

كَمَا قَرَّظَ الْإِخْتِيَارَاتِ مُؤَلِّفُ كِتَابَةِ الْحِكْمَةِ، فَقَالَ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ:

مَا أَطْلَعَ الْأَنْصَافُ فِي أَفْقِ الْفِكْرِ شَمَسَ هَدَى أَنْوَارِهَا تَجْلُو النَّظَرَ
مِثْلَ اخْتِيَارَاتِ إِمَامِ الْأُمَّةِ بَحَرَ الْعُلُومِ، أَوْحَدِ الْأُتَمَّةِ
يُحْيِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْبَدْرُ خَلِيفَةُ اللَّهِ أَمَامَ الْعَصْرِ
وَإِخْتَارَ مَا رَجَّحَ مِنْ مَسَائِلِ بَرَهَانُهَا مِنْ أَوْضَحِ الدَّلَائِلِ
حَلَّتْ مِنَ الدِّينِ مَحَلَّ الْبَصَرِ وَطَارَدَتْ كُلَّ ضُرُوبِ الضَّرَرِ
لِذَاكَ جَاءَ الْخَيْرُ مِنْهَا يَتَرَى فِي حَسْمِ كُلِّ الْمُعْضَلَاتِ جَهْرًا

فالاختياراتُ مَا كَانَتْ إِلَّا لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ، وَحَسْمَتِ مُعْضَلَاتِ الْمَشَاكِلِ، الَّتِي كَانَتْ مَوْجُودَةً، وَرَسَمَتِ الطَّرِيقَ الشَّرْعِيَّ الْوَاضِحَ الْمَعَالِمَ لِلْقَضَاةِ وَالْحُكَّامِ فِي مُخْتَلَفِ الْبِلَادِ وَالنَّوَاحِي، وَكُنَّا قَدْ أَشْرْنَا إِلَى الْأَحْزَانِ بِالْكَثِيرِ مِنْهَا فِي قَوَانِينِ الْأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، أَوْ حَتَّى عِنْدَ

(١) انظر، كِتَابَةِ الْحِكْمَةِ، ٢١٢.

الغربيين، مثل قانون الأحوال الشخصية الفرنسي.

وقال فيها القاضي أبو بكر بن علي الحداد شعراً مما لا يخرج في فكره ومضمونه عما وردَ قبلاً: فقال:

عمادُ دينِ الله محيي السنة قلَّدَ أعناقَ الأنعامِ المنَّةَ
بِضدِّقِ إنصافٍ له إشارا للحقِّ فيما قاله واختارا
مرَّجحاً جملةَ مسائلٍ أتتْ وفقَ الأدلَّةِ كالأهْلَةِ أسْفَرَتْ
أنوارُها تجلُّو البصائرَ والبصر في شرعِ دينِ الله كلُّها دُرر^(١)

ولأهمية اختيارات الإمام يحيى فقد قامَ عبد الله الشماحي بجمعها في كتيبٍ عنوانه «صراطُ العارفين إلى إدراكِ اختياراتِ أمير المؤمنين، وطُبِعَ في مطبعة المعارفِ بصنعاء سنة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧، وجرى توزيعه على الحكام لاستمرارِ العملِ وفقَ ما جاءَ فيها من أحكام.

المبحث الرابع: مشاركة الإمام يحيى في السياسة والحرب قبل مبايعته بالإمامة:

ومن ناحيةٍ أخرى، فقد شارك الإمام يحيى والدّه المنصورَ حياته السياسية والحربية. فقد كلّفه والدّه بالاتصال بالقبائل وشيوخها، ينتقلُ من مكانٍ إلى مكان، يعملُ على ترتيبِ الحصون والقلاع ويجمعُ الجيوش.

ففي شوال ١٣٠٩ هـ طلبَ إليه والدّه، وكان حينذاك مقيماً بالعنان - أن يجمعَ عُقَالَ ذي غيلان ويحثّهم على الجهاد، وقد نفَّذَ أمرَ والدّه، فجمعَ عُقَالَ ذي غيلان، وسارَ بجموعِ ذي غيلان إلى الحرف^(٢). وفي سنة ١٣١٦ هـ، قادَ معاركَ الجهادِ في القاهرة من الشرفِ الأعلى، وقادَ غزوةَ الشاهل، وهاجم قسلة

(١) انظر، عمدة القاري، ٤، ٣١٦.

(٢) الدر المنثور، ١ / ٤٢٠.

العساكر التركية الشرقية^(١)، وفي شهر رجب من نفس السنة عهد إليه ترتيب مدينة شُهارة، حيث حصَّنها، وجعل فيها شحنة ومؤنة، وتولَّى تقوية وتحصين المدينة لصدِّ العجم عنها، كما قاد محاربة الأتراك في الراحة، وأشرف بنفسه على توفير الإمدادات والمؤن للمجاهدين، حتى نجح بقواته من محاصرة العجم في وادي أخرف^(٢)، وحين قصد أحمد فيضي قفلة عذر مقرر الإمام بقواته يقصد القضاء على قاعدة الإمام المنصور بالله، تولَّى الإمام يحيى تحصين القفلة، فدبر المعاقلة أجل تدبير وقوى الأطراف، حتى استقرَّ عند الأتراك بعدم قدرتهم على اجتثاث شأفة الإمام المنصور وقواته، فرجعوا من حيث أتوا.

وحين عصفت الأحداث بمنطقة حُبور في صفر ١٣٢٢ سنة هـ تجهَّز الإمام يحيى لتدبير أمورها، حيث مكث خمسة أشهر، أقام فيها حكم شرع الله بين أهلها، وأزال المناكر والمفاسد منها، كما استخرج أموالاً من صوافي بيت المال^(٣).

وعليه فإنَّ الإمام يحيى تولى في عهد والده الإمام المنصور أمور بلاد الشرفين وحجور وما إليها، واستفتح حصن شُهارة وبلادها، وقام بإعانة والده الإمام المنصور في كثير من الأمور المهمة، وأعان في تقرير أيدي عمال والده وحكام الشريعة على كثير من البلاد، وتولى تجهيز معظم العساكر الإمامية إلى بلاد الحُميس، لتطهير تلك البلاد من الفساد.

وهناك أمران يستحقان الوقوف عندهما وتدبرهما بروية وتفكير، كان الأول منها في سنة ١٣١٣ هـ: حين ارتحل الإمام المنصور بالله إلى جبل الأهنوم لتدبير حصن السعدان، استناب الإمام المنصور بالله ابنه الإمام يحيى في المقام بقفلة عذر ليقوم مقامه في تصريف الأعمال والإشراف على ما يردُّ أو ينفذ من المقام.

(١) الدر المنثور، ١/ ٥٠٠.

(٢) الدر المنثور، ٢/ ٧٠.

(٣) الدر المنثور، ٢/ ١٠٥.

يقابل الوفود، ويدبّر أمر المعارك، ويتولى الرّد على الأمراء والعمال والحكام.
والأمر الثاني: الاتصال بقادة وشيوخ وعَمّالٍ وحكام الجهات، وإصدارُ
الأوامر إليهم بعد مشاورة والده، والوثيقة رقم ١٩، الصادرة منه بتاريخ ٢٤
رمضان سنة ١٣١٨ هـ تُظهرُ دوره القياديّ إبانَ عهدِ والده وجاءَ فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي مولاي عزّ الدين محمد بن يحيى، حفظه الله تعالى، وحيّا محياه
بشريف السلام. وزليف التحية والإكرام، والله يحفظ مولانا الإمام، ويؤيّد به
شرائع الإسلام، ويجعل هذا الشهر مرتحلاً بذنوبنا بحق محمد وآله.

وأنه وصل كتابكم الكريم، المبشّرُ بخروجكم وسلامتكم التي هي المراد،
وكما يُقال: «قنع من الغنمة بالإياب». ولقد أصبتم المرقى، ونصبتم أعمدة
السياسة العظمى، فما للمهمات إلا المطمّات. هذا وإنّه لم يتأخر الجوابُ إلى
اليوم، إلا إني أرسلتُ إلى المولى، أيّده الله، بالكتب لأخذ رأيه وإعتماده، فصدرَ
ما تروّنه من الإمام. يكونُ وضع المونة التي من لدينا بصناديقها، والتي من الأخ
الصفى أحمد بن مشنى، وإلى بعد العيد يُبدي الله ويعيد. وإنّ هذا الدين هو دينُ
الله، وهو أولى بنصرته وتأييده، ليس علينا إلا بذلُ المستطاع، والله أسألُ أن
يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه بحق محمد وآله. والنقيبُ العماّدُ والشيخُ منصور
متحفان شريف السلام ورحمة الله.

٢٤ شهر رمضان ١٨

مملوكم

يحيى بن الإمام، ساعه الله^(١).

والرسالة موجهة إلى السيد محمد بن يحيى بن الحسن محمد بن الإمام الهادي

(١) انظر، وثائق يمنية، ١٧٥-١٨١.

الحسن بن القاسم ت ١٣٣٨ هـ بعد عودته من إحدى المعارك، ولعلها في جبل رازح - يبلغه سبب تأخيره في ردّ الجواب على رسالة السيد محمد بن يحيى بن الحسن، إنما يعود لانتظاره تلقي أوامر والده الإمام المنصور بالله بخصوص ذلك الشأن، وكان الرأي «حفظ الأسلحة والذخائر التي أرسلت من الإمام، والتي وصلت من أحمد بن مثنى عنتر ت ١٣٣٠ هـ في الصناديق ثم يكون تدبير الأمور بعد عيد الإفطار.

وكانت اشارات الإمام يحيى، بأن هذا الدين هو دين الله، وهو أولى بنصرته، وما على المرء إلا بذل المستطاع، رداً على بعض التساؤلات التي جاءت في رسالة سابقة تخميناً.

وما يهمننا من الرسالة، هو قيام الإمام يحيى بالرد على رسالة واحد من أهم القادة، بل واحد أعمدة النظام. ولا ندري إن كانت هاتان الإشارات. النيابة في القفلة، والكتابة بالأوامر عن الإمام إلى القادة والأمراء - توحيان برغبة لاستخلاف الإمام يحيى بعد والده. ولكن، هل لأهل الحل والعقد من علماء اليمن الرضا بذلك دون تحقيق شروط الإمامة فيمن يتولاها. ونحن نرى أن يحيى بن الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين قد استكمل شروط الإمامة علماً واجتهاداً وجهاداً، فكيف جرى اختياره ومبايعته بالإمامة هذا ما سنعرض له لاحقاً.

الباب الثاني الإمامة والبيعة

الفصل الأول: النهوض والدعوة

المبحث الأول: منشور الدعوة

المبحث الثاني: الاستجابة للدعوة

الفصل الثاني: معارضة الدعوة والإمامة

المبحث الأول: الداعي المعارض حسن بن يحيى القاسمي

الضحياتي ودعاوي الائتلاف والاتفاق

المبحث الثاني: الإمام يحيى والعودة للثورة والجهاد

المبحث الثالث: القضاء على حركة الحسن بن يحيى الضحياتي



الباب الثاني الإمامة والبيعة الفصل الأول

النهوض والدعوة

تقلد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين الإمامة بالطرق الشرعية لا بالوراثة، وإنما بالكفاءة والعلم والاجتهاد، فهو الإمام الشرعي بإجماع أهل الحل والعقد^(١).

ولكن المعارض الضحيفاني رأى أنه سبق الإمام يحيى في النهضة والدعوة. في إطار هاتين المقولتين ثار جدل بين الأتباع والأنصار من جهة، والمعارضين والمنافسين من جهة أخرى، وسرى بين القبائل والشيوخ والعقّال والمناصب، بل لقد امتدّ التجاذب على مدى سبع سنوات ليلفّ اليمن بأزمة

(١) الدرر المنتقاة، ٣، عمدة القاري، ٦٤، أئمة اليمن، ٥/٣، تاريخ اليمن للواسعي، ١٩٥، مملكة الإمام يحيى لسلفاتور أبو نتي، ٥٥، ملوك العرب للريحاني، ١/١٤٨.

(٢) أورد صاحب تكوين اليمن الحديث، ٧٢، وصاحب هجر العلم، ١٧٠٠ رواية شفوية مفادها: أن الشيخ ناصر مبخوت الأحمر وقد ضرب طوقاً على أهل الحل والعقد، وقال: يا سادة! يا فقهاء، مابش معنا غير سيدي يحيى ولا خرجة لكم من مكانكم إلا بعد مبايعتكم وهذه الرواية لا تصمد أمام النقد العلمي، فعلماء اليمن وقادتها لا يمكن أن يخضعوا لضغط شيخ قبيلة، ويتجاوزوا قواعد المذهب ثم إن الداعي المعارض لم يقل بهذه الرواية طوال فترة =

كانت تصل إلى حد القتال^(٢).

ولما كان المؤرخ المحايد هو المدعي والمحامي والقاضي في آن واحد، فإني سأحاول أن أقدم صورة معقولة قريبة من الواقع لحدث النهوض والدعوة والبيعة والمعارضة، مستنداً على الوثائق غير المنشورة بالدرجة الأولى، وعلى المخطوطات التي لا زالت حبيسة المكتبات العامة والأسرية ولما تُبذل بعدد للباحثين، ليكون لنا رأي في هذا الحدث.

ومن أهم الوثائق التي سأعرضها وثيقة بريطانية أرسل بها الملحق العسكري البريطاني في استانبول بتاريخ الأول من يوليو سنة ١٩٠٦م / ٢٤ جمادى أول سنة ١٣٢٤هـ.

ورسالة أخرى بعث بها الحسن بن عبد الله الضحّياني في سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م إلى الحسن بن يحيى بن علي القاسمي الضحّياني، الداعي المعارض لإمامة يحيى بن محمد حميد الدين^(١)، وخطاب ثالث وجهه الإمام يحيى إلى جهات كثيرة يحث فيه اليمنيين على الثورة والجهاد ضد الأتراك في اليمن، إضافة إلى منشور الدعوة الذي أذاعه الإمام يحيى بعد وفاة والده الإمام المنصور بالله وأعلن الدعوة والنهوض.

ولما كان منشور الدعوة قد ضمّه محمد بن محمد زبارة في كتابه «أئمة اليمن، بالقرن الرابع عشر، سيرة الفاتح الشهيد، الإمام المتوكل على الله يحيى ابن محمد حميد الدين» وطبعته المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، فقد قمت بمقارنته بمصادر العصر زيادة في التحقيق

= الاتصالات ولو كانت لأوردها في حجه، وكان ناصر مبخوت الأحمر شيخ العُصيات وهي فرع من حاشد، ولحاشد اتحاد قبائلها، ولما يرد مثل ذلك لا عند الشيخ ناصر ولا غيره من مشايخ حاشد أو غيرهم.

(١) الدرة المنتقة، ١٨١.

والتدقيق. ثم كانت لنا دراسة ناقدة للمصادر المعاصرة وخاصة مخطوطة الدرّة المنتقاة، حيث فحصنا رواية أحمد بن عبدالله الجنداري المتعلقة بالدعوة والنهوض، ورواية يحيى بن علي بن ناجي الحداد في مخطوطة عمدة القاري وغيرهما من المصادر المطبوعة المعاصرة للواسعي، والريحاني اللبناي وسلفاتور أبو نتي الإيطالي، والتي كان مؤلفوها على صلة ودراية بأحداث اليمن وتاريخه. وبعد إعمال مناهج النقد للروايات، أستطيع القول بأن ما ورد في الدرّة المنتقاة لأحمد بن عبدالله الجنداري كان الأوفى في تناوله لأحداث الدعوة والنهوض، فقد أُتيح له الاقتراب من الحدث وكان شاهداً عياناً، وله رأي فيها، بل كان أحد الذين حضروا مجلس العلماء، أهل الحل والعقد، عند مبايعة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين. والقاضي أحمد بن عبدالله الجنداري لا نعمل فيه بالعدالة مع عدم إغفالنا للعوامل الذاتية عند التأريخ لأي حدث.

أفرد الجنداري للنهوض والدعوة والمعارضة أكثر من عشرين ورقة من كتابه: «الدرّة المنتقاة» من أصله البالغ مئة وست وثمانين ورقة، وللإحاطة بما ورد عند الجنداري ومقارنته بالمصادر الأخرى، فلا بدّ من إعداد ترتيب روايات الحوادث وتحليلها ونقدها. وصولاً لإدراك الصورة الشاملة، فإنّ مَنْ جَهِل شيئاً عاداه.

في الورقة ٣ أورد الجنداري «وفي صفر سنة اثنتين وعشرين طلع الإمام للقراءة في الأهنوم، وقد تعلّق بوالده ألم الفالج، ابتداءً في شوال قبلها» وتمضي الرواية إلى أن يقول: وصل كتاب: «بادر»، فبادر فوجد الإمام لا يتكلم، ونزلت بعده - أي الجنداري - فرأيتُه كذلك، وأمارات الموت ظاهرة عليه».

والرواية تفيد بأن أحمد بن عبدالله الجنداري نفسه رأى الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين «مفلوجاً، لا يتكلم وأمارات الموت ظاهرة عليه». ونقف عند العبارة «مفلوجاً لا يتكلم» وكأني بالجنداري يريد أن يدفع عن

لإمام المنصور بالله شبهة التوصية أو التقرير، تلميحاً أو تصريحاً باستخلاف ابنه لوحيده، قولاً وكتابةً.

أما رواية زبارة في سيرة الإمام المنصور بالله فجاء فيها «وفي صفر سنة ١٣٢٢ هـ، طلع المتوكل على الله يحيى بن الإمام للقراءة في جبل الأهنوم، والفالج قد استمر في الإمام المنصور بالله، وتعذرت الكتابة، وكان يتولى كتابته القاضي العلامة علي بن عبد الله الأرياني، فلما كان في سابع عشر ربيع الأول، جاء إلى المتوكل على الله كتاب بالليل: «أن الإمام صلى الفجر، ورقد وذهبت معرفته بالدنيا»^(١).

ويدرك من الرواية تأكيدها لما ورد عند الجنداري أو حتى نقلها بتصرف إيجازاً وتوضيحاً لما ورد في الرسالة العاجلة التي وصلت إلى الإمام يحيى، فالجنداري أوجزها بكلمة واحدة «بادر» أما زبارة ففصل «أن الإمام صلى الفجر، ورقد وذهبت معرفته بالدنيا».

وتنضي رواية الجنداري لتفيد بأن الإمام يحيى كتب إلى العلماء يستدعيهم للوصول لطرفه في حصن النواش بقفلة عذر الحاشدية، والمبادرة لحل تلك العقدة والمشاورة، فوصل إليه من العلماء الأعلام:

لطف بن محمد شاكر وأحمد بن قاسم حميد الدين ولطف بن علي ساري الحوئي، سيد أهل حوث، وعبد الوهاب بن محمد المجاهد الشاهي ويحيى بن حسن نصار ومن القفلة، محمد بن أحمد حميد الصنعاني، وعلي بن عبد الله الأرياني وعلي بن أحمد الخباني وحسين بن إسماعيل الشامي وحسن بن علي العريض. ومعهم أحمد بن عبد الله الجنداري الذي كان في حصن النواش بصحبة الإمام يحيى.

(١) أئمة اليمن، ٢/٤٠٣.

ثم كانت وفاة الإمام المنصور ليلة الخميس، وبقي يوم الخميس لا يعلم موته الناس واجتمع العلماء ليلة الجمعة، فنعاه الإمام يحيى إليهم وخرج عنهم، وهذه الرواية تتفق مع ما أورده العلامة أحمد بن يحيى عامر وذلك أن الإمام يحيى حين قضى والده، رحمه الله تعالى، جمع مفاتيح المخازن وبيت المال من أسلحة ونقود ومؤن وغيرها، وأرسلها إلى جماعة العلماء وقال لهم: انظروا للإسلام مَنْ يقوم به، وأنا أبرأ إلى الله - ردها ثلاث مرات بشدة وعزوف والعلماء في كل مرة يعيدونها إليه حتى يقضي الله أمره فراجعوا^(١).

والرواية لا تخبرُ باتصال الإمام يحيى بشيوخ القبائل ولا العقال ولا العمال أو النظار، وإنما اقتضت الدعوة على العلماء، ذوي الحل والعقد، فهم المعنيون في المقام الأول، ورغم ذلك فإن الرواية تثير عدة أسئلة، فلماذا كاتب الإمام يحيى هؤلاء العلماء دون غيرهم، ثم لماذا بقي نأ موت الإمام مكتوماً، وتأخر دفعه، ولم يُدع بين الناس؟

ومع أننا لم نعثر في المصادر المعاصرة - فيما انتهى إلى علمنا - على تفسير لذلك، فإننا نعتقد بأن الحالة التي كانت مسيطرة على الإمام يحيى آنذاك، وصعوبة الاتصال بالعلماء القاطنين في المناطق الخاضعة للسيطرة التركية مع بُعد الدار ووعثاء السفر وصعوبة الاتصال، كانت إحدى الأسباب المعتبرة، ثم إن كتمان نأ موت الإمام المنصور ضرورة اقتضتها الظروف الحربية التي كانت سائدة في اليمن، فالصراع التركي - اليمني لا زال على أشده، والمصلحة تقتضي العمل وبسرعة على ملء الفراغ السياسي والعسكري بعد موت الإمام المنصور، كما أن إذاعة النأ بعد ترتيب الأوضاع في الجبهة الإمامية بصورة سلسلة وبدون اضطرابات ومنازعات ومشاحنات ومنافسات يحث من الأطماع التركية في سرعة ابتهال الفرصة وتوجيه ضربة قاصمة، تشل حركة القوات

(١) انظر رواية سيف الإسلام الحسن بن يحيى وصورة الرسالة مرفقة.

الإمامية، سيما وأنَّ الإمامَ يحیی يدركُ سعيَ البعض للخروج والدعوة لأنفسهم لاعتقادهم بالكفاءة والأهلية وأن شروط تولي الإمامة قد توفرت فيهم.

أما لماذا لم يُراسل الإمامُ يحيى علماءَ ضُخيانَ في حينه ولم يدعهم للمشاركة في حلِّ العُقدة والمشاورة، فهذا ما سنعرِّضُ له لاحقاً.

وكانت المراجعةُ والمشاورةُ في مجلسِ العلماءِ ومن ثمَّ حكموا «بأنه لا يقومُ بهذه الخلة أحدٌ قيامَ ابنِ الإمام، وأنه من خصالِ الكمالِ، وكمالِ الخصالِ على التمام، وأنه في عينِ الإنسانِ لها كانسانِ العين»^(١).

ويُعلَّمُ من الحكم الذي أصدرته مجلسُ العلماءِ، ذوي الحلِّ والعقدِ، تزكيةً بالكمالِ والأهلية من حيثُ الأعلمية والأهضية والكفاءة للإمامِ يحيى بن محمدٍ حميد الدين وبالنسبة للمناقشات والمراجعات، وما دارَ في المجلسِ المغلقِ فلم تتناولهُ المصادرُ المعاصرة. في حين تمكنت الرواياتُ الشفوية المبثوثة في المذكراتِ الشخصية والتي نُشرت حديثاً من تقديم بعض ما دارَ في مجلسِ العلماءِ المغلقِ، إذ جاء في بعضها أن عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماحي الذماري اشترط للمبايعة عدمَ قيام سيف الإسلام. محمد بن الإمام الهادي شرف الدين بن محمد بالدعوة إلى نفسه، لأنه في نظره أولى بالإمامة من غيره، كما ذكرت الرواياتُ الشفوية أيضاً مقولة أحمد بن عبد الله الجنداري بأنَّ الإمامَ يحيى «يصلحُ للإمامة لولا بخله»^(٢).

وقد حاولنا قدرَ جهدنا تحقيقَ الروایتين من مصادرٍ أخرى لا سيما مصنفاتُ الجنداريِّ نفسه، فلم نعثرُ على ما يؤيِّدُ ذلك.

ويكملُ الجنداريُّ روايته فيذكر: «فأخذَ سيدي أحمدُ بنُ قاسم حميد الدين الطرس وكتبَ البيعة، ثمَّ أخذَها واحدٌ بعدَ واحدٍ، كلُّ كتبَ خطه وبيعتَه». ومعنى ذلك أنَّ العلماءَ، وبالإجماع، قد بايعوا الإمامَ يحيى بن محمد حميد الدين

(١) الدرّة المتّقاة، ٣.

(٢) هجر العلم ومعاقله، ١٧٠٠.

وكانت خطوطهم شاهدة بإقرارهم. ولا اعتبار لما ورد عند نزيه مؤيد العظم بأن أحد أبناء عمومة الإمام يحيى المدعو أحمد بن قاسم حميد الدين الضحاني لم يعترف بإمامة المتوكل على الله يحيى^(١)، فقد وقع في خلطٍ ووهم فأحمد بن قاسم حميد الدين صنعاني وليس ضحاني وهو الذي بدأ بكتابة البيعة.

وتسير الرواية الجندارية وفق تسلسل الحدث فتذكر: «ثم دخلوا عليه فامتنع واعتل بالتكليف وثقله، فما زالوا به حتى أسعد». وهي مسألة معروفة عند العديد ممن تولوا الإمامة، محاولة الامتناع، حتى إذا ما ألزم بذلك أجاب، ولعل الإمام يحيى كان يحاول التعرف على بعض ما دار في الاجتماع المغلق ويتلمس مواقف كل عالم فبنت الشفة قد تدل على المخبر، وكان يحيى بن علي ابن ناجي الحداد أكثر تفصيلاً من الجنداري في سرده لنفس الرواية، فقد أورد: «بعد أن أعلم من حضر مقامه الشريف من العلماء، أنه كواحد من الناس، في بيعة من يقوم بالخلافة حق القيام، وأنه - أي الإمام يحيى - سيبدل مجهوده في نصرة من يختارونه وأعانتة في كل الأمور، وأنه غير مترشح لحمل تلك الأعباء الجسيمة والمهام العظيمة» ويضيف يحيى بن علي الحداد «فلم يقبلوا منه الاعتذار وألزموه الحجة أي الزام».

والرواية واضحة في تناولها للحدث، حيث أن العلماء لحواله بإقامة الحجة عليه، وألزموه أي إلزام، وتمت بيعة ذوي الحل والعقد، وكان ذلك في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ / ٦ يونيو ١٩٠٤م واتخذ لقباً «المتوكل على الله رب العالمين»، ثم اشتغل المتوكل بغسل وتكفين والدّه، والصلاة عليه ودفنه في حوث، وكان عليه إعلان الدعوة وإذاعة منشورها.

المبحث الأول: منشور الدعوة

أعلن الإمام المتوكل على الله دعوته في يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ / ٦ يونيو ١٩٠٤م، وجاءت رسالة دعوته مقرونة بإعلان خبر الوفاة

(١) رحلة في بلاد العرب السعيدة، ١٦٣.

رسالةُ دعوته وإعلانُ خبر الوفاة

أظهر المتوكلُ الدعوة، وكتبَ إلى كلِّ الجهات، هذه الأبيات:

[الطويل]

فكلُّ مصابٍ بعد ^(١) ذاك يسيرُ	مصائبُ أصابَ المسلمينَ كبيرُ
فَظْهَرُ الهدى والدين منه كسيرُ	ورُزُّه أصابَ الدينَ بعدَ كمالِه
وفي الجوفِ منه أنَّةٌ وزفيرُ	فيا لكَ خطباً فادحاً أذهَلَ النُّهي
بل دائماً يزدادُ فيه ^(٢) سعيُ	وفي القلبِ نارٌ ليسَ يُطفئُ لُهيها
وكادتُ رواسي الشامخاتِ تسيرُ	لقد بكتِ الأملاكُ والأرضُ والسما
ثوى من به كانَ الكمالُ ينيرُ ^(٣)	فيا دهرُ بَعِ شأوَ الكمالِ فإنَّه
ويا فلَكَ الأفلاكُ كيفَ تدورُ	ويا بدرُ لا تطلُعُ ويا شمسُ فارجعي
وكادَ عبابُ المَكْرُماتِ يغورُ	لقد هُدَّ ركنُ الدينِ والعلمِ والتَّقَى
ومن هُوَ رُدَّةٌ للهدى ونصيرُ	بموتِ ^(٤) أميرِ المؤمنينَ وكهفِهِم
وهلَّ يَسْعُ الطودُ المنيفَ سريـرُ	أقولُ لقومٍ يحملونَ سريـرَهُ
ففي نَعشِهِ بحرُ الكمالِ يَمورُ	رُوَيْدُكموياً حاملينَ لنعشِهِ
فلمَ يَبْقَ في وَرْدِ الأنعامِ نَميرُ	سلامٌ على الدنيا وهجرٌ لأهلِها
نَلَدُ بعيشٍ أو يكونُ سرورُ	أبعَدَ إمامَ المسلمينَ وكهفِهِم ^(٥)
يَريشُ الذي يتابُّه ويُجِيرُ	لقد كانَ كهفاً ^(٦) للضعيفِ وملجأً
يَصُولُ عليهم بالردى ويدورُ	وكانَ على ذي الجَورِ سيفاً مُهَنِّداً

(١) في أئمة اليمن، زبارة، سيرة المتوكل على الله يحيى، ٧، «دون».

(٢) زبارة: منه.

(٣) سقط البيت من زبارة. (٤) زبارة، فيا.

(٥) زبارة: لموت. (٦) زبارة: وغوثهم.

(٧) زبارة: ركناً.

فكم ظالم للناس قد صارَ عبرةً
 وكم وقعتِ صارتِ الرومُ عندها
 ولو رُمّت ^(١) إحصاءً لبعضِ خصاله
 فيا شامتاً ما اللهُ عنكَ بغافلٍ
 عسى اللهُ يوماً أن يَمُنَّ بكثرةً
 وقل للذي يبغي الغوائل للهدى
 ولا بدّ لي ما عشتُ من شئ غارةٍ
 فهل ينفعُ الفُجَّارَ موتُ إمامنا
 فليس إمامُ الحقِّ أوّلَ ميّتٍ
 على أنّه في الخُلدِ جاوَزَ ربّه
 ويا راحلاً عنا يعزُّ فراقه
 عليك سلامُ الله غير ^(٢) مفارقٍ

وكم جائرٍ نأواه فهو عقيزُ
 تقولُ لويل حاضرٍ وثبورُ
 عجزتَ وعادَ الطَّرْفُ وهو حَسيرُ
 فإنّ لظي للظالمين مصيرُ ^(٣)
 عليهم فتشفى غلةٌ وصدورُ
 رويذك! إني للبغاة نذيرُ
 على إثرِ أخرى للعُدّةِ تبيّرُ
 على أنّه ينهدُّ منه ثبيرُ
 فكم ماتَ قدماً مُرسَلٌ وبشيرُ
 فدارَ وربُّ واسعٍ وغفورُ
 إلى الله ربِّ العالَمين تصيرُ
 له في فراديس الجنان قُصورُ

وكانت:

نحمدُك يا مَنْ سبقَ كونه الأكوَان، وشملَ علمُه ما سيكونُ وما قد ^(٤) كان،
 تفرّدَ بالبقاء، وانفردَ بالعزة ^(٥) والكبرياء ^(٦)، وقضى بأنّ كلّ ما سواه فانٍ، وسبقَ
 علمُه بعمومِ الموتِ على جميعِ الإنسِ والجان، فلم يبقَ على ذي شرفٍ أصيلٍ،

(١-١) زبارة، ولو رمت أن تحصى خصال كماله.

(٢) الدرة المتقاة، حصيرُ.

(٣) الدرة المتقاة، خير.

(٤) سقطت من الدرر المتقاة.

(٥) زبارة، العز.

(٦) زبارة، قضى بحكمه بأن.

(٧) زبارة: ولا شبيه له.

ولا صاحبٍ قدرٍ جليلٍ، ونشهدُ أن لا إله إلا الله، وحدهُ لا شريكَ له، ولا شبيهه^(٧) ولا مثيل.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ المؤيَّدُ بالتنزيلِ، صلى الله عليه وعلى آله المخصوصين بالتعظيم والتبجيل.

أما بعدُ،

فصدورُها مخبرةٌ بالخطبِ المهولِ،^(١) والمصابِ الذي أذهَلَ العقولَ^(٢)، والفادحِ القادحِ في القلوبِ زند^(٣) الحزنِ، والكارثِ الذي أظلمتْ له جميعُ أقطارِ اليمنِ. وهو ما اختاره اللهُ وارتضاهُ لوالدنا أميرِ المؤمنين، وسيدِ المسلمين، المنصورِ بالله ربِّ العالمين، تغمَّدهُ اللهُ بجزِيلِ رضوانِهِ^(٤) وأسكنه أعلى الفردوسِ من جنانه^(٥)، من الانتقالِ عن دارِ الأكدارِ والأحزانِ إلى كريمِ جوارِهِ بأعلى غرفِ الجنانِ، بعدَ أن جاهدَ في الله حقَّ جهاده، وأقامَ أحكامَ الله في عبادِهِ وبلائِهِ. وجدَّدَ الدينَ وأذلَّ الظلمةَ المعتدين، وجرَّعَ^(٦) الغصصَ زُمَرَ المفسدين^(٧)، فلقد أصبحتِ العيونُ بالدموعِ هامية، والجفونُ من بعده دامية. فإنَّا لله إليه راجعون. اللهم أجزه عنا وعمَّنْ شايعةً وبايعةً من أهلِ أوائِهِ، أفضلَ ما جزيت إماماً عن أهلِ زمانِهِ.

وكانتْ وفاته رضي اللهُ عنه في الليلة التي أسفرتْ بصبحِ الخميس ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ.

(١-١) سقطت من زيارة.

(٢) في زيارة، نار.

(٣-٣) في زيارته، وأسكنه فسيح جناته من الانتقال عن دار الأكدار.

(٤) زيارة، وبعد أن جرَّعَ.

(٥) في زيارة، نقله الله وألحقه بالأئمة السابقين وقد.

وفي اليوم الثاني، حضر العلماء الأعلام والسادات الفخام إلى هذا المقام، ولما رأوا من أهم الواجبات نصب من يصلح للقيام بما يكون فيه صلاح المسلمين والإسلام، عولوا علينا ووجهوا خطابهم إلينا وألزموننا الحجة، وتحتّم القيام بهذا المنصب الشريف، وتحمل تلك الأعباء التي فيها شاق التكليف، فلم نجد بداً من الإسعاد، فتوكلنا على الله في الإصدار والإيراد، سائلين من يده الحول والقوة أن يمدّنا بعزير النصر والإمداد. وأن يصلح بسعينا العباد والبلاد.

وإنا قد نشرنا في ذلك اليوم الدعوة الميمونة التي هي بالخيرات مقرونة، فنلزمكم أيها المؤمنون والشيعة المودون بما افترضه الله عليكم من السمع والطاعة والنصح والسلوك مسلك الجماعة، وبذل الجد والاجتهاد والمسارة إلى فريضة الجهاد. وتطهير أرض الله ممن يبغي في الأرض الفساد. وإلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومن وصل والدنا بشيء من القرآن والدعاء فله ثواب ذلك، فطالما نصح العباد، وحى الشريعة بالجد والاجتهاد حتى أتاه اليقين.

والله الموفق إلى ما فيه رضاه

وصلّى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

في عشرين ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ.

ويلاحظ بأن منشور الدعوة قد تضمّن الأمور التالية، وهي:

- نعي للإمام المنصور بالله ورثاء وتذكير بما قام به في خدمة الإسلام ورعاية مصالح المسلمين، ونصرة الضعيف والمسكين والأخذ على أيدي الجائرين والجهاد في سبيل الله ضدّ البغاة والمفسدين وقيامه بإظهار أحكام الله وشريعته.

- إعلان للناس بما تمّ يوم وفاة الإمام المنصور بالله، والدّه، في الليلة التي

أسفرت بصبح الخميس ١٩ ربيع الأول ١٣٢٢ هـ، ثم حضور العلماء وما كان منهم إذ «عولوا علينا ووجهوا خطابهم إلينا، وألزمونا الحجة، وتحتّم القيام بهذا المنصب الشريف، وتحمل تلك الأعباء التي فيها شاق التكليف». فالعلماء قد رأوا أنه لا يقوم بهذا الأمر إلا يحيى بن محمد حميد الدين، ومصطلح «عولوا علينا» جاء في مكانه من البيان، يقال عولنا على فلان في حاجتنا، أي فزعنا إليه حين أغورنا كل شيء، وعولت عليه أي أدلت عليه، ثم سأله ذلك، وألزمه الحجة وإلا أقاموها عليه، فكان لابد من الإجابة وتحمل هذا العبء الشاق بما فيه من تكليف ويفهم من العبارات «عولوا، وجهوا، ألزموا، الإسعاد أي القبول» أن الخطوات الشرعية في تولي الإمامة قد اتبعت، وأن البيعة قد وقعت بطريقة شرعية، رغبة دون رهبة، ودون غصب لحق أحد. وانعقدت البيعة له بالاختيار لا بالنص أو العهد ممن قبله.

- في ظل هذه الشرعية التي تحققت، وتكليفه القيام بالخلافة، فإنه يلزم المؤمنين والشيعة المودين لآل البيت بما يلي،

- السمع والطاعة والنصح، فقد قرن السمع والطاعة بالنصح والنصيحة للأئمة، معاوّنتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة، وإرشادهم عند الهفوة، وتعليمهم ما جهلوا، وتحذيرهم ممن يريد بهم سوء، وإعلامهم بأخلاق عمّالهم وسيرتهم في الرعية، وسدّ خللتهم عند الحاجة، ونصرتهم في جمع الكلمة

- السلوك مسلّك الجماعة، بمعنى أن تجمع كلمة الأمة وإن يترك الخوض فيما يفرقها، فالفرقة تجرّ إلى العجز عن القيام بنصرة الدين وتثير أطماع الأعداء والمخالفين.

- يطلب إلى المؤمنين والشيعة المودين، الجد والاجتهاد بكل مظاهره في نصرة الدين أو في محاربة الفساد والظلم وحتى مجاهدة أنفسهم بما لحقها من درن

المسالك، ثم لابد من المبادرة لأداء فريضة الجهاد، ويلاحظ بأنه لم يذكر صراحة الجهاد ضد «المأمورين الأتراك البغاة» وإنما أوردتها مطلقاً.

- العمل على تطهير أرض الله ممن يبغي في الأرض الفساد، وهي بمعناها الواسع، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنها تشمل أولئك الذين تنطبق عليهم صفة الإفساد في الأرض، وقد حددتها الآيات القرآنية الكريمة والسنة النبوية الشريفة.

- وأخيراً يحذر الإمام يحيى المؤمنين والشيعة المودين بأنهم إذا لم يفعلوا بما ألزمهم به، وغدت واجباً مكلفين به، فستقع الفتنة ويعم الفساد. فهم مطالبون بإنفاذ ما ألزموا به.

ثم يستمد الرحمة لوالده وقراءة شيء من القرآن والدعاء له بالرحمة والغفران وأن يسكنه الله عُرف الجنان، وهي خاتمة حسنة تختتم بها الرسائل والخطابات.

المبحث الثاني: الاستجابة للدعوة.

كان لنشر الإمام يحيى الدعوة وبيعته بالإمامة صدى بين اليمنيين، على مختلف فئاتهم ومشاربهم، فقد بايعة العلماء، ذوو الحل والعقد، الذين حضروا إلى حصن النواش بقفلة عذر، وهم من صنعاء وحوث وذمار والروضة والقفلة والأهنوم وإريان وخبان (الناحية الواسعة بذي رعين، شرقي ظفار وجنوبه)^(١).

وغيرها من مناطق اليمن. ثم وصلت البيعة من علماء حوث، وهجرة حوث من أقدم الهجر وأشهرها، تعتبر من أهم مدارس العلم الزيدية ثم هي هجرة في العصيمات الحاشدية من صعدة، ولإظهار بيعة علماء حوث فقد نزل جماعة من علماء حوث لأداء صلاة الجمعة الثالثة برفقة الإمام يحيى في القفلة،

(١) تعرف اليوم «السدة»، انظر، معجم المقحفي، ٢١٠.

وقد نزلَ منهم، محمدُ بن محمد الشرعي العلامة المجاب الدعوة عند قبيلة حاشد، صاحب المكانة فيها، وعلي بن عبد الرحمن عيش، ويحيى بن محمد بن اسحاق وعلي بن حسن ساري، وعبد الله بن يحيى البدري، خطيب جامع حوث ومحمد بن المهدي محمد وحسن بن زيد، المعروف بدفاعه عن السنة وغيرهم.

كما وصلت بيعةُ شيخ الإسلام علي بن علي اليماني، شيخ الإمام يحيى، وكذا بيعةُ عبد الله بن أحمد المجاهد، شيخ الإمام يحيى أيضاً. ويلاحظُ أنَّ من بين بيعة العشرين عالماً الذين بايعوه حتى تاريخه كان سبعة من هؤلاء من شيوخ الإمام يحيى نفسه، فقد بايع هؤلاء الأساتذة الشيوخ على أهليته وكفاءته.

والمظهر الثاني للاستجابة تمثّل بوصول كُتُب البيعة من مختلف المناطق ووصول الوفود للمبايعة وتتابع توافد زمر الجنود للمبايعة أيضاً. وهذه المرحلة هي ما يُطلقُ عليها: بيعةُ ورصاً جمهور المسلمين، والدليل على استجابة جمهور المسلمين، على الصعيدين: المدني والعسكري كثرةُ وفود الرجال التي غصت بها القفلة حتى امتلأ حوضها. ولم تعد تتسع للمزيد.

ثم ضرب الخيام على السهول والأكام، وما من يوم إلا وكانت تصل فيه وفود من القبائل والعساكر لأداء حق البيعة، فقد وصلت وفود حاشد على طبقاتها، وبني صريم من حاشد وأهنوم همدان من بكيل وذري وسيران من بكيل وسفيان من بكيل، ووادة وبنو عرجلة من حاشد وفود بلاد الشرف، وبمعنى واضح فإن القبائل الرئيسية في اليمن، حاشد وبكيل وحمدان وقبائل الشرف، قد بايعت الإمام يحيى بن محمد حميد الدين.

ويلاحظُ أنَّ مناطق مهمة ذات شأن، وقبائل ذات شوكة، وعلماء لهم باع في الحل والعقد، لم يرد لها ذكرٌ بين من بايع الإمام يحيى، ولم يصل من طرفها وفود للمبايعة، فصعده وناظرتها لا يمكن التغاضي عن بيعتها في مثل هذه الحالة، وقبيلة سحر من خولان وضحيان ورحبان وساقين ورازح ووادة ظهران (الشام) وبنو جماعة ويقول أشمل قبائل وبلاد وعلماء القبلة (صعدة

وما إليها). فلماذا تخلّفت، وكيف كانت استجابتها لبيعة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين؟، وللإجابة على هذه التساؤلات يلزمنا دراسة حركة معارضة إمامة وبيعة يحيى بن محمد حميد الدين.

الفصل الثاني معارضة الدعوة والإمامة

المبحث الأول:

الداعي المعارض حسن بن يحيى القاسمي الضحياي ودعاوى الائتلاف والإتفاق.

كنا قد أشرنا إلى عدم قيام أحمد بن قاسم حميد الدين بمعارضة إمامة وبيعة الإمام يحيى، بل هو الذي أخذ الطرس وكتب البيعة، فلا تعويل على ما ذكره نزيه مؤيد العظم في رحلته، ومثله اقتباس سيد مصطفى سالم في كتابه: «تكوين اليمن الحديث»^(١)، وإنما كانت المعارضة من الداعي حسن بن يحيى القاسمي الضحياي، والذي اتخذ لقب الإمام الهادي، بينما أشارت إليه بعض المصادر اليمنية المعاصرة بلقب «المشاقق»^(٢).

والحسن بن يحيى بن علي من ذرية محمد بن أبي القاسم بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد، علامة في الأصول والفقه والتفسير والفروع والنحو، وله مشاركة في عديد من العلوم، وله مؤلفات عدة ما زالت المكتبة الغربية بجامع صنعاء تقتني رسالة له بعنوان «مُنية الراغب في معاني كلمات يحتاج إليها الطالب»^(٣).

(١) تكوين اليمن الحديث، ٧٠.

(٢) انظر، سعد بن محمد الشرقي وكتابه تقييد حوادث، ١٢٥-ب.

(٣) انظر المجموع رقم ١٥٦ الورقات (١٤٤-١٥٥).

إضافة إلى مؤلفات كثيرة. مجتهدٌ لا ينكرُ فضلَهُ في العلوم والفنون.

يذكرُ محمدُ بن إبراهيم حورية الحسني المؤيدي الضحياي في ترجمته لشيخه حسن بن يحيى بن عليّ أنَّ الأجلاف والأغلاف حسَّنوا له القيام والمعارضة للإمام يحيى^(١)، غير أنَّ الوقائع تفيدُ بانصرافه إلى المعارضة منذ سنة ١٣١٩ هـ في زمن المنصور بالله، فقد نُمي إلى الإمام المنصور بالله بمكاتبة الحسن بن يحيى القاسمي الضحياي لمشايخ خولان ورازح سرًا، وهم يحرضونه على القيام ويتشكَّون من أشياء للاعتراض على سيرة المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين، وكان أن طلب الإمام المنصور بالله من سيف الإسلام، محمد بن الهادي شرف الدين بن محمد التحقق مما وصل إليه وكتب للسيد الحسن يحذره من مغبة ذلك، فاستدعاه سيف الإسلام، محمد بن الهادي إلى ساقين، ووجده يعترض على أمور لا توجب الاعتراض، كتب بها سيف الإسلام محمد بن الهادي إلى الإمام لينظر فيها، وكانت الاعتراضات تدور حول فقراء الشام واليمن من القبلة والعناية بها، وما أوقعه الإمام المنصور بالله بالنظار في مناطق خولان ورازح، الذين ما قدرُوا على إمضاء العدل في مناطقهم - لاتفاقهم مع شيوخ خولان - ورازح على الاستئثار بالزكوات التي كانوا يستحلونها، ومن ثمَّ أجاب الإمام المنصور بالله برسالة وردت في الدر المنثور^(٢) تاريخها ٣٠ شهر القعدة ١٣١٩ موجهة إلى سيف الإسلام محمد بن الهادي والسيد حسن بن يحيى فلما وصل الجواب، رجع السيد حسن بن يحيى القاسمي الضحياي عن مقصده وتاب وعاد إلى وطنه ملازمًا لسكنيه دون أن يلحقه أذى من الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين.

فلما وصل خبر دعوة الإمام يحيى إلى صعدة، قام السيد حسن بن يحيى

(١) نزهة النظر، ٢٤٨.

(٢) انظر إجابة الإمام المنصور بالله في الدر المنثور، ٢/ ٢٤١ - ٢٤٣.

القاسمي الضحياي ودعا لنفسه من المزار بقللة معارضاً، وتكنى بالهادي وذلك يوم الاثنين ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ^(١) أي بعد نهوض الإمام يحيى بستة أيام بدعوى العيب والنقص في أهلية الإمام يحيى.

ويُفهم من رسالة الحسن بن عبدالله الضحياي، التي كان قد بعث بها إلى السيد حسن بن يحيى بن علي القاسمي الضحياي أن الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ما تولى الإمامة إلا بأمرٍ وتقريرٍ من والده الإمام المنصور بالله، وهذا مخالفٌ لشروط تولي الإمامة عند الزيدية، وتوجب الخروج على إمام الوراثة^(٢).

وترتب على قيام السيد حسن بن يحيى القاسمي أن رجَعَ جوابُ أهلِ ضَحْيَانِ فيه شبهةً إذعاناً، أما علماء ضَحْيَانِ، فكانَ منهم التوقفُ عن الرجلين، جاء جوابهم في ردِّ علي رسالة سيف الإسلام محمد بن الهادي دعاهم فيها إلى الإجابة بعد تبين الرشد، كما أنَّ العلامة أحمد بن إبراهيم الهاشمي، صاحب الرئاسة العظمى في صعدة ونواحيها، وخطيب جامع صعدة، قد توقفَ عن الرجلين في البداية، وتوقفَ أهلُ رحبان، أما خولانُ وخاصة سحارَ والجهوز وبلاد رازح والعامَّة في ضحيان وصعدة وساقين وغيرها، فقد أجابوا دعوة السيد الحسن، وبدت الأوضاع، فكانَ هناك الإمامُ المتوكلُ على الله يحيى بن محمد حميد الدين وله جهاتُه، والإمامُ الهادي الحسن بن يحيى القاسمي الضحياي وله جهاتُه، وبدأت الفتنةُ يزدادُ ضرامُها، لا سيما وأنَّ الأتراك كانوا لا يرغبون في إمامة يحيى، لأنه سيسيرُ على سنة والده في محاربتهم وجهادهم، وفي نفس الوقت لا نستطيع القول بقبول الأتراك لإمامة الهادي الحسن بن يحيى القاسمي حتى هذه السنة ١٣٢٢هـ.

(١) ورد عند الجنداري أن تاريخ دعوته وقيامه هو ٢٣ صفر ١٣٢٢هـ.

(٢) انظر الرسالة في مكانها في هذا المبحث.

وتحرك السيد حسن بن يحيى بسرعة، واستولى على حصن رازح، بعد طرد رتبة الإمام يحيى، وبادرت جهات القبلة لمناصرة السيد حسن بن يحيى القاسمي. وأدرك الإمام يحيى خطورة الوضع، فالأتراك محدقون به وبقواته، يتربصون الساعة التي تحين للإنقضاض على المنطقة كلها، ثم ها قد تصدعت وحدة الجبهة الإمامية، ومنافسُهُ السيد حسن بن يحيى يتقوى ويعبئ قواته، ولكن الإمام يحيى لم يكن يميل إلى تشتيت قواته وجهوده في فتح ميادين جديدة للقتال، ويرى أنه يمكن الإئتلاف بالود، والاتفاق بواسطة أهل الخير والإصلاح من العلماء. وتولى سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي شرف الدين دعوة جماعة من العلماء لقصد الإصلاح وتسكين النفوس، والحيلولة دون سفك الدماء، فسار كل من: لطف بن علي ساري ويحيى بن محمد بن اسحق، وعلي بن عبدالرحمن عشيش، ومحمد بن محمد الشرعي وعبدالوهاب بن محمد المجاهد وحسن بن علي العريض وأحمد بن عبدالله الجنداري حيث صحبهم سيف الإسلام محمد بن الهادي من السنارة إلى رحبان، ولقيهم هناك أحمد بن إبراهيم الهاشمي، فأقاموا في رحبان يكاتبون علماء ضحيان ويكاتبون السيد حسن بن يحيى الضحياي.

أما أهل ضحيان: فقد اعتذروا عن الوصول إليهم، وادعوا أنهم متفرقون خائفون - وكانوا يقطنون في مناطق سيطرة السيد حسن بن يحيى القاسمي - وأما السيد حسن بن يحيى القاسمي، فأجاب بما يلي:

- أقرّ بأسبقية المتوكل على الله يحيى بالدعوة والنهوض، وبذا سقطت دعوته، بأن قيامه كان في حياة الإمام المنصور بالله سنة ١٣١٩ هـ؛ لأنه أقرّ بخطئه آنذاك وتاب إلى الله عنه.

- ادعى بأن في شخصية الإمام يحيى عيباً ونقصاً، وبذا لا تتحقق فيه شروط تولي الإمامة. وإزاء هذه المسألة فقد طلبوا إليه أن يُبين ما في الإمام يحيى من

عيب، وعليهم إيضاحه، أو ما به من نقص وعليهم تبين كماله.

- وكان جوابه تجويز قيام إمامين في عصر واحد، فالمتوكل في جهاته، والهادي في جهاته ونحن أبناء مذهب واحد. وكان معنى ذلك إغلاق وإبطال باب المناظرة.

وخلال هذه الفترة كانت هناك معارك تدور في صعدة وساقين ورازح، وقع فيها بعض القتلى من الطرفين، وأسر أكثر من خمسين من أنصار الإمام، ولكن بعض قوات الإمام يحيى بقيت مراكزة لقوات السيد حسين بن يحيى بن القاسم، تناوش مقاتلي سحار من خولان، وتمنع امتداد نفوذ حسين بن يحيى بن القاسم لمناطق أخرى. وعاد وفد أعيان العلماء من رجبان إلى القفلة بعد اضطراب الأحوال وانتشار حالة من الفوضى في صعدة وساقين ورازح زادها تردياً مشاركة العامة فيها واستفزاز العصبية القبلية حين أوهم القاسمي بأن سيف الإسلام محمد بن الهادي سيدخل صعدة رغماً عن مقاومة سحار، فأقبلت سحار عن بكرة أبيها ودخلت صعدة بالسلام، وأشاعت حالة من الذعر بكثافة الرمي بالبنادق. وإزاء ذلك رأى الإمام أن يقوم بثلاث خطوات:

- الأولى: نقل رهائن سحار من صعدة إلى القفلة، ومن ثم إلى شهارة وقد تمت العملية بنجاح.

- الثانية: معاودة الدعوة إلى الاجتماع والائتلاف.

- الثالثة: الحد من حركة الحسن بن يحيى الضحّياني العسكرية، وفتح الجهاد على الأتراك باعتبارهم العدو الأول بالمجاهدة^(١).

وداوم العلماء على نصيح السيد حسين بن يحيى بن القاسم على الاتفاق والائتلاف، وكان الحسن بن عبد الله الضحّياني واحداً من هؤلاء الناصحين

(١) الدرة المنتقة، ٥، ٦، عمدة القارئ، ٦٣، ٦٤.

وكانت مكانته مرموقة بين العلماء الأعلام، وصِفَ بواسطة عقد العلماء الأعلام
وخلاصة فضلاء العترة الكرام، مجتهدٌ، صاحبُ تصانيف كثيرة.

وكان أحمد بن عبد الله الجنداري قد عثر في سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م على
الرسالة التي بعث بها الحسن بن عبد الله الضحّياني^(١) سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م
إلى الداعي الحسن بن يحيى القاسمي الضحّياني. وأثبت نصّها في كتابه: الدرّة
المنتقاة في سيرة الإمام المتوكل على الله وخصاله المرتضاه^(٢): ولما لها من أهمية
بالغة، فإني أوردُها هنا، «وقد جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جلّ وعلا، الجاعل لنا إلى الهدى سبلا، أمرنا بالاجتماع والاتفاق،
ونہانا عن التنازع والافتراق، وجعل لازم ما أمرنا به ثباتاً ونصرةً، ولأزم ما نہانا
عنه خذلاناً وفشلاً، حيث يقول سبحانه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا
تفرقوا﴾. وقال جلّ جلاله: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾. والصلاة
والسلام على من جمع به القوم الشتات، وألّف بين القلوب المختلفة وعلى آله
نقايد الحجّ. الناطق بفضلهم قرآن غير ذي عوج.

وبعد،

فصدورُ هذا المسطور إلى فرع الضياء والنور، الأئمة العلامة المنظور الحسن
بن يحيى بن علي، الذي هو بكلّ ثناء جميل حري.

فإني أحمد الله إليكم، الذي لا إله إلا هو، وأهدي إليكم شريف السلام،
ورحمة الله وبركاته، وأرفع إلى أنفسكم الزكية وأوصافكم السنية وفطنتكم الألبية،
أنه قد وقع ما وقع، وبلغنا عنكم ما قد بلغ، ونحن لا نشك فيكم ولا في صلاح

(١) انظر، نزهة النظر، ٢٢٨، وفاته سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م

(٢) انظر الدرّة المنتقاة، ١٨١.

نَتَيْكُمْ وَلَا فِي إِصَابَةِ نَظَرِكُمْ خَلَا^(١)، إِذِ الْحَمْلُ عَلَى السَّلَامَةِ هُوَ الْوَاجِبُ، وَفِيهِ السَّلَامَةُ.

وَقَدْ بَلَغَ مَا نَقَمْتُمْ بِهِ عَلَى مَنْ قُدَّسَ رُوحُهُ وَنُورُ ضَرْيَحِهِ، الْإِمَامُ الَّذِي مَاتَتْ بِمَوْتِهِ سُنَنُ الْهَدَى، وَمَا نَقَمْتُمْ بِهِ فَعَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ بِأَمْرِهِ وَتَقْرِيرِهِ، فَهُوَ الْإِمَامُ وَلِكُلِّ إِمَامٍ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ بِصَدْرِ رِعَايَةِ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَفَاسِدِ، وَقَدْ يَخْفَى ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ النَّظَرِ وَلَا بِأَسْ وَلَكِنْ مَعَ تَكَامُلِ الشُّرُوطِ الْمَعْتَبَرَةِ، وَاسْتِجْمَاعِ الْأَوْصَافِ الْمَقْرَّرَةِ الْمَحْرُورَةِ. لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ سُلْماً لِلْقَدْحِ وَالْخِلَافِ وَالطَّعْنِ فِي السَّيَرَةِ. ثُمَّ إِنَّ الْوَاجِبَ عِنْدَ الْخَفَاءِ وَعَدَمِ الظُّهُورِ عَلَى مَنْ لَا تَسَاعُدُهُ نَفْسُهُ عَلَى التَّسْلِيمِ وَالْإِغْضَاءِ عَنِ الْمَسَاوِ^(٢)، وَالْبَحْثُ عَلَى جِهَةِ الْإِسْتِرْشَادِ فِي ظُهُورِ الْمَرَادِ لَا عَلَى جِهَةِ الْعِنَتِ وَالْعِنَادِ، فَإِنَّ مَنْ جُعِلَ عَلَى إِمَامَةٍ نَصَبَ عَيْنِيهِ، لَمْ يَرْضَ بِإِمَامٍ قَطُّ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ.

الْوَجْهَ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَا عَنْ أَمْرِهِ وَلَا تَقْرِيرِهِ، فَالْأَمْرُ فِيهِ عَلَى بَعْدِهِ وَاضِحٌ وَلَا كَلَامٌ.

هَذَا ثُمَّ إِنَّ الْأَخَّ الشَّرِيفِيَّ عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - ، قَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ لِلْخِلَافَةِ فِي حَيَاةِ الْإِمَامِ الْمَرْحُومِ، وَاعْتَذَرَ عِنْدَ ذَلِكَ بِمَا اعْتَذَرَ، وَلَكِنْ كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا قُبِضَ الْإِمَامُ، رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، بَادَرَ أَعْيَانُ مَنْ فِي الْمَقَامِ إِلَى نَصَبِ وَلَدِهِ رَقْعَةً لَتِلْكَ الثُّلُمَةِ، بَعْدَ أَنْ تَمَنَعَ الْمَذْكُورُ وَأَبَى أَشَدَّ إِبَاءً، فَلَمْ يَعْذَرْ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَأْبَى مِنْ قَلَةٍ فِي أَعْلَمِيَّةٍ وَلَا أَنْهَضِيَّةٍ. أَمَّا الْعِلْمُ، فَإِنَّهُ مُكَبٌّ عَلَى الْأَخْذِ وَالطَّلَبِ مِنْذُ عَرَفْنَاهُ، وَهُوَ فِي أَيَّامِ الصَّبَا إِلَى أَنْ قُبِضَ وَالِدُهُ، قُدَّسَ رُوحُهُ، مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ

(١) الْأَصُوبُ، خَلَّلَ.

(٢) الْمَسَاوِيءُ.

الهمة والفطنة الوقادة، والحرص على حرز الفائدة أينما وجدها، وأما الأنهضة فأخذها بتهذيب والده الذي كان وحيد عصره في ذلك، فشر بها من عين صافية، حتى ساس الأمور، وتولى الأعمال الشاقة، وقام بها أحسن قيام.

ثم إن دعوتكم رفعت رأسها ونشرت راياتها وأسرجت أفراسها، فانتدب المذكور لاستدعاء من هنالك من أعيان العلماء وألزمهم بالنفوذ إلى الجهات الصعديّة واستدعاء علمائها بالمراجعة في الأمر والمفاوضة، وفوض المذكور من ذكر، وأنصف حتى بلغ من إنصافه أنه قال لهم: إذا رأيتم خروجي مما دخلتم فيه، فأنا متمم لما رأيتم، فدخل المذكورون فوافوا على فتح الحرب وثوران الفتنة، فراسلوا إلى العلماء فما أحد وافقهم.

وبعد،

يا أخي، فإن نيتك نية، ونية الفقهاء نية، وسادات البلاد ومشايخها نية غير، فأعذك بالله أن تكون سبباً لسفك الدماء، وتحريك الدهماء ومفتاحاً للمفاسد العظيمة والأمور الجسيمة الوخيمة.

ثم أعذك بالله أن تكون سلباً لأهل الأهواء يتواسلون بك إلى نيل الهوى، فما مرامهم إلا إزاحة الأمر من تلك الجهات، ورجوع الأمر بأيديهم كما كان فيما مضى، فإن الأمر الذي يحاولون رفعه بواسطتك صيرهم صغاراً بزعمهم، وقد كانوا كباراً، وفطمهم بعض ما كانوا يرضعون من ألبان تلك اللقاح، وقد كانوا رضاع كل ألبانها.

وأيّم الله يا أخي، لئن تمّ لهم ذلك المأرب على يدك، وبلغوا مناهم بواسطتك ليقبلن لك ظهر المجن وليضرمن في قلبك نار المحن، وليكونن لك حرباً، تستصرخ عليهم فلا تجاب، فتندم حيث لا ينفع الندم، ولعلها قد لاحت لك الآن لوايحها، ذكرت لك، وستطلع عليك بعد ذلك طلائعه، ومن

تدبر بالعواقب، صلحت له المبادئ والعواقب، ثم إن السعيد من كفي بغيره، فتحمل أعباء الخلافة أمر ثقيل لا يتجاسر ذو اللب الدخول فيه إلا عند الضرورة مع تكامل الشرائط وارتفاع الموانع، وحيث المطلوب إقامة الحق وإماتة الباطل، فالغرض حصول ذلك على يد من كان أهلاً له. ولهذا كان فضلاء الأوائل تحيل بعضهم على بعض في الفتيا، دغ عنك القضاء في الأحكام! دغ عنك الخلافة! التي هي صعبة المرام.

فهذه يا أخي نصيحتي أعرضها على عقلك وعلمك، وإن كان مثلي لا ينصح مثلك، وما دخولي في مثل هذا بالنظر إليك إلا كدخول المتطفل إلى زاد غيره، وأنت رضعت لبن العلم، وريبت في حجوره، وما هذه إلا شفقة مني عليك، وقضاء بعض حق يجب عليّ تأديته إليك.

والسلام على أخي ورحمة الله وبركاته

ونعتقد أن الرسالة جاءت رداً على إيهام العيب والنقص الذي ادعاه السيد حسن بن يحيى بن القاسم الضحياي في أهلية وكفاءة الإمام يحيى لتولي الخلافة ونصحاً للسيد الحسن بن يحيى قبل وقوع ما لا تُحمد عقباه، وكان أهم ما تناولته ما يلي:

- الدعوة إلى الاجتماع والاتفاق والنأي عن التنازع والافتراق، تنفيذاً لأوامر الله سبحانه بالاعتصام بحبله ونهي عن التنازع والذي يقود إلى الفشل، وذهاب أمر الأمة.

- خاطبة بالأخ العلامة المنظور، بمعنى: أنه لا يقر له بالإمامة ولا بكنيته الهادي.

- ويحييه على دعوى العيب والنقص، حيث يفترض احتمالين على وجهين:
الوجه الأول: أن يكون الإمام يحيى قد تولى الإمامة بأمر والده المنصور بالله

محمدٍ أو بتقريره.

والوجه الثاني: أن يكونَ تولّاها لا عن أمرٍ والده ولا تقريره.

ويفيدُه بالنسبة للوجه الأول بأنَّ لكلِّ إمامٍ نظراً ورأياً بشأنِ رعاية المصالح ودفع المفسدِ (قاعدةُ سدِّ الدرائع)، وهذه قد تخفى على البعض، لأنَّ الإمامَ، وفيه الرئاسةُ الدينيةُ والدنيويةُ للأمة الإسلامية، هو الأقدَرُ على تقدير ذلك، لإدراكه ظواهر الأمور، ما ظهرَ منها وما خفي، ولكن مع تكاملِ الشروطِ المعتبرة، واستجماعِ الأوصافِ المقررة المحررة، وما كان يجبُ أن يكونَ القدحُ والخلافُ والطعنُ في سيرة الإمام مسلَكاً، وإنما البحثُ والاسترشادُ بآدابِ البحثِ والمناظرة لا العنتِ والعنادِ.

وأما بالنسبة للوجه الثاني فالأمرُ واضحٌ ولا كلامَ فيه

- يعودُ ويذكرُه بما وقعَ منه في عهدِ الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين، وإقراره بخطأ ما وقعَ فيه واعتذاره، وأغفلَ في رسالته، توبته، كنوع من اللين في الخطاب.

- ثم يعيدُ على مسامعه الكيفية التي تمَّت فيها بيعةُ الإمام يحيى بعدَ مراجعاتِ العلماء، والزامهم له، فكان نصبُه رقعةً لتلك الثلمة بعدَ تمنّعه وإبائه شديداً منه فلم يُعذّر.

- ونصلُ إلى الهدفِ من الرسالة، فيذكرُ أعلميةَ الإمام يحيى، فقد ظلَّ مكبّاً على العلم والاشتغال به مذ كان صبيّاً، حتى قبضَ والدُه إلى جوار ربِّه فاشتغلَ وجمعَ نفسه على العلوم لأكثرَ من ثلاثين سنةً، وكان فيه همّةٌ وفطنةٌ ووقادةٌ ذهنيٌّ وحرصٌ على أخذِ العلم وفوائده أنَّى وجدها.

- ولعلها إشارة لاشتغاله بالسنة وعلم الحديث -

- وأما الأنهضية بما حوته من شجاعة وإقدام فقد أخذها بتهذيب والده له، وكان والده وحيد عصره في الأنهضية - والراسل يقصد جهاده وحروبته ومعاركته مع المأمورين الظالمين من الأتراك - وقد شرب الأنهضية من عين والده الصافية، وولاه والده الأمور الشاقة الصعبة فقام بها أحسن قيام، وكنا قد أشرنا في مكان سابق من الدراسة للمهام التي تولاه الإمام يحيى لمعاونة والده في أمور السياسة والإدارة والحرب.

- يذكر له ما قام به الإمام يحيى من سعي للاجتماع والاتفاق، يوم أن أعلن حسن بن يحيى الضحاني دعوته، وكيف ألزم الإمام يحيى أعيان العلماء بالتوجه إلى البلاد الصعدية، وفوضهم بالمراجعة والمفاوضة مع علماء الجهات الصعدية وأكد لهم «إذا رأيتم خروجي مما دخلتم فيه، فأنا متمم لما رأيتم» أي: أنه قبل حكم أعيان العلماء، وترك لهم حرية العودة عن بيعته، والخروج منها، إذا رأوا ذلك، بعد المراجعة وبالفعل وصلوا وراسلوا علماء الجهات الصعدية فما من أحد قبل أو وافق على المراجعة والمفاوضة.

- وينصح الحسن بن عبد الله الضحاني السيد الحسن بن يحيى القاسمي الضحاني بأن لا يكون سبباً لسفك الدماء وإثارة الدهماء، فإن الذين يحسنون له المضي في الخروج والقيام إنما يهدفون لتحقيق مكاسبهم وامتيازاتهم الشخصية «فقد كانوا يرضعون من ألبان اللقاح» ويسعون إلى جعل الإمامة فيهم، وهم إن نجحوا في ذلك، فسيقلبون له ظهر المجن، وعندها يستغيث ويندم فلا من مجيب ولات ساعة مندم.

- ويُنهي صاحب الرسالة إلى السيد حسن بن يحيى بأن الوقت قد حان للاجتماع والاتلاف قبل أن تخرج إليه طلائع القوات الإمامية.

- ويذكّرهُ بعزوفِ ذوي الفضلِ الأوائلِ عن تحمُّلِ عبءِ الخلافةِ، وحتى الفتيا والتي فيها حقٌّ لعبادِ الله كانوا يتحيلون للتخلص منها، يرميها كل واحد على الآخر، خوفاً من الله في عدم تحقيق عدالتها أو ظلم يلحق بالمسلم، لا عن قصدٍ ومعرفة.

- ثم يخاطبُهُ بصيغة استفهامية استنكارية فيها الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، دع عنك القضاء في الأحكام! دع عنك الخلافة التي هي صعبة المرام! - ويختتم الرسالة بتذكيره بالعلم الذي أتقنه، والبيت الذي نشأ فيه ثم يذكر أنه ما هو مثله حتى ينصحه، ولكنه - أي الحسن بن عبدالله الضحيان مشفق عليه، وقضاء بعض حق عليه يؤده للحسن بن يحيى.

وخلال هذه الفترة نجحت قوات الإمام يحيى في التثبيت بقواعدها في السنارة وصمّغ، الحصن المحاذي للسنارة جنوبي صعدة. وغدا سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي شرف الدين، مرتباً على سائر جهات صعدة ومحمد بن يحيى بن عامر مراكزاً في ساقين، وبصورة أوضح، تمكنت قوات الإمام يحيى من احتواء قوات الحسن بن يحيى الضحيان ومحاصرتها، وأيقن الإمام يحيى بأن لا فائدة تُرتجى من دعوة الحسن بن يحيى للاجتماع والائتلاف، ومع ذلك فحين وصل من سيف الإسلام محمد بن الهادي وأحمد ابن إبراهيم الهاشمي مراجعةً للإصلاح بحيث يتفق الإمام يحيى والداعي الحسن بن يحيى على إدمال الجرح ويخرج القاسمي ومعه مئة نفر كفأيتهم على بيت المال، وتكون حوث الاجتماع والمقر، شاور الإمام يحيى أعيان العلماء، فكان رأيهم «بأن هذه مطاولة وخسارة من غير فائدة ولا عائدة، كيف وقد وصل العلماء إلى جهاته، فلم يلبس للانصاف أداته» وحوّل الإمام يحيى برأي العلماء إلى الوسيطين.

المبحث الثاني: الإمام يحيى والعودة للثورة والجهاد

كان الإمام يحيى لا يخشى حركة الداعي الحسن بن يحيى، بعد أن حدّ من حركته بالمحاصرة ومنع طرق الاتصال به، مما يؤثّر سلباً على إمداداته من المؤن والسلاح، وما كان يقلق الإمام يحيى هو تثبيت أعداد من قواته لإحكام الحصار على سائر جهات صعدة، في الوقت الذي يستعدّ فيه لإعلان الخطوة الأكبر وهي فتح وإعلان الجهاد ضدّ الأتراك. وإثارة الهمم وشحن العزائم لهذا الهدف الأكبر، ولم يكن أمام الإمام يحيى غير المضي في تنفيذ خطته، فكان أن وجّه مبعوثيه، يحملون رسالته إلى جهات كثيرة التي يدعو فيها المجاهدين للثورة والجهاد، وكان ذلك في شهر جمادي الأولى سنة ١٣٢٢هـ.

وكان الجهاد الثاني قد بدأ في عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، واستمرت معاركه إلى أن أسفرت عن عقد صلح دَعَّان.. ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، والأحداث التالية له ستكون موضع بحثنا عند نشرنا لمخطوطة أحمد بن عبدالله الجنداري، «الدرّة المنتقا»، ومخطوطة سعد بن محمد الشرقي في تقييد حوادث إنشاء الجهاد الثاني، فإني أكتفي هنا بإثبات رسالة الإمام يحيى بفتح الجهاد والنظر فيها، وإلقاء الضوء على الجوانب المتصلة بمعارضة الحسن بن يحيى القاسمي. فإن الرسالة لم تردّ في مصادر العصر فيما انتهى إلينا.

فقد كتب المتوكّل على الله كتاباً بعد نشر الدعوة وأرسل به إلى جهات كثيرة، وكان يهدف منه شحذ عزائم المجاهدين ودعوتهم للثورة والجهاد^(١).

(١) الدرّة المنتقا، ١٠٥ - ١٠٨، وقد ذكر الجنداري، ولم أقف عليها فيما مر، فأردت اثباتها ههنا لما كان خبر القادمين من الجهاد، في وصف الابتداء منه والانتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولَ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَإِنَّ إِلَيْهِ تَحْشُرُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرْبِصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا يَنفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمْ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ إِلِيمٍ، تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

الحمدُ لله الذي دلَّ على ذاته بما ابتدَعَ من عجيب مصنوعاتِه. وعلى صفاتِ
الكمالِ بالايحاد والاحكامِ في كلِّ الأفعالِ، وعلى غناه التامُّ بلزومِ الزيادةِ
والنقصانِ للأجسامِ، البصيرِ العدلِ فيما قضى وقَدَّرَ، المكلفِ لعباده دونَ القدرِ
المرسلِ الرسلَ نذراً للعالمين عندَ إندراسِ من السُّبلِ، ووفورِ من ظلمِ الظالمينَ،
حتى ختمَ اللهُ الرسالةَ ومحاسِبُ الجِهالةِ، بنبيِّنا محمدٍ، صلى اللهُ عليه وعلى آله
وسلم، فاعذرْ وأنذِرْ

وجاهدَ في سبيلِ اللهِ حتى أتاهُ الأمرُ المقدَّرُ، فماتَ صلى اللهُ عليه وآله وسلم.
وقد بيَّنَ لأمتِه من يجبُ التمسكُ به وطاعتهُ، فقال: «إني تاركُ فيكم ما إنْ
تمسكتُم به لن تضلُّوا من بعدي أبداً، كتابُ اللهِ وعترتي أهلُ بيتي، إنَّ اللطيفَ
الخبيرَ نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوضِ».

وقال صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ
رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ وَهُوَ».

وقال صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «أَهْلُ بَيْتِي كَالنَّجُومِ، كُلُّهَا أَفَلٌ نَجْمٌ، طَلَعَ
نَجْمٌ».

وقال صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «مَنْ سَمِعَ دَاعِيَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَلَمْ يَجِبْهَا
كَبَّهَ اللهُ عَلَى مَنْخَرِيهِ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ».

وقال: «مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ ذُرِّيَّتِي فَهُوَ خَلِيفَةُ اللهِ فِي
أَرْضِهِ، وَخَلِيفَةُ كِتَابِهِ وَخَلِيفَةُ رَسُولِهِ».

وقال: إِنَّ عِنْدَ كُلِّ بَدْعَةٍ تَكُونُ مِنْ بَعْدِي يُكَادُ بِهَا الْإِسْلَامُ، وَلِيّاً مِنْ أَهْلِ
بَيْتِي مُوَكَّلَاً يَعْلُنُ الْحَقَّ وَيُنَوِّرُهُ، وَيُرَدُّ كَيْدُ الْكَائِدِينَ، فَاعْتَبَرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ،
وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ.

وقال: والذي بعثني بالحقِّ نبياً، لو أنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَقِيَ اللهَ بِعَمَلِ سَبْعِينَ

نبياً، ثم لم يلقه بولاية وليّ الأمر من أهل بيتي، ما قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

وقال: أنا حربٌ لمن حاربتم، سَلَمٌ لمن سَلَّمتم.

وقال: من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال.

نُهي كتابنا هذا إلى كافة أهل الإسلام.

سَلَامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته، وإنه قد سبقَ الإشعارُ العامُّ بوفاةِ مولانا أمير المؤمنين، المنصورِ بالله ربِّ العالمين، رضي الله عنه وأرضاه وأكرمَ نزلَه ومشواه، ثم إنّه وقعَ التعويلُ علينا وتوجيهُ الخطابِ إلينا من العلماءِ الأعلامِ والساداتِ الفخامِ بالانتصابِ لهذا المنصبِ والقيام. وكلّما حاولنا الاعتذارَ عن ذلك ألزَمونا أشدَّ الزام، فنهضنا لذلك وانتصبنا لما هنالك مستعينين بالله، متوكلين على الله، ودعونا كافة المسلمين إلى كتابِ الله وسنةِ رسولِ الله وإلى ما سارَ فيه الأئمةُ الطاهرون، وإنَّ مما حدانا إلى القيام، قولِ رسولِ الله، صلى الله عليه وآله وسلّم: «لتأمرنَّ بالمعروفِ ولتنهَنَّ عن المنكرِ أو ليوشكنَّ الله أن يبعثَ عليكم عقاباً منه، ثم تدعونهُ فلا يستجيبُ لكم».

وقولُه، صلى الله عليه وآله وسلّم: «أَوَّلُ ما دخلَ النقصُ على بني إسرائيل، أنّه كانَ الرجلُ يلقي الرجلَ. فيقولُ: يا هذا، اتقِ الله ودعْ ما تصنعُ به، فإنّه لا يحلُّ لك، ثم تلقاه من الغد، وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكونَ أكيله وشريبه وقعيدَه، فلما فعلوا، ضربَ الله قلوبَ بعضهم ببعضٍ ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ، أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءَ، وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾».

ثم قال: كلا والله لتسأرنَّ بالمعروف ولتنهينَّ عن المنكر ولتأخذنَّ على يد الظالم، ولتأطرنَّه على الحقِّ أطراً».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ الناسَ إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعذابٍ من عنده.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ القومَ إذا رأوا المنكرَ فلم يغيروه عمَّهم الله بعقاب.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم: مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وتستغفروه فلا يغفر لكم، إنَّ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفعُ رزقاً ولا يقربُ أجلاً، وإنَّ الأبحارَ من اليهود والرهبان من النصارى لمَّا تركوا الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسانِ أنبيائهم، ثم عموا بالبلاء.

وقوله: يا أيها الناسُ، إنَّ الله يقولُ: مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب، وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم.

وشاهدنا البلاد التي تولَّى عليها أعداءُ الله العجم أدالَّ اللهُ منهم، فرأينا المنكرات وقد عمَّت، والمظالم وقد طمَّت، والدماء وقد سفكت، والأموال وقد انتهبت والفروج وقد استبيحت، والله أبو الطيب المتنبِّي حيث يقول:

وإنما الناسُ بالملوكِ ولا تصلحُ عَرَبٌ ولا ثَمَّ عجمٌ

لا حسبٌ فيهمُ ولا نسبٌ ولا عهدٌ لهم ولا ذمُّ

ورأينا العجم، استأصلَ اللهُ شأفتهم، وإذا هم لم يستغنوا بما قد ضربوا على الناس في كلِّ شيءٍ من الأموال، حتى كادوا يأخذون جميعَ ما يحصلُ للعرب، بل بعضُ الناس يطلبونه زيادةً على ما يحصلُ من ماله، وها هم الآن يطلبون

مالا يبلغهم الله إليه، وما نرجو أن سبب زوالهم وجمع المسلمين على قتالهم، فأوجب علينا ذلك القيام، وبذل النفس في طلب رضى الملك العلام، فدعونا الناس إلى إصلاح ما بينهم وبين خالقهم من إقامة الصلاة تامة بطهارتها وأركانها. وفي أوقاتها. ومن لم يعرف شروطها وأركانها فالواجب عليه أن يسأل كما قال الله: «فاسألوا أهل الذكر أن كتتم لا تعلمون»، ثم المحافظة على الزكوات، فإنه حق في المال معلوم وفرض محتوم يجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه على القفيز والقطمير وبها زيادة الخيرات والبركات، وصيانة الأموال عن النكبات، ثم صوم شهر رمضان والقيام بفروضه وآدابه وتجنب ما يلحقه من فاحش القول والعمل.

ثم حج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا، وإياكم والسباب بينكم فإنه من المعاصي.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «سباب المسلم فسق وقتاله كفر».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سباب المسلم كالمشرف على الهلكة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن والديه!

قال: تسب أباه فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه».

وإياكم والنميمة: وهي إفشاء السر، فإنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة نمام، وإياكم وغيبة المسلمين والوقوع في أعراضهم، فإن الله يقول: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل.

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس

ويقعون في أعراضهم.

ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطاً كبيراً.

ولا تقربوا الزنا، إنه كان فاحشة وساء سبيلاً

«ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق». ومن قُتلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليِّه سلطاناً فلا يُسرف في القتل، إنه كان منصوراً».

«ولا تقربوا مالَ اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده»

«وأوفوا بالعهد، إنَّ العهد كان مسئولاً».

«وأوفوا الكيل إذا كلتم، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً»

«ولا تقف ما ليس لك به علمٌ إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسئولاً»

«ولا تمس في الأرض مرحاً، إنك لن تخرقَ الأرض ولن تبلغَ الجبال طولاً، كلُّ ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً».

وأدعوكم إلى الجهاد، وأدعوكم إلى الجهاد، وأدعوكم إلى الجهاد، الذي هو سننُ الدين، ورهبانيةُ المؤمنين، أحبُّ الأعمالِ المقربةِ إلى ذي الجلال، فقد ضربَ الكفرُ بجرانه وتطاردتُ فرسانه بميدانه، وشربتِ الخمرُ ونكحتِ الذكورُ، وارتكبَ جميعَ الفجور.

ماذا تنتظرون وقد صارت أموالكم للأعاجم، وصرت مع ذلك أذلةً، فكلُّ أسدٍ منك في غايةٍ واجم، وفسدت الذريات وانتهكت المحارم. وفي كلِّ وقتٍ يُظهرُ لكم العجمُ بعضاً من قوانينهم التي يأخذون بها الأموال ويذللون بها

أبطال الرجال. وإنا إن شاء الله مٌجهزونَ المقادمة والأجناد مستعنين في الإصدار والإيراد، أخذين على المقادمة والأجناد صيانة العباد والبلاذ، فتأهبوا - رحمكم الله لذلك - واستعدوا له واستكملوا عدة الجلاذ والمعارك، وأخلصوا الله النيات، وأصلحوا له الطويات. وأجمعوا كلمتكم وشددوا بأسكم، واستعينوا بالله ربكم، ولتكن منكم جميعاً الإغارة عند الحرب والإعانة ببعض الأموال التي تتقون بها العجم، ويتقون بها عليكم وينفقونها في المعاصي، ومع ذلك، فقد وعدنا الله النصر بقوله «إنا لننصرُ رُسُلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقوم الأشهاد، وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين»، إن تنصروا الله ينصركم والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

يا قومُ إني قائمٌ فيكمو	مجردٌ نفسي لربِّ العباد
قمتُ لأرضي الله سبحانه	لا لعلوٍ أو لما يستفاد
أدعو إلى الله وآياته	وسنة المختار والاقتصاد
أدعوكم يا قومُ داعي التقى	وأدعوكم نحو طريق الرشاد
أدعوكم للذب عن أنفس	أهانها الأعجام أهل الفساد
والذب عن أولادكم قبل أن	يشملهم ثوبُ الشعار والعناد
يا قومُ قوموا للجهاد الذي	يرضى به الله ويعطي المراد
فأنتم الأبطال لكنكم	لم تجمعوا عند انتشار الجلاذ
لولا تراخيكم وتسهيلكم	يا قومُ لم يفد أولي البغي فاد
فشمروا فالعز والفخر والعلياء	في ضرب السيوف الحداد
والجبن لا يدفع محتوم ما	قدَّره الله ولا الانفرد
والحرب لا يأتي بموت فكم	من رجل شاب حليف الجهاد
فأجمعوا من أمركم واعزموا	فالخزم أعلى خطية تستفاد

انتهى تحرير ذلك

شهر جمادي الأولى سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وألف.

والرسالة جاءت مشحونة بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على إجابة الدعوة للجهاد وخاصة أنها صدرت من إمام المسلمين، من القربى، آل البيت وقد أعادت تأكيد توليه للإمامة بالطريقة الشرعية وبالكيفية المشار إليها سابقاً وأوضح منهجه في سياسة الأمة وهو العمل بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومنهج السلف الصالح الطاهرين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر بالمظالم التي ارتكبتها الأتراك في اليمن. ودهكهم للرعية بما اشتطوا في فرضهم للضرائب والتعدي على الأموال بما فيها مأل اليتيم، وانتهاك الحرمات من شرب الخمر ونكح الذكور واتبان الفجور، وأتى بيتين من الشعر لأبي الطيب المتنبي:

وإنما الناس بالملوك ولا تصلح عـرب ولائها عجم
لا حسـب فيهم ولا نسب ولا عهد لهم ولا ذمم

والجديد في هذه الرسالة، أنه ذكر المسلمين بالآداب الإسلامية التي يجب أن يتحلّى بها المسلم، وحض على القيام بأداء أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

ومن اللافت للنظر أنه حين دعا الناس إلى إصلاح ما بينهم وبين خالقهم قد أشار إلى إقامة الصلاة بطهارتها وأركانها وفي أوقاتها وهذا يُنافي ما أشار إليه البعض أن الإمام يحيى كان يؤدي صلاة العصر في غير وقتها، كما نبههم إلى البعد عن السباب وأورد أحاديث في منعه باعتباره فسقاً ومن الكبائر، ولعل الإمام يحيى كان يُلْمَح إلى العادة المتبعة عند البعض بسب ولعن بعض الصحابة كمعاوية بن أبي سفيان أو خالد بن الوليد أو المغيرة بن شعبة أو غيرهم من المسلمين في عصره، وتمضي الرسالة في التذكير بضرورة النَّأي عن الأخلاق السيئة كالنميمة وقتل الأولاد خشية الإملاق، وقتل النفس التي حرم الله بغير حق والحض على القصاص ووفاء الكيل والميزان، والكف عن الخيلاء والمرح.

ويشير الإمام حمزة الناس بما ارتكبه الترك بحقهم بقوله «ماذا تنتظرون وقد صارت أموالكم للأعاجم، وصرتُم أدلة»، فسدت الذريات وانتهكت المحارم». ويعودُ لیتساءل عن القوانين التي سوّدها الأعاجم بدلَ شريعة الله وحكمه ويبلغهم أنه بصدد فتح الجهاد، وتجهيز المقادمة والأجناد وقد أخذ عليهم صيانة العباد والبلاد، بمعنى: أنه سيمنع المقادمة والأجناد من التعدي على أموال الرعية أو مصادرة أراضيهم وما يطلبه أعانة ببعض الأموال ليس إلا ثم ختم رسالته بأبيات من الشعر تبين أسباب قيامه ودعوته للجهاد، وكان من أبلغ ما قاله بهذا الصدد:

والحرب لا يأتي بموت فكم من رجل شاب حليف الجهاد

والرسالة تمتاز بالرّصانة في الألفاظ والمعاني والفكر والجزالة في العبارة والبلاغة في التعبير، وتعبّر عن عمق ثقافة كاتبها الدينية والأدبية. وأية آداب خلقية يتحلّى بها.

كان لهذه الرسالة، بما فتحتُه من باب جهاد الأتراك، صداها في زيادة عزلة الداعي الحسن بن يحيى الضحّياني، وقدّمت الإمام يحيى كقائد وزعيم لمواصلة حرب التحرير اليمينية. ثم بدأت المعارك مع الأتراك، وشعر الداعي بتخلي الأنصار من حوله. حيث انضمت جماعة من سحار إلى الأمام يحيى. وزادت شكوى تجار صعدة بما أحدثه الحسن بن يحيى القاسمي من ضرائب عليهم. سبّاها الجنداري «بالضريبة القاسمية» وساءت علاقته ببعض المشايخ وخاصة عليّ بن مسفر، وصارت صعدة مؤرقة للقاسمي، فنهياً للانتقال منها إلى قفر بني جماعة ومنبّه الشام ووادة الشام. سيّما وأنّ عساكر الإمام تتوالى على حصار صعدة، والرتبة تزداد قوة وإحكاماً. ثم كان اتصاله - أي الحسن بن يحيى القاسمي بالمكارمة من الباطنية^(١)، ووقوع معارك بين أهل ساقين والحسن بن

(١) الدرّة المنتقاة، ١٤٦، هذا ما أورده القاضي أحمد بن عبدالله الجنداري في الدرّة المنتقاة ١٤٦، واتفق معه القاضي عبدالكريم بن أحمد بن مطهر في كتيبة الحكمة، والله أعلم!

يحيى القاسمي بسبب المكارمة، ولَفَّتِ المنطقة معاركُ أخرى في بلادِ خولانِ الشام بينَ أهلٍ ساقين ومعهـم جماعةٌ من الكـربِ وبينَ الحسنِ ابنِ يحيى القاسمي وعدلان وخولان. ونجحت عيـونُ الإمام يحيى من التحقُّقِ منْ شروطِ الائتلافِ بين الحسن بن يحيى القاسمي والباطنية بأن يكونوا ضدَّ قـواتِ الإمام يحيى^(١).

ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ القـواتِ التـركيةَ نجحت في الوصولِ سنةَ ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م إلى بلاد حاشد، ولم يكن ليتسنى لها ذلك لولا حالةُ الحربِ والفوضى التي تلفُّ البلادَ، وهنا سارَ جماعةٌ من سحارٍ إلى سيفِ الإسلام محمد بن الهادي يطلبون إليه عقدَ الصلح بينه وبين حسن القاسمي، فوافق، وكان اقتراحه أن يصلوا بكتابٍ إلى الحسن بن يحيى القاسمي، ويخفون عنه علم سيفِ الإسلام محمد بن الهادي ومضمونه^(٢):

«إنا نظرنا في المتعارضين، فعزّمنا على اختيار عالـمين من القبلة، أحدهما السيد العلامة أحمد بن إبراهيم الهاشمي والآخر السيد العلامة حسين بن علي الحوثي، وعالـمين من علماء صنعاء، أحدهما: القاضي، علي بن علي اليماني ورجل آخر، ويجمعون في أيّ موضع، ومن صحّحوا إمامته صحّ ومن أبطلوها بطل» فعزّموا بذلك الكتاب ووصلوا إلى الحسن بن يحيى القاسمي، فأخبروه خبرَ التّرك وقالوا: قد كتبنا هذا ورضينا به، فنظره وكتب عليه: «رضيتُ إن رضيتُ المتوكّل، فأخذوه منه وساروا إلى سيفِ الإسلام محمد بن الهادي، فأرسل به إلى الإمام، إلى القفلة، فلما قرأه، كتب عليه:

«ما كنّا نبغي (أي هذا ما كنّا نريده)، فأعزّموا عليه وتمّموا لنا أو علينا». وأعادَه إلى سيفِ الإسلام محمد بن الهادي، حيث وصلوا به إلى الحسن بن يحيى

(١) هذا ما ورد عند صاحب المخطوط، حيث كان المعارض قد منحهم الأمان، ولكنهم اعتدوا فوقعت المعركة التي أشار إليها المؤلف، والله أعلم؟

(٢) الدرّة المتقاة، ١٤٦.

القاسمي ولما نظره نقض ما أبرم وخاطبهم: «لا أرضى بتحكيم أحدٍ». والتحليل لهذه الرواية يفيد بأن الإمام يحيى وسيف الإسلام محمد بن الهادي كانا على قناعة بعدم مضي الحسن بن يحيى القاسمي في قبول التحكيم وإنما هدفاً إلى أمرين:

أحدهما: إبلاغ الحجة على الداعي باعتباره الطرف الذي رفض التحكيم بعد الموافقة عليه، وبذا يخسر المزيد من التأييد والأتباع وخاصة من قبيلة سحار، عضده الرئيسي.

ثانيهما: إعلام العامة بأن الداعي لا يلتفت إلى مراعاة الصلاح ورعاية مصالح العباد، وحوّل هذا الأمر نرى أن الإمام يحيى بدأ يميل إلى إمكانية ذهاب الداعي لما هو أكثر من الاتفاق مع المكارمة الباطنية^(١)، والذي أفشله الإمام يحيى بتوجيه ضرباته إليهم، حيث يمكن أن يلجأ إلى الأتراك لمعاونته، لا سيما وقد نُقل عن الحسن بن يحيى القاسمي أنه كان ينشر بين الناس، «أن العجم إذا وصلوا لا يقفون في البلاد، وإنما يخرجون إلى حصون الإمام يحيى كالسنارة والصمغ وغيرها يخرّبونها ويعودون».

وكان لرفض الحسن بن يحيى القاسمي لهذه الوساطة أثره. فقد شاع أن القاسمي قد اتفق مع الأتراك، وهو الذي شجعهم على الوصول إلى بلاد حاشد، مما أدى إلى تخلي العديد عن مناصرتهم والانضمام للإمام يحيى، الذي يتولّى عملياً مقاتلة الأتراك، الأمر الذي جعل الإمام يحيى يقرّر أنه لا بد من القضاء على حركة الحسن بن يحيى القاسمي، وبدأ بتجهيز الحشود من أرحب وذي محمد وبكيل وحاشد، لأجل دخول بلاد القبلة وإصلاح تلك الحركات. وأسندت قيادة الإمدادات لأحمد بن إسماعيل حميد الدين وعبدالله بن محمد الضمين وهما من القيادات المجربة في المعارك، ذوي حنكة ودربة في خوض

(١) حسب رواية الجنداري السابقة، والله أعلم!

الحروب، إضافةً إلى القوّات المرتبة أصلاً بقيادة سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي ومحمد بن يحيى بن عامر وفي نفس الوقت أرسل بالعلامة محمد بن منصور^(١) إلى الحسن بن يحيى القاسمي، ليشرح عليه أحد الخيارات الثلاثة التالية:

- ١ - ردّ الأمر إلى العلماء واتباع ما يقولون.
 - ٢ - ترك الشقاق وأبقاؤه على الولاية إن كانت هي المقصودة.
 - ٣ - أو المعاونة بشطرنج من غلات تلك البلاد لمساعدة الإمام يحيى في الجهاد.
- فلم يقبل الحسن بن يحيى القاسميّ بوحدةٍ منها، ونحن نرى أنّ الإمام يحيى لم يكن هدفه إلاّ التحقق من اتفاق القاسميّ مع الأتراك، فما كان ليرضي الأتراك حتى بمساعدة حليفهم بشيءٍ من المؤن والأموال لعدوهم الإمام يحيى، وتآزّم الموقف بين محمد بن منصور والحسن بن يحيى. ومع ذلك فإنّ الناس أشاروا بمراجعة الحسن بن يحيى للمرة الأخيرة فإذا انقاد إلى الحقّ، وسلك في منهج الصدق وقّع الائتلاف والاجتماع وإلاّ فلا جدوى من الاجتماع والتشاور، فلا بدّ من استئصال شأفته، وكان سوق العساكر والأجناد عليه وتمت المفاوضة بين الداعي الحسن والوفد المكوّن من، السيد أحمد بن قاسم حميد الدين وأحمد بن إبراهيم الهاشمي والسيد أحمد العجري وإبراهيم بن عبد الله الغالبي وانتهوا إلى أنّ الحسن بن يحيى القاسمي يقبل بتحكيم عشرة من العلماء.
- ثلاثة من أصحابه
 - ثلاثة من أصحاب المتوكل على الله.
 - وأربعة متوسطين لا يكون بينهم شرف الدين حسين الحوئي.

(١) انظر الوثيقة هي رسالة من الامام يحيى بن محمد حميد الدين إلى العلامة محمد بن منصور المؤيدي.

وسلّم الإمام يحيى ابنه رهينة ولم يسلم الحسن بن يحيى رهيته، فخرج الإمام يحيى يوم ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٥ هـ ومعه جمعٌ من علماء حوث وذمار والصّفيّين وصنعاء وخبان، فوصلوا إلى الصفراء ثم انتقلوا منها إلى المهاذر ثم إلى رحيان، وانتظروا وصول الحسن بن يحيى القاسمي ولم يصل «وتناقلت المصادر السبب في عدم وصوله إلى أن الحسن بن يحيى القاسمي كان قد أوحى إليه بعضهم بأن المتوكل على الله ما جاء إلا ليأخذك أنت ومن معك بالحيلة، وأنه قد أخرج لك صندوقاً وقيداً يدخلك فيه. ويحملك إلى شهارة».

وقبل فحص الروايات المتصلة بمحاولة الإصلاح الأخير، لا بدّ من الإشارة إلى أن الحسن بن يحيى القاسمي لم يكن واثقاً من قدرة الإمام المتوكل على الله في النفاذ إلى الجهات الصعدية، فالقوات التركية تترصّده وتغلّق وتراقب الطرق والمنافذ وكان هذا من رأي وزير الحسن بن يحيى القاسمي المدعو: حسن بن حسين عدلان، وأما الإمام يحيى فقد ثبت لديه بالأدلة القاطعة أن الحسن بن يحيى القاسمي أصبح رهين الأتراك، فلا يصدر إلا عن ما يشيرون به عليه، وما يعملون سوى الحيلة، والخداع للإيقاع بالإمام يحيى بن محمد حميد الدين.

وكان من النتائج التي أسفرت عنها هذه المحاولة أن «تمّ اجماع من حضر من العلماء بصحة إمامة الإمام يحيى وعدم التعويل على دعوة الحسن بن يحيى القاسمي» وبايع العلماء الإمام يحيى، وكان من بينهم:

العلامة أحمد بن إبراهيم الهاشمي. أما دعوى الصندوق والقيد فلا أراها إلاّ خدعة مدبرة من الأتراك، شارك فيها حسن بن حسين عدلان ومحمد بن شايم والشاذلي من أعوان الحسن بن يحيى القاسمي، وما يجعلني أرجح هذا الرأي تلك الوثيقة البريطانية التي عثرتُ عليها في سجلات ووثائق اليمن، في الجزء الخامس ص ٤٨٦، وهي رسالة بعث بها الملحق العسكري البريطاني في سفارة بريطانيا بالقسطنطينية. (الكولونيل (H. Conyers Surtees) بواسطة

السفير N. O'Connor إلى وزير خارجية بريطانيا The Marquees Of Lands-downe^(١) (نبيل لانزاداون).

ونظراً لأهمية هذه الوثيقة فإنني اثبتها مترجمة إلى العربية، وأضمن صورته الأصلية.

Colonel Surtees to Sir N. O'Connor.

من الكولونيل سورتيس إلى السير ن. اوكنور^(٢)

رقم ٣٦ القسطنطينية ١ يوليو ١٩٠٦

يشرفني، وسيكون حسناً، لو أنه يتم إلى علم السلطات العسكرية المعلومات الملحقّة التالية حول الأوضاع العسكريّة والسياسيّة في اليمن.

بموت الإمام محمد الدين (حميد الدين)، المنتسب إلى العائلة الزيدية سنة ١٩٠٤، ظهر على المسرح مرشحان للإمامة، وهما: يحيى حميد الدين ابن الإمام المذكور أعلاه والسيد محمد الهاشم الضحّياني (محمد الهاشمي الضحّياني)، وهو في الستين من عمره، قدير، متعلّم، مثقّف ورئيس قبيلة الضحّيّان التي تتمركز في منطقة صعدة. لقد اختار زعماء القبائل اليمنية الإمام يحيى الذي أضاف لاسمه بعد وفاة والده، لقب حميد الدين (ولكنه معروف لدى الأتراك باسم يحيى محمد) وقد قام بحروب ضدّ محمد الهاشم الضحّياني، وغزاه وأجبره على التنازل عن ادّعاءه الحقّ في جمع الضرائب من القبائل المجاورة. وعندما استعاد القائد فيضي باشا صنعاء في سبتمبر الماضي عاد السيد محمد الضحّياني للثورة ضدّ الإمام على أمل أن يكافئه الأتراك بدعمه لتوليّ إمارة اليمن، وقد وقعت عدّة اشتباكات بين أنصار الإمام وأنصار محمد الضحّياني وكانت نتائجها لصالح الأخير، وتخلّل في كثير من الأحيان بعض أعمال العنف ضدّ

(١) كان اسمه الحقيقي Henry Charles Keith Petty Fitmaurice.

(٢) الشكر موفوراً للاستاذ الدكتور وليد عبدالحى لمشاركته الفعالة في ترجمة الوثائق، وهو الصديق القريب.

الأتراك من قبل الطرفين من قبل الضَّحْيَانِي والأتراك ضدَّ الإمام ويبدو أنَّ الإمام يحيى كتب رسالةً مطوّلةً للضَّحْيَانِي يعرضُ عليه الحضورَ لطرفه والقبولَ بشروطه، ليعملَ مع الإمام ضدَّ الأتراك، عدوهم الطبيعي. إلا أنَّ إمامَ صعدة الضَّحْيَانِي رفضَ العرضَ، حيثُ رفضَ الاعترافَ لنفسه بالإمامة، مبيناً أنَّ الإمامة ليست وراثيةً، وإنما توجَّبُ لواحدٍ من الزيدية تجاوزَ الأربعين من عمره، وهو شرطٌ لم يستوفه يحيى، وليس شرطاً أن يكون الإمام أكثرَ علماً بمبادئ الإسلام، بل الأكثرُ أهليةً في الحروب، وإلى جانب ذلك فقد تحدَّى الضَّحْيَانِي منافسه بدعوته لمناظرة دينية، وتعهدَ بالاعترافِ بإمامة يحيى إذا حُكِمَ بأنَّ يحيى قد تفوَّقَ عليه في المناظرة. ولما لم يقبل يحيى بهذه المقترحاتِ نحا الضَّحْيَانِي مسلكاً توفيقياً تجاهَ الحكومة التركية، وطلبَ منها مساعداتٍ محدودةٍ وبعضَ الذخائرِ وأعداءَ بأنه سيقا تلَّ ضدَّ يحيى، إذا ما توفَّرَ له ذلك. وقد قدَّم هذا الطلب إلى القسطنطينية ليتخذَ السلطانُ قراره بشأنه، لكنَّ هذا الأمرَ لم يجد هوىً عند السلطان، حيثُ أنَّ الاتفاقَ مع يحيى بدا بعيدَ المنال. ليس بسببِ موقفه المتشددِ فحسب، وإنما بسببِ الموقفِ الصارمِ للزيدية، والذين لا يعترفون بالسلطانِ أميراً للمؤمنين. مدَّعين أنَّ مثلَ هذا اللقب إنما هو مقتصرٌ على الزيدية من العرب الذين ينحدرون من سلالَةِ النبيِّ والسلطانِ تركيٍّ وليس عربياً.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ التوصلَ إلى اتفاقٍ مع الضَّحْيَانِي لا يبدو مشكلةً صعبةً فالضَّحْيَانِي لا يتطلَّعُ إلى خلافة المسلمين كما هو حال يحيى.

ويبدو أنَّ ردَّ السلطانِ القائم على دبلوماسيةٍ عدم الثقة بأحد. والذي وصل منذ حوالي شهر إلى اليمن، نصَّحَ بالاستجابة لتقديم المساعدات المحدودة التي طلبها الضَّحْيَانِي، أما طلبه للأسلحة فلم يكن بالإمكان تقديم أيِّ تنازلٍ بشأنه، لأنَّه إذا تحقَّق النصرُ للضَّحْيَانِي على يحيى، فليس ثمة ضمانٌ ألاَّ يظهر الضَّحْيَانِي كزعيم للقوات العسكرية الزيدية.

وفي خلال ذلك تسود - البلاد - الآن بكاملها، حالة من الفوضى، وعرب مناطق الهضاب والذين يعملون في الزراعة قد تخلوا عن حصاد غلالهم بسبب حالة الفوضى وهم ساكنون الآن، إلا أن الصراع سيستأنف قريباً.

أما الوضع العسكري فلا بارقة تدل على تحسنه، فما زال فيضي باشا في صنعاء، والقوات العاملة ليست لديها الامكانيات للقيام بأية عمليات عسكرية، كما أن الأحوال النظامية في هذه القوات تتدهور وتتزايد أعمال انتهاك الحرمات.

وفي منتصف الشهر الماضي تركت بعض قطاعات الرديف الموجودة في عمران مراكزها واتجهت نحو صنعاء، وادّعوا أنهم طردوا، كما حدث مع رفاقهم الذين سبقوهم إلى صنعاء. وقد قام فيضي باشا باستعراض هؤلاء الرجال وخطب فيهم، وطلب إليهم العودة لأداء واجبهم، إلا أن الكثيرين منهم رفضوا الإصغاء إليه، وقاموا بالانتشار في أرجاء المدينة، وبعد ذلك بقليل تسلّم الباشا معلومات تفيد بأن المجندين سيقومون باقتحام إحدى بوابات مدينة صنعاء ليلاً والسير بعد ذلك إلى الحديدة، ليحصلوا هناك على باخرة يُبحرون بها من اليمن. فقام القائد فيضي باشا بترتيب قوات يعتمد عليها مزودة بالمدفعية قرب البوابة، وعندما اقترب طابور العساكر الهاربين فتحت عليهم النيران، فقتل العديد منهم وأسر الباقون، حيث وُزِعوا على الكتائب الموالية. والقليل منهم تمكن من الفرار وقد يكون بعضهم انضم إلى الإمام يحيى.

وعلى ما يبدو فإن الباب العالي قد قرّر السحب التدريجي لجميع كتائب الرديف المتبقية في اليمن وإرسال مجندين جدد كإمداد وتعزيز، والعدد المطلوب ١٧ ألفاً.

وتقول المعلومات الواردة من أزمير، أن هذه الإمدادات ستوفّر من المجندين لهذا العام، وسيختار الأكثر غلظة من بينهم، وسيُرسلون إلى اليمن، وإن ثلثي

الذين سيتقدّمون للتجنيد في إزمير قد نُذروا لليمن.

خادمك الكولونيل H. Conyers Surtees الملحق العسكري

وكما يظهر من الوثيقة فإنَّ الملحق العسكريَّ البريطانيَّ في القسطنطينية وقعَ في وهم ضبطِ الأسماء، إما لأنَّ مصدرَه الاخباريَّ لم يكن دقيقاً، أو لعجمته وقد فاتَهُ ضبطُها ولكنَّ مجملَ وقائع الأخبار الواردة في الوثيقة وتاريخها تنطبق على الحسن بن يحيى القاسمي الضحّياني فهو سيّدٌ من أبناء عمومة الأمام يحيى وهو الداعي.

وفيما يتعلّق بالعُمُر عند توليه الإمامة، فلا من شرطٍ يقتضي بلوغ الأربعين فالهادي إلى الحقِّ، كان إماماً وعمره خمسٌ وثلاثون سنة، والمهدي لدين الله أحمدُ ابنُ الحسين كانت إمامته وعمره ثلاثون سنة. والمؤيّد بالله يحيى بنُ حمزة دعا لإمامته ولم يتجاوز الواحدَ والثلاثين سنة.

ومن حيث التعاونُ مع الأتراك، فالوثيقة واضحةٌ في هذه المسألة.

Colonel Surtees to Sir N. O'Connor.

(No. 36.)

Constantinople, July 1, 1906.

Sir,

I HAVE the honour to request that you will be so good as to forward, for the information of the military authorities, the following résumé of the actual military and political condition of affairs in the Yaman:

At the death of the Imam, Mohammed-el-Din, of the family of the Zeiditi, in 1904, two candidates for the Imamship appeared on the scene, viz., Yahya Hamid-el-Din, the son of the above-mentioned Imam, and Saïd Mohammed-el-Haschim-el-Dajani, the latter being a man of some 60 years of age, capable, educated, and Chief of the tribe of Dajan, which is located in the Sa'nda country.

The chief tribes of the Yaman, however, chose as Imam Yahya, who on the death of his father assumed the additional name of Hamid-el-Din (but is known by the Turks as Mohammed Yahya), and marched against Saïd Mohammed-el-Haschim-el-Dajani, conquered him, and compelled him to relinquish his claim to collect taxes from neighbouring tribes.

When Marshal Feizi Pasha in last September retook Sana'a, Mohammed-el-Dajani rebelled against the Imam, hoping that the Turks would reward him by nominating him Imam of the Yaman.

Several fights took place between the partisans of the Imam and of Mohammed-el-Dajani, finally resulting in the advantage of the latter. These hostilities were frequently interrupted by intrigues conducted by both parties against the Turks, and also by intrigues between the Turks and El Dajani against the Imam.

It seems that Yahya wrote a long letter to El Dajani exhorting him to come to terms and to operate jointly with him against the Turk, their natural enemy; but the Imam of Sa'nda (El Dajani) rejected the offer, refusing to admit a rival in the Imamship, arguing that it was not hereditary, but should be held by a member of the Zeiditi who was over 40 years of age (a condition unfulfilled by Yahya), and that the Imam should not only be the most learned in the doctrines of Islam, but also the most valiant in war. Moreover, El Dajani challenged his rival to a theological dispute, undertaking to recognize Yahya's authority should it be decided that the latter had vanquished him.

Yahya did not accept these proposals. El Dajani then developed a conciliatory attitude towards the Turkish Government, and applied for a small pecuniary subsidy and some munitions of war, promising if such were granted to fight against Yahya. This offer was submitted to Constantinople for the decision of the Sultan, by whom it was not unfavourably received, since a *modus vivendi* with Yahya appeared impossible, not only because of his unconciliatory demeanour, but because of the unbending attitude of the Zeiditis, who do not recognize in the Sultan the Commander of the Faithful, alleging that this title is vested in the Zaid Arabs, who are descended from the Prophet, whereas the Sultan is a Turk and not an Arab. On the other hand, to arrive at an arrangement with El Dajani did not appear to present insuperable difficulties, since the latter did not aspire as Yahya did to the Caliphate.

It seems that the Sultan's reply—characteristic of the usual yielding diplomacy, which trusts no one—was received about a month since by the Yaman authorities, and was to the effect that the pecuniary subsidy could be granted if the Yaman authorities considered it advisable, but that the request for arms could not be acceded to, as, if El Dajani should be victorious against Yahya, there was no guarantee that he would not appear at the head of the Zeiditi in arms against the Imperial troops.

Meanwhile, the whole country continues to be in a state of anarchy. The highland Arabs are at present occupied in agricultural pursuits (the harvest is reported to be abundant) and are tranquil, but the struggle will shortly recommence.

The military situation shows no sign of improvement. Feizi Pasha is still at Sana'a, but with the scant forces available is unable to undertake any expedition, whilst discipline deteriorates and mutinous acts are prevalent.

About the middle of last month some Redif companies of the garrison of Iman left their post and marched to Sana'a, where they clamorously urged their claim to be discharged as some of their comrades at Sana'a had been.

Feizi Pasha caused them to be paraded and addressed them, requiring them to return to their duty, but many refused to listen to him, and spread themselves over

صورة الوثيقة المرسلة من القسطنطينية بشأن الداعي المعارض

G

to force one of the town gates of Sana'a by night and to march out thence to Hodaida; where they hoped to obtain possession of a ship and set sail from the Yemen:

The Marshal thereupon concentrated some reliable troops with artillery near the gate, and when the column of mutineers approached, opened fire. Many were killed, the remainder being made prisoners, and eventually distributed amongst the loyal battalions; only a very few contrived to escape, and these have probably joined Yahya.

It would seem that the Porte has decided to gradually withdraw from the Yemen all the remaining Redif battalions, and to send only recruits as reinforcements; 17,000 are required.

Information received from Smyrna states that these are to be supplied from this year's levy, from which only the most robust are chosen, and a proportion of two-thirds of those presenting themselves at Smyrna are destined for the Yemen.

I have, &c.

(Signed)

H. CONYERS SURTEES, Colonel,
Military Attaché.

المبحث الثالث: القضاء على حركة الحسن بن يحيى الصّحْباني

يلاحظُ أنَّ الإمامَ يحيى قد نجح عملياً في محاصرة حركة الحسن بن يحيى القاسمي في منطقة جغرافية محدودة، وتزايد انفضاض الأتباع والأنصار من حوله بعد سيطرة قوات الإمام يحيى على القصبية وساقين ومضت سنة ١٣٢٦ هـ في إحكام الحصار على الداعي الحسن بن يحيى، وحرّرت الرسائل في جمادي الآخرة من سنة ١٣٢٦ هـ من مقام الإمام بالقفلة بشأن الداعي حسن بن يحيى ووزيره حسن بن حسين عدلان وأتباعه حتى إذا كان رجب سنة ١٣٢٨ هـ. كان استيلاء أصحاب الإمام يحيى على هجرة فلله والمزار والعينا وبنى جماعة وغيرها، من المحلات والحصون، وأسرَ وزيره حسن بن حسين عدلان والشايم والشاذلي، وكاد أن يُقبض على الداعي الحسن وهو محاصر في حصن أم ليلي، ولكن سيف الإسلام محمد بن المهدي المعروف بأبي نيب، قائد الإمام يحيى، أرخى قبضته في الحصار، وترك له مخرجاً لينجو بنفسه، فذهب إلى هجرة الحرجة واستقر بوادي قراضة، ونقل محمد بن المهدي الأسرى إلى شهارة حيث أودعوا الحبس، واستقر الأمر للإمام يحيى، خطب خطيبُ المقام بقفلة، حسين بن أحمد العرشي، يوم الجمعة تاسع رجب: «عباد الله جاء إليكم النعم تجر أذيالها، ويتقاذف إليكم نوالها، أراكم الله مصداق قوله ونصره، وأركس عدواً لكم كان قد شد أزره وقوى ظهره ابتغاء الفتنة والدينا.. الخ^(١) وبعد سنوات استأذن أحد أولاد الحسن بن يحيى، الإمام يحيى في السماح لوالده بالعودة إلى باقم، فرجع هو وأولاده وعاش هناك ينشر العلم تدريساً وتصنيفاً حتى توفي في ٥ جمادي الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.

ورثاه الإمام يحيى بقصيدة قال من أبيات فيها:

(١) نزهة الخاطر ٢٤٤.

خَطْبٌ أَثَارَ تَأْسُفِي وَتَعْلُمِي فالنومُ منه على الجفونِ بِمَعْرِزِلِ
وَعَرَابٌ بَيْنَ مَفْزَعٍ لِأُولَى النَّهْيِ بالنَّعْيِ لِلْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى الْأَفْضَلِ

فهل أيقن الأتراك بأنَّ الإمامَ يحيى هو القوةُ الوحيدةُ والمهمَّةُ في الميدانِ، أم
أنَّ التخلّي عن مساعدةِ الحسنِ بنِ يحيى القاسمي الضَّخِيَّاني كانَ جزءاً من
مقدماتِ صلحِ دَعَّان سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م؟ سؤال ما زالَ يبحثُ عن
جوابٍ.

الباب الثالث

بناء الدولة الحديثة

- الفصل الأول: اليمن ونتائج الحرب الكونية الأولى
- المبحث الأول: إخلاء القوات العثمانية من اليمن
- المبحث الثاني: صنعاء، حاضرة الدولة الحديثة
- المبحث الثالث : مطلب الاستقرار والأمن والبناء

الفصل الأول

اليمن ونتائج الحرب الكونية الأولى:

كتب أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب «إنَّ اليمنَ لم تتأثر، لا في أثناء الحرب، ولا بعدها من غلاء حاجات المعيشة، لأنَّ أرضهم، - ولا تُزرع كلها- تطعمهم، وأنوالهم تكسيهم، فلا يحتاجون غير القطن وبعض الأصباغ من الخارج.

ثم أثبت الريحاني قائمة بالأسعار:

لحم الضأن	الرطل	٤ غروش
لحم البقر	الرطل	١٠ غروش
السمن	ثمن الرطل	٣٥ قرشاً
القمح	ثمن القدح	٦٠ قرشاً
البطاطس	ثمن القدح	٢٠ قرشاً ^(١)
أجرة البيت		٤ ريالات أو ثلاثة ريالات أو ريالان
		حسب نظافته وهيئته.

ولما كان التأثير لا يقتصر على حاجات المعيشة وحدها، وإنما يمتدُّ إلى الوطن وتقرير المصير، ورغم عدم مشاركة اليمن اشتراكاً رسمياً في الحرب

(١) انظر ملوك العرب، ١/١٢٥، القدح يساوي كيلو وثلاثة أرباع، والريال النمساوي يقسم مثل المجيدي إلى ٢٠ قرشاً = ١٠ غروش.

الكونية الأولى، فإنها تأثرت بذلك أيما تأثير، فالأجزاء الشمالية منها تحت السيطرة التركية، والجزء الجنوبي تحت السيطرة البريطانية والسلطنة العثمانية والأمبراطورية البريطانية في صراع محتدم، والسواحل والجزر اليمنية أهداف مقصورة للاعتداءات وضائق الأحوال الاقتصادية في مرحلة من احتدام الصراع عندما حوصرت موانئ اليمن إبان الحصار البحري، وزادت الحالة الاقتصادية تردياً باحتلال القوات البريطانية لميناء الحديدة، الذي يعتبر الميناء الطبيعي لصنعاء، لقد أصاب اليمن نتيجة الحرب «شرارة» كما يصفه ذلك مؤرخنا عبد الكريم بن أحمد بن مطهر^(١) ولقد لفت نظرنا ملاحظتان وردتا عند المهتمين بتاريخ الفترة:

الأولى: وردت عند هارولد جي كوب، فأورد في أخبار يوليو ١٩١٤ م، أن الإمام يحيى أحسّ بدخول تركيا الحرب قبل حدوثه، فهو الذي حذّر المسلمين في ذاك الشهر من مغبة ذلك، ونصح المسلمين بمقاومة الهجوم القادم على العالم الإسلامي، وبصدّ كل غزو مرتقب^(٢).

الثانية: وردت عند مؤرخنا عبد الكريم بن أحمد بن مطهر ويحيى الحداد في كتابه عمدة القارئ وغيرهما من المؤرخين، بأنّ الأنكليز بذلوا غاية مجهودهم في استمالة الإمام إلى نقض ما بينه وبين حكومة الأتراك، ويرى المؤرخون سبب عدم نقضه إذ «أبت نفسه الكريمة وحيثه الدينية والنفثة الهاشمية إلا الوفاء بالعهود والاستمرار على السعي المحمود»^(٣).

وإذا ما استقرّ عندنا بأنّ الإمام يحيى كان من نوع الرجال الذين ينطبق على الواحد منهم «وصف رجل دولة». فلا نعتقد أنّ الالتزام الأخلاقي وحده هو

(١) انظر، كتيبة الحكمة، ١١.

(٢) ملوك العرب، ٢٠٣.

(٣) عمدة القارئ، ١٠، كتيبة الحكمة، ١٤.

السبب، فقد حارب الأتراك حتى عقد صلح دَعَان سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، وعداؤه للانجليز دائم الحضور منذ احتلال الانجليز لعدن سنة ١٨٣٩م. فإذا ما أضيفَ إلى ذلك ميلُ ميزانِ القوى لصالح الحلفاء، فإنَّ البحثَ في مسألة اليمن تبدو ملحّة عند الإمام يحيى في هذا الوقت.

وبالعودة إلى الوثائق العثمانية والبريطانية فقد عثرنا على الوثائق التالية:

في ١٩ شوال سنة ١٣٢٩هـ / ١٢ تشرين الأول ١٩١١م، أرسل الإمام يحيى البرقية التالية إلى السلطان العثماني محمد رشاد:

بسم الله الرحمن الرحيم

«بلغني أنّ بعض الأجانب يتجاوزون على طرابلس الغرب والحديدة، فأنا على أهبة الإقدام بمائة ألف فدائي مبارز، حتى يمنّ الله بإعلاء كلمة الله.

المتوكل على الله

إمام اليمن

يحيى^(١).

والأجانب الذين يقصدهم الإمام في برقيته هم: الإيطاليون والانجليز.

وليس من باب المصادفة قرنُ الحديدة بطرابلس الغرب، فلعلَّ الإمام كان يرغبُ إلى لفتِ انتباهِ السلطنة العثمانية إلى العدوانِ الواقعِ على الحديدة علاوةً على طرابلس الغرب.

وقد ردَّ السلطانُ محمد رشاد على برقية الإمام يحيى بتاريخ ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٢٩هـ / ١٠ تشرين الثاني ١٩١١م ببرقية جوابية جاء فيها:

(١) انظر صحيفة الحضارة، العدد ٧٩، ١٩ شوال ١٣٢٩ / ١٢ تشرين الأول ١٩١١.

بسم الله الرحمن الرحيم

«إن ما أبدىتموه في برقيتكم من الهمة والإقدام، قد أيدَّ خالص ثقتي بكم. دولتنا متشبثةٌ بأسباب دفع الغوائل، وأبين لكم أفي سُرتُ من نواياكم التي تستحقُّ الذكر، ومن الله التوفيق»^(١).

كما تلقى الإمام يحيى برقيةً أخرى من الصدر الأعظم سعيد باشا جاء فيها:
إلى حضرة الإمام يحيى باليمن.

تلغراف سيادتكم الوارد قد تُليَّ بمجلس النظار، وما أظهرته من الحمية الممتازة وغيرتكم الدينية قد استوجبا كمال السرور، ونعلمكم بأن الدولة العلية -بغناية الباري تعالى- قد اتخذت الأسباب اللازمة لدفع الغائلة. أما احساساتكم العلية، فقد أيدت ما هو معهود منكم في الإخلاص، وبهذه الوسيلة بادرنّا لبيان الشكر والمنة.

الصدر الأعظم

سعيد^(٢)

ويُستشفُّ من الوثائق البريطانية والعثمانية أنَّ الإمام يحيى قد مدَّ الأتراك العثمانيين بالأموال والمؤن وخاصةً بعد إحكام الحصار البحري على الموانئ الخاضعة للسيطرة العثمانية، كما أنه تغاضى عن المتطوعين اليمنيين الذين تجنّدوا للقتال مع العثمانيين، بل وشجّع المجندين اليمنيين على القتال مع العساكر العثمانية في حملتها على لحج، وتمكّن من السيطرة على قواته وأبقاها في حالة سكون تام فترة الحرب، فلم تقمّ لا قواته ولا القبائل بأية هجمات ضدّ القطاعات التركية الموجودة على قرب من المناطق التي يسيطر عليها الإمام

(١) انظر صحيفة الحضارة، العدد ٨٣، ص ١٠.

(٢) انظر المصدر السابق ونفس الصفحة.

بموجب صلح دَعَّان. وبالرغم من ذلك فقد كشفت الوثائق البريطانية،
الرسائل المتبادلة بين الإمام يحيى والدولة البريطانية منذ ٢٣ يوليو ١٩١٧
وحتى توقيع هدنة موندروس في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩١٨. والتي حاول من
خلالها استكشاف النوايا البريطانية تجاه اليمن، بعد أن أوجس خيفة مما يُدَبَّرُ
لليمن، مقارنة بما أوقعه البريطانيون بصورة خاصة بالبلاد العربية، وما
يخططه الفرنجة للبلاد العربية والعالم الإسلامي بصورة عامة. فلم يتورغ
جيكوب، المعاون الأول للمعتمد البريطاني في عدن أن يعلن «اشكر الله على
أنه جعل مستقبل الأمة العربية وديعة في الأيدي البريطانية»^(١).

خلال هذه الفترة تبودلت الرسائل التالية^(٢).

- رسالة مع مبعوث الإمام، وهو شيخ بني سَحَام من خَوْلان الطيال، والرسالة
مرسلة إلى المندوب السامي، بالقاهرة بما عرضه مبعوث الإمام، وتاريخها ٢٠
يوليو ١٩١٧ م. وكان تاريخ رسالة الإمام مع شيخ بني سحام ١٨ يوليو
١٩١٧ م.
- رسالة من النائب، للشئون الخارجية، مُرَّجعة إلى عدن تاريخها ٢٣ يوليو
١٩١٧ م.
- رسالة من المقيم السياسي في عدن، الميجر ستewart J.M. G.B.
إلى الإمام يحيى وتاريخها ٢٠ أكتوبر ١٩١٧ م.
- رسالة أخرى من المقيم السياسي في عدن إلى الإمام يحيى تاريخها ٢٠ مارس
١٩١٨ م.
- رسالة بعث بها آرثر جيمس بلفور وزير الخارجية من مقيمة (حامية) رملة

(١) ملوك العرب، ٣١٧.

(2) Records of yemen. (1914-1923). Vol. 6. PP. 269-293.

الاسكندرية فيها التوصيات البريطانية واقتراحات السير ريجالندوينجت
ورسالة مترجمة من الإمام يحيى إلى السير ريجالندوينجت، وتعليمات الإمام
لمبعوثه عبد الواحد بن أحمد الخولاني تاريخها ٢٨ حزيران سنة ١٩١٨ م، ثم
ملاحظة مهمة من اللفتانت كولونيل، هارولد. ف. جيكون حول إمكانية
الاتفاق مع الإمام يحيى.

نص الرسالة:

من مقيمة عدن

٢٠ يوليو ١٩١٧

(مكررة إلى المندوب السامي في الخارج، القاهرة)

(وصلت إلى مكتب الهند، الساعة ١١ مساءً)

A.P... ٤٠٩

وصل مبعوث الإمام، وهو شيخ بني سحام، بطن من قبيلة خولان الطيال
إن الإمام على استعداد لعقد اتفاق معنا بشروط ثلاثة رئيسية هي:

أولاً: أن الإمام يجب أن يأخذ جميع اليمن من نقطة حایل (Hali) جنوباً باستثناء
عدن فقط، ولكن تشمل عسير وحضرموت، وأن تُعاد له جميع الموانئ
البحرية والتي هي من ممتلكات أسلافه.

ثانياً: أنه يجب طرد الإدريسي من الجزيرة العربية.

ثالثاً: ألا تقوم الحكومة البريطانية بأي نوع من الاتصال مع الشعب اليمني،
إلا من خلاله وبمعرفة.

ويدعي مبعوث الإمام، أن الإمام بمقدوره جعل كل اليمنيين ينضون
تحت لوائه بما فيها قبائل حاشد وبكيل وكافة القبائل الأخرى المرتبطة به.

وهناك شروطٌ أخرى بسيطة. وهي:

وضع الأسرى الأتراك تحت تصرفه، وأن تقوم الحكومة البريطانية بتقديم المساعدات المالية الكافية، وتزويده بالأسلحة السريعة الطلقات والذخائر فوراً إضافةً إلى بعض الخبراء.

إن سلطان العبدلي يعتقد بأن الإمام يسعى حالياً لخدمة مصالحه واختبار نوايانا المستقبلية، ولاستكشاف المدى الذي يمكن أن نسير فيه. هذا مع العلم بأن الإمام يداخله الشك في إقدامنا على الوفاء بذلك، ولذا فإن سلطان العبدلي ينصح بتمويل الإمام لكي يقبل بشروطنا، فالإمام يشكل العامل الأكثر أهمية في المنطقة.

وفي رأيي، فإن شروط الإمام يتعذر الوفاء بها، كما أنها لا توفر أدنى الشروط والأساس للقبول بها، ونرى بأن قبضة الإمام على اليمن قد غدت ضعيفة وأنه يسعى لعرقلة كافة الإجراءات من جانبنا. واقتُرِح إرسال ردٍّ له نعلمه بدرائتنا بشروطه، وبتوفير الرغبة لدينا للتعاون معه، على أن يبقى بحث المسائل الإقليمية مؤجلاً حتى نهاية الحرب، حيث إن الادريسي حليف لنا، وقد نقل مبعوثه مقترحاته للاتفاق.

وعلى أية حال، فإن أخبار القلاقل والاضطرابات في اليمن، والتي تجري حالياً، ستتوارد أخبارها بانتظام.

وإن عدم إرسال ردٍّنا للإمام، سيوجدُ عنده القناعة بعزوفنا عن العمل معه.

والرسالة واضحة في شروطها للاتفاق، وتشمل سيطرته على كل اليمن التاريخية باستثناء عدن، على أمل استعادتها فيما بعد، وطرد وإنهاء الكيانات الموجودة في اليمن التاريخية، ثم اعتبار العساكر التركية أسرى عند الإمام حين

سداده ديونته التي أقرضها للسلطنة العثمانية خلال الحرب، حيث إنَّ الامدادات من السلطنة لم تصل لعساكرها في اليمن طوال أربعين شهراً، ويطلب مساعدات مالية وذخائر وأسلحة. وكان الجواب البريطاني هو الرفض، ولكن لا ضير من خداعه، بالتأكيد على بحث المسائل الاقليمية إلى ما بعد انتهاء الحرب، ويعتقد البريطانيون أنَّ الإمام غداً ضعيفاً، وأنَّ هناك قلاقل واضطرابات تعمُّ منطقته وستردُّ أخبارها تباعاً، بمعنى لجوء البريطانيين للمكر والخديعة وعملهم لإثارة الاضطرابات في مناطق الامام.

- وكانت رسالة النائب لقسم الشؤون الخارجية والمعادة إلى عدن، تاريخ ٢٣ يوليو ١٩١٧م والتي استُلمت في مكتب الهند يوم ٢٤ يوليو الساعة ١١ صباحاً.

سري:

بالإشارة إلى التلغراف رقم A.P. 409 المؤرخ في ٢١ يوليو.

ومع أنَّ شروط الإمام غير مقبولة، ومستحيلة، ولكن من الخطأ الفادح عدم انتهاز هذه الفرصة، وإغلاق الباب بوجه محادثات في المستقبل، لأنَّ الإمام هو القوة الرئيسية المؤثرة في جنوب الجزيرة العربية، وتعاونُه معنا سيكون له نتائج القيمة والجواب،

يمكن أن يتضمَّن الترحيب بالموقف الودّي من قِبَل الإمام، والترحيب بعقد اتفاقية معه، ولكن، يجب أن يوضَّح له بجديّة، عدم رغبتنا في التدخل في الصراعات العربية، أو أننا سنتخلّى عن أصدقائنا والذين عملوا معنا. فالمهمُّ في الوقت الحالي هو طرد الأتراك.

فإذا ما أبدى الإمام تعاوناً بهذا الصدد، فإنه سيضمَّن جهودنا لتوفير

الاستقرار بين الإمام وجيرانه، وفتح الباب للمفاوضات^(١).

والرسالة ترفض شروط الإمام للاتفاق، ولكنها ترحب بموقفه الذي بدا ودياً
يمهد لعقد اتفاقية، ولكن بعد طرد الأتراك.

وتحمل الرسالة تهديداً مبطناً للإمام يحيى: ففي حالة عدم استجابته، فإنه
سيواجه اضطرابات وقلاقل من جيرانه ويقصد بهم الأدرسي وغيره من القوى
التي كانت تعمل بصدقية مع الانكليز في الجزيرة وجنوب اليمن، في نجد
والحجاز وسلاطين المحميات والمتعاونون في منطقته، وإن استجاب
فسيضمنون للإمام بذل جهودهم مع أصدقائهم لتحقيق الاستقرار والهدوء في
مناطق الإمام.

وفي ضوء هذه التوجيهات حوّل الميجر ستوارت، وبناء على ما أمر به
وزير الخارجية لحكومة الهند برسالة إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩١٧
تحدّد له الخطوط العريضة لسياسة حكومته اتجاه مطالب وشروط الإمام يحيى،
حيث رحّب بالمنحى الودي للإمام يحيى اتجاه بريطانيا، وأنهى له عدم رغبتهم
في التخلي عن السياسة التقليدية للحكومة البريطانية والقائمة على عدالة
النظرة لاستقلال العرب، ولكن بعد طرد الأتراك، وتقديم العون والمساعدة
لكل عربي يقاتل الأتراك، مع حرصنا على عدم التدخل في صراعاتهم المحلية.
ويطلب إلى الإمام يحيى أن يبادر فوراً للانضمام إلى الأطراف التي تقاتل
الأتراك قبل ضياع الفرصة، وهو، أي ستوارت، ينتظر إعلاناً صريحاً من الإمام
يحيى ببدء العمليات ضد الأتراك^(٢). ولما طوى الإمام هذه الصفحة من
الاتصالات عاود استوارت فبعث برسالة إلى الإمام بتاريخ ٢٠ مارس
١٩١٨ م، جاء فيها،

(2) Records of yemen. Vol. 6. PP. 271-272.

العشرين من مارس ١٩١٨

إلى: سيادة إمام صنعاء

تحية:

انهي لسيادتكم بأني قد تسلمت رسالتكم التي نقلها مبعوثكم النقيب عبد الواحد بن أحمد الخولاني، ولقد حظيت -منذ تسلمي إياها، بفرصة مناقشة الأحوال من كافة جوانبها، بصورة شخصية مع المندوب السامي لجلالته في مصر، سيادة السير ريجنالد وينجت، وبطي رسالتي هذه أرفع لكم رسالة شخصية من السير ريجنالد وينجت، واثق بأنها ستوضح لكم نوايانا الودية نحوكم، وستكون مبعث سعادة لكم.

وكمحصلية للمناقشات، فإني في وضع يسمح لي بتقديم مقترحات محددة بشأن نقاط معينة.

فإذا كان سيادتكم مستعداً تماماً للانخراط في عملٍ لدحر الأتراك من اليمن، فإني أخوّل بإبلاغكم بأن الحكومة البريطانية على استعداد من جانبها لتقديم الوعود التالية لسيادتكم.

أولاً: التأكيد لسيادتكم على ضمان استقلالكم في اليمن، كما سبق للحكومة البريطانية أن وعدت الأدرسي بضمّان استقلاله.

ثانياً: تزويد سيادتكم بالمعدات الحربية الضرورية لمحاربة الأتراك.

ثالثاً: ترك الحكومة البريطانية لسيادتكم حق التصرف بالأسرى من الأتراك

وفقاً لما ترونه.

رابعاً: تمويل سيادتكم ورجال قبائلكم بالأموال، بقدر ما كان عليه التمويل قبل الحرب التركية - من قبل الأتراك -، وستُدفع الأموال إلى رجال القبائل بواسطة سيادتكم، وليس لهم بصورة مباشرة.

خامساً: فتح الموانئ التي لا يسيطر عليها الأدرسي للتجارة، مثل غليفقة، أو موانئ أخرى تكون بمنجاة عن تدخل الأتراك، شريطة التزام سيادتكم ببرنامج محدد للعمل ضد الأتراك.

وأرجو أن أشير إلى أن المعاهدات التي عُقدت مع السلاطين والشيوخ خارج نطاق البحث:

فيما يتصل بالادرسي، فإنكم تعلمون أن لنا معه معاهدة، وأود التأكيد لكم أن لدينا كل النوايا للالتزام بنصوص المعاهدة، بعدم إقدامكم على أي عمل عدواني ضد الأدرسي من جانبكم.

وحتى لا يقع سوء الفهم بيننا، فإني في وضع يسمح لي بإبلاغ سيادتكم بنصوص معاهدتنا مع الأدرسي:

إن معاهدتنا مع الأدرسي ذات شقين، ولها هدف مزدوج:

- الحرب ضد الأتراك.

- تمثين علاقات الصداقة بين الحكومة البريطانية والأدرسي. وتتضمن بنود المعاهدة أن يقوم الأدرسي بعمليات حربية ضد الأتراك فقط، وأن لا يمارس عملاً عدوانياً ضدكم، طالما أنكم لم تتحالفوا مع الأتراك، وبالمقابل فإن الحكومة البريطانية تتعهد بضمان سلامة الموانئ البحرية التابعة للأدرسي، وحمايتها من أي عدو يسعى لإلحاق الضرر بها، كما تضمن له استقلاله في

منطقتيه، كما جرى الاتفاقُ على إنهاء المنازعاتِ بينكما أو مع أي منافسٍ آخرَ
بكلِّ الطرقِ الدبلوماسيةِ الممكنة.

هذا، وإنَّ الحكومةَ البريطانيةَ تؤكدُ عدمَ رغبتها في توسيع حدودها على
الترابِ العربي، بل لديها رغبةٌ في رؤية العربِ يعيشون في سلامٍ، وتربطهم
علاقاتٌ وديةٌ مع الحكومةِ البريطانية، إلى جانبِ الموافقةِ على استمرارِ التجارةِ
مع موانئِ الإدريسي منذ لحظة عقدِ المعاهدة.

إن هذه البنودَ تشكِّلُ أسسَ معاهدتنا مع الإدريسي، وإني على ثقةٍ بأن
تفسيرِ هذا سينالُ رضاكم، إذ أننا وضعنا مصالحكم في الاعتبارِ عندَ صياغةِ
بنودِ هذه المعاهدة.

وفي الختام، آمِّلُ من عظمتكم أن تُولوا هذا الأمرَ عظيمَ وأولويةَ عنايتكم
وإني على يقينٍ بأنَّ تصرُّجاتنا ستمحو من ذهنكم أيةَ شكوكٍ بعداوتنا لكم.
وآمِّلُ أنْ أتلقي رداً مبكراً وإيجابياً على رسالتي.
تحيات.

القائد العام
المقيم السياسي في عدن
جي. أم. ستيوارت

والرسالةُ تحملُ بين سطورها مبرراتٍ رفضها من قِبَلِ الإمام، إذ تُقرُّ بعدمِ
ذهابِ بريطانيا للتخلي عن الإدريسي، والأكثرُ من هذا ضمانُ استقلاله،
والتحالفُ مع الإدريسي لصدِّ أيِّ هجومٍ من قِبَلِ الإمامِ على مناطقِ الأدريسي
أو أي زعيمٍ عربيٍّ عملَ مع الانجليز بما فيها الدفاعُ عن موانئِ الأدريسي،
وهذه إشارةٌ إلى توكيدِ الحصارِ البحري وتشيديده على اليمن.

كما أغلق الردُّ بصورة قاطعة إمكانية البحث في مصير المناطق السفلى من اليمن، التي يحكمها السلاطين والشيوخ والذين عقدوا تحالفات ومعاهدات مع الانجليز، فهي خارج نطاق البحث. ولوحت الرسالة بقبول بريطانيا بتقديم معونات ومساعدات للإمام، فقد قبلوا بفكرة تقديم السلاح الضروري لمقاتلة الأتراك، ولكن بعد الانخراط الفعلي في مقاتلة الأتراك، كما أنهم على استعداد لتقديم الأموال له مباشرة ولرجال القبائل، بالمقدار الذي كان يدفعه الأتراك، مع فارق، وهو أن هذه الأموال ستقدم لرجال القبائل بواسطة ولن تُدفع مباشرة لرجال القبائل، كما كان يفعل الأتراك، والبريطانيون يعتبرون أن هذا تنازلاً منهم، لأنهم بهذا يساعدون الإمام كما يعتقدون على مد سيطرته على رجال القبائل، كما أنهم للإمام إمكانية فتح موانئ جديدة له، مثل: غليفقة أو غيرها، للتخفيف من الحصار البحري، وتركوا للإمام حرية التصرف بالأسرى، وأبلغوه أيضاً بعدم رغبتهم في توسيع حدود سيطرتهم الجغرافية الحالية، ولكن هذه العطايا مرهونة بشرط أساسي، وهو العمل الفعلي ضد الأتراك وفتح العمليات العسكرية ضدهم^(١).

ولخصت الرسالة التي تحمل رقم ١٣٣ رقم ٥٤٩/٩٥٠ بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩١٨ م، السياسة البريطانية حيال الإمام والمنطقة اتجاه زعماء العرب المتنافسين، وكذا الدولة العثمانية، إذا ما عقد أي مؤتمر للصلح. وكان الانجليز يريدون توحيد موقف الزعماء العرب ضد الأتراك قبيل عقد مؤتمر الصلح، بعد أن أصبحت هزيمة الأتراك واستسلامهم وشيكة الوقوع. فقد وعدوا الإمام بعشرة آلاف جنيه استرليني شهرياً على الاتحاد المدة، وهي إشارة لإمكانية منعها في أية لحظة، وإنما تعتمد على سلوك الإمام وحكومته، ومسألة البحث في الحدود الإقليمية تظل مؤجلة للنظر فيها مستقبلاً، أما المعدات العسكرية

(١) انظر صورة الرسالة في الملحق.

والذخائر فستكون بمعونات سخية.

وحتى قبل إعطاء هذه الوعود المحدودة، لابد من دراسة الفوائد التي تعود على المصالح البريطانية نتيجة للاتفاق مع الإمام، فإن فك ارتباط الإمام مع الأتراك يسهل رفض مطالبة الأتراك بحق تقرير المصير للشعوب التي كانت ضمن رعايا الدولة التركية. وتقرح الرسالة أحد الخيارين للعمل بأحدهما:

- تنفيذ اقتراحات الكولونيل جيكون بشأن الاتفاق مع الإمام، دون الإضرار بالاتفاقيات المعقودة مع الأدرسي، وكان جيكون قد أوصى بمساعدة الإمام بالأموال وتقديم الأسلحة له، والسماح له بتثبيت مركزه في اليمن بشكل عام باستثناء المناطق الخاضعة للحماية البريطانية أو تلك المتحالفة ولها اتفاقيات مع بريطانيا، ويرى جيكون أن هذه الخطة ستمنع أية قوى كبرى أخرى من العمل لملء الفراغ الواقع بعد اخلاء اليمن من الأتراك أو العمل بالخيار الثاني وهو،

- تدعيم قوات عدن لتمكينها من التقدم العسكري في الحريف، وإعادة رسم حدود السيطرة البريطانية، وترجع الرسالة الأخذ بالخيار الثاني وهو، تقدم قوات عسكرية حول مناطق نفوذ الإمام وخاصة ميناء الحديدة، وتشجيع الشريف حسين للتقدم العسكري أيضاً، ومواصلة الضغط من قبل قوات الإدريسي على مناطق الإمام، فإن هذه العمليات العسكرية ستوجد وضعاً ضاغطاً على الإمام، وستجبره على قبول التحالف مع الانجليز بشروط أفضل من تلك التي هو على استعداد لتقديمها الآن.

وأوصت الرسالة بإبقاء باب الاتفاق مفتوحاً، وإرسال هدية معقولة للإمام لا تكون لافتة للنظر فيعتبرها رشوة.

كان هذا هو المخطط البريطاني للمنطقة، وكان أمراً محتماً أن يرفضه الإمام ويغلق هذا الباب كليةً، وليتدبر أمره من منطلق آخر، ونظراً لأهمية هذه الرسالة، فإنني أثبت صورتها وترجمتها في الدراسة. لا سيما وإن الشريف حسين رفض التقدم العسكري.

المقيمة

No. 133

رملة

(950/549)

٢٨ حزيران ١٩١٨

سيدي:

يشرفني أن أرفق ثلاث رسائل مترجمة من الإمام يحيى، وهي ردٌ على رسائل مني ومن المقيم السياسي، التي أرسلت في الحقيبة رقم ٧٣ (٩٥٠) في التاسع من إبريل سنة ١٩١٨ م.

كما أرفق ولعلميتكم نسخاً من رسائل تعصيدية من المقيم السياسي وملاحظة مهمة من اللفتانت كولونيل، هارولد. ف. يعقوب (جيكوب) حول الاتفاق.

إنني لا أتفق البتة مع الإطراء الذي يبيده القائد العام ستيوارت على توجهات الإمام، بل إنني أميل لوجهة نظر جيكوب التي ترى بأن الإمام يتحيز المسوغات التي تلفت نظرنا لدفعنا للاتفاق معه فوراً.

وأعتقد أننا إذا أخذنا بالاعتبار ضرورة جلب الإمام لطرفنا بحتمية فورية فإن الخطوات التي يُوصي بها ويدافع عنها الكولونيل جيكوب هي إجراءات محسوبة بدقة لجلبه لطرفنا وهذه الخطوات تتطلب منا أن نضفي على الإمام تقديراً عالياً.

أرثر جيمس بلفور

O.M., M.P. etc, etc.

١- ضمانات اقليمية للمستقبل.

٢- ١٠,٠٠٠ جنيه استرليني شهرياً، ولمدة غير محدودة.

٣- مساعدات سخية في المعدات الحربية.

وقبل البحث في هذه المقترحات، فإنَّ من الحكمة دراسة الفوائد المترتبة، أو التي يمكنُ الحصولُ عليها من هذا التحالف مع الإمام ومشاركته الفعالة معنا، وغيره من القادة العرب ضدَّ الأتراك. وهي،

أ - تدعيم هيتنا في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية، ونبذ الوضع غير المرضي في منطقة عدن وبالتالي القبول به.

ب- الردُّ على ادعاءات الأتراك، القائمة على مبدأ حقِّ تقرير المصير للشعوب، الذي يمكنُ الأتراك من مواصلة سيطرتهم المدَّعاة على اليمن.

ومثلُّ هذا الإدعاء قد يكونُ من الصعب رفضه في مؤتمر سلامٍ إذا ما واصل الإمام تحالفه مع الحكومة العثمانية.

ج- لتسهيل عقد اتفاقية أو تسوية أولية مؤقتة بين حلفائنا، ملك الحجاز وحاكم عسير الادريسي وحاكم اليمن الزيدي، وإنَّ هذا سيدعمُ الظروف السياسية في غرب الجزيرة، ويؤمن شروطاً جيدة للحكومات المحلية مع جيرانها ويجعلها أكثر موائمة لنا.

د - إن إقامة مثل هذه العلاقات مع الإمام ستمكِّننا من المساعدة في التنمية الاقتصادية لبلادِه، وتعطي ضمانات ضدَّ التدخل من قبل أية قوة أخرى في الشؤون السياسية في اليمن.

وقد يكونُ من الممكن أيضاً، والمفيد سياسياً الحصولُ من الإمام على اعتراف رسمي بأولية الملك حسين، وملاحظات مبعوث الإمام بهذا الشأن «إلى الكولونيل جيكوب هي ملاحظات ذات شأن كبير».

ومع الإقرار بالأهمية السياسية لعقد التحالف مع الإمام، ونظراً لخطورة الوضع غير المرضي، والذي لا مجال لإنكاره وتأخير لفته طويلاً، فإني أرى أن علينا الأخذ بأحد البديلين التاليين:

أ - تنفيذ مقترحات الكولونيل جيکوب، دون الإضرار باتفاقنا مع الادريسي وغيره من القادة العرب، ودون المشاركة مع الإمام في سياسته القائمة على العزل السياسي الكامل.

أو

ب - تدعيم قواتنا في عدن، لتمكينها من التقدم العسكري الذي لا بد منه في الخريف، وإعادة رسم حدودنا السابقة خلال الشتاء.

ومن بين البديلين، فإني أرجح الثاني، والذي هو بكل المعايير الأفضل لنا حيث أن أي تقدم عسكري ناجح لنا من عدن إضافة إلى نجاح الشريف في الشمال، وأيضاً مواصلة الضغط العسكري من قبل الادريسي كل هذه الأمور مجتمعة سوف تجبر الإمام، على قبول التحالف معنا بشروط أفضل من تلك التي هو على استعداد لتقديمها الآن.

وإذا - كما أعتقد مخلصاً -، قررتم الأخذ بالبديل الثاني، فإني أقترح إرسال تعليمات للمقيم السياسي بعدم خرق إمكانية الاتفاق مع الإمام، بل ترسل له مع مبعوثة هدية متواضعة ورسالة تطمين وتسكين لسيده وسأكون مسروراً إذا ما أبلغتموني برقياً إن أمكن بملاحظاتكم وإرشاداتكم حول هذا الموضوع.

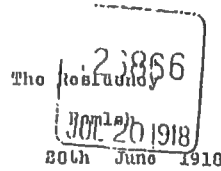
ولي الشرف مع وافر الاحترام والتقدير

أن أكون خادمكم الأمين والمطيع

ريجنالدوينجت

Relations between the British and the Imam, 1917-1918

No. 133,
(950/549)



Sir,

I have the honour to enclose translations of three letters from the Imam Yehia. These are in reply to the letters from the Political Resident and myself copies of which were sent you with my despatch No. 73 (950) of 9th April, 1910.

I ^{also} enclose, for your information, copies of the Political Resident's covering despatches and an interesting Note by Lieutenant-Colonel R. F. Jacob on the correspondence.

I do not altogether agree with Major-General Stewart's appreciation of the Imam's attitude; and I am inclined to think (with Colonel Jacob) that he is sufficiently well disposed, but passive and looking to us to show cause for immediate action.

I think that, if it is considered necessary immediately to bring the Imam over to our side, the procedure advocated by Lieutenant-Colonel Jacob is well calculated to achieve this end.

This procedure would require us to give the Imam -

The Right Honourable

Arthur James Balfour, O.M., M.P.,

etc.,

etc.,

etc.

صور الرسائل والمراسلات السابقة

- (1) Territorial guarantees for the future.
- (2) £10,000 a month for an indefinite period.
- (3) Large assistance in war material.

Before considering these proposals it is advisable to set forth the advantages we look to obtain from an alliance with the Imam and his active participation with us and other Arab Chiefs against the Turks.

These are:-

- (a) to establish our prestige in South Western Arabia and to clear up the unsatisfactory situation in the Aden Hinterland
- (b) to counter a claim by the Turks, based on the principle of self-determination of peoples, to a continuance of their nominal dominion in the Yemen. Such a claim may be difficult to refute at a Peace Conference if the Imam is still in alliance with the Ottoman Government.
- (c) to facilitate the creation of an agreement, or a modus vivendi, between our Ally, the King of the Hedjaz and the Idrisid of Asir, and the Zaidi ruler of the Yemen, which can solidify the political conditions of Western Arabia and secure local governments on good terms with their neighbours and well disposed to us.
- (d) to establish such relations with the Imam as will enable us to assist in the economic development of his country and will give guarantees against interference by any other Power in the political affairs of the Yemen.

It might also be possible, and politically advantageous, to obtain from the Imam a formal recognition of the priority of King Hussein. The Imam's envoy's remarks in this connection to Lieutenant-Colonel Jacob are of considerable interest.

Having regard to the political importance of

Relations between the British and the Imam, 1917-1918

3

obtaining the Imam's alliance, and to the danger of indefinite prolongation of an admittedly unsatisfactory situation, I consider we should now decide upon one of the two following alternatives.

A. Carry out Colonel Jacob's proposals, without detriment to our agreements with the Idriusi and other Arab Chiefs, and without subscribing to the Imam's policy of complete political isolation.

Or

B. Reinforce Aden to enable a military advance thence to be made this Autumn and to re-establish our former hinterland frontier during the winter.

Of the above I consider B. to be in every way preferable.

A successful advance by us from Aden, the effect of Sherifial success in the North and a continuance of pressure by the Idriusi (which should be stimulated by us) will, I believe, combine to force the Imam definitely to accept our alliance on terms more favourable than those he is now prepared to offer.

If, as I sincerely trust will be the case, action under B. is decided on; I should propose to instruct the Political Resident not to break off correspondence with the Imam but to send off the latter's envoy with liberal presents and a further temporizing letter to his master.

I should be glad if your observations and instructions

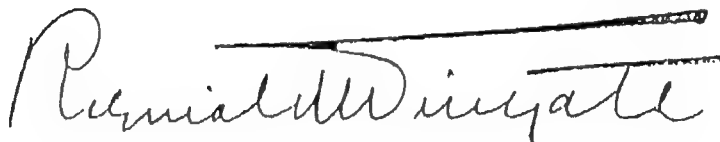
on this subject may be communicated to me, if possible,
by tolograph.

I have the honour to be,

with the highest respect,

Sir,

Your most obedient, humble servant,

A handwritten signature in cursive script, reading "Richard Wingate". The signature is written in dark ink and is positioned below the typed text. A horizontal line is drawn across the signature, starting from the left and ending under the "e" in "Wingate".

لقد كشفت هذه الرسائل المتبادلة بين الإمام يحيى وبريطانيا عن الهوة الواسعة التي تفصل الإمام يحيى عن إمكانية الاتفاق مع الانكليز. وقد عبّر عبد الكريم بن أحمد بن المطهر، كاتب الإمام عن رأيه في الانكليز بقوله:

«والانكليز قومٌ اشتهروا من بين طوائف الإفرنج، بالاحتيال والتضليل والتمويه، بأساليب يدق فهمها على اللبيب، فكم غرّوا بمظاهر سلمهم طوائف الأمم، وقد نصبوا تحت تلك المظاهر شباك الأخطياد».

ويوضح صاحبُ كتيبة الحكمة موقفَ الإمام يحيى من الاقتراحات البريطانية التي عرضناها. فذكر أنّ ستيوارت حاولَ جسّ نبض الإمام ببعض المكاتبة، فوجدَ الإمام ممن لا ينخدع ولا تروّج لديه التمويهات والأضاليل، فترك المكاتبة.

وواجه الإمام يحيى الموقفَ الأصعبَ عندما وقعتْ إتفاقيةُ هدنةِ موندروس Mondrus في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ م. وبدأ العملُ البريطاني على إخلاء اليمن من الأتراك.

المبحث الأول: اخلاء القواتِ العثمانيةِ من اليمن.

على متن البارجة البريطانية سوبيرب الراسية بخليج موندروس في بحرايجه، وقع حسين رؤوف باشا، ورشاد حكمت، وسعد الله من الجانب العثماني وأرثر كالثورب من الجانب البريطاني Arther Galthorpe اتفاقية تنهي الحرب، وكانت الترتيبات لعقد الهدنة قد مهد لها أحمد عزت باشا، القائد السابق للجيش العثمانية في الشرق، والذي أصبح الصدر الأعظم في عهد السلطان محمد السادس، وحيد الدين، حيث اتصل بالجنرال تاونزند Tounzend الذي أسره الأتراك في كوت العمارة سنة ١٩١٦م وظل في الأسر حتى ١٤ أكتوبر ١٩١٨ وذلك حين نقل إلى قائد الأسطول البريطاني في بحرايجه آرثر كالثورب، الرغبة العثمانية في عقد الهدنة، وبدأت المفاوضات في ٢٧ أكتوبر ١٩١٨ واستمرت لمدة أربعة أيام، وجاءت اتفاقية الهدنة في ٢٥ بنداً^(١)، كان البند السادس عشر منها: تُسلم القوات العسكرية الموجودة في الحجاز واليمن وسوريا وكيليكيا والعراق في أقرب وقت ممكن إما للحلفاء أو للممثلين من العرب، وبذا انتهت حالة الحرب بين الدولة العثمانية والحلفاء اعتباراً من منتصف يوم ٣١ أكتوبر ١٩١٨م، ليبدأ العمل بتنفيذ ما جاء في اتفاقية هدنة موندروس (Mondrus) التي أُلقت بثقلها على الدولة العثمانية، وُسِّلح من دولتها العديد من الولايات والمقاطعات. وبدأت القيادات العسكرية البريطانية الاتصال بالقيادات العسكرية التركية طالبةً إليها تنفيذ البند السادس عشر من بنود الهدنة القاضي باستسلام القوات التركية، فأرسل الجنرال إستيوارت البريطاني خبر الهدنة إلى علي سعيد باشا في لحج، وقام اللفتنت، هوم S.G.W, Hum, القائد البريطاني في ميون بإبلاغ خبر الهدنة إلى حقي بك، قومندان باب المندب^(٢) الذي رفعه إلى علي سعيد باشا، قومندان

(١) انظر الاتفاقية في الملحق.

(٢) هدية الزمن، ٢٤٢.

الحج، وكان جوابُ أمير اللواء علي سعيد باشا لقومندان ميون بما يلي:

منطقة الحركات قومندان لغي أركان حربية سي قسم ٣٠ / ٨ / ٣٣٤ لحج
(قيادة الحركات العسكرية - قسم أركان الحرب) بواسطة باب المندب إلى
جناب قومندان ميون القائم مقام هوم، دام بقاءه، تناولتُ بيد السرور تبليغكم
المشعرَ بعقد الهدنة بين الدولة العثمانية وبين دولة انكلترا العظمى وحلفائها
بتاريخ ٣١ تشرين أول سنة ١٩١٨ م، ثم وصلنا التبليغ المذكور بعينه بعد مرور
ثلاثين ساعة من طرف حضرة والي عدن مؤيداً إشعاركم، فاشكركم اهتمام
جنابكم على سبقكم، وأيضاً أقدم لكم تشكراي الخاصة على تطفلكم
بالمساعدة لمن يرغب الوصول من ضباطنا إلى ميون لأجل المزاورة، وقد أمرنا
ضباطنا بدخول من يرغب منهم، كما أننا أمرناهم بالاجتناب عن كل ما يسوء
الطرفين، فنرجو من الباري التوفيق بعقد صلح شريف مديد.

ودمتم محروسين
قائد الجيوش العثمانية بلحج
أميرا للوا
علي سعيد

كما أرسل القائد العام للقوات البرية في عدن ستewart J.M. بالخبر إلى
محي الدين باشا، الحاكم والقائد للقوات التركية في عسير بتاريخ
٢٠ / ١ / ١٩١٨ م^(١).

كان من القادة الأتراك في اليمن، محمود نديم بك والي اليمن، وأحمد توفيق
باشا، قائد الجنود التركية، وعلي سعيد باشا، قائد القوات في الحج، وإسماعيل
الأسود في جهات تعز. وغيرهم من القيادات. وقد وصل إلى مقر الإمام في

(١) انظر صورة الوثيقة وترجمتها في الملحق.

شهارة محمود نديم بك، الوالي العثماني وأحمد توفيق باشا، قائد الجيش التركي في اليمن حيث خرج الناس لاستقبالهما، وفي ١٠ صفر ١٣٣٧هـ - ١٥ نوفمبر ١٩١٨، أبلغا الإمام «وصول تلغراف من لحج، كان قد بعثه الصدر الأعظم في القسطنطينية أحمد عزت باشا، بواسطة الانكليز في عدن، محرراً بالشفيرة، ولما حلّ كان الإخبارُ بوقوع الهزائم المتوالية على الدولة العثمانية والألمان ومحورهم، ثم إن الدولة العثمانية بعد فرار الوزراء الذين تولوا أمر الحرب، طلبت إلى الوزراء الجدد المبادرة إلى طلب الصلح من الانجليز والفرنسيين، حيث وقعت الهدنة، وشرحا شروط الهدنة من استسلام القوات العثمانية، وإن الصدر الأعظم ألزم أمير الجنود التركية في اليمن العمل بمقتضاها والتزامي إلى أحضان العدو»^(١).

ومن خطورة هذا القرار على الأوضاع القائمة في اليمن، أنه سيوجد فراغاً عسكرياً بانسحاب الكوادر العسكرية التركية، كما أن كوادر الإدارة المدنية يلزمها الوقت لاتقان فنون الإدارة، ثم إن الإمام لم يتمكن بعد من بسط سلطته على تلك المنطقة التي كانت تخضع لشيخ القبائل بدون رقابة، والأخطار الخارجية تحيق باليمن، فالادريسي يتحفر لمهاجمة الامام يحيى وبلاده وبريطانيا وإيطاليا في تنافس دائم لمد نفوذهما إلى اليمن.

فكيف واجه الإمام يحيى كل هذه الحالة التي فرضت نفسها على كيانه.

يصف عبد الكريم بن أحمد مطهر كيفية مواجهة الإمام يحيى لهذه الأزمة فيقول: «ولما أفاض المذكوران حديثهما ورفعاه إلى مسامع مولانا الإمام قابلهما بالثبوت ولزوم التأني والتعميم على عدم التسليم إلى الكافر، ووعدهما الإمام بكل جميل، والتزم لهما بالانفاق على الجنود، وبقاء الأمور جارية على محورها المعهود»^(٢).

(١) انظر كتيبة الحكمة، ١٥. (٢) كتيبة الحكمة، ١٥.

فالإمام يحیی یريد للقوات التركية أن تبقى في اليمن، وهو يتولى الإنفاق عليها، ولا يرى إقدام العساكر على الاستسلام، حتى وإن وصلت البرقية المخبرة بذلك بالشفرة، فقد يكون الأعداء قد حصلوا عليها وتمكنوا من حلها، فلا يُركن لخبر مصدره الأعداء.

وحتى لا يضع مصير بلاده تحت رحمة الاحتمالات، فقد بدأ باتخاذ خطوات سريعة وحاسمة ومنها:

أولاً: التحرك بسرعة للسيطرة على الأسلحة التي بحوزة القوات التركية حتى لا تقع في أيدي المناوئين له، أو تسلّم للقوات البريطانية، فأرسل علي بن عبدالله الوزير يوم ١٦ نوفمبر ١٩١٨ إلى حراز لاستلام حصونها خوفاً من الباطنية، وتسلّم السلاح من سكان حراز، فأخذ المدافع والذخائر الحربية^(١)، وفي نفس اليوم سير عبدالله بن أحمد الوزير لترتيب قصر غمدان بصنعاء، لحوز ذخائرها وسلاحها وتشديد الحراسة على صنعاء، وأصدر أوامر أخرى بالحيلة على كل الأماكن التي توجد فيها المدافع والذخائر.

ثانياً: الاتصال بسعيد باشا، قائد القوات العثمانية دعم ومحاولة ثنيه عن المضي في الاستجابة لتعليمات الاستسلام، وفي نفس الوقت اتصل بأهل تعز، وطلب إليهم تقوية الجهة التعزية، وجمع أكبر مقدار من السلاح والسعي لشني سعيد باشا عن الاستسلام.

ثالثاً: فتح باب المفاوضات مع القيادات البريطانية في عدن في محاولة منه لابقاء العساكر العثمانية في اليمن تحت سيطرته، باعتبارهم أسرى أو رهائن حتى تؤدي الدولة العثمانية ما عليها من ديون، كان قد أنفقها على العساكر العثمانية كقروض بعد انقطاع اتصالاتهم مع القسطنطينية، وعدم

(١) كتيبة الحكمة، ١٥.

وصول مرتباتهم وأسباب معيشتهم من مؤن وامدادات طوال أربعين شهراً، بسبب الحصار البحري الذي فرض على موانئ اليمن.

ومحاولة الاتفاق مع بريطانيا لحسم المشاكل القائمة بينه وبين البريطانيين. ونحن نرى أنَّ الإمام يحيى كان يسعى لكسب الوقت، حتى يجد متسعاً لترتيب أوضاعه قبل إجباره على القبول بإخلاء الأثرak لليمن. ولتنفيذ خطته، أرسل الإمام الخطاب التالي إلى سعيد باشا بتاريخ ١٧ صفر ١٣٣٧ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٩١٨ م جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله الإمام يحيى إلى حضرة قائد المنطقة بلحج سعيد باشا، حرسه الله.

بلغ إلينا من حضرة الوالي والقومندان باشا عدم حسن تحريرنا إلى والي عدن، ذلك التلغراف المرسل بواسطتكم، لذلك أحببنا الايضاح لحضوركم.

اعلموا أنه لما كان الاطلاع على مفاد حضرة عزت باشا، وعرفنا مفاد كتابكم إلى حضرة الوالي والقومندان أحمد توفيق باشا، حصل معنا التصميم على القتال حتى الممات من دون خوف ولا مراقبة لغير الله. وحشدنا القبائل واتخذنا لذلك جميع الوسائل، وأمر ما إذا أعداء الله الانكليز هو محفوف بغرابة الكذب، لكنه لما رأينا فيما كتبه حضرة عزت باشا من أنه إن لم يكن التسليم إلى الانكليز فإن التهلكة محققة، فأردنا صون جانب الحكومة وأموري اليمن عن مسئولية الدولة، ورضينا تحمل تلك المسئولية، وتلونا قوله تعالى «فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها، إن ربي على صراطٍ مستقيم» فمثل هذا يحمل على غير خدمة الدين والوطن، وهل يرضى أحدٌ من أهل الديانة والمتانة الاسراع إلى التسليم إلى الكافرين، والدخول

تحت ذمتهم، وقد بقي له مجالٌ لمنع ذلك على أن الأمر - كما أسلفنا - محفوظٌ بغرابة الكذب.

ثم إنه لو فرض صدق ذلك الأمر على بعده، وكان منا جميعاً القيام بالدفاع لكان استحسان ذلك لدن الخلافة الإسلامية خصوصاً بعد أن نزهنا الحكومة ومأموري اليمن عن المسؤولية. أما ما بيننا وبين الحكومة، فالطريقة واحدة والمسلك واحد والملة واحدة، ولم نرد التوصل إلى شيءٍ يغيّر بالحكومة حالاً ومالاً، بل أردنا دفع ذلك كلياً.

أما إذا كنتم مصممين على التسليم، كما ظهر من طلب العائلات إلى الحج، فليكن منكم التصريح بذلك، وأيُّ مانع عن إرسال الحكومة هيئةً لتبليغ الأوامر اللازمة التي يغلب الظن بصدقها، ثم أيُّ مانع للانكليز عن بث الجرائد الحرة لنشر الأخبار المدعاة؟ فالأمر مفتقر إلى دقة النظر وإجالة سليات الفكر،

والسلام عليكم

١٧ صفر سنة ١٣٣٧هـ.

ولما كان سعيد باشا قد ضرب بكل الأوامر والتعليمات التي وصلت إليه بعدم التسليم عرض الحائط، وتوجه بنفسه إلى عدن لمقابلة الجنرال إستيوارت، وتحقيق وقوع الهدنة ومغلوبة دولته، أخذ يجهز نفسه للتسليم منتظراً وصول عائلات القوات التي بإمرته، فقد كتب إليه أحمد توفيق باشا، قائد القوات في اليمن بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٣٣٧ يأمره بالانقياد إلى الأمر وبالطاعة العسكرية وعدم التسليم، وجاء في رسالته ما ملخصه:

- إنه لا يثق بالإشعارات الواصلة عن المصادر الانكليزية، فيحتمل أن تكون غالباً مصطنعة من قبل الانكليز، بهدف إحداث اضطرابات في اليمن، ومن

ثم عودتهم لاحتلال لحج، فلا ثقة بأية اشعارات، ما لم تصل إلينا من دولتنا مباشرة.

- ينبّه إلى اختراقه المبادئ العسكرية، بذهابه إلى عدن، مع أركان حرب قواته والياور، وإثارته البلبلة والخوف والتشويش بين العساكر والأجدر به أن يفعل كما تصرف باقي القوات الذين لم يقبلوا هذه الإهانة، ولا انطلت عليهم حيلُ والآعيبُ الماكرين.

- يبلغه تعدّد جمع العائلات المتفرقة في أنحاء اليمن بهذه السرعة، وهم في رعاية الإمام، الركن الأعظم للإسلام والوالي، وهو نفسه، منهم مثل أولاده، وأما الضباط فلا يفتكرون إلا في العدو الذي أمامهم ووطنهم وواجباتهم العسكرية.

- ثم يذكر أحمد توفيق باشا لسعيد باشا الراغب في الاستسلام مقادير الأموال والإمدادات التي وصلت إليه، ويحدّدها بالارقام، ويرى توفيق باشا أنّ هذه الأموال كافية لو أحسن التصرف بها، ولما كان الوقت ليس مناسباً للشروع في إجراء التحقيق والتفتيش عن كلّ هذا، لردّ دعواه بأنّه ما استسلم إلا لأنّ العساكر جياع وعرايا.

- يطلب أحمد توفيق باشا منه عدم التسليم، ويصدر له أوامر مشددة بعبارات صارمة:

«حافظوا على ثباتكم كما أمرناكم قبلاً، فأنتم وحدكم المسؤولون مادياً ومعنوياً عن العواقب الوخيمة التي تنتج إذا فعلتم شيئاً من ذات أنفسكم بدون أن نأمركم» وينهي رسالته بعبارة قوية «وخلاصة القول، إن الزمان غير مساعد للمناقشات القلمية الطويلة العريضة، نأمركم بالانقياد إلى الأمر وبالطاعة العسكرية»^(١).

(١) انظر الوثيقة في هدية الزمن، ٢٤٦-٢٤٧.

كما ناشد بعض الموظفين والتجار والعلماء من لواء تعز سعيد باشا عدم التسليم مظهرين استياءهم من تبديل الحكم العثماني في اليمن، موضحين أسباب تخوفهم من المصير الذي سيؤول إليه حال اللواء التعزي إذا ما عاد البريطانيون الى الحج، وكان أهل لواء تعز يعتقدون بأن سعيد باشا يحفظ لهم مجاهدتهم معه في حملة الحج، ويقدر لهم الأموال والمعونات والامدادات التي داوموا على إرسالها لكفاية القوات العثمانية في الحج، ووقع الرسالة:

مدير صبر	كاتب المحكمة	أمين الصندوق	رئيس الكتاب
عبد العزيز	يحيى بن علي الحداد	عبد الاله	محمد
رئيس البلدية	مفتي لواء تعز	تاجر	تاجر
محمد	علي	محمد خياط	نوري
		محمد مصلي	علي مصلي
		عبد الوالي	عالم

أما سعيد باشا، فقد قرّر أمره على الاستسلام، وزيادة في المماحكة، فقد طيّر التلغرافات في ٢٧ نوفمبر إلى أحمد توفيق باشا بصنعاء وإلى حسين باشا أمير اللواء المتقاعد في صنعاء يبرّر أسباب إقدامه على التسليم، مدعياً أنه ينفذ أوامر حكومته المتبوعة المفخمة، وييدي تبرماً من الوقوف عن مساعدته، ويطلب إليهم أن يرسلوا مَنْ يتسلم الأماكن التي ستركها إن كانوا قادرين، ويبدو أسلوبه في هذا الموضع تهكمياً استفزازياً^(١).

وفي الوثيقة الرسالة الموضحة لإصرار سعيد باشا على إنجاز ما تمّ الاتفاق

(١) انظر رسائله في هدية الزمن ٢٥١-٢٥٥. وانظر ما ورد في كتاب ملوك العرب لجيكوب ص ٢٤٧، سأل جيكوب سعيد باشا، عندما أودع السجن وعساكره في حلوان، عما كان يتصور حدوثه لو أنه رفض الثقة بالانجليز ورفض الاستسلام استجابة لبرقيته التي أبلغه إياها في عدن، قال سعيد باشا: إن البلاد كانت ستقف إلى جانبه كما أن مصادر تموينه ووسائل تمويله كانت ستواصل لسنة أخرى، ولكنه اختار الثقة بإعلان الهدنة وفضل تصديق ذلك» وهذا يثبت ما ذهبنا إليه من تواطىء سعيد باشا مع الانجليز بسعي جيكوب لاستسلامه.

بينه وبين الانكليز، خلال زيارته لعدن بدون علم القيادة، تلك الرسالة والتي أرسلت من القيادة البرية في عدن إلى مركز العمليات الحربية، والمرجعة صورتها إلى القيادة البريطانية في الهند وإلى الجنرال وينجت في القاهرة بتاريخ ٣٠/١١/١٩١٨ م. ورقمها G/C/٢٢٠٠، ٣٠ نوفمبر. فقد تضمنت الأمور التالية، وفي مقدمتها إن القائد يقول بأنه تسلم المزيد من الاتصالات والمعلومات من سعيد باشا، والتي جاء فيها:

- إن قائد القوات قد منع سعيد باشا بشكل واضح من الاقدام على أي عمل منفرد، إلى أن يتسلم جواباً على البرقية المذكورة في تلغرافي رقم G/C/٢١٦٩، المؤرخة في ١٧ نوفمبر، وكرّر قوله بأن الإمام منع استسلام أي جندي تركي، ولو بمفرده وقلّص من مسؤولياته أي سعيد باشا، ووضع قرية الشيخ سعيد وأماكن أخرى تحت قيادة قائد القوات مباشرة.

- يقول سعيد باشا: إنه تلقى شخصياً برقية من الإمام تلحّ عليه بمواصلة الحرب، وتعهّده بالمساعدة وإرسال المواد التموينية والأموال والامدادات العسكرية (١). ونص الرسالة اثبتناه في الملحق.

- أبلغ القائد الانكليزي، سعيد باشا بأنه يرى من واجب سعيد باشا نحو بلده أن يعمل بصورة فردية دون التزام بأحد، وأكد له أن مثل هذا العمل سيلاقي الدعم من قبل الحكومة البريطانية إذا كان ذلك ضرورياً.

- كتب إلى الإمام مرة ثانية، يفيد به بأن مستقبل العلاقات الودية بين بريطانيا والإمام يعتمد على مساعدته في إخلاء الشكناث التركية.

- لديه شيء من الشك بأن الوالي وربما قادة القوات أيضاً يراوغون مع الإمام لتجنب شروط اتفاقية الهدنة، وقد أصدروا بيانات ينفون صدق الشروط

(١) انظر برقية الامام في الملحق.

التي نشرها.

- يرى أنّ إصدار الأوامر من قبل الحكومة التركية لجميع كتائبها التركية بالاستسلام بشكل فردي دون الالتزام بأوامر قادة القطاعات، وفق ما جاء في برقيته رقم ٢٨ G/C/١٩٦ نوفمبر، هو أفضل السبل لإعادتهم إلى صوابهم^(١).

ومضى سعيد باشا، وسلم نفسه ومن معه من الأجناد وما لديه من المهمات والذخائر الحربية والمدافع على اختلاف أنواعها والأسلحة الكثيرة والبغال والجمال إلى الانكليز وقد تركت فعلته هذه نقمة عليه لدى الإمام، وعند أهل البلاد، لأنّ سعيد باشا يعلم بمدى احتياج أهل اليمن إلى الأسلحة للمدافعة عن أنفسهم من تسلط القوى الأجنبية.

لقد أوجد استسلام سعيد باشا حالة من الاضطراب بين الأتراك في صنعاء وفي جهات تهامة، في محطة الزهراء من أطراف اللحية، كما أنّ الأوضاع في لحج ومنطقتها أصبحت مكشوفة، وتهامة يتربصها الادريسيّ المحالف للانجليز، وبعد مناقشات بين الأتراك، واصرار من الإمام، جرى الاتفاق على بقاء البقية من الأتراك مع دوام رعايتهم من قبل الإمام، فالمصلحة تقتضي الإبقاء عليهم ريثما يتهيأ إرسال جنود مكانهم وتعيين ذوي الكفاءة لإدارة أحوال البلاد، لأنّ في إخلاء اليمن منهم ومن أمرائهم دفعة واحدة ما لا يخفى من الاضطراب وصعوبة الضبط في آن واحد. غير أنّ الموقف الدقيق واجهه الإمام عندما أصرّ قائد القوات التركية توفيق باشا على اللحاق بسعيد باشا والتسليم للانجليز^(٢)، ولكنه سلّم ما بقي من الأسلحة والمدافع والذخائر إلى

(١) انظر صورة البرقية في الملحق.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٧.

الإمام، وسافر إلى الحُدَيْدَة، حيث أجلوا بالبواخر البريطانية وعوملوا معاملة الأسرى.

وقبيل استسلام أحمد توفيق باشا قامت القوات البريطانية من قاعدتها البحرية في عدن بتنفيذ الخيار الثاني الذي اقترحه ارثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطانية في رسالته بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩١٨ م، حيث هاجمت القوات البريطانية الحُدَيْدَة واحتلتها، في محاولة للتضييق على الإمام اقتصادياً، فالحُدَيْدَة مدينة تجارياً واسعة وملاحتها عامرة، وبها شبكة اتصالات جيدة، وهي ميناء صنعاء الطبيعي، وللتخفيف من غضبة الإمام وإبطائه عن العمل العسكري ضد الانكليز، فقد كتب المعتمد الانجليزي للإمام غداة احتلال الحديدة «إننا دخلنا الحديدة لنحفظ فيها الأمن والنظام وسنعيد لها قريباً إليكم»^(١).

ورافق ذلك، وصول إسماعيل الأسود، أحد ضباط الأتراك إلى تعز يبغى الاستسلام للبريطانيين، ولكنه رغب في تسليم السلاح الذي بحوزته للعناصر المناوئة للإمام، وكادت تقع معارك بسبب ذلك، ولكن الأسود فرّ إلى مأوية ومنها إلى لحج واستسلم في عدن^(٢).

لقد رأى الانكليز في احتلال الحُدَيْدَة عامل ضغط على الإمام يحقق هدفين في آن واحد، فهو سيجبره على سرعة إخلاء اليمن من الأتراك من ناحية، ودفعه للقبول بالمقترحات البريطانية للاتفاق من ناحية أخرى. ومن الحُدَيْدَة ستكون الاتصالات أسهل مع الإمام، ولذا سعى الانجليز لترتيب لقاء مع الإمام. وقد ضمنّت هذه التوجيهات في الرسالة، والتعليمات التي تضمنتها الشيفرا المرسلة من السير وينجت من القاهرة، جاء فيها.

(١) ملوك العرب للريحاني ١٩٩/١٠ - ٢٠٠.

Record of Yemen. Vol. 6 P. 404.

(٢) كتيبة الحكمة، ٣٤، وانظر الوثيقة

الجيش

مصر

نوفمبر ١٩١٨

شيفرا من السير وينجت، القاهرة، نوفمبر

الساعة ٩ مساءً

تسلمت ١٣٥ ١ صباحاً نمرة ٣٠

رقم: ١٧٨٣

تلغرافكم رقم ١٤١٠، ٢٢ نوفمبر، طلب من الإمام بإلحاح ضرورة إخلاء الأتراك كما ذكر، فإن مكاسبه مستقبلاً تعتمد على نمط مسلكه الحالي.

إن مرابطة وحدة اتصال عسكرية بريطانية في الحديدة، سيسهل الاتصال بالإمام ويدفعه إلى الإذعان، ولا بد من التذكير بأنه خلال السنوات القليلة الماضية كان قد اعتمد اعتماداً كبيراً على الدعم والمساندة التركية لبسط سيطرته على القبائل غير السهلة الانقياد والتي قد يعوزها المال.

إنني أرسل إليكم الكولونيل جيكونب إلى عدن لبحث مع المقيم في محاولة ترتيب لقاء مع الإمام.

(١٢-٤، ١١، ٣٠).

ولم يبق من الأتراك في اليمن إلا جماعة من الأمراء وقليل من الجنود، ولكن محمود نديم بك السوري الكردي، صمم على عدم مغادرة اليمن، والعمل مع الإمام، وكان الإمام قد تسلم صنعاء منذ ١٣ صفر ١٣٣٧ هـ/ نوفمبر ١٩١٨ م، مبتدئاً مرحلة جديدة من تاريخ اليمن الحديث، ألقى بعبء الاستقلال وتدعيمه على كاهله.

وتحقيقاً للخطوة الثالثة في مواجهة نتائج الهدنة بضرورة إخلاء اليمن من

الأتراك، فتح الإمام يحيى باب الاتصالات مع البريطانيين عارضاً موقفه من
محمل القضايا العالقة بينه وبين البريطانيين ففي ١٨ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/
٢٢ ديسمبر ١٩١٨م أرسل خطاباً إلى الجنرال ستوارت جاء فيه ترجمة من
الانجليزية إلى العربية.

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين
يحيى بن محمد حميد الدين

إلى الجنرال ستوارت B.G.

المعتمد السياسي، عدن

لقد أبرقنا لكم وشرحنا لفخامتكم أسباب توقف إخلاء قوات الدفاع
العثمانية المرباطة في قطعة اليمن، مشيرين إلى ما يترتب على مطالبنا تجاه
الحكومة العثمانية، وطلبنا معلومات تتعلق بتأسيس حكومتنا في اليمن وفق ما
كان زمن أسلافنا، فمثل هذا الطلب معترف به بحيث لا يمكن إنكاره في
سجل التاريخ العالمي، وقد رعته القوى الكبرى في العالم، وأقرته وقبلته.

ونحن نتوقع بغض النظر- عن اتفاقية الهدنة التي توصلت إليها القوى
المتحاربة- ردّ معاليكم.

هذا وقد علمنا بالهجوم الذي قامت به القوات البريطانية ضد ميناء اليمن
-الحديدة- واحتلالها القسري له. وترك مثل هذا العمل المفاجيء انطباعاً
سيئاً، أدى إلى هيجان وثورة غضب بين سكان اليمن عامة، رغم أننا قد بينا
لكم سابقاً عدم رغبتنا في إراقة الدماء أو إثارة ما يؤدي إلى أفساد العلاقات
الودية بيننا، ولنا رغبة أكيدة في استمرار العلاقة مع بريطانيا العظمى، وقد
طلبنا من سيادتكم الحصول على القرار النهائي بعدم التدخل في شئون حكومة

اليمن الإمامية مثلما اعتاد أسلافنا عليه.

وها نحن نؤثر تشكيل وفد يضم السيد علي بن أحمد بن إبراهيم بن الإمام، العضو السابق في برلمان اليمن، وبهاء بك عضو المبعوثان، والقاضي عبدالله بن أحمد العرشي والسيد كوزكجي مدير البانق (Bank)، العثماني من أجل بحث المسائل المشار إليها أعلاه، ولتأكيد صداقتنا، وإزالة أسباب سوء التفاهم بيننا.

وقد أوفدنا اللجنة السابقة الذكر لمقابلة سيادتكم، ونطلب منكم إصدار أمر مشجعة إلى قائد القوات البريطانية في الحديدة، لوقف أنشطته وعملياته العسكرية، انتظاراً لنتيجة التعاون والتسوية، وكلنا أمل ورغبة عند وصولهم إلى عدن أن تضعوا حداً لكافة الصعوبات، وتعملوا كل ما تستطيعون لتدعيم العلاقات الإنسانية والودية التي نرغب باستمرارها إلى الأبد.

أرفق طيه رسالة موجهة إلى جلالة وليكم، والتي نرجو نقلها إليه والرسالة تحدّد ما يريده الإمام:

- الموقف البريطاني من قيام حكومة الإمام في اليمن، والتي هي امتداد لحكومات أسلافه، التي أقرتها القوى الكبرى، ولا يمكن للتاريخ العالمي إنكارها.

- يحذّر الإمام يحيى الجنرال ستوارت من مغبة احتلال القوات البريطانية للحديدة، ويلوِّح باللجوء إلى الحرب، ولكنه لا يرغب في سفك الدماء، وحريص على إرساء علاقات ودية مع بريطانيا.

- ويطلب إليه، مناشدة حكومته البريطانية، عدم التدخل في شؤون اليمن وحكومته الإمامية.

- يبلغه عن إرسال وفد مكون من أربعة أعضاء، اثنان لهما خبرة بالشؤون السياسية، عضوا برلمان، وقاض متمرس في العقيدة ومدير البنك العثماني،

الخبير الاقتصادي لبحث مطالبه وإزالة أسباب الخلاف بل وتأكيد الرغبة في الصداقة والاتفاق.

- ثم يطلب منه أن يُصدر أوامره لقائد القوات البريطانية في الحديد بوقف عملياته ونشاطاته العسكرية، وأن يعمل على وضع حد لكل ما يعيق إقامة علاقات إنسانية ودية مع بريطانيا.

- ويلفت نظره إلى الرسالة التي ضمّنها الإمام يحيى للملك بريطانيا بشأن العلاقات اليمنية البريطانية.

وكانت رسالة الإمام يحيى قد وجهت إلى ملك بريطانيا بتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ / ٢٢ ديسمبر ١٩١٨م أيضاً، وجاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين

يحيى بن محمد حميد الدين

فخامة ملك بريطانيا العظمى

يعرض المفتقر إلى الله، لفخامتكم أن قطعة اليمن لم تزل أمانة أجدادنا منذ ألف سنة وزيادة، ولم تكن قط تحت حاكمية الحكومة العثمانية كسائر البلدان العربية، بل مستقلة بذاتها، ولم يكن لها بالحكومة المذكورة ارتباط سوى ائتلاف كان انعقد بدور سلطنة السلطان سليمان الأول، بين السلطان المشار إليه وبين أحد أسلافنا الإمام المطهر بن الإمام شرف الدين. وبمقتضاه انجلت الحكومة المذكورة منها.

ولم تزل الحكومة العثمانية تحاول الاستيلاء عليها وتنجلي عنها بمقاومة أجدادنا وبمقاومتنا إلى أن تقرّر بيننا وبين الحكومة المذكورة الائتلاف الأخير،

المتضمنُ إصلاحَ الحالةِ بيننا وبينها، وانتهاء سفكِ الدماءِ التي طالما اهرقت
بهذه القطعة كما يشهدُ بذلك التاريخُ.

وحسب الائتلافِ الواقعِ تراكمت لنا مطلوباتٌ باهظةٌ لدنّ الدولةِ
المذكورة.

فمن الضروري لزومُ التشبُّثِ في استحصالها، وقد كنّا حرّرنا لوالي عدن
تحريراً وتلغرافياً كتباً، أسفرنا فيها عن الحقيقةِ عقيبَ تبليغيه لنا المشاركةِ الواقعةِ
بين دولِ الائتلافِ العظمى وتركيا، وبينّا له أنّه من الممكنِ تسليمُ القطعاتِ
العسكريةِ الضاربةِ في اليمنِ عقيبَ حصولِ المقرراتِ الدوليةِ القطعيةِ، وتأمين
مطالبنا الماليةِ الوفيرةِ، وطلبنا منه التوسطَ، لدن فخامتكم، وسائر الدولِ
العظمى بتصديقي حاكميةِ إمامتنا باليمنِ، وتأمينِ سعادتها المستقبليةِ.

وقبْلَ انتهاءِ المخابرةِ الجاريةِ بيننا وبينَ الوالي المشارِ إليه ما شعرنا إلا
بأشغالِ عساكرِ بريطانيا العظمى للحدّيدةِ التي هي المرسى الوحيدُ لليمنِ
بصورةٍ مخالفةٍ لما وردَ من الوالي المشارِ إليه في بيانِ المقرراتِ الدوليةِ في المشاركةِ.

فوقعَ هذا الاشغالُ الفجائيُّ موقعاً سيئاً، وأحدثَ هيجاناً عظيماً لعامةِ
سكانِ القطرِ اليمني، وحيث أنا طبعاً حريصون على عدمِ سفكِ الدماءِ، ولم
تكنْ منّا ولا من جهةِ أهلِ اليمنِ مداخلةٌ في الحروبِ مع تركيا، ولأنّا نجتنبُ
وقوعَ الثورةِ الفوضويةِ فقد أرسلنا لجنةَ مركبةٍ من مبعوثِ اليمنِ السيدِ علي بن
أحمد بن إبراهيم بن الإمام، ومبعوثِ اليمنِ أيضاً بهاء بك، والقاضي الفخري
عبدالله بن أحمد العرشي، ومدير البانق العثماني موسى كوزكجي للمذاكرةِ مع
والي عدن، وتأمينِ الحقوقِ المعروضةِ لدن فخامتكم والدولِ المعظمةِ فبناءً عليه
أرجو من فخامتكم الخادمةِ للإنسانيةِ والأقوامِ العربيةِ والمانعةِ لكلِّ اعتداءٍ
تأمينَ حقوقنا المألّكةِ باليمنِ وتصديقها.

وفي الختام، أؤكد لفخامتكم إخلاصي الودي، ملتتمساً منها طلب اللجنة المذكورة لمقابلة فخامتكم إذا لم تكن لوالي عدن صلاحية تامة لحل وحسم هذه المسألة، وأرجو فخامتكم قبول احتراماتي الحبيبة وتمنياتى الخالصة.

نقف في ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٧.

والرسالة تعرض لملك بريطانيا القضايا التالية:

- التأكيد على استقلالية اليمن منذ ألف سنة وزيادة، وعدم خضوعها للدولة العثمانية كسائر البلدان العربية، وحين حاولت الدولة العثمانية إخضاعها قوبلت بمقاومة عنيفة منذ عهد المطهر بن الإمام شرف الدين ت ٩٨٠هـ / ١٥٧٢ والذي عقد نوعاً من الائتلاف مع العثمانيين، ثم لا زالت الدولة العثمانية تحاول إخضاع اليمن، واليمنيون يقاومون، وقد أريق دماء كثيرة وغزيرة بسبب ذلك، وكأن الإمام يحيى أراد أن يوجه رسالة إلى الملك البريطاني، بأنهم إن فكروا بمحاولة إخضاع اليمن، فلن يجدوا إلا المقاومة، فقد اعتاد اليمنيون على المقاومة منذ ألف سنة فأكثر. وهذه أحداث تثبت شواهد التاريخ.

- لقد كان الإئتلاف الأخير مع السلطنة العثمانية، والمقصود به صلح دعان سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، حيث ترتبت أموالاً لدولة الإمام على الدولة العثمانية، وهو يشير هنا إلى مجموع القروض التي قُدمت للعساكر العثمانية، حين انقطع وصولها بسبب ظروف الحرب والحصار البحري الذي فرض على الموانئ.

- يبلغ الإمام يحيى، ملك بريطانيا، أن الإمام قد اتصل بوالي عدن شارحاً له عدم ممانعته في إخلاء اليمن من القطاعات العسكرية العثمانية، ولكن بعد صدور القرارات الدولية بصورة قاطعة، وتأمين حصول اليمن على حقوقها في القروض التي قدمت للقطاعات العسكرية العثمانية.

ويلاحظ ورود كلمة القطاعات العسكرية الضاربة في اليمن، وكأن

الإمام يريد أن يُعرّف الانكليز أن القوات العسكرية العثمانية المتبقية في اليمن، كانت كبيرة في أعدادها، وعددها، وهذا لا ينسجم مع ما وردَ عند عبد الكريم بن أحمد مطهر، بأنها كانت قليلة، ووصفها ببعض مجموعات.

- ينهي الإمام يحيى إلى الملك البريطاني طلبه إلى الوالي الحصول على قبول وتصديق واعتراف للحكومة الإمامية في اليمن من قبل حكومة بريطانيا.

- ثم يتناول الإمام احتلال بريطانيا للحدّيدة، الميناء الوحيد لليمن، بصورة فجائية، خلافاً لما ورد في الرسائل والتعهدات البريطانية، ويصورُ للملك البريطاني غضب أهل اليمن من ذلك، وهيجانهم ضدّ بريطانيا، حيث إنَّ اليمن التزمت الحياد خلال فترة الحرب، ولما كان الإمام لا يرغب في سفك الدماء، ولا يسعى لإثارة أهل اليمن فإنه يرسلُ وفداً للمباحثة في ذلك.

- كان الوفد الذي أرسله الإمام يضمُّ عضوين من أعضاء مجلس المبعوثان، البرلمان، كإشارة لإشتغال العضوين في السياسة وأمورها، والقاضي عبد الله ابن أحمد العرشي، أكبر كتاب مقامه، وموضع ثقته ومدير البنك العثماني مسيو كوزكجي وهو اقتصادي بارز. ومثل هذا الوفد يمكن أن يبحث في الشؤون السياسية والقانونية والاقتصادية من تجارة واستغلال الثروات، ويبدو أن الإمام يحيى كان ينبغي من ضمِّ العضو الخبير في الاقتصاد، التلويح بإمكانية التعاون الاقتصادي.

ويطلبُ الإمام يحيى إلى الملك البريطاني عبارات عاطفية مشيداً بدور بريطانيا الإنساني «تأمين حقوقنا المالكة في اليمن وتصديقها».

ويختتم رسالته إلى الملك البريطاني بالالتماس لمقابلة اللجنة وحضورها لطرفه للتباحث في القضايا التي طرحها إذا كان والي عدن البريطاني لا توجد لديه الصلاحيات الكافية لمعالجة مثل هذه القضايا والبت فيها.

ويبدو أنَّ بريطانيا قد أشاحت بوجهها عن الإمام ومطالبه، وتصامت عن سماع القضية اليمنية، وبدلاً من استمرارها في الحوار والتفاوض مع الإمام يحيى، فإنها لجأت لوسائل جديدة من الضغط عليه لما تنهت أخبار الاجراءات التي اتخذها الإمام يحيى منذ دخوله صنعاء في صفر ١٣٣٧ هـ وحتى ربيع الأول من نفس العام، بعد أن خلت ثغور البلاد اليمنية من العساكر التركية، فيما عدا محمود نديم بك ومن تبعه من الموظفين والعسكريين الذين أصروا على البقاء والعمل في دولة الإمام، سيما وأنَّ الإمام قد أجرى عليهم الكفريات الفاضلة من رواتب ومؤن وإمدادات، وأسند إليهم بناء مؤسسات الدولة ودوائرها الإدارية، وهو ما سندرسه في مبحثنا اللاحق.

وتمثَّل الضغطُ على الإمام يحيى بالتأثير على محمود نديم بك وأتباعه لدفعهم إلى إخلاء اليمن، وكانت رسالة مدير الاستخبارات العسكرية الموجهة إلى وكيل وزارة الشؤون الخارجية واحدة من وسائل الضغط، فقد جاء فيها:

مكتب الحرية

القاعة البيضاء White Hall

الحتم: ٩ ديسمبر ١٩١٨ ثم رقم التسجيل وتاريخ الارسال:

رقم ٢٠٢٨١٩، تاريخ ١٠ ديسمبر ١٩١٨

ثم الأحرف والأرقام (M.1.2.) ٨٢١ / ١٣

يقدمُ مديرُ الاستخباراتِ العسكرية تحياته إلى وكيل وزارة الشؤون الخارجية، وعطفاً على النسخة الملحقة من التلغراف المرسل من مقر القيادة العامة في عدن، فإنَّ هناك ما يوحى بالشك أنَّ ثمة تحالفاً بين الإمام يحيى وأحد أبناء العرب ممن كانوا يخدمون في الإدارة التركية.

إنه الوالي محمود نديم وهو سوري، وذو نزعة قومية، والكثير من صف الضباط، الذين يعملون مع الأتراك هم من القوميين العرب، فيما يعتقد، ورئيسهم هو سيد طه، وهو شقيق ياسين باشا، الموجود حالياً في القيادة

بدمشق.

ويقترح القائد العام W. Thwaites أنه لما كان الضباط العرب في اليمن ليس لديهم معلومات دقيقة عن توجهات الشريف فيصل، فإنهم مستمرين في النظر إلى البريطانيين كأعداء لهم. فلا بدّ إذن من لفت نظر المندوب السامي في مصر إلى ذلك.

ويمكن التنسيق بين المندوب السامي والقائد العام للبعثة العسكرية في مصر، للحصول على رسالة من ياسين باشا إلى أخيه في اليمن، وتبعث من خلال القائد العام في عدن.

وهذه الطريقة يمكن أن نمارس ضغطاً غير مباشر على الإمام ليحول ذلك دون محاولته، احتلال لحج أو معارضة استسلام الثكنة التركية في برعدن. هذا، وإن الجنرال Thwaites سيكون مغتبطاً إذا قام اللورد هاردنجز أوف بنشورست Hardings of Penshurst بإعلام السير وينجت بالالتزام بما جاء فيها ورد أعلاه.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام. لماذا نحت القيادة البريطانية هذا المنحنى، ولجأت إلى وسائل جديدة من المكر والخداع ووسائل الضغط: إن الإجابة عليه تكمن في مسألتين:

المسألة الأولى: الخطوات العملية الذاتية التي اتخذها الإمام يحیی إثر استسلام أعداد كبيرة من القوات العثمانية وتوابعها إلى أحضان العدو.

المسألة الثانية: الموقف الواضح الذي حدّده محمود نديم والقوات التركية التي بقيت تستجيب لأوامره طوعاً، وقد عبرت ثلاث وثائق ذات الرقم ٢٧١١/٢ G. بتاريخ ١٠ حزيران سنة ١٩١٩.

رسالة محمود نديم إلى قنصل الولايات المتحدة في عدن، ورسالتا محمود نديم إلى الصدر الأعظم في استانبول (القسطنطينية). وهو ما سندرسه في الباب الرابع.

Turkish evacuation, 1918-1920

Dated 18th Rabi Awal 1337
= 22nd December 1918.

Praise be to God the merciful, the Compassionate.

..... Seal of Imam Yehia bin
: : :
: : : Mohamed bin Hamid-ud-din
: : :
.....

To,

General Stewart, O.D.,
Political Resident, Aden.

A.O,

We had telegraphed and explained to your honor the reasons of stopping the withdrawal of the Ottoman defence stationed in the district of Yemen, pointed out the liabilities of our claim against the Ottoman Government, and requested information concerning the establishment of our rule in Yemen in the same way as existed in the time of our ancestors. Such claim is being undeniably admitted by the history of the world and upheld by the Great Powers. While we have been, in spite of the armistice concluded between the Powers, anticipating your honor's reply, we have learnt about the attack made by the British squadron and forces against the important Port of Yemen i.e. Hodeida and its forcible occupation. Such sudden action has made a bad impression and a great agitation amongst the inhabitants of Yemen generally, though we had formerly explained to you that we do not wish any bloodshed or the occurrence of anything which might disturb the friendly relations, we necessarily wish to maintain with the Great British Government. We requested Your Excellency to obtain the final decision of the Great Powers for the non-interference with our Imamic Government in Yemen in the same way as our ancestors use to be.

Now we deem it advisable to delegate a delegation comprised of Sayid Ali bin Ahmed bin Ibrahim bin

Records of Yemen

Al Imam the (Ex) Member of Parliament for Yemen, Baha Hay
(Ex) Member of Parliament for Yemen, Kadi Al Fakri Abdallah
Al Arashi and Mr. Karkjee the Manager of the Ottoman Bank
in order to solve the questions above referred to, to en-
sure friendship and remove all causes of misunderstanding
between us.

We have deputed the aforesaid commission to meet Your
Excellency, and we request you to promptly issue orders to
the Commandant of the British Forces at Hodeida to at once
stop activities (or operations) pending the result of the
negotiation and settlement.

We wish and hope that you will on the arrival (at Aden)
put a stop to all the difficulties and do all you can to
substantiate humanity and friendship which we desire to
maintain for ever

May you etc.

P.S.

Herewith a letter to the address of His Majesty your
King, which please transmit to him.

الباب الرابع استراتيجية الإعدادِ والعُدّةِ

الفصل الأول: صنعاؤه ومطلب الأمنِ

المبحث الأول: إحياء هجر العلمِ

الفصل الثاني: الجيشُ والصناعاتُ العسكريّةُ

المبحث الأول: بناءُ الجيشِ المظفرِ

المبحث الثاني: المكتبُ الحربيّ

المبحث الثالث: إعادةُ تشغيلِ مصنعِ الأسلحةِ ومعملِ البارودِ

المبحث الرابع: الاستعداداتُ الأخرى (وسائلُ الاتصالِ والنقلِ، والطبابة).

الفصل الثالث: محمود نديم ومواجهةُ محاولاتِ إضعافِ جبهةِ الأمامِ

الفصل الرابع: الإدارةُ المدنيّةُ لحكومةِ الامامِ



الباب الرابع

استراتيجية الإعداد والعُدّة

الفصل الأول

صنعاء ومطلبُ الأمن

المبحث الأول: إحياء هجر العلم:

كانَ الوضعُ الذي آلَ إليه اليمنُ بعدَ استسلامِ مجموعاتٍ كبيرةٍ منَ العساكرِ التركيّةِ للقواتِ البريطانيّةِ في عدنَ والحُدُودِ مدارَ مداولةٍ بينَ الإمامِ يحيى ومستشاريه من أعيانِ العلماءِ وقادةِ المقاتلينَ ومشايخِ القبائلِ، والساداتِ وكبارِ المسؤولينَ الأتراكِ الذينَ اختاروا البقاءَ في اليمنِ، والعملَ معَ الإمامِ، ورفضوا مذلةَ الاستسلامِ للبريطانيينَ، وكانَ على رأسِهِم، الوالي العثمانيُّ محمود نديم بك وشوكت بك وحسني بك الطبيبِ وكنعان بك وجورجي النصراني النمساوي، المهندس الميكانيكي، وأسفرت تلكَ المشاوراتُ عن ضرورةِ انتقالِ الإمامِ يحيى من مركزِهِ في شُهارَة إلى صنعاء لتسلّمِ مقراتِ الحكومةِ التركيّةِ هناكَ ودوائِرِها ومنشأتِها. وكانتَ هذهَ الخطوةُ هي الإعلانُ الرسميُّ لقيامِ حكومةِ الإمامِ الإسلاميّةِ.

الفصل الأول

صنعاء ومطلب الاستقرار والأمن

لَمَّا كَانَ الإمامُ يَحْيَى يَدْرِكُ حَتْمِيَّةَ تَسْلِيمِهِ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ، فَقَدْ عَمِدَ فِي فتراتٍ سَابِقَةٍ إِلَى إِحْيَاءِ هَجَرِ الْعِلْمِ فِي مُخْتَلَفِ أَنْحَاءِ الْيَمَنِ مَعَ إِيْلَاءِ الْمَنَاطِقِ الْوَسْطَى، وَخَاصَّةً تِلْكَ الْمَحِيطَةَ بِصَنْعَاءَ عَنَايَةً خَاصَّةً.

وَمِنْ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنْ تَعَيَّنَ الْحُكَّامُ (القضاة) فِي الْمَنَاطِقِ الزَّيْدِيَّةِ قَدْ أُسْنِدَ إِلَى الْإِمَامِ بِحَسَبِ شُرُوطِ دَعَايَ سَنَةِ ١٣٢٩هـ / ١٩١١م^(١)، فَقَامَ بِنَشْرِ قَضَائِهِ فِي مَنَاطِقٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الْيَمَنِ، وَكُلِّفَ ذَوِي الْكِفَاةِ الْعِلْمِيَّةِ بِالتَّدْرِيسِ وَالْوَعْظِ فِي مَنَاطِقِهِمْ. كَمَا أَنَّ الشُّرُوطَ الْأُخْرَى الَّتِي جَاءَتْ فِي الصَّلَاحِ، مَكْتَنَّهُ مِنْ الْإِشْرَافِ عَلَى الْأَوْقَافِ فِي صَنْعَاءَ وَخَارِجِهَا وَالْوَصَايَا، وَأُعْفِيَ كُلُّ مَنْ قَبَائِلِ أَرْحَبَ وَخُيْلَانَ وَأَهْلَ جَبَلِ الشَّرْقِ مِنْ دَفْعِ الضَّرَائِبِ لِلْأَتْرَافِ لِمُدَّةِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ. وَكَانَ لِهَذِهِ الشُّرُوطِ أَثَرُهَا فِي تَوْفُرِ الْأَمْوَالِ لَدَى بَيْتِ الْمَالِ، فَخُصِّصَ مِنْهَا مَا يَلْزَمُ لِإِحْيَاءِ الْهَجَرِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ انْدَرَسَتْ مَعَالِمُهَا وَاخْتَفَى دَوْرُهَا الْعِلْمِيُّ بِسَبَبِ الصَّرَاعِ الْيَمَنِيِّ الْعُثْمَانِيِّ، فَكُلِّفَ الْإِمَامُ يَحْيَى قَبِيلَ دُخُولِهِ صَنْعَاءَ الْعَلَامَةَ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكَبْسِيِّ ت ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م بِالانتِقَالِ مِنَ الْأَهْنُومِ إِلَى هَجْرَةِ سِنَاعٍ - مِنْ بِلَادِ الْبَسْتَانِ - الْقَرِيبَةِ مِنْ حُدَّةٍ فِي نَوَاحِي صَنْعَاءَ - لِنَشْرِ الْعِلْمِ فِيهَا وَتَدْرِيسِ فَنُونِهِ الْمُخْتَلَفَةِ وَإِقَامَةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالتَّذْكِيرِ وَالْإِرْشَادِ، وَمَا التَّذْكِيرُ وَالْإِرْشَادُ إِلَّا وَقَدْ قَصِدَ بِهِ فِي أَحَدِ مِيَادِينِهِ، الطَّاعَةُ وَالْوَلَاءُ وَالْوُدُّ لَأَلِ الْبَيْتِ. وَتَشِيرُ الْوَقَائِعُ التَّارِيخِيَّةُ إِلَى نَجَاحِ الْعَلَامَةِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكَبْسِيِّ فِيهَا كُلِّفَ بِهِ، فَقَصَّدَهُ طُلَابُ الْعِلْمِ مِنْ خَوْلَانَ^(٢). وَخُصِّصَ ثَلَاثَةُ رِيَالَاتٍ أَجْرَةً لَهُ، وَكُلِّفَ الْإِمَامُ يَحْيَى أَيْضاً الْعَلَامَةَ اسْحَقَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَجَاهِدِ ت ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م، بِتَدْرِيسِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ (الْمَذْهَبِ الزَّيْدِيِّ)، أَصُولِهِ

(١) انظر اتفاقية دَعَايَ فِي الْمُلْحَق.

(٢) نَزْهَةُ النَّظَرِ ١٠٥-١٠٧.

وفروعه في هجرة حصن كحلان تاج الدين، المدينة الجبلية في شمال شرق
حجة بمسافة سبعة عشر، كم^(١)، فلم يزل مُلَازِماً للتدريس^(٢) هناك فترة
طويلة.

وحين تولى إسماعيل بن إسماعيل المروني القضاء ببلاد الحيمة سنة
١٣٣٦ هـ أمره الإمام بالسكني في محلٍ منها يتوسط فيما بينها وبين البلاد
الشاحذية شمال المحويت وسارع وحراز ونحوها من البلاد التي تحت سيطرة
الأتراك، فأقام إسماعيل المروني هناك، واشتغل بنشر العلم وإحيائه في تلك
المنطقة إضافة إلى فصله في المنازعات والشجارات وغيرها^(٣).

وقد نشر سيّد سالم صورة رسالة بعث بها الإمام يحيى إلى العلامة قاسم بن
حسين، أبو طالب، لتحويل واردات أوقاف بعض الوصايا أو الأوقاف التي لا
يُعلم أمكنة المنتفعين منها، فيصرف لبعض المدرسين منها، وقد خصّص الإمام
يحيى للعلامة أحمد بن عبدالله الكبسي ثلاثة رiales شهرية لإعانتة على نشر
العلم والهداية وجاء في الرسالة.

(١) معجم الحجري، ٥٣٤.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٤٦.

(٣) نزهة النظر، ١٧٨.

بسم الله الرحمن الرحيم
(الْحَتَمُ : أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين)

يحیی بن محمد حمید الدین
الأخ العلامة قاسم بن حسين أبو طالب
حرسه الله والسلام عليكم ورحمة الله
قد كان البحث منّا عمّا يكون
من التقارير للمدرسين

وهل لذلك أصل أم لا
ولا شك أنه قد

تتابع

النظارُ الأعلام

وكانت المقررات لبعض

المدرسين مستمرة لنشر العلم

وإحيائه الذي به حياة الإسلام

ولذلك وجه، وهو أن ثمة في

الوقف الداخلي ما هو من

وصايا أو أوقاف

لا يعلم مَصْرِفُها

أو

لمساجد قد اندرست ونحو هذا

ومع ذلك ناسب لدينا أن يكون للصنوي

العلامة أحمد بن عبد الله الكبسي في كل
شهر ريلان من أجرة
السَّاسِر ونحوها ويكون
لَهُ من قباضِ عصرٍ اثنا عشر
ريالاً في السنة حتى يكون
لَهُ له كل شهر ثلاثة ريلات
من الأجرة
وعصرٍ

وَنَرْجُو إن شاء الله بذلك الثواب لإعانة الصنوي الصفي على استمرار نشر
العلم والهداية فنأمركم بهذا مُعْتَبَرًا

من غرة سنة ١٣٣٦ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٤ ذي القعدة سنة ٣٥.

وقد رافق تلك الخطوة التمهيدية، حوزة للأسلحة والذخائر التي كانت
بحوزة القطعات العثمانية المتجهة للاستسلام، وكنا قد أشرنا إلى ذلك في مكانه
سابقاً. ثم بعث عبد الله بن أحمد الوزير بعصاية من الجند لترتيب قصر صنعاء،
غمدان، حيث قام بمهمته خير قيام، معداً المدينة لاستقبال الإمام يحيى،
فدخل الإمام صنعاء يوم الأحد ١٣ صفر ١٣٣٧هـ / ١٩ نوفمبر ١٩١٨م
وبرفقته عقال حاشد وبكيل وأرحب ونهم وخولان، واستقبله في صنعاء
السادات والعلماء والأعيان وعامة الناس وأمرأ الأتراك من مدنيين وعسكريين
وقضاة، ومضى ركبته إلى جامع صنعاء الكبير، فصلّى به شكراً لله على ما منّ به،
ثم انتقل إلى دار حسين بن علي العمري التي اتخذها مقراً مؤقتاً لحكومته،

وأعلن بأنَّ همَّةُ الأوَّل، ضَبَطُ الأمورِ وتحري مصالح الجمهورِ وبثُّ الأمانِ»
ووصلتْ إليه الوفودُ مهتتةً، مظهرةً الموالاةَ وانتظامَ أمرِ الطاعةِ، وبادرَ الإمامُ إلى
إرسالِ العمَّالِ والقضاةِ والمأمورينَ إلى المناطقِ الوسطى والسفلىةِ والشمالِيَّةِ
لترتيبِ القلاعِ والحُصُونِ، وبثَّ فيها الحامياتِ لإحكامِ سيطرتهِ عليها،
والحيلولةِ دونَ خروجِ شيوخها عن الإخلالِ بالطاعةِ. وتشيرُ المصادِرُ المعاصرةُ
إلى أنَّ الإمامَ قد عيَّنَ في خلالِ ثمانيةِ أشهرٍ منذُ دخوله صنعاءَ حتى رمضانَ
سنةِ ١٣٣٧ أكثرَ من سبعةِ وثلاثينَ شخصيَّةً من الأمراءِ والحكامِ والقضاةِ
والمأمورينَ في مختلفِ أنحاءِ اليمنِ. وكانَ الإمامُ يحییى قد أصدرَ أمرهَ بمنعِ
الدخولِ من أبوابِ صنعاءَ بالبنادِقِ، وعيَّنَ أمناءَ يقبضونَ البنادِقَ من كلِّ
داخلٍ إلى صنعاءَ ليحفظَ الأمنَ في المدينةِ ويحولَ دونَ احتمالِ إثارةِ الفتنِ أو
التعديِّ على النَّاسِ، وكمظهرٍ للأخذِ بأحكامِ الشريعةِ ونبذِ القوانينِ التركيَّةِ فقد
أقامَ حدَّ القصاصِ على ابنةِ القاوي بجريمةِ قتلٍ اقترفتها.

غيرَ أنَّ الخطَرَ الأكبرَ الذي يتحسُّبه الإمامُ يحییى، ذاكَ الخلَلُ الذي يتوقعُ
وقوعهَ من مشايخِ المناطقِ التي تفرَّدتْ بالسلطةِ في قبائلها لأكثرَ من عشرينَ
سنةً، تراختْ خلالها قبضةُ الأتراكِ عليهم، وأغمضَ الأتراكُ عيونهم عن
ممارساتهم ومظالمهم، ورأى الإمامُ يحییى صعوبةَ تلافي الحوادثِ بما تحتاجُ إليه
الحوادثُ من الجنودِ وسُرعةِ إرسالها. سيِّما وإنَّ المقاتلينَ من رجالِ القبائلِ
تشاقلوا عن دُعواتِهِ للقتالِ عندَ الحاجةِ، وخاصةً بعدَ تقليصِ ظلِّ الأتراكِ في
اليمنِ، وهو في حاجةٍ قُصوى لجُنْدٍ نظاميٍّ لصونِ البلادِ من الأخطارِ الخارجِيةِ
التي تحاصرُ اليمنَ. واستقرَّ رأيه ومعاونوه على ضرورةِ بناءِ جيشٍ نظاميٍّ، يكونُ
قادراً على، «إقامةِ الشريعةِ والانتصافِ للمظلومينَ وإرهابِ الظالمينَ، وردِّعِ
ذوي النفوسِ الطائشةِ، والعقولِ الضعيفةِ، وزَجْرِ أُولى العُدوانِ من سُلوِكهم

في تلك السُّبُلِ المخيفة»^(١) ومعنى ذلك أنَّ الإمامَ يخططُ لمدِّ سلطتِه على البلادِ، وقَمْعِ ثوراتِ القبائلِ، ويضمّنُ مواردهُ الماليّةَ منْ واجباتِ وعشورٍ وزكواتٍ. بحيثِ يؤمّنُ سُبُلَ الراحةِ ومن ثمَّ الاستقرارِ في الداخلِ ليتفرَّغَ لمقاومةِ الأخطارِ الخارجيّةِ المتوقعةِ من الانجليزِ ومن الزعاماتِ العربيّةِ المتحالفةِ مع بريطانيا.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الإمامَ يحیی ومنذُ اختياره إماماً كانَ يتخذُ جُنْدًا ملازمًا لحضرتهِ تسمى «عُكفَةُ الإمام» يوكلُ إليها حراسةَ المقامِ، أما باقي الجندي فجزّت العادةُ على الاقتصارِ على طلبهم عند الحاجة للقتالِ وترتيبِ البلادِ، وكانوا في معظمهم من رجالِ القبائلِ، غيرَ أنَّ أعظمَ خطرٍ كان يتوجسهُ من القوى الخارجيّةِ الطامعةِ؛ سواءً من الانجليزِ في عدن والحديدة والذين يقفون له بالمرصادِ، وما كان يتربصه في أنحاء الجزيرة العربيّة. وزادَ هذه الأخطارَ إيغالا ما كان يقال، بأنّه ليسَ عندَ الإمامِ جيشٌ مدربٌ»^(٢). وأن سلاحةً ودخائره نافذةٌ لا محالةً بسببِ تناقصها، وعدمِ الاقتدارِ على تعويضها مع شدةِ الحصارِ وإحكامه. فقد نقلَ الواصلونَ من عدن، أنَّ الانجليزَ يستقصونَ عن أمرين من دولةِ الإمام:

الأول: مصنعُ السلاحِ العثمانيِّ ومآلهُ.

والثاني: الجيشُ وتدريبُهُ. ويُظهرونَ لذلكَ مزيدَ الاهتمامِ.

فالإنجليزُ بصورةٍ خاصّةٍ يراهنونَ على نفاذِ الأسلحةِ والدخائرِ منْ عندِ الإمامِ بسببِ صرامةِ الحصارِ ومراقبةٍ ومضايقَةٍ تجارِ السلاحِ ومنعِ وصولِهِ إلى اليمنِ بوسائلِ المقاطعةِ التجاريّةِ مع الإمامِ.

(١) كتيبة الحكمة، ٢١-٢١، عمدة القارئ، ٣٦-٣٧.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٢.

ثمّ في انتفاء جيشٍ محترفٍ مدربٍ سيوجدُ مَلَأٌ وتعباً لدى رجالِ القبائلِ
من مواصلةِ الحربِ، فلا يلبثون أن ينفَضُوا منْ حوله ويَجْبروه على الاتفاقِ مع
الانجليزِ كما فعلَ مشايخُ وسلاطينِ المحمّياتِ من قبلُ، فالحروبُ قدْ أنهكهم
دوامُها^(١). ومنْ بين هذه التداعياتِ كانَ قرارُ الإمامِ بوجوبِ بناءِ الجيشِ
النظاميِّ المدربِ.

(١) المصدر السابق، ٣٣.

الفصل الثاني الجيش والصناعات العسكرية

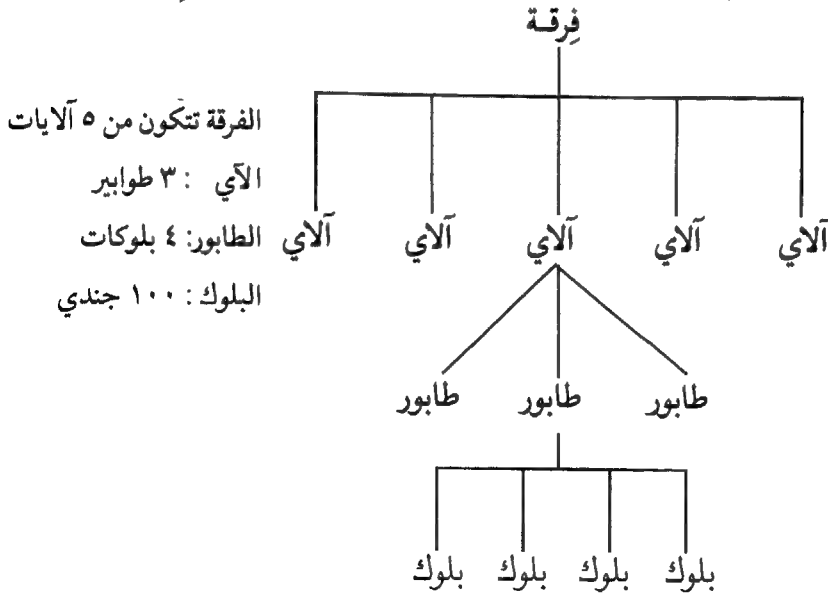
المبحث الأول: بناء الجيش المظفر، الأزكي:

عمل الإمام يحيى على تنفيذ خطته في بناء الجيش، وكانت نواته الأولى، اختيار جماعات من المقاتلين النظاميين الذين خدموا في عكفة الإمام وحراسة المقام، ومن بقايا عساكر الضبطية اليمنية والجندرية التركية الذين اختاروا البقاء، ثم طلب إلى عمال الجهات المجاورة لصنعاء بجمع الجنود من قبائل تلك المناطق في مدة قصيرة، وخاصة من قبائل سنحان وبلاد البستان وبني الحارث وبنو حشيش^(١)، ثم وسع التجنيد إلى مناطق أخرى من همدان وأهل الغولة وبيت الذيب وأرحب. وصار ترتيب الجيش على قواعد الجيش التركي مع بعض التعديلات الطفيفة. وعين الإمام هيئة للإشراف على تكوين الجيش وإدارة شؤنه عرفت بإدارة القمسيون على النسق التركي.

وعين لرئاستها، حسين بن علي عبد القادر، عضو مجلس المبعوثان العثماني سابقاً ورئيس بلدية صنعاء، والقاضي لطف بن محمد الزبيري، الحاكم الأول بصنعاء، والقاضي حسن بن أحمد الشوكاني، متولي الشهادة بالمحكمة الشرعية وغيرهم وحدد مهمات الهيئة، بقيد أسماء المجندين المختارين، وقيد أسماء كفلائهم بإشهادات شرعية، والنظر في أمورهم، وكان ضمان الكفلاء في محافظة العسكري على حقوق بيت المال من بندقية وعتاد وزبي.

(١) المصدر السابق، ٢٢.

وقد استعان الإمام يحيى بحوالي ثلاث مئة من الضباط والجنود الأتراك للضبط والتدريب كان من بينهم محمود نديم بك للإشراف العام، وكنعان بك الذي أسندت إليه مهمة التدريب، وأطلق عليه لقب «معلم الجيش» واختار الإمام لجنده اسم «الجيش المظفري»، وكانت تشكيلاته، من الهرم كما يلي:



وأُعطي كل جندي رقماً، وحُدِّدَت الرواتب، ووضع نظام للترتب العسكرية كانت كالتالي:

جندي، عريف، شاوش، نقيب، ملازم أول، نقيب ملازم ثان، يوزباشي (أمير مئة). لكل طابور أمير، بكباشي، أمير ألف، أمير، أمير الجيش^(١).

وكان أمراء الجيش في البداية من الأتراك، وبعضهم من أبناء اليمن الذين كانوا في الوظائف المذكورة، وتدرَّبوا في تركيا أو ممن تخرجوا من المدرسة الحربية التركية. وعيَّن عبدالله بن محمد الضمين، أميراً للجيش المظفر، وهو من أشراف

(١) تاريخ اليمن العسكري، ١٠٨، كتيبة الحكمة، ٢٢.

الحمزات، سبقت له الخدمة في الجيش التركي وترقى حتى وصل إلى رتبة البكباشية، و يليه أميراً، علي بن أحمد بن إبراهيم بن الإمام، وعين كتاباً بمعية الأمير وفي الطوابير والبلوكات، وعين أركان حرب لكل البلوكات وفي الطابور، تكون وظيفة أركان الحرب، تدبير حركات الجيش حال القيام بالمدافعة والإقدام وغير ذلك^(١)، وأمر الأمير بمباشرة التدريب بعد تعيين كنعان بك معلماً للجيش، واتخذ الجيش المباني التي كانت تسكنها جنود الأتراك في الجهة القبليّة من وراء سور صنعاء في العُرضي، سكناً للجنود، وكانت واسعة ومتقنة البناء.

وأصدر الإمام أمراً احترازياً بأن لا يسافر أمراء الأتراك إلّا ريثما يتسنّى لهم السفر بدون الوقوع في أسر الإنجليز، بمعنى: لا ترك للخدمة إلّا بعد زوال دواعي التسليم، وهو بهذا يضمن استمرار التدريب لجيشه الناشئ ويحول دون تسرب أسرارهِ في حال عزم أحد الأمراء من الأتراك على الاستسلام. وكان التدريب يقوم على خطة مكثفة للتدريبات المألوفة تشمل انتظام الحركات وأصول تعبئة الجيش والإقدام والإنسحاب (التلاقي والمهاجمة)، والتوصل إلى ارتقاء الحصون والمحال العالية، فالنظام يعني، الزام الجندي بتمرين بدني يكسبه قوة بدنية ومهارة وتدريباً على القتال قبل حضوره ومشاهدته للمعارك، وبتعليمه ضوابط كلية فيما يحب عليه، من حسن الامتثال وفهم أصوات النفير وما تشتمل عليه النفير من إشارات، حيث تجهيز الألف منهم في سويغات، لأنهم يكونون على أهبة العزم أبداً. ويقصد بفهم أصوات النفير الدراية والاتقان للأصوات التي تصدر من البوق، فكل صوت دليل إرشاد بأمر من الأمور، والانتقال من مكان لآخر، وإجراء المهاجمة والتوقف حسب الخطة التي يدبرها أمير الجيش وأمير حال الحرب الواقع. كما تدرب بعضهم على المدفعية،

(١) كتيبة الحكمة، ٢٢ تاريخ اليمن العسكري، ١٠٨، ١٠٩.

طوبجيةً، حتى بلغ عددهم إلى طابور، وعين لكل مدفع أمير صغير وشاوش، وللطابور أمير، يكون تحت نظره عدة مدافع، وأمير المدفعية، أطلق عليه قومندان الطوبجية^(١)، وكان تدريب أفراد المدفعية بالتدريب على كيفية دوران المدافع في حركاتها، وما هيّة الرمي بها، وألحق بالجيش بلوكات وطوابير من المشاة الذين تعلموا فنّ الرمي على أصوله، وضمّ إلى مشاة الجيش طابوراً من الخيالة، ورتب لهم أميراً مخصوصاً، وأجرى لهم ولخيولهم الجرايات، الكافلة بانتظام معيشتهم، وخصص للأمرء والأفراد من الجيش الرواتب الكافية والجرايات اللازمة من طعام وزيّ وأسباب النظافة.

وفي مرحلة لاحقة شكل آلاي من النظام من تعز، فقد طلب الإمام يحيى إلى عليّ بن عبدالله الوزير، أمير اللواء التعزيّ في شعبان ١٣٣٨ هـ أن يجنّد من منطقة تعز، وكان أن جمع الجنّد النظامي من رجال جبل صبر والعدين والحجرية وضواحيها^(٢)، وكان الآي التعزيّ مكوناً من أربعة طوابير متجاوزاً ما كان محدداً في البدء بحدّ أقصى قدره ثلاثة طوابير.

ومن ناحية أخرى، يرى بعض الباحثين أن تكوين الجيش المظفريّ كان على حساب القبائل، فشيّوخ القبائل أصبحوا جزءاً منه، ينفذون أوامر وتعليمات أمراء الجيش فيسهّل ضبطهم ويتخلّل النسيج القبليّ، فقبائل حولان ماطلوا الإمام عندما طلب منهم أن يجمعوا من مقاتليهم عدداً معلوماً، يكونون من جملة النظام، وكان تسويقهم لأنهم اعتبروا أن في المبادرة إلى ذلك انقياداً منهم وفيه نوع من الدّل إلى أن أصلح عامل المنطقة الجديد، محمد بن قاسم الظفريّ، ومعه جماعة من عقّال همدان الأمر، واعتذروا وأقبلوا على التجنيد، ومثلهم فعل أهل الغولة وبيت الذيب إلى أن توسّط عقّال همدان وتمّ التجنيد^(٣).

(١) كتيبة الحكمة، ٢٤.

(٢) كتيبة الحكمة، ٨٨.

(٣) المصدر السابق، ١٤٢، ١٤٦.

وفي محاولة من الإمام لرفع الروح المعنوية لجيشه، ولإظهار قوته زجراً للمخالفين وردعاً للطامعين، فقد حرص الإمام يحيى على تقديم عرض عسكري للجيش في كل يوم جمعة، والخروج لصلاة الجمعة بموكب منتظم، واستعراض البلوكات والطواير من عساكره بعيد الصلاة. بحيث يُشارك في العرض وحدات من الجيش، حيث يتقدم الموكب، والإمام في طريقه لإداء صلاة الجمعة في الجامع الكبير، طُبوّل الجيش وأبواقه ثم طواير من الجيش تسير بانتظام وبكيفية التعبئة الحربية، ثم المدافع بأنواعها الأبوزات والسريع وعادي الجبل والهاونات، ومع كل مدفع يسير مأموره وطبجيّه ومعاونوه ثم الخيالة، فعكف الإمام وحرّاسه، وبعد ذلك الإمام ومعه السادات والعلماء والخاصة يمشي راجلاً قبل الصلاة، وعلى ظهر جواده بعد الصلاة، ويعود إلى بيته في بئر العزب أو دار الصنائع، ويشرف على الجيش فيمرّون صفوفاً، ويرافق الأمراء بلوكاتهم أو طوايرهم وآلياتهم، أو يتقدمونهم. وكان هذا العرض العسكري الأسبوعيّ مظهراً عسكرياً وإشارة واضحة للبريطانيين والمتعاونين معهم، بأنّ جيش الإمام قد أعدّ لدفع ومقاومة أطماعهم وبأنه علامة زجر لكل من يعمل لإثارة الاضطراب أو الفتنة من أهالي البلاد.

ولرفع كفاءة الجيش المظفريّ، فقد أمر الإمام يحيى بإعادة افتتاح المدرسة الحربية،

وأطلق عليها اسم «المكتب الحربي».

المبحث الثاني : الكتب الحربي:

لما كان الإمام يحيى يدرك أنّ إقامة الضباط والجنود الأتراك مؤقتة، إذ لا بدّ وأن يغادروا في نهاية الأمر، فقد سعى لسدّ حاجة الجيش من الضباط من اليمنيين، وذلك بإعادة افتتاح المدرسة الحربية، وعيّن المعلمين والمحافظين

والخدمة لها، ومع أن نظام الدراسة فيها استمرّ وفق المنهج التركي، لكنه أمر بإدخال موادّ جديدة لبدء من إتقانها، وأهمّها: الكتابة والإملاء بالعربية، والتاريخ والعلوم الدينية. وكانت الدراسة فيها باللغة العربية، فرافق كلّ ضابط تركي مُترجم لتبسيط الدروس.

وكان مكتب الحربية يشتمل على أربعة أصناف، ولكل صنف منهجه ومعلموه فصنف الضباط لا بدّ من نجاح الواحد منهم في القراءة والكتابة بالعربية وخصوصاً الإملاء، ثم فنون التعبئة العسكرية وفنون الأسلحة من تدريب على الرشاش وبناء الاستحكامات والعمل العسكري فيها والمدفعية (الطوبجية)، ونظم الإدارة العسكرية وقيادة الجنود وطبوغرافيا.

والصنف الأول، كانت دروسه تشتمل على:

الحساب والجغرافيا وتعليم البيادة (مشاة) والطوبجية والعلوم الدينية وقانون الجزاء والتاريخ والتربية العسكرية والكتاية العربية والهندسة ونظام السفر (أي تحركات الجيش وانتقاله من منطقة إلى أخرى).

وأما الثاني، فكان مكماً لمناهج الصنف الأول من حيث إنهاء المواد المتبقية من منهاج الصنف الأول.

وأما الصنف الثالث، فكان منهاجاً يشتمل على دراسة، تعليم البيادة والطوبجية (المدفعية) والكتابة العربية ونظام السفر والعلوم الدينية والتعبئة والطبوغرافيا وفنّ الأسلحة وسوق الجيش واستحكام الطوبجية، وتعليم الرقابة للبيادية (المشاة)، والفروسية والحساب.

والتخرج لا يكون إلا بعد اجتياز المتخرج لامتحان جيد، حسن الخط والرسم والحساب والتاريخ والعلوم الدينية ومعلومات مدنية وأخلاقاً وإملاء ولغة عربية وتعليمات شريفة (أي أوامر وتعليمات الضبط والربط للمجندين)،

وهي ما عُرِفَتْ بموادِّ الجيش، حيثُ حَدَّدَتْ كُلُّ مَادَّةٍ الواجباتِ وعقوباتِ
التأديبِ أنْ جرى التجاوزُ أو التعديُّ عليها. وكانت المجموعة الأولى من
طلابِ المكتبِ الحربيِّ من السادةِ وضُمَّتْ (واحدًا وأربعين) طالباً، ستة أنْفَارٍ
قبلوا في صنفِ الضباطِ، والصنفِ الأولُ فيه سبعة عشرَ نفراً، والصنفِ الثاني
فيه تسعة أنْفَارٍ، والصنفُ الثالثُ، فيه تسعة أنْفَارٍ، وبعدَ إنهاءِ هؤلاءِ لدراستهم،
كانوا يعينونَ أمراءَ بلوكات، إذا حصلوا على الإجازةِ من معلميهم^(١). ويلاحظُ
أنَّ دائرةَ التعليمِ للفنونِ العسكرية، قد توسعت منذ سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م
في برامجها وسنواتِ الدراسةِ فيها وقُبِلَ في المكتبِ الحربيِّ كُلُّ من وجدت فيه
الكفايةُ والقابليةُ دونَ اقتصارها على السادةِ فقط^(٢) كما كان عند بداية تشكيل
المكتب الحربي.

وتقتني مكتبتني الخاصةُ ثلاثةَ كُتُبٍ، كانت معتمدةً في التدريسِ باللغة
العثمانية، ومن خلالِ الاطلاعِ عليها، فإنَّ منهجَ الاستحكاماتِ والذي وجدتهُ
في كتيبِ مخطوط، تناولَ الدروسَ التالية:

أقسامُ الاستحكامِ وخرائطه ورسوماته والخنادقِ الداخليةِ وكيفية حفرها،
من حيث المسطح والمقاطع، ومواضع استحكامات المدافع وأشكالها
ومقاساتها، وخطوط الاستحكامات والمسافات بينها، وأماكن المراسلات في
الاستحكامات ومدة إنشائها والمدة اللازمة لبنائها وطُرق حمايتها وإخفاء
الاستحكامات والدفاع عنها.

(١) كتيبة الحكمة، ٢٥، عمدة القارىء، ٣٥.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٠٧.

وأما منهاج فنّ الأسلحة فقد اعتمد الكتاب الذي وضعه حسنُ تحسين، البكباشي، معلم المدفعية ط واستانبول سنة ١٣١٣ هـ. ومن برامجهِ التدريسية.

دراسة أنواع الأسلحة الجارحة ومميزات المواد النارية وخاصة البارود الأسود وتركيباته، وأنواعه بدخان أو بدونه ونقله براً وبحراً وبالقطارات، ثم الأسلحة الخفيفة من بنادق نصف آلية وآلية وصنعها والأسلحة الثقيلة من مدفعية وأنواع المدافع، مثل الأبوس والهاون، ومدافع الجبال والصحاري ومدافع القلاع ومدافع حصار السواحل والسفن. بالإضافة الى صناعة قتل المدافع وفن الرماية والتهديف للأسلحة الفردية أو الثقيلة.

وأما نظامُ السفر فقد اعتمد كتاب «خدماتُ سفرية نظامنا» طبعته مطبعة الدائرة العسكرية، سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م. فقد شمل النظام العسكري والحربي للجيش من حيث تعبئة القوات وتدريباتها والقواعد العامة والأوامر الحربية في الميدان، والأوامر اليومية، والمعلومات والتقارير والخرائط، والأمن على الطرقات والخدمات الأمنية للفرسان وخطوط اتصالات الجيش والأرزاق والقواعد الصحية والمشاة والفرسان والتلغراف والأمن العسكري للجيش والضبطية والجندرية.

ووضع للجيش نظاماً للترقيات، وقد عثرنا على صورة لترقية نشر صورتها سلطان ناجي في كتابه «التاريخ العسكري لليمن (١٨٣٩ م - ١٩٦٧ م)». ص ١٣١، دون قراءة مضمونها، والنظر في وثيقة الترقية، يحدد الأهداف التي قصدت من تكوين الجيش، وهي إقامة الشريعة، وحفظ الدين، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل هذا مترتب على الجنود بشرط الطاعة والانقياد وفق الهيكل التنظيمي للرتب العسكرية. وتحدد الترقية أسباب صدور الأمر بترقية النقيب عزيز بن يحيى، من بلوك صنعاء إلى رتبة الملازم الثاني «بحسن ثباته وحسن خدمته وقدمه، وتضمنت وثيقة الترفع بعض الوصايا

للضابط المتربي من الحفاظ على النظافة في سلوكه وحسن النهوض وقت الخدمة وضوابط الراحة أو الإجازة واللباس والأكل، وتعليم الطهارات والحفاظ على الصلوات وأدائها. وفوق هذا كله الطاعة والانقياد، والتحذير من الإخلال والتجاوز فلا بد من معاقبته أشد العقاب، فالجنود هم الجناح والسيف والرمح لدولة الإمام^(١)، ونظراً لما لهذه الوثيقة من أهمية، فأثبت نصّها، فقد جاء فيها:

(١) التاريخ العسكري، ١٣١

قَيْدُ. دَفْتَرِي ١ سَنَةِ ٣٨

نَمْرَةَ ٢١٢

ختم: أمير المؤمنين المتوكل على الله
رب العالمين
يحيى بن محمد حميد الدين

- الحمد لله رب العالمين القائل: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، ولما كان قِوَامُ الدين واجباً لشرعية سيد المرسلين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف وحفظ المسلمين.

- والدفع عنهم وعن أنفسهم وأموالهم، كل ذلك مترتب على الجند، وكان إكمال الجند، وصلاح أحوالهم، وحصول المراد منهم، مترتب على الطاعة والانقياد لمن جعل عليهم أميراً.

- وكان أهل اليمن هم الشيعة الفخام، وأنصار آل الكرام، وأحق الناس بالقيام لما يصلح به دولتهم وبلادهم، أمرنا بتحصيل عسكري من الشيعة يكونون أنصاراً للشرعية.

- وأحباباً للحق وأمرنا بترتيب أمورهم على الوجه المطلوب الكامل حتى يعرف الفرد أن عليه شاوش وعريفه، ويعرف الشاوش والعريف أن عليهما ضابطاً، ويعرف الضابط.

- أن عليه أمراً ويعرفون الأمراء أن عليهم أميراً، ومراجعة الفرد إلى العريفه ومراجعة العريفه إلى الشاوش ومراجعة الشاوش إلى الضابط ومراجعة الضابط إلى الأمراء ومراجعة الأمراء إلى الأمير ومع

- هذا يتم المراد، ويكون الجند انشاء الله تعالى على أكمل صفة. ولما رأينا اقتدار النقيب عزيز بن يحيى المنسوب إلى بلوك صنعاء ثباته، وحسن

خدمته، وديانته.

- وقدمه صار ترفيعه إلى رتبة الملازم الثاني في بلوكه، وعليه حزم أمور بلوكه في كل أمر صغير وكبير حتى في التنضيف^(١) والقيام والقعود واللبس والأكل وتعليم.

- الطهارات، والصلوات، وعلى كل أحد طاعة من فوقه، وأن تكون عليهم السكينة والوقار، وأن يعرفون أنهم أفضل جنود تحت السماء، فلا يحصل منهم شيء فيما.

- يخالف الديانة في شيء من الأقوال والأفعال، ثم ليعلم الجميع أن لا بد يفتح الله بهم البلاد، ويوسع عليهم الإمداد، ونراعيهم أتم الرعاية، وتقدمهم في كل شيء.

- فيما يلزم لهم ومع هذا فليعلموا أنه من خالف أمر أمير فيما يعود إلى أوامرنا ونواهيها أو اقدام إلى ما ليس له فلا بد من معاقبته أشد معاقبة، فإننا.

- اتخذناهم لنا جناحاً وسيفاً ورمحاً وأمناهم على كل شيء يكون ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤيد دينه القيوم ويصلح شأن المسلمين وكتبه بتاريخه في ١٣ شهر رجب الأصب سنة ١٣٤١

المبحث الثالث: إعادة تشغيل مصنع الأسلحة ومعمل البارود العثماني:

وحدثت أسباب ضاغطة على دولة الإمام، جعلته يُسارع إلى إعادة تشغيل مصنع الأسلحة الذي بناه العثمانيون في صنعاء خلال فترة الحرب، فالحصار البحري الذي ما زال محكماً على الموانئ اليمنية يحول دون وصول البنادق والمدافع إلى اليمن، حتى عمليات تهريب الأسلحة من قبل التجار وصلت إلى

(١) التنظيف.

حدّ الاستحالة، والحروب في لحج وعلى جبهة الإدريسيّ وفي الحديدية المحتلة والمحميات وعدن، كانت حوافز لإعادة التشغيل، كما أنّ الفرنجة يبنون خططهم على نفاذ الذخائر من القوات العثمانية بعد استسلامها ومن ثمّ انعدامها عند الإمام يحيى، مما سيضطرّ الإمام يحيى للنزول على إرادتهم.

وبادر الإمام لاقتطاع أجزاء من المباني المتاخمة للمستشفى البلديّ، وهياها لتكون أماكن لمصنع الأسلحة وعهد إلى شوكت بك، وحُسني بك الطبيب والمهندس الميكانيكيّ جورجى النمساويّ بمهمة إعادة عمليات التصنيع العسكريّ، وضمّ إليهم جماعات من أهل اليمن ليتعلّموا فنون الصنعة، وكان من المشتغلين في المصنع، ضباط من الجيش ذوي الخبرة، ومهندسون لإدارة وتشغيل آلات الطحن البخارية، وتفرّغ عن المصنع آلات تُعنى بتجهيز مادة البارود المشتعل ومقدوفات التفجير وقابسونات المدافع والرصاص. ولما كانت مادة البارود موجودة في اليمن، فقد كان العمل لترقية صناعتها بحيث يمكن الاستغناء عن البارود الأفرنجي، وخلال فترة محدودة أصبح البارود المصنّع في اليمن لا يقلّ في جودته عن مثيله الأفرنجي، وقامت آلات صناعة قُلل ورصاص المدافع بتوفير كمّيات كبيرة منه، لا سيما وإنّ مهندسي آلات الطارونة - وهو الاسم المعرّب لآلة صنّع الرصاص والقلل للمدافع - نجحوا في تطوير نوعيّة منتجات المصنع من القليل والرصاص للرشاشات والبنادق^(١).

وجرى توزيع الأساتذة والعاملين كلّ بحسب اختصاصه، ففريق يعمل في إنتاج قُلل المدافع، وفريق لرصاص البنادق والرشاشات، وفريق في المخابر لإنتاج وتحليل المواد النارية اللازمة للصواعق والقابسون، وفريق يعمل في إصلاح الأدوات الخشبية اللازمة للمدافع وغيرهم لمراكب الخيول والبغال التي تحمل أو تجرّ المدافع، حيث يصنعون السروج واللجم والبّاد ومراكب المدافع

(١) عمدة القارىء، ٣٩.

على حيوانات الجرّ، والعجلات وغيرها.

وعُهِدَ إلى خبراءٍ لإعادة إصلاح المدافع والرشاشات والبنادق التي قد أصابها عطلٌ أو ضررٌ، فقد أُصلِحَت بعضُ المدافع البريطانية التي كانت غنيمةً العثمانيين، في اللُحْيَةِ، ونَجَحَ الصَّانِعُ في تطوِيرِ المدافع بحيثُ تكونُ أقوى وأقْدَرَ على بلوغِ مسافةٍ أبعدَ مما كانت عليه، وكذلك في تطوِيرِ مقاساتِ التهديدِ بالرَّمِيِّ والإصابةِ للأهداف لتكون أكثرَ دقةً، ونجحوا في تصنيع أنواع من المدفع المدعوِّ عادي الجبلِ «وحتى القلَلِ، جَرَى إصلاحُها لُتُسْتَعْمَلَ مِنْ مدفعٍ لآخر.

وبذا أمكنَ لورثِ صناعةِ الأسلحةِ من ابتكارِ نماذجٍ جديدةٍ مِنَ المدفعيةِ والبنادقِ والرشاشاتِ وتعويضِ المقذوفاتِ والرصاصِ خلال فترةٍ قصيرةٍ.

وَمِنْ ناحيةٍ أخرى، فقد تمكَّنَ اليمينيون بما مَنَّ اللهُ عليهم من ذكاءٍ ومهارةٍ مِنْ تشغيلِ مصنعِ الأسلحةِ والبارود، وإنتاجِ نماذجٍ جديدةٍ دونَ الحاجةِ إلى خبراتِ الأتراكِ، فالمصنِّعُ بقيَ يعملُ بطاقتهِ الإنتاجيةِ بعدَ رحيلِ عددٍ من المهندسينَ والخبراءِ الأتراكِ، ويقرِّرُ المؤرخانِ عبدالكريم بن أحمد، ويحيى الحدادِ «بأنَّ اللهَ قد أَقَالَ عِثْرَةَ اليَمَنِ وأَهْلِهِ مِنَ الاحتياجِ إلى النَّصارَى وخضوعهم لتحكمه»^(١) ويلاحظُ بأنَّ مصنعَ الأسلحةِ والبارود ظلَّ يعملُ في مكانه إلى أنْ وقعَ حادثُ تفجيرٍ ١٣٤٠هـ / ١٩٢٠م أدى إلى اشتعالِ أجزاءٍ بسيطةٍ من المصنِّع، فأُعِدَّ على عجلٍ مكانٌ جديدٌ له في الصافيةِ العدنية، جنوبي صنعاء، بمحلٍ بعيدٍ عن تحديثِ العمرانِ، وكانَ سقفُهُ من تنكِ لتقليلِ الأضرارِ تحسباً لوقوعِ أيَّةِ حوادثٍ له في المستقبلِ^(٢).

(١) كتيبة الحكمة، ٢٨، ٣٦ عمدة القارىء، ٣٩.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٧٩.

المبحث الرابع: الاستعدادات الأخرى (وسائل الاتصال والنقل والصيانة):

ولما كان الاتصال يستلزم وسائل عاجلة لسرعة إنفاذ الأوامر سواء لقوات الجيش عند تحركها أو لمواجهة الأخطار الخارجية أو الثورات والتمردات المحلية، وحتى يستطيع الإمام إحكام سيطرته على مراكز المناطق والنواحي فقد اهتم بإعادة أعمال وسائل الاتصال، فأبدى اهتماماً بالتلغراف، أسلاكه وآلاته ومعداته ومأموريه وخدمته، وكان العثمانيون قد مدّوا أسلاك التلغراف من صنعاء إلى الحديدة فالأستانة، وتولى عبدالله الجركسي إيصال التلغراف إلى ذمرمر ويريم وإب وتعز حتى معبر، وغدت أسلاك التلغراف تربط بين صنعاء - بر اليمن - الحديدة - البحر الأحمر - البحر المتوسط - ثم براً إلى بيروت فالأسكدار حتى الأستانة، وقد حال الإمام يحيى دون تخريب أسلاك التلغراف، لأنه نافع لإجراء المصالح وسهولة الاتصال والقيام بها وضبط الأمور^(١) فكان أمره بالمبادرة بإصلاح التلغراف بأسلاكه ومكائنه التي خلفها الأتراك وآلاته ومعداته، وأمر بترتيب المأمورين في صنعاء ومراكز اليمن المختلفة مثل حراز وسوق خميس مذبور ومُتَنَّة ومَعْبَر والمخادر وغيرها.

وأصدر الإمام أوامره بفتح مكتب لتعليم التلغراف، فانخرط جماعة من سكان صنعاء ومن غيرهم فيه، ومُرتنوا على تشغيله وصيانته والعمل فيه، ولم تمض مدة حتى مهر اليمنيون فيه، وصينت هذه المصلحة من الاضمحلال والزوال^(٢).

وفيما بعد استحضَرَ الإمام أجهزةً للاتصال لاسلكيةً عرفت في المصادر اليمنية بآلة الهليوستة، وكما يدل اسمها الايطالي، فقد أُحضرت من إيطاليا بعد سنة ١٣٤١ هـ / ١٩٩٢ م وقد عربها بعض اليمنيين فاسمُوها آلة «طار الهواء» وكانت تعمل بدون إشارة (تك) وهي المعروفة بالمصطلح الحديث آلة

(٢) كتيبة الحكمة، ٣٢، عمدة القاري، ٤١.

(١) كتيبة الحكمة، ٣٠.

الموريس، فاستخدم الإمام التلغراف اللاسلكي، وكانت واحدة منها في مقام الإمام بمدينة صنعاء، وثانية في مقر سيف الإسلام محمد بالحديدة، وثالثة في مقر سيف الإسلام أحمد بحجة ورابعة في مقر الأمير علي بن عبد الله الوزير بدار النصر بتعز. واستخدم الإمام هذه الوسيلة، الاتصال باللاسلكي في مخابراته مع الدولة، في الأستانة وإيطاليا وغيرها، ولكن بقيت في إطار محدود في عددها لا يتجاوز المحدودية، ولعلّ غلاء أسعارها وصعوبة صيانتها كانت أحد أسباب عدم إدخالها بكثرة في اليمن^(١).

حتى الخيول والبغال والجمال، فقد أولها الإمام بحبي اهتمامه، وأدخلها في خدمات الجيش فقد استلم بعضها من القوات العثمانية المستسلمة، واشترى عدداً آخر من القائد العثماني أحمد توفيق باشا عند عزيمه على الإخلاء، وأفرد لها مكاناً قرب عرضي المدفعية ورتب القائمين على رعايتها من أمراء وكتاب وخدمية وعمال، واستمال أحد الأمراء من الأتراك ليتولى تقديم الرعاية الطبية لها، فكان البيطري التركي يقوم بفحصها وترتيب أعلافها ومعالجة أمراضها، ومنع التصرف بها إلا بمعرفته.

هذا بالإضافة إلى عناية الإمام بالطبابة في الجيش بصفة خاصة ومراعاة مصالح الناس بصفة عامة. ونظراً لاشتداد الحاجة للأطباء في الجيش، فقد أمر بتخصيص جماعة من الجيش وغيرهم لتعلم فنون الطب من الأطباء الأتراك، فأمر بإعادة المستشفى البلدي والعسكري للعمل كيفما كانا قبل إخلاء الترك من البلاد.

وعين الأطباء والصيدلة والفنيين للعمل في المستشفيات ومخازن الدواء والصيدليات، وكان الفقراء وذوي الحاجة يتلقون المعالجة والأدوية بدون أجر أما القادرون والأغنياء فتستوفي منهم بدلات المعالجة والأدوية. كما أمر بتعيين

(١) عمدة القاري، ٤٢.

مأمور للطبابة في لواء تعز والحديدة وذمار والمواقع المهمة من المراكز والنواحي^(١). وكان الإمام يحيى يرى بأن الطب والمعالجة وفق الرسوم القديمة لم تعد قادرة على مواجهة الرقي الحديث، فنجح في إبقاء، عزيز بك رئيس أطباء العسكر العثماني والطبيب حسني بك، الماهر في المعالجات الطبية، وسليمان بك من الجراحين بعد أن وسع عليهم في المرتبات، وبذا ضمن انتظام المستشفى بالأطباء والصيدلة والجراحين والخدم للمرضى، وكلف هؤلاء بتدريب ذوي الكفاءة من اليمنيين لتعلم فنون الطب ليقوموا بسد بعض النقص، إن وقع ميل هؤلاء الأطباء والجراحين والصيدلة إلى مغادرة اليمن^(٢).

كل هذه الترتيبات والإجراءات التي نفذها الإمام بمعونته ومساعدة الضباط والموظفين الأتراك وذوي المهارة والخبرة من أهل اليمن، دفعت الانجليز لمعاودة الاتصال بالإمام، يرغبونه تارةً بجدوى الاتفاق معهم، وتارةً أخرى بممارسة الضغوط لإجباره على إخلاء اليمن من بقايا الأتراك، وكانت الستان ١٩١٩ م، ١٩٢٠ م، أشد السنوات ضغطاً على الإمام، حيثُ باشرت استانبول توجيه الضغط القوي على محمود نديم بك، تدعوه لإخلاء اليمن من كافة الضباط والجنود الأتراك.

ومع أننا لم نعثر على الرسائل التركية التي وُجّهت إلى محمود نديم، إلا أننا عثرنا بين الوثائق البريطانية على الرسائل التي وُجّهت لمحمود نديم إلى الصدر الأعظم في استانبول بوساطة القنصل الأميركي في عدن. ويبدو أن محمود نديم قد فقد المصادقية فيما وصل إليه عن طريق البريطانيين، فلجأ إلى قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في عدن يرجوه بنقل رسالته المطولة إلى الصدر الأعظم في استانبول والتي يشرح له فيها الحالة التي وصلت إليها بقايا العساكر والموظفين المدنيين العثمانيين في اليمن، ويحدّد في رسالته رؤيته لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في هذه المرحلة.

(١) كتيبة الحكمة، ٤١، عمدة القارىء، ٣٧-٣٨. (٢) كتيبة الحكمة، ٢٩.

الفصل الثالث

محمود نديم ومحاولات اضعاف جبهة الإمام

أرسل محمود نديم رسالته إلى كل من الصدر الأعظم في استانبول وقنصل الولايات المتحدة في ٣ مايو ١٩٢٠م، يطلب وجوب المساعدة والعون من الأول وفضيلة نقل الرسالة من الثاني.

وكان محمود نديم قد انتهز مناسبة عزم بعض الضباط على إخلاء اليمن برفقة رئيس الأركان، والقائد العام في اليمن أحمد توفيق باشا، فطلب إليه إيصال الرسالتين إلى قنصل الولايات المتحدة في عدن لبعثها إلى استانبول.

وقد جاء في رسالة محمود نديم إلى قنصل الولايات المتحدة في عدن ما يلي:

ولاية اليمن
٣ مايو ١٩٢٠م

من : سيادة: محمود نديم، والي اليمن
إلى : سعادة قنصل الولايات المتحدة في عدن

صاحب السيادة:

يطيب لي إبلاغ سعادتكم تطلعنا إلى حكومتكم الموقرة، بأنها نموذج للإنسانية ورسول للحضارة في هذه الحرب الكبرى، فقد أدت الأمة الأميركية قاطبة واجبها إزاء هذه الكارثة المفجعة التي أصابت العالم، وقدمت مساهماتها

للذين عانوا من ويلاتها، وكانت سبباً في إغاثتهم، وليس ثمة من دولة لم تُصلِّها المنح الكريمة من حكومتكم، فأُنقذت الملايين من براثن المرض والجوع، فاستحققت الحكومة والأمة الأميركية تلك السمعة الطيبة، فإنَّ ما قامت به قد سُطر بحروف المجد في تاريخ الإنسانية والحضارة الإنسانية...

إنني لا أبالغ إذا قلتُ، إنَّ جهودهم النبيلة قد وجهت نحو الأمم الشرقية. فأرسلوا جمعيات الصليب الأحمر والبعثات الخيرية التي أثبتت فعاليتها القصوى في كافة مناطق الشرق. فقد أنقذت الكثير من الضحايا الذين كادوا يسقطون في هذه الحروب التعيسة. إنَّ هذه المزايا التي تحدثت عنها تجعلني أتقدم بطلبي شخصياً، وهو أن تتلطَّف سيادتكم بإرسال طلبنا المرفق إلى الباب العالي في القسطنطينية بأسرع وقت ممكن، والحصول لنا على الأموال الضرورية لإنقاذ عدد كبير من الرجال من الموت.

وبقراءة طلبنا ستدركون الأوضاع المأساوية التي يعاني منها الضباط الذين تُركوا جانباً في اليمن، والذين إذا لم يتلقوا مساعدة عاجلة، فإنهم سيتعرضون للموت جوعاً وعرياً. وفي طلبنا نتوسَّل السرعة في الاستجابة من قبلكم كَرَّاع للإنسانية لإنقاذهم من أوضاعهم السيئة، وحتى تكونوا سبباً في تخفيف معاناتهم، فإذا لم تتمكنوا سيادتكم من الاستجابة وأنتم تمثلون هذه الأمة الأميركية، وعندكم المؤهلات الكاملة لذلك، فمن لديه مثل هذه المواصفات غيركم، فواسفاً وعجباً.

في الختام، تقبلوا تحياتي، واعتذاري بما أثقلت عليكم بهذا الطلب.

وانما ترانا مجبرين على ذلك بسبب ضغط الظروف والأحوال.

محمود نديم

والي اليمن

ويتضح من الرسالة أنَّ محمود نديم يرغب في جرُّ الولايات المتحدة

للتدخل في معالجة بعض النتائج المترتبة على نتيجة الحرب بدوافع إنسانية وحضارية، وفي ذلك إثارة للتنافس البريطاني الأمريكي في المنطقة، ثم أن الرسالة فيها تخل عن اعتماد بريطانيا كوسيط للاتصال مع المركز في استانبول.

أما رسالة محمود نديم إلى الصدر الأعظم والتي كانت مرفقة مع رسالته إلى قنصل الولايات المتحدة في عدن، فقد جاء فيها؛

ولاية اليمن

٣ مايو ١٩٢٠ م

من : سيادة محمود نديم، والي اليمن
إلى : سيادة، الباب العالي، القسطنطينية

صاحب السيادة:

يجول بخاطرنا، إنه بمجرد توقف الحرب وتوقيع اتفاقيات الهدنة، ستأتي إلينا بعثة، لإنقاذنا من النتائج السيئة جداً للحصار المفروض على موانئ اليمن، وتقدم الإغاثة والعون لمن تبقى من ضباط العسكر والمدنيين الذين عانوا الجوع والأذى، وحيث أننا قد أصابنا الاحباط من وعودكم بتلقي مساعداتكم فقد اتخذنا خطوات عديدة لتدبير الاتصال بكم تحت الظروف القاسية التي نواجهها، ولكننا لم ننجح إلا من خلال ضباط هذه القطعة الذين تمكنوا من العودة إلى القسطنطينية، ولا شك لدينا إنهم سيشرحون لسيادتكم المعاناة الشديدة التي نعيشها نحن وكافة الضباط من العسكر والموظفين المدنيين، وحالة الفقر والجوع التي انحدرنا إليها، والظروف الأليمة التي يصعب وصفها ويشق تحملها.

وبعد مغادرة الضباط السابق ذكرهم، فإن الأوضاع هنا قد زادت خطورة ولم يعد من سبيل للنجاة.

إن الضباط والمدنيين الذين راودتهم فكرة الاستسلام كأسرى قد ذهبوا إلى ذلك أملاً بإنقاذ أنفسهم كممثلين للحكومة العلية، وتحملوا بصبر ظروف الفقر،

وغدوا يقاسون الظروف القاسية، وقد لاقى بعضهم الموت نتيجة الجوع والعري، كما أن الكثير منهم يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، وقد باعوا كل ثمين لديهم. ولم يبق شيء يبيغونه إلا سمعتهم، وأكثر من ذلك، فإن السيدات المخدرات والتي ما كان للشمس أن تراهن، أصبحن الآن وأطفالهن جوعى وعرايا فإذا لم تصل المعونة والإغاثة عاجلاً، فإنهن سيقعن في مهاوي المهالك. إن عدد الضباط في اليمن ليس قليلاً إلى الدرجة التي تجعلكم تهملونهم وتنسونهم ولا تلقي حكومتهم لهم بالاً.

إن الدور الذي لعبوه في هذه الحرب المرعبة كان واحداً من أكثر الأعمال مجداً، لقد أبانوا عن قوة وشجاعة، رغم أنهم لا يملكون المعدات، ورغم طول مدة الحصار، ونقص المواد التموينية، فقد واجهوا بجرأة وشجاعة تلك الأعداد الوفيرة من الإمدادات، وحققوا جميعاً انتصارات في المعارك التي خاضوها. فإذا ما أهملتهم حكومتهم بدعوى الصبر والتضحية والصمود للحفاظ على شرفهم وشرف حكومتهم حتى الموت، فإن هذه خطيئة ومكابرة ونكراناً للجميل.

إن عدداً قليلاً من الضباط والقائمين من هذه القطعة قد أدخلوا بصحبة قائد الأركان، بينما بقية الهيئة وآخرون، حوالي مئة وكتيبة من المشاة بقوا في صنعاء، علاوة على جماعة من المساكين والأرامل والأيتام الخ، قد اختاروا البقاء هنا

إن حياة هؤلاء وسمعتهم تعتمد على سمعتك ودينك، وإن وافقتم على موتهم جوعاً أو أن يكونوا ضحية القسوة، فلن يغفر الله لكم، وإلا فعليكم الإسراع في إرسال المساعدات التي تصل على الأقل إلى عشرين ألف ليرة برفقة بواسطة القنصل الذي قُدمت من خلاله هذه الاستغاثة.

وخشية من الله وخوفاً من عقابه على التأخير والإهمال الذي تبدوونه، والذي ستكون عواقبه موت المذكورين من الجوع، أو تعرضهم للأعمال المشينة. ولا تظن أن أحداً في اليمن سوف يقدم بارة على سبيل الاقتراض.

ونحن ننتظر منكم الآن، أما ثمن المؤن أو رسالة الموت.
لقد كتبنا هذه الاستغاثة بالعربية، وقد أوجبت الضرورة اطلاع واسطة
نقلها بالغرض الذي كتبت من أجله.

محمود نديم
والي اليمن

والرسالة قاطعة في تحديد طلباتها، وتوضيح حالة الضجر والملل الذي
وصل إليه محمود نديم، جرأء عدم محاولة تركيا إغاثة عسكريها ومدنيها في
اليمن، وفيها تقرير للهيئة الحاكمة في القسطنطينية من تنكرهم لبطولات
جنودهم في اليمن، بل لعلها تلويح بقطع آخر شعرة مع الدولة باستانبول، لقد
طفح الكيل بمحمود نديم من الممارسات الرسمية للدولة العثمانية، ونحن لا
نعتقد بأن الإمام يحيى كان بعيداً عن هذه الرسالة لافي جانبها الرسمي ولا في
اختيار القنصل الأمريكي لنقلها.

ولعلنا نرى بأن الرسالة هذه ما كانت إلا اتباعاً لرسالة أخرى كان
محمود نديم قد بعث بها إلى الصدر الأعظم في القسطنطينية عن طريق التلغراف
البريطاني في عدن والتي رفعت نسخة منها إلى معاون الأول للمقيم في عدن
من قبل الميجر القائد العام لقوات الميدان في عدن بتاريخ ١٩ حزيران ١٩١٩م
وحملت الرقم ٢٧١١ / ٢ / G. (سري).

ونعتقد أن هذه الرسالة الأخيرة، من أوضح الرسائل التي تبين موقف محمود
نديم من الهدنة وقرار الاستسلام وشروطه، وعلاقات القوات العثمانية بحكومة
الإمام ورأي محمود نديم في مصداقية الإبلاغات البريطانية عن الهدنة
والاستسلام، وفيها تفصيل لما كانت عليه أوضاع القوات العثمانية في اليمن،
ومقدار المساعدات والأموال التي قدمت للعساكر التركية منحاً وقروضاً
ومعونات من أهل اليمن للعساكر التركية، وقد جاء في هذه الرسالة الهامة ما
يلي:

FORM 1000, 1-1-17

(C O P Y)

T R A N S L A T I O N

The Vilayat of Yemen,

May 3rd, 1920.

From : His Excellency, Mahmood Nadass, Wali of the Yemen.

To : The Honourable the Council of the United States at Aden.

Your Excellency!

We beg to inform your honor that we know that your honourable Government has been the model of humanity and the messenger of the civilization in this great war. The American nation as a whole have made it their duty in these terrible misfortunes which befall the world, to give contributions to the afflicted and sufferers which was the cause of their relief. There is no country which has been deprived of their generous gifts. They have been the cause of saving millions from the evils of diseases and hunger by means of which the glorious American Government and nation have acquired a very high reputation. Their honorable deeds are recorded with the ink of glory in the history of humanity and civilization. I do not exaggerate, if I say, that their noble efforts have been directed towards the eastern nations. They have sent Red Cross Societies and charitable missions, which have been proved to be of great help in all parts of the eastern country. They have saved from ruination a larger number than those who fall victims in this unfortunate war. This characteristic which

/Inspired

رسالة محمود نديم إلى القنصل الأميركي في عدن

Records of Yemen

- 2 -

Inspired you espouse the cause of humanity encouraged us to bother Your Excellency for intervention and for despatching our application herewith enclosed, to the Sublime Porte at Constantinople as soon as possible and to obtain for us money, in order to save large number of men from the death.

On reading the application you will come to know about the calamities which befell the officers who have been left aside in the Yemen. If they do not get an immediate succour, they will be subject to death on account of the existing hunger and nakedness.

Show your haste, oh espousers of humanity, in order to relieve them from misfortune and be the cause of mitigating their sufferings. Should Your Excellency, who is attached to the well known nation, possessing good qualifications, fail to do so, who else would be worthy of such characteristics, alas ?

In conclusion please accept our compliments and excuse us for bothering you with this as we are compelled to do so by pressing circumstances and destinies.

Signed/ Mahmood Hadeem,
Vali of the Yemen.

(SECRET)

TRANSMISSION.

The Vilayet of Yaman,

May 3 1920.

From : His Excellency, Mahmud Haddad, Wali of the Yaman
To : His Excellency, The Sublime Porte, Constantinople.

Your Excellency:

We were under the impression that as soon as the war ended and the Armistice signed, mission will come to us for releasing us from the great evil consequences of the blockade, and give relief to the remaining military and civil officers, who have been subjected to a state of hunger and harm. As we have been despairing of getting your support, we have adopted several means in order to request you of our distressed circumstances, but we have not succeeded except through the officers of this province who have been able to return to Constantinople. They have no doubt explained to Your Excellency the great sufferings we have been put to, together with all the other civil and military officers and the hunger and poverty we have been reduced to and other pitiful circumstances which are indescribable and intolerable.

After the departure of the said officers, the situation here has become more serious and there are no means of safety.

The officers and officials who thought it degrading to surrender themselves as prisoners, made up their minds to sacrifice their lives, as representatives of the Sublime Government, and to patiently bear the evils of poverty, have now become subject to a very pitiful circumstances. Some of them died in consequence of hunger and nakedness and many of them are now lying

رسالة محمود نديم إلى الصدر الأعظم باستانبول

Records of Yemen

- 2 -

lying under the sky and on the ground. They have sold all their precious things, leaving nothing with them to be sold, other than their own reputation, more particularly the pardashin ladies whose faces were not to be seen by the shining of the day, have now become with their children naked and hungry. If no relief would come to them soon, they would before long fall in the evils of disaster.

The number of prisoners in Yemen is not a small one so that their government may neglect, forget and throw them away. The part they played in this terrible war is one of the most honorable deeds. They have shown strength while they had no arms and in spite of the long period of the blockade, want of foodstuffs and other necessities, they have boldly faced the large number of their enemies and have all ~~won~~ the battles ~~in~~ victory. If ~~government~~ it is neglecting them on account of their patience, sacrifices and steadfastness in preserving their honor and that of their government till they die, it is but a preposterous aim and a bad record.

A small party of foolish of this providency and Major Johnson have left in company of the commander-in-chief while all the staff and other officers and about 100 other officers and a battalion of individuals at Sanaa, that is; all the pensioners, widows, orphans, etc. are all still here. Their lives and reputations are dependent on your sense of reputation and religion. Should we agree that they should die of hunger or be in a state of disgrace, God will never forgive you, otherwise hasten in sending your monetary assistance amounting to at least £20,000 by a telegraphic message through the honorable Consul through whom this appeal is submitted. Have regard

/for

Imam Yahya, 1919-1921

- 35 -

for God and fear His punishment for the delay and negligence you have been showing, as the consequence of this will be the death of the above mentioned or hunger or their resort to disgraceful acts. Do not think that any one in Yemen will give one para on loan.

We are now expecting from you the cost of either foodstuffs or the message of death. We have written this appeal in Arabic, as it is necessary to acquaint the medium with the object for which it has been written.

Signed/ Mahmood Hadeem.

Vali of the Yemen.

رقم ٢٧١١ / ٢ / G.

المقر، القوات البرية، عدن

عدن، ١٠ يونيو

إلى معاون الأول للمقيم

عدن

مذكرة

تجدون بطيه مراسلة من الوالي السابق في اليمن إلى الصدر الأعظم في
القسطنطينية.

الميجر

رئيس أركان القوات البرية

J.M. Stewart

الصدر الأعظم، القسطنطينية

إنّ تلغراف سيادتكم رقم J، المؤرخ في الأول من مايو ١٩١٨ م، والذي
تسلمناه في ١٦ / ١٧ مايو ١٩١٨ م من خلال قائد القوات البرية البريطانية في
الحديدة، والذي طلب فيه بمجرد وصول التلغراف إليّ، عليّ أن أبدأ فوراً
بالعودة إلى القسطنطينية، وأنّ الموظفين الأتراك المقيمين في اليمن سيكونون
مستقبلاً تحت إشراف القائد البريطاني.

بينما في رسالة قائد القوات البرية المؤرخة في ٥ نوفمبر ١٩١٨ م، والتي
تسلمتها تنصّ «إنه طبقاً للبند السادس عشر من اتفاقية الهدنة المعلنة من قبل
قيادة القوات في عدن، فعلى القطاعات العسكرية في اليمن وعسير أن تستسلم

لأقرب قيادةٍ تابعةٍ للحلفاءِ وأنَّ على الحكومةِ المدنيةِ أن تخضع لذلك».

وفي رَدِّي بتاريخ ٣ نوفمبر ٣٣٤ (١٦ نوفمبر ١٩١٨ م) فإني أشيرُ لعدم تسلمنا أيةَ أوامرٍ إلى الولايةِ حتى حينه من قبل حكومتنا، إلى جانب ذلك، فإنه ليس هناك أدنى إشارةٍ في البند المذكورِ تتصلُ بإخلاء الإدارة المدنية للحكومة.

وإنَّ رخاءَ هذا البلدِ وسعادتهِ مناطةٌ بالكليةِ بسيادةِ الإمام، ونحن على كلِّ حالٍ في أمسِّ الحاجةِ لمساعدتهِ، وإذا كان مطلوباً منا التوقُّفُ عن العمل، فمن الضروري الحصول على موافقته أولاً، كما أنَّ من حقنا الاتصال بحكومتنا طبقاً لبنود اتفاقية الهدنة، وعليه، فقد طلبتُ أن تتخذ الخطواتُ الضروريةُ لتلقي أوامرٍ واضحةٍ بالشفرة، تكونُ بالشفرة المعتمدة بينكم وبين سيادة الإمام، ويلزمُ لذلك موظفٌ من لدن القسطنطينية، وذلك لضمانِ اطمئنانِ المسؤولين والشعب الذي أترأسه.

وفي رَدِّه المؤرخُ في ١٨ نوفمبر ١٩١٨، جاءَ فيه «إنَّ التلغرافاتِ التي تخصُّ الباب العاليَ والمتصلةً بالظروفِ المذكورة، كانت ترسلُ سلكياً من خلالِ معالي وزيرِ الحربِ للحكومةِ البريطانية في لندن.

ورغمَ أنَّ الوفاءَ بوعدهِ قد طُلبتُ مراراً من القيادةِ البريطانية في عدن بالتلغرافات التي أرسلتُ ٩/٨، ١٨/١٩، وفي ٢٣ ديسمبر برقم ٣٣٤، وكذلك منك ومن وزير الداخلية ووزير الحرب بواسطة القيادة العسكرية البريطانية المذكورة، ولكن دونَ تلقي ردٍّ مقنعاً منسجماً مع الحلفاء، مصداقاً من قبل الجمعية الوطنية، قائماً على الشرفِ والكرامةِ، فإنَّ سيادةَ الإمامِ يتوقعُ الإعلان الرسميَّ من قبل الحكومةِ التركيةِ بتأكيدِ مطالبتها.

ومن الواضح تماماً، حقُّ الولايةِ، انتظارَ أوامرٍ محدودةٍ وموثوقةٍ من القسطنطينيةِ تصلُ عن طريقِ شيفرةِ سيادةِ الإمام، في هذا الوقتِ الهامِّ والدقيقِ

مثل ما هو في أهمية ودقة وصول الموظف التركي الخاص بالشفرة، حتى لو كان النص الوارد في اتفاقية الهدنة والمتعلق بهذا المكان قد كُتِبَ بواسطة الشيفرة السابقة الذكر، ونؤمّر فيه بالإخلاء، ونحصل كذلك على موافقة سيادة الإمام. ومع ذلك فسيكون صعباً على المسؤولين في الولاية ومراكز الولايات التي تتكون من ٢٤ مقاطعة و٦٠ ناحية جمعهم من مسافات تبعد من ٨-١٠ كم عن الشاطئ وفي ظروف وأوضاع مزرية. مع العلم أن رواتب الولاية لم تدفع من مدة أربعين شهراً، إضافة إلى تجهيزاتنا السيئة. ولما كنا نعاني ظروفاً صعبة، فقد طلبنا قرضاً لحفظ وتسكين الجيش، مما غرقنا في الدين حتى أعناقنا.

وفي ظل هذه الظروف، فمن العسير إخلاء الولاية قبل تسوية ديوننا، مع استمرار دوام الدائنين في المطالبة بديونهم، كما أن على سيادة الإمام أن يوفر ٣٠٠ ألف ليرة للتجار والناس، و١٥٠ ألف ليرة لضرائب الحرب والمديونية. والمسؤولون الموجودون حتى هذه اللحظة في صنعاء، غير المسؤولين في المراكز والحديدة وتعز يطالبوننا بمبلغ يصل إلى ٢٠٠ ألف ليرة.

وفي ضوء هذا الواقع، فإننا في حاجة ماسة لتأمين نفقات الرحلة، ولذا فإنه من الضروري، وفي جميع الأحوال، إرسال مبعوث خاص من هنالك.

إن المسؤولين والأيتام والمعوزين الذين يعيشون في ظروف غاية في القسوة والاضطراب أو الذين هم غارقون في ديونهم، فإنهم لن يتركوا أحراراً ما لم يوفوا ديونهم طبقاً للشروط، وقد فهم ذلك من جباتهم الملحين في المطالبة بذلك دوماً. وقد أبلغ ذلكم مراراً برفقية مؤرخة في ١٨/١٩ ديسمبر رقم ٣٣٤، من خلال القائد البريطاني في عدن، وبعيد ذلك أصبح معلوم أن شيئاً من هذا لم ينجز لآلي ولا لسيادة الإمام فيما يتصل بطلبي السابق من الحكومة التركية بواسطة الكابتن عمر صوفي أفندي، الذي نزل في ميناء الحديدة، غير معروف الأوصاف، والذي حمل كتاب تعيينه من مقر القيادة، الفرع الأول.

ومن الضروري، في كل الأحوال أن يكون الإعلان الرسمي وبالتنسيق مع حلفاء الحكومة التركية، بواسطة الشيفرا المعتمدة لسيادة الإمام، كما يجب أن يرسل الموظف التركي المختص لتلقيها وحل رموزها. وبصفتي ممثل الحكومة التركية هنا، فإن كان من الضروري والواجب إخلاء الولاية والمغادرة، فإن من المهم إرسال الموظف وإرسال الأمر بالشيفرا، فقد ظلت هذه الأمور غامضة، ولم يبعث شيئاً لسيادة الإمام.

وفي ضوء ذلك، فإرسال الأمر المناسب بالشيفرا لتوضيح المسألة سيؤثر إيجابياً على الحالة، وليس من اللائق ترك المسؤولين والأيتام والمدنيين والعسكريين وغيرهم من الفقراء يلاقون الجوع والبؤس والعري، وقد عانوا من كافة أشكال الحرمان وهم منذ سنين يتوقعون انتصار الحكومة التركية، وهم الذين أدوا واجباتهم، وباعوا مقتنيات بيوتهم لدليل على إخلاصهم ووفائهم. وكنت قد شرحت لكم الظروف المشار إليها أعلاه في تلغرافٍ مراراً منذ ٤ يناير ١٣٣٤، من خلال القائد البريطاني في عدن، والتي ذكرنا لكم فيها بأن المبالغ المذكورة أعلاه يجب وبكل الطرق وبإلحاح إرسالها، مثلما هو أساسي شرح وتفصيل هذه الحقيقة.

وعليه، ومن خلال طلبي المرسل لكم عبر القيادة العسكرية في عدن، أتوقع مساعدة ومعونة عاجلة ذات شأن لمعالجة مشاكلنا وأوضاعنا الحالية السواد.

إن إخلاء اليمن من قبل قائد القوات قد تسبب في هيجان سكان اليمن، وباستثناء مفوضي المقاطعات الثانية والثالثة الذين انضموا إلى الجيش، فإن بقية المسؤولين ما زالوا على رأس أعمالهم كما كانوا سابقاً في المقاطعات والنواحي بفضل مساعدات وإرشادات سيادة الإمام، الذي كان يدعوهم باستمرار لإظهار إخلاصهم والاستمرار في خدمة الحكومة التركية حتى آخر

نفس. وإنهم لن يقبلوا أن يكونوا أسرى، بل سيقوا في اليمن حتى يحلّ السلام، وإنني أقبل إرشادات ونصائح الإمام، وأشارك العساكر رأيهم واقتراحاتهم. وقد بُرهنَ على ذلك من خلال رسائلهم المحفوظة في الملفات وبعثت من نواحي تعز، ويافع وحضرموت وقيدان ومن القبائل والتي تفيدُ بمشاركتهم التوجهات الوطنية للموظفين الأتراك.

ورغم وعد حكومة عدن بإرسال الضباط والعائلات والرجال الذين استسلموا مع سعيد باشا قبل ستة شهور، وكذا ضباط قادة الوحدات والمدنيين والعائلات الذين استسلموا مؤخراً، فإنهم ما زالوا في معسكرات المضيق وعدن وكمران التابعة لليمن.

ثم إن أهل اليمن وكذا سيادة الإمام لا يرغبون في تخليتنا لدقيقة واحدة، إلى أن يستردوا ديونهم وقروضهم، والتي تشكل مبالغ كبيرة ومترامية عندهم استقرضناها حتى أيامنا الأخيرة.

وعليه، فمن أجل الحفاظ على الجيش، وما لم تصل لنا أوامر واضحة، وما لم يصلنا مندوب من القسطنطينية، فإن الموظفين الذين تركوا في اليمن تحت رئاستي لن يُقدّموا على الاستسلام ولن يسيروا ولو خطوة واحدة إلى أقرب نقطة، وحتى تظل اليمن على موالتها للحكومة التركية، فإن الشعب اليمني يبدي احتراماً خاصاً للمسؤولين أكثر من ذي قبل.

وإن الموظفين البريطانيين، ومن أجل خداع العامة ليصبحوا إلى جانبهم ويؤيدونهم، يضغطون على من لا حول لهم في الحديدة لإرسال المذكرات المطبوعة لمشايخ القبائل يذيعون عليهم بأنهم يجرون وراء السراب بتأييد الحكومة التركية، ولا أمل لهم، ويعلنون بأنهم من أجل إنقاذ الشعب من طغيان الحكومة التركية وظلمها فسيتركون اليمن حراً بعد إخلاء القوات التركية.

ولكن وبُعِيدَ اتفاقية الهدنة قاموا بشكل مفاجيء باحتلال الحديدة واللحية وما زالوا فيها حتى هذه اللحظة، وهذا فعلٌ مخالفٌ للقانون الدولي ونصوص اتفاقية الهدنة، كما أنهم لا زالوا يواصلون حصارهم المحكم أشدَّ مما كان أيام الحرب ويحتجزون العسكريين والمدنيين والعائلات في المضيق وكمران في قيادة الكرنينة.

ولما نتلقى رداً على العديد من المذكرات وإنما أرسلوا أوامرك بصورة واضحة ومباشرة وفي الصحافة المصرية والتي وصلت إلينا في الأيام الأخيرة ووزعت في كل مكان، وردت أبناء تفيذ بوقوع مظاهرات كثيرة جداً تحتاج مصر والهند تنادي بضرورة التزام الحكومة البريطانية بالوفاء بتعهداتها التي وقعت عليها في شروط الهدنة، كما أن السلطات البريطانية تفرض رقابة على الضباط المرافقين لسعيد باشا وتمنع وصول رسائلهم التي كتبوها من عدن وكمران لعائلاتهم وأقاربهم وأصدقائهم الذين بقوا في صنعاء. وكذلك منعوا الموفدين لاستقصاء أخبارهم الصحية من إجراء أية مقابلات معهم، وحظروا على التجار بشكل صارم من الذهاب إلى جدة وسواكن ومصرارة، وكل هذا أوجد اعتقاداً بعدم جدوى وفعالية شروط الهدنة ولا حتى أوامرهم.

وقد أرسل سيادة الإمام إلى القيادة العسكرية في عدن في مناسبات متعددة استعداداً للحفاظ على الائتلاف مع الحكومة التركية شريطة أن تُبلَّغ بذلك بشيفرته الخاصة.

ولذا، فإن تسوية مطالبات سيادة الإمام، وتوفير المبالغ المذكورة سابقاً والتي أُستلفت كقروض أو تلك الخاصة بضرائب الحرب (معمونة الحرب)، التي حُبِّيت من الناس وديون المنتفعين والأيتام إلى آخره، ورواتب المسؤولين غير المدفوعة والتي تعينهم على مواجهة حاجات العيش حتى يجدوا وظائف جديدة في المستقبل أو تتوفر لهم ظروف معيشية تؤمن المستقبل لهم، ومثلهم

المندوبون، أهل الثقة والمعروفون بإخلاصهم، وكبار الموظفين.

كل ذلك يجب إرساله مع الوثائق الخاصة بذلك لطرفي ولسيادة الإمام على
شيفرة الإمام.

وفي ظل الظروف السابقة، فإن المندوبين السابقين يجب أن يتمتعوا
بالصلاحيات لمنع المسؤولين من التصرف الفردي لقبول الأسر الكريه
للمنتصرين، لا سيما وإتهم ملزمين بذلك بموجب شريعتهم الدينية، حيث
تفيد جميع الوثائق والرسائل التي أرسلت من قبل المشايخ والعُقَال بأنهم لن
يتخلوا عن الحكومة التركية ولا عن الإمام. وهناك يجري اعداد وفد محايد
لتحري أي الحكومات يقبلونها وإزاء هذه الأسباب المعقولة المبينة أعلاه، فإني
أبلغكم «ما لم تصل الأوامر بالشفرة والمبعوث الموظف المختص، أبلغكم
استحالة البدء بالإخلاء من أي مكان في اليمن حتى يتم تحقيق السلام.

محمود نديم

حاكم اليمن

١٠ مايو ٣٣٥

٢٣ مايو ١٩١٩

والرسالة في مضمونها تثير العديد من القضايا نجلها بما يلي:

- تحاول الرسالة توضيح التناقض والتضارب في دقة التعليمات والأوامر التي
أبلغت لمحمود نديم عن طريق الانجليز في عدن، وتذهب إلى أن الأوامر
أفادت بإخلاء واستسلام القوات العسكرية، وأما الإدارة المدنية فغير
مشمولة في اتفاقية الهدنة، وكانت هذه المحاورات قد ثارت بين القيادة
العثمانية والولاية في اليمن من طرف، والقيادة البريطانية في عدن من الطرف
الثاني.

- أوضحت الرسالة حاجة العساكر والموظفين والمدنيين العثمانيين في اليمن وكذا عائلاتهم وأسرى الشهداء، الأيتام لحاجة ومساعدة الإمام، إذ لا بُدَّ من موافقته على أية خطوة تتخذ بهذا الخصوص.

- أشارت الرسالة إلى حق ولاية اليمن بتلقي الأوامر بصورة سرية وواضحة من خلال الشيفرة الخاصة بالإمام، وليس من خلال مراكز التلغراف البريطانية، وحيث يمكن للأتراك الاتصال على شيفرة الإمام، وذلك بعد تعيين موظفٍ عثمانيٍّ خاصٍّ يعرف حلّها في استانبول ثم يسافر إلى اليمن لتلقيها على تلغراف الإمام، وحلّها في مقام الإمام، وتكون واضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا يتطرق الشك لعدم مصداقيتها.

وتثير الرسالة جملة من المصاعب التي تحول دون تنفيذ عملية الإخلاء المبكر للقوات التركية حتى لو أرسل الموظف المختص، ومن هذه الصعوبات، عدم القدرة على جمع العساكر والموظفين المدنيين والعائلات والأطفال من أربع وعشرين مقاطعة وستين ناحية في زمن قياسي، وعزمهم للاستسلام، وكذا فإن الديون المترتبة للإمام كقروض ومعونات جهادية أثناء الحرب وديون التجار والأهالي التي اقترضها العثمانيون على مدى أربعين شهراً، لم تصل خلالها أية أموال أو مؤن أو امدادات إلى القوات الموجودة في اليمن بسبب حالة الحصار المفروضة على موانئ اليمن إبان فترة الحرب، والتي زادت إحكاماً وتشدداً حتى الوقت الحاضر، هذه الأموال والمطالبات قد بلغت حداً كبيراً، فالأموال التي للإمام والتجار والأهالي بلغت أكثر من ٦٥٠ ألف ليرة، علاوة على نفقات ومصاريف رحلة العودة، ورواتب الموظفين، وكلها تحول دون عودتهم ما لم تسد تلك الديون.

تعود الرسالة للتأكيد على ضرورة صدور أوامر الإخلاء بالتنسيق مع الدول الحليفة لتركيا وأن تكون مصدقة من قبل الجمعية الوطنية التركية لتكتسب

الصفة القانونية الملزمة.

- تشير الرسالة إلى قلة عدد الذين استجابوا لدعوات الاستسلام وعزوف الكثيرين عن هذا الفعل الكريه، وتشيدُ بالدعم والترحيب الذي لاقاه هؤلاء الذين رفضوا الاستسلام والوقوع بالأسر من قبل أهل اليمن، ومن قبل حكومة الإمام، وتصفُ الرسالة حالة الهوان والذل والمعاملة الفظة والأوضاع الصحية السيئة التي يعاني منها أولئك الذين استسلموا وما زالوا محتجزين في مضيق عدن وفي كمران وعدن في مراكز الكرنيتية.

- أوضحت الرسالة موقف الضباط والمسؤولين الذين اختاروا البقاء، وفضلوا الدفاع حتى آخر نفس لحفظ شرفهم وشرف الحكومة التركية، والأهالي يدعمون التوجهات الوطنية لهؤلاء وغير راغبين في التخلي عن الحكومة التركية ولو للحظة واحدة.

- تحبُر الرسالة بالممارسات البريطانية بحق الذين استجابوا، وبالتعبئة البريطانية القائمة على خداع أهالي الحديدة واللحمة الذين وقعوا تحت الاحتلال البريطاني يعد توقيع اتفاقية الهدنة، وكان هذا الاحتلال مكرراً وخديعةً ومخالفاً لكل الأعراف والتقاليد والقوانين الدولية. ويوهمون الناس، بأنهم ما جاءوا إلى الحديدة واللحمة إلا لتخليص اليمن من براثن المظالم التركية، وإنهم سيتركون أهل اليمن أحراراً ولكن بعد إخلاء العساكر التركية من اليمن.

- أوحث الرسالة إلى الصدر الأعظم بأن هيجاناً وثوارناً يتأجج في مصر والهند بسبب التعسف البريطاني ضد العساكر التركية، وسوء الأفعال البريطانية المخالفة لبنود اتفاقية الهدنة، ثم إنَّ هناك حالة من الهيجان في اليمن بسبب احتلال الحديدة واللحمة.

- وتبلغ الرسالة الصدر الأعظم بأنَّ الإمامَ يحیی قد خابر القيادة البريطانية استعدادَه بالالتزام بما اتفقَ عليه بين الأتراك والإنجليز، ولكنْ بعد تسلمه هو مباشرة الأوامرَ المرسلَةَ للقياداتِ التركية في اليمن عن طريقِ الاتصال المباشرِ به من خلالِ شيفرته الخاصة وليس عن طريقِ التبليغات الانجليزية.

- ويطلبُ محمود نديم ضرورةَ إلغاء الأوامرِ السابقة التي تقتضي بحرية التصرف المنفرد من قِبَل الضباط والموظفين بشأنِ الاستسلام دون الالتفات للتعليمات والأوامر السابقة التي تقتضي الالتزامَ بأوامرِ القيادات العليا، ومن ثمَّ منح تلك القيادات صلاحية منع الاستسلام حتى التأكد من سلامة العساكرِ والموظفين وعدم وقوعهم في الأسر، وهذا لن يتحقق إلا عندما يحلُّ السلامُ بعد عقد مؤتمر الصلح فيما بعد.

- وتجملُ الرسالةُ المطالبَ مرةً أخرى من ديونِ ورواتبِ ومعوناتِ ومؤنِّ وبدونها فلا استجابة لأية أوامرٍ إلا بعد وصول المبعوث، الموظف المختص بالشفير واستقبال الشيفرا على تلغرافات الإمام دون سواه.

- لقد كانت الرسالة صارمة في أسلوبها، وتنذر القسطنطينية بعدم الالتزام بأوامر المركز في استانبول إلا وفق ما تراه الأوضح والأسلم.

Turkish evacuation, 1918-1920

S. F. / R. E. T.

No. 2711/2.G.

Headquarters, Aden Field Force,

Aden. . . . 10th. . . . June. . . . 1919.

To,

The First Assistant Resident,

A D E N.

MEMORANDUM.

Herewith copy of communication from the ex
Vali of the Yemen to the Grand Vizier at
Constantinople.

K. G. Grant

Major,

12/6
CS

General Staff, Aden Field Force...

CS
12.6

أهم رسالة بعث بها محمود نديم إلى الصدر الأعظم في القسطنطينية

6071.
26-5-19.
To, *His Excellency the Grand Vizier, Constantinople.*

The Grand Vizier, Constantinople.

Your Excellency's telegram of 31st May 1918, received on 16/17th May 1918, through the British Commandant of Hodeida of G.O. Commanding A.F.F. in which it was ordered that on the arrival of the telegram, I must at once start, for returning to Constantinople, and the Turkish Employe, staying at Yaman, will, in future, be under the control of the General, to the British Government. Whereon, in the letter of G.O. Commanding A.F.F. of 5th November, 1918, received by me, it was stated that in accordance with the Clause 16 of the Armistice, announced by the G.O. Commanding Aden, the Garrisons at Yaman, and Anir should surrender to the nearest Allied Commandants, and the Civilian Government should be subject to this.

In my reply of 3rd November, 334 (16th Nov. 1918) I stated that no order has come until now to the Vilayet from my own Government, and besides this, there was not a slightest sign in the said Clause, to the effect of the evacuation of the Civilian Government, and that the repatriation of this place, is entirely in the hands of His Excellency the Imam, and we are, in any way, in need of his assistance, and if it was required to retire, it would be necessary to obtain his consent firstly; and as it was our right to communicate with our Government, by the Clause of the Armistice, I have requested, that the necessary steps should be taken to get a distinct order in the cipher, existing between you and His Excellency the Imam, and that a Turkish Employe should be asked from Constantinople, for the convenience of all the officials, and people, headed by me. In his reply of 18th November 1918, it was stated that the telegrams concerning the Sublime Porte, containing the said circumstances, have been wired through the Minister of War, of His Highness, The British Government at London. Although the fulfilment of his promises, were repeatedly requested from the G.O. Aden, by the telegrams of 8/9th, 18/19th, and 23rd December, 334 and so from you, and from Minister of Interior and Minister of War, through the said G.O. but received not a satisfactory reply in accordance with the alliance, certified by the National Committee, and based upon the honour and dignity, His Excellency the Imam is expecting the official announcement by the Turkish Government for the assurance of their claims.

It is quite evident, that the right of the Vilayet is to expect a definite, and in every way trustworthy order from Constantinople, in the cipher of His Excellency the Imam, in this important and delicate time as well the arrival of the special Employe. And if ever the clause of the Armistice, relating to this place is written to us with the above cipher, ordering our evacuation and to start as well as obtaining the consent of His Excellency the Imam, yet it will be difficult that officials in Vilayet, and the central Vilayets, consisting of 24 Districts, and 60 Mahallas, to descend from a distance of 8, 10 days to the shore, in a miserable condition, owing to the fact that the Vilayet officials' salaries are outstanding for 40 months, and owing to the badly requirements, we are all undergoing up to date, and as we made a loan for the secure and maintenance of the Army, and thus we got into debts until our throat.

Under this circumstance, it will be difficult to start from Vilayat, before settling our debts, owing to the certain rush of the creditors upon us. Besides this, His Excellency the Imam, has to secure over £300,000, the merchants and the people, have to receive, £160,000 for the Taxes of the War and loan, and the officials, who are to-day at Sanak, excluding Central, Hodeidah, Taiz Livas claim amounting to £300,000. Under these circumstances, it is badly necessary to secure the voyage expenses et. And it is in anyway necessary to send a special employe from there. The officials, orphans and pensioners who are suffocated extremely in the misery, and trouble and who are also extremely choked in debts, will not be left free by the conditions, unless they settle up their debts. This is understood from their constantly appliances, made from now in a strict way. This was repeatedly informed to you by my telegram of 18/19th December, 1334, through the G.O. Commanding Aden. Soon after this, it is understood that nothing was intimated, neither to me, nor to His Excellency the Imam regarding my previous request, from the Turkish Government, by one Captain Omar Suphi Eff. who was landed at Hodeidah Port, whose description was unknown, and who was bearing the appointment of Headquarters, 1st Branch. In compliance with the alliance, of the Turkish Government, it is in any way, necessary, that the official announcement in His Excellency the Imam's cipher should be sent, as well as sending an Employe. As I am being the representative of the Turkish Govt. here, and if it has become necessary to evacuate the Vilayat and to retire, it would be necessary to send the Employe, as well as sending up the order in cipher. Whereas all these points were left dark. Also nothing has been sent to His Excellency the Imam. Under these circumstances the suitable order in cipher explaining the case, will nicely offset the circumstances. Also it will not be proper to leave the officials, orphans and the civilian and military pensioners, and other poor people, in such a miserable, hungry and naked condition, who have suffered every deprivations since yours, expecting the victory of the Turkish Government and who have performed their duties more than necessary, and their faithfulness and sincerity by selling their house articles.

The above circumstances were sent to you by my telegram repeatedly of 4th January 1334, through the G.O. Commanding, Aden, stating that the said sums should in any way and pressingly sent, as well explaining the fact. Therefore, upon my requests, sent to you, through the G.O. Aden I am expecting a pressing trustworthy help and aid to cure our never trouble and dark position. The evacuation of Yemen by Corps Commander, has caused the serious effect on the inhabitants of Yemen. With the exception of 23 District Commissioners who have joined the Army the rest of the officials are in their duties as before at the districts and Hodeidah by the assistance and guidance of His Excellency the Imam, who are insistently propose to show their faithfulness and services to the Turkish Government, until the last breath, and they will never accept to be prisoners, and that they will stay at Yemen until the peace. I also accept and join this proposal. Even it is proved by the letters which have former files, of Yafi, Hidir-Month and Havaqi Tinn, Quidar, and Iribon, that they will join the patriotic intentions of the Turkish Employe.

3.

Although the Aden Government had promised to send the officers, families and men, surrendered with Said Pasha, 6 months ago, as well as the Corps Commander officers, civilians and families, who have lately surrendered, they are still under the pressure at Isthmus, Aden, Kamaran Camps which are belonging to Yemen. The inhabitants of Yemen who are not willing to part even one minute from our own Government, as well as from His Excellency the Imam, unless settling up their debts, amounting to enormous total to the people, as well as the loan made until the last days, for the upkeep of the Army and unless the arrival of a distinct order, as well as the delegates from Constantinople, all the Turkish Employees left at Yemen, headed by me, will not march a pace even to the nearest point.

In order to secure Yemen, to be under the Turkish Government, the people are showing special respects to the officials, more than before. The British Employees, in order to deceive the public view, to wish a warrant in their favour, by pressing some helpless people, at Hodeidah; Their sending printed Memorandums to the tribes, and Muntaka of Yemen, telling them that they are not following any hope, but as if to save the people from the atrocity of the Ottoman Government, as although they had declared and published that after the evacuation of Turkish Forces, they would leave Yemen as free; as soon after the Armistice, their suddenly occupying, until now, Hodeidah, and Louhia, contrary to the International Law and the Armistice terms; and they are keeping the blockade more strictly than being in war time; and the Military, civilian and families, ~~xxxx~~ who were taken by them, are being kept, as aforesaid stated, under pressure at Isthmus, and Kamaran quarantine quarters; and no reply is being sent to many notices, but sending this your order in clear and direct; and in the English papers published at Egypt, which came in our possession in the last days, and being declared and presented everywhere, stating that a very big revolution is prevailing in Egypt and India, and as the British Government has accepted the peace terms, she is being forced by all the Great Powers to sign it; and the prohibition of sending letters, even subjected to censor, by the officers, accompanied Said Pasha, and by the officers, civilians and others, who have lately started from Aden and Kamaran, belonging to Yemen to their families, relations and friends, left at Sanaa; and those who want to bring the news of the officers health at Aden are being disallowed not only to interview them, but to come in contact with them, and they are being strictly prohibited; and even they are preventing the merchants to go to Djeda, Sayakina and Hougara; have caused here the belief to the ill-health of the Armistice terms, and of your order. His Excellency the Imam has wired to G.O. Coma - sending Aden, on different dates, stating that he is prepared to keep the terms of the alliance, and that he ought to be informed by the Turkish Government in his own cipher.

Therefore, in order to settle up the claims of His Excellency the Imam as well as of the aforesaid sum, being taken on loan and as taxes of war from the people; debts of pensioners, orphans etc; the outstanding salaries of the officials enabling them to live on until to obtain fresh appointments in future or until to find a livelihood adorning their future; a well known and trustworthy delegate, composed of high ranks, bearing the sufficient necessary sum, should be sent with the concerning documents to me and to His Excellency the Imam, in His Excellency the Imam's cipher.

Turkish evacuation, 1918-1920

4.

Under the above circumstances, the said delegates should have the power to facilitate the officials freedom, as they never accept the hateful imprisonment being victorious here, and being not obliged to undergo this, by their religion of service; and as all the documents are being kept, sent in by all the Heshaike and wine people, to the effect that they will not part from the Turkish Govt. and His Excellency the Imam, an another separate delegates to be sent to discover the fact that under which Govt. rule they are desirous to accept. Under the reasonable reasons as laid down, if my suggestions are not acceded to, and if no orders in cipher are being sent by the delegates, I inform you that it will be impossible to start anywhere else from Yemen, until the peace is concluded.

Sd. Mahmoud Modin,

Governor of Yemen.

10th May. 1335.
23rd May 1919.

الفصل الرابع

الإدارة المدنية لحكومة الإمام

حرص مؤرخنا عبدالكريم بن أحمد مظهر على ذكر التعيينات التي تصدر عن المقام الإمامي (مقر الدولة) في كتابه «كتيبة الحكمة» وقد نسج على منواله يحيى الحداد في عمدة القاريء، وكذا أحمد بن عبدالله الجنداري في الدرة المنتقة. وقد حاولنا قدر جهدنا التقاط هذه التعيينات وتصنيفها في جداول ليسهل على القاريء والباحث، النظر فيها وتحليلها، وذلك لوضع إطار عام للجهاز الإداري من حيث موجبات التعيين ونوعية المتولين لهذه الوظائف من حيث الكفاءة وعدمها، وتوصيف الوظائف والمهام الموكلة إليهم.

ويتضح من قراءة الجدول المرفق أن الشكل العام للإدارة في زمن العثمانيين استمر معمولاً به في دولة الإمام مع تغييرات في المسميات، وإلحاق أو انقاص للصلاحيات المخولة إلى أحد المكلفين بالوظيفة.

بقيت اليمن مقسمة إدارياً إلى ألوية تتبعها أقضية، والأقضية تتبعها النواحي فالوحدة الإدارية هي الناحية ومجموع النواحي يتشكل منه القضاء ومجموع الأقضية تكون اللواء وقد استبدل سنجاغي باللواء والقضاء والناحية بقيت كما هي. ومع ذلك فتورد المخطوطات المعاصرة مصطلح الجهة والمخلاف في التصنيف الإداري أما العزل فلم يرد لها ذكر في مخطوطاتنا التي ندرسها، ويبدو أن مقر الدولة كان في السنوات الثلاث التي أعقبت انتقال الإمام إلى صنعاء وتوليه أمور الدولة بعد انحصار ظل الدولة العثمانية من اليمن، محدوداً في موظفيه ودوائره، وقد اتخذت عدداً من المباني المتواضعة كدوائر لتصريف الأعمال، إذ كان الاهتمام منصرفاً إلى تكوين الجيش وتوفير احتياجاته، فالمقر الرسمي للدولة اكتمل بناؤه سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م ومن ثم نقلت إليه دوائر الدولة، مثل دائرة المحاسبة ودائرة مأموري التلغراف ودواوين عكفة الإمام،

ونقل إليها معاونون، بل وجلبت لها آلات الاضاعة من جيبوتي، ومدّت في الدار السعيدة، دار العزّ، أسلاك النور إلى كلّ مكان في الدار وإلى مجالس المقام وسائر ملحقاتها^(١)، ولكن كيف نظمت الإدارة قبيل ذلك:

أعاد الإمام يحيى العمل بنظام الإدارة الإسلامية، وألغى القوانين التي كانت قد طبقها العثمانيون بموجب قوانين الولايات ومجلة الأحكام العدلية، فكان يصدر أوامره بتعيين الأمراء والعمال والمأمورين والقضاة والحكام والكتاب

ففي الأولوية عين لها الأمراء والحكام (القضاة)، ورؤساء المالية والكتاب وفي الأفضية، عين لها، العمال والقضاة (الحكام) والمتولين لإدارة المال والكتاب والمأمورين، وقريباً من ذلك في النواحي.

ويلاحظ أنّ الإمام قد اعتمد في إدارته في المركز على مجموعة من النواب معاونين، القضاة وفئة من القضاة المنشين، وفئة من الكتاب، ممن يلازمون المقرّ (المقام الشريف)، ويشرفون على انتظام مصالح الجمهور، ولكن بعد عرض كلّ الأمور على الإمام لأخذ رأيه وإصدار الأوامر والتعليقات المناسبة، وكان هؤلاء بمثابة دوائر مجلس الوزراء في زماننا دون إطلاق التسمية عليهم، فالوزارة معنوية في مثل هذه الحالة.

ففي المقام: كان يتولى الإشراف على شئون القصر (المقام) أميرٌ عهدت له إمارة القصر وإدارة شؤنه الداخلية من تنظيم واحتياجات، يلحق به جماعة من معاونين والخدمة.

ثم معاونون للخدمات والكتابة والاستشارة، وكان لرئيس محكمة الاستئناف، والأعضاء، مثل الحاكم الأول في صنعاء والحاكم الثاني، وشيخ

(١) كتيبة الحكمة ٢٤١.

الإسلام، وغيرهم مكانتهم في مركزية القرار الذي يصدر عن المقام أو القصر.
وكانت جميع التعيينات الإدارية لا بدّ وأن تصدر عن الإمام مباشرة بعد موافقة النواب المعاونين وأمراء الألوية، لا سيما وإن كانوا ممن أطلق عليهم السيوف، وكانوا على الأغلب من الهاشميين والأشراف والسادة وكبار المقاداة وبعض شيوخ القبائل الذين أظهروا مصابرة وجلاداً في معارك الجهاد، ففي النواحي يعين العامل والقاضي أو الحاكم والذي أطلق عليه في الكتابات اليمانية: «حكومة ناحية» و«مأمور المال» و«كاتب العامل» وفي الأفضية يعين بالإضافة إلى ما ذكر، المفتي أحياناً، إذ عين القاضي أبا بكر بن علي الحداد سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م مفتياً في قضاء إب، ولعل مهمته في الدرجة الأولى الإفتاء في الأمور المالية مثل شرعية الاجراءات المتخذة في تحصيل الواجبات، وقضايا ومصالح الوقف.

إلا أن هذا التنظيم لا يغدو ذال بال في الظروف والأحوال الطارئة، وخاصة عند وقوع الثورات والتمردات والفتن التي يترتب عليها نبذ الطاعة والخروج على دولة الإمام، وعندها قد تضم نواحي وأفضية إلى أخرى ويوكل أمر الحكومة والعمال والمالية والواجبات وحتى إمارة الجند وإمارة اللواء لشخصية واحدة، بحيث تبدو الإدارة وكأنها مركزية صارمة.

فعمالة حجور اليمن والشرفين وباقي اليمن الأعلى وجميع اليمن الأسفل، ما عدا الأطراف النائية أسندت سنة ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م إلى محمد بن عبد الله جحاف، وتولى عل بن يحيى بن علي العتممي، زميل الإمام في الدراسة، قبائل الشرفين سنة ١٣٣٩هـ / ١٩١٩م وكان يتولى عن الإمام أكثر وظائف الحكومة. وأحمد بن علي بن عبد الجبار (الباشا)، تولى عمالة تعز وملحقاتها وبلاد العدين في صفر ١٣٣٧هـ، وعبدالرحمن بن علي الحداد تولى القضاء والإشراف على كافة اللواء التعزي في نفس السنة ومحمد بن أحمد الوزير، اسند إليه عمالة وصاب

العالي والإشراف على واجبات وصاب السافل سنة ١٣٣٧ هـ.

ويظهر نموذج عدم الاستقرار الإداري في القماصرة ومخالف الحجرية، فقد كانت تضاف مخاليف كانت في الأصل لا تلحق بالمنطقة لتكبير الولاية، فحين ولي محمد بن ناصر مقبل أكبر الشيوخ في المنطقة سنة ١٣٣٧ هـ، شملت عمالته، القماصرة ومخالف من الحجرية ومخالف من صُهَبَان ومخالف من بلاد قعطبة والحشا، وحين توفي أُسِنِدَتْ عمالة القماصرة سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩١٩ م إلى ابن أخيه قايد بن صالح.

وكنموذج آخر لعدم الاستقرار الإداري بسبب اضطراب جبل الأمن في المنطقة، نذكر أن عمالة قضاء حراز جمعيه بما فيه صعفان وناحية الحُجَيْلة تولاهما أوائل ربيع الأول سنة ١٣٣٧ هـ، علي بن عبدالله الأكوغ، لإصلاح أحوالها بعد تمردات الباطنية فيها ثم في مرحلة لاحقة سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩١٩ م تولّى عمالة صعفان وحدها

وتول أمور أَلْجَنْدُ على الناحية، عباس بن علي بن أحمد بن اسحق، ومثله قضاء رداغ، فقد عين لها عامل وحكومة حتى إذا ما اضطرب جبل الأمن فيها، وغدا الاستقرار مهتزاً، عُهِدَ بنظر أعمال الجهة الرداغية وواجباتها وحكومتها في أواخر سنة ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٠ م إلى قاسم الوجيه. وفي السنة التالية، فصلت إدارة الأموال في الجهة الرداغية وتولاها محمد بن لطف السرحي.

ويلاحظ أن هناك جملة من الأمور كانت تراعى في التعيينات، مثل مكانة متولي الوظيفة الاجتماعية والعلمية فقد أُسِنِدَتْ الوظائف إلى سادة وقضاة وشيوخ قبائل وفقهاء ومقدمين نقباء وسيوف، ولوحظ شرط قبول أهالي المنطقة بمن يعين عليه^(١)، ولو اقتضى الأمر تعيين شخصية ذات صلة قربي بالعامل السابق المتوفى، فقد عين السيد محمد الكبير بن النهاري خلفاً لمحمود النهاري لعمالة ناحية الجعفرية، وعين قايد بن صالح مقبل خلفاً لعمه الشيخ محمد بن

ناصرٍ مقبلٍ على عمالة القماعة، وأعاد الإمام تعيينَ حسن بن عبد الوهاب الوريث سنة ١٣٣٩هـ / ١٩١٩م على حكومة القماعة والإشراف على واجباته لما عرف عنه من نزاهة وعدالة وقربه من الناس وإشادتهم بتقواه، بل إنه أبقى أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنباري على حكومة زبيد منذ سنة ١٣٣٧هـ وحتى وفاته سنة ١٣٦٦هـ، لأنَّ سيرته كانت محمودَةً بين الناس وإحكامه منظمًا تنظيمًا فائقًا، وكتابته للقضايا تتصف بحسن السبك والدقة.

كما حرص الإمام يحيى على تعيين القضاة في المناطق من فقهاء وقضاة المذهب نفسه، فالناطق التي يسكنها الشوافع، عين عليهم قضاة من الشوافع وحتى عمال ومأموري أموال وكتاب المنطقة من الشوافع، وكنا سابقا قد أشرنا إلى اختيارات الإمام يحيى الفقهية التي ألزم القضاة على العمل بها، وهي كما بيناه سابقاً اجتهاداً أخذ من كل المذاهب الإسلامية دون اقتصارها على المذهب الزيدي مثلاً.

أما بلاد صعدة وجهاتها، رازح والسنارة وساقين وبنو جماعة فقد عُين لإدارتها ناظرٌ، وأسندت في أغلب الأحيان لأحد السيوف، باعتبارها معقلاً هاماً من معاقل الزيدية، وهجرة قديمة من هجر العلم، ولوحظ أنَّ مناطق رازح والسنارة وساقين والتي قد عين الإمام لكل واحدة منها ناظرٌ طلب إليه، تلقي الأوامر، بمراجعة أحد سيوف الإسلام، وهو محمد بن الإمام الهادي شرف الدين، وكان ذلك خلال السنوات ١٣٣٨هـ، ١٣٣٩هـ، حين أصاب المنطقة الشقاق بسبب حركة الداعي حسن بن يحيى الضحيا في قبل عشر سنوات.

أما الإدارة المالية للإمام يحيى فكان يحكمها مقولة للإمام يحيى.

«من شروط السخاء وضع الحقوق في موضعها وليس بالتبذير» ولذا فقد اتخذ بيت مالٍ، له وكيلٌ لبيت المال، يراقب موارد بيت المال ومصارفه ودائرة

(١) انظر كتيبة الحكمة، ٢٧٦.

المحاسبة، ومأموري الأموال في الألوية والأقضية والنواحي يقومون على تحصيل الواجبات من المكلفين والتي تشمل:

أعشار الأراضي وتدفع عيناً، وكذا المخضرات أي الثمار والقات يثمن فيدفع أصحابها العشر نقداً. وزكاة المواشي والدواجن والقراش، وزكاة التجارة، وزكاة الفطر وزكاة حلي النساء من ذهب وفضة، ومعونة الجهاد عند الحاجة، والجزية المفروضة على أهل الذمة، إضافة إلى واردات الجمارك ورسوم مرور القوافل.

وكان بيت المال يخضع للرقابة المباشرة والدقيقة من قبل الإمام، وكان صارماً في معاقبة كل من يحاول التعدي على أموال بيت المال، فلا تصل إليه اليد الآثمة.

وكان لا يستثني أحداً من المحاسبة والتدقيق، وعذرُهُ إنه يبني دولة تحيط به الأخطار من كل جانب، دولة لا تجد العون إلا باعتمادها على مواردها الذاتية، سيما وإن النفقات والاحتياجات للسلاح والذخيرة والتموين ورعاية العلم وأهله والانفاق على الضعفاء والمساكين والأيتام والجنود وغيرهم تطلب أموالاً هائلة مع قلة الموارد الطبيعية من ثروات معدنية وتعطل التجارة بسبب الحصار والتضييق الاقتصادي لإجباره على القبول بما يعرضه عليه الفرنجة للاتفاق.

وقد كتب الإمام يحيى إلى القاضي حسن العريض جواباً منه:

ما مقصدي سلمى ولا ليلي ولا هند ولا أنا للهوى مغراً به
كلاً ولا للعود أهوى لحنه يوماً ولا للراح مشغوفاً به
أيضاً ولا للمال أطلب جمعه قد مال عن قارون بل أؤذى به

والجدول المرفق يبين التعيينات للوظائف الإدارية التي صدرت عن المقام الإمامي بين السنوات ١٣٣٧ هـ - وحتى منتصف سنة ١٣٤١ هـ.

أعمال تعز وملحقاتها وبلاد العددين	٢٧ صفر ١٣٣٧ هـ	أحمد بن علي بن عبد الجبار (الباشا)
القضاء والاشراف على كافة اللواء	٢٧ صفر ١٣٣٧ هـ	عبد الرحمن بن علي الحداد
التعزي		
عامل قضاء إب وجهاته	٢٧ صفر ١٣٣٧ هـ	إسماعيل بن محمد باسلامة
قائم بأعمال النادرة وتوابعها بخلاف		
الشعر وعمار مديده إلى خلاف العؤد	قبل ٢٧ صفر ١٣٣٧ هـ	يحيى بن محمد بن عباس بن الإمام
وضمه إليه	بعد رجب ١٣٣٧ هـ	(أمير الجيش)
عامل حراز في القضاء جميعه بما فيه		
صعفان وناحية الحجيلة	أوائل شهر ربيع الأول ١٣٣٧ هـ	علي بن عبدالله الأكوخ
إمارة القصر السعيد	حتى ربيع الأول ١٣٣٧ هـ	عبدالله بن أحمد الوزير
إمارة القصر السعيد	بعد ربيع الأول ١٣٣٧ هـ	أخوه محمد بن أحمد الوزير
عمالة قضاء الحجرية	شهر ربيع الأول ١٣٣٧ هـ	عبد الوهاب بن نعمان مقبل
عمالة الجهة الأنسية	شهر ربيع الأول ١٣٣٧ هـ	أحمد بن أحمد الجرافي
السؤدة وشهارة	٢٣ ربيع الأول ١٣٣٧ هـ	سيف الإسلام، أحمد بن الإمام يحيى
عمالة جبل بُرع	شهر جمادى الأولى ١٣٣٧ هـ	السيد علي بن أحمد بن إبراهيم بن الإمام
القضاء بجبل بُرع	شهر جمادى الأولى ١٣٣٧ هـ	عزي بن عطاء الله
عمالة ناحية جهران	= = = =	عبدالله بن أحمد العرشي
عاملاً على صنعاء	= = = =	حسين بن علي عبد القادر
حكومة خولان	في هذه الأشهر ١٣٣٧ هـ	محسن بن يحيى الجبري
حكومة قضاء إب	= = = =	يحيى بن محمد الإيراني
حكومة قضاء رداع	= = = =	أحمد بن زيد بن علي الديلمي
حكومة صَعْفَان	= = = =	محمد بن قاسم الظفري، والواجبات بنظره، والرئاسة للشيخ عبدالله بشر
عمالة زبيد وأعمالها	رجب ١٣٣٧ هـ	محمد بن علي الذاري
عمالة وُصاب العالي والاشراف على	= = =	محمد بن أحمد الوزير
وصاب السافل		
حكومة وصاب العالي	رجب ١٣٣٧ هـ	هاشم بن يحيى المرتضى
حكومة ذمار	١٣٣٧ هـ	حسن بن عبد الوهاب الوريث

أحمد بن عبدالرحمن بن حسن المساوي الشهير بالأنباري (كانت محكمته من أحسن المحاكم تنظيماً، وحسن سبك ودقة في الكتب التي ترفع لمحكمة الاستئناف بصنعاء)	من ١٣٣٧ هـ حتى توفي ١٣٦٦ هـ	حكومة زبيد
أحمد بن محمد الأنسي على أن يعود في أمره إلى يحيى بن محمد بن عباس، صاحب النادرة. محمد ناصر مقبل، أكبر الشيوخ وأوسعهم بلداً.	شعبان ١٣٣٧ هـ	عمالة قعطبة
حسن بن عبدالوهاب الوريث الشيخ حمود بن عبدالرب بن قايد بن سنان الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن محمد بن قاسم علي بن محمد المطاع إسماعيل بن حسن الوادعي حسين أحمد حنش (البحث عن المجرمين)	رمضان ١٣٣٧ هـ رمضان ١٣٣٧ هـ أوائل ١٣٣٧ هـ ١٣٣٧ هـ ١٣٣٧ هـ	القماصرة ومخاليف من الحجرية ومخاليف من صهبان ومخاليف من بلاد قعطبة والحشا الحكومة في القماصرة والمخلاف عمالة قضاء العُدين عمالة جبل حُبَيْش عامل على قضاء رداع حكام المحويت مأمور الإجراء
علي بن حسين المغربي (الحاكم الأول في صنعاء). المحكمة الاستئنافية عضوا	٢٥ صفر ١٣٣٧ هـ	المفتي (رئيس العلماء)
أحمد بن علي السياغي محمد بن حسين الوادعي محسن بن حسين العوامي	١٣٣٨ ١٣٣٨ ١٣٣٨	ناظر السنارة ناظرة ساقين ناظر رازح
محمد بن يحيى العزي محمد بن محمد الكبسي	١٣٣٨ هـ ١٣٣٨ هـ	ناظر جماعة عامل سُهارة

القاضي محمد بن سعد الشرقي	١٣٣٨ هـ	عامل ظليمة
محمد بن عبدالله جحّاف		عامل حجور اليمن والشرفين، وباقى اليمن الأعلى وجميع اليمن الأسفل، ما عدا الأطراف النائية
محمد بن علي الشامي (الأكبر)	أوائل ١٣٣٨ هـ	عمالة جبل ريمة
محمد بن حسين الكبسي	أوائل ١٣٣٨ هـ	قضاء جبل ريمة
علي بن حسين الشرقي	أوائل ١٣٣٨ هـ	مأمور الأموال في قضاء جبل ريمة عمال النواحي التابعة لجبل ريمة
حمود بن غالب بن الإمام	أوائل ١٣٣٨ هـ	عامل كُشمة
علي المنتصر	أوائل ١٣٣٨ هـ	عامل السلفية
محمود النهاري ثم السيد محمد	أوائل ١٣٣٨ هـ	عامل الجعفرية
الكبير بن علي النهاري		
عبدالله بن يحيى أبو منصر	أوائل محرم ١٣٣٨ هـ	قائم بالأعمال وأمور الواجبات
محمد بن علي بن أحمد بن اسحق	ربيع ١٣٣٨ هـ	في عمالة الشعيب (من اليمن الأسفل)
زيد بن علي بن الإمام المتوكل	شعبان ١٣٣٨ هـ	أمير الركب
الجنيد بن عبدالله النور	شعبان ١٣٣٨ هـ	عامل جبل راس
فتح الله بن عبدالوهاب المحبشي	قبل سنة ١٣٣٨ هـ	عامل زبيد
		واجبات جبل صبر وواجبات حجة وبلادها وكحلان تاج الدين وبلاده ١٣٣٨ هـ وقضاء كوكبان ما عدا شبام
سيف الإسلام أحمد بن الامام يحيى	١٣٣٩ هـ	أميراً علي حجة
عباس بن علي بن أحمد بن اسحق	١٣٣٩ هـ	عمالة صعفان، وإمارة الجنند على جميع أمور الناحية، عاملاً وحاكماً
الحاج علي صلاح الدين	١٣٣٩ هـ	كاتب الناحية
النقيب أحمد بن يحيى حبش	١٣٣٩ هـ	عامل المحويت وبلادها وجبل حفاش
القاضي لطف بن محمد الحيمي	١٣٣٩ هـ	حكومة خُفّاش
الفقيه محمد بن عبدالله الشامي	أوائل ١٣٣٩ هـ	عامل على ناحية خُيس

القاضي محمود بن محمد الزبيري	أوائل ١٣٣٩ هـ	حكومة حيس
القاضي عبدالرحمن بن أحمد المعلمي الشافعي	أوائل ١٣٣٩ هـ	حاكم ناحية شرعب
حسن بن عبدالوهاب الوريث	١٣٣٩ هـ	حكومة قضاء القماعة والأشراف
محمد ناصر مقبل نعمان	١٣٣٩ هـ	على واجباته
الشيخ قايد صالح	١٣٣٩ هـ	عمالة القماعة
القاضي عبدالله يونس	١٣٣٩ هـ	عمالة جبل الحشا
السيد يحيى بن حسن الوريث	١٣٣٩ هـ	عمالة ناحية سبرة
القاضي عبدالعزيز بن يحيى المجاهد	١٣٣٩ هـ	حكومة ناحية سبرة
القاضي أبو بكر بن علي الحداد	١٣٣٩ هـ	عامل جبل صبر
محمد بن عبدالله بن الإمام	١٣٣٩ هـ	مفتي قضاء إب
الشيخ محمد بن حسان	١٣٣٩ هـ	حاكم جبل صبر
الشيخ عبدالله عثمان	١٣٣٩ هـ	حاكم ناحية شرعب
القاضي أبو الخير المزجاجي	١٣٣٩ هـ	حاكم ناحية مقبنة
علي بن حسين بن الإمام	١٣٣٩ هـ	حاكم في جبل راس
محمد بن علي الصديق	١٣٣٩ هـ	حكومة ناحية جبلة
عبد الرحمن بن أحمد بن محمد	١٣٣٧ هـ - ١٣٣٨ هـ	حاكم ناحية المخادر
شرف الدين الكوكباني		دائرة المحاسبة
علي بن علي السراجي	محرم ١٣٣٩ هـ	عمالة بلاد البستان
علي بن عبدالله الشامي	شعبان ١٣٣٩ هـ	عمالة زبيد
محمد بن يحيى مداعس	١٣٣٩ هـ	مأمور المالية في إب
محمد بن قاسم الظفري	١٣٣٩ هـ	عامل همدان
القاضي أحمد بن محمد الأنسي	١٣٣٩ هـ	رئيس مالية تعز
راجح بن راجح بن سعد بن صالح	١٣٣٩ هـ	عمالة الطويلة وبلادها
القاضي علي بن محمد الأنسي	١٣٣٩ هـ	عمالة قعطبة
قايد بن صالح مقبل	١٣٣٩ هـ	عمالة القماعة
علي بن يحيى علي النعمي (زميل الإمام في الدراسة يتولى عن الإمام	١٣٣٩ هـ	قبائل الشرفين

أكثر وظائف الحكومة)		
أحمد بن عبد الكريم حجر	١٣٣٩هـ	ناظر السنارة
أحمد بن محمد الجرافي إضافة إلى ما	أوائل ١٣٤٠هـ	أعمال قضاء ريمة
بيده من الجهة الأنسية		
السيد الوجيه عبد الكريم بن	١٣٤٠هـ	عمالة ناحية كسمة
إسماعيل من بني شمس الدين،		
أهل كوكبان وشبام)		
الشيخ المقداد علي بن عمر المقداد	١٣٤٠هـ	عمالة بلاد الطعام
		ورئاسة الأجناد وأعمال الجهاد
القاضي محمود بن محمد الزبيري	١٣٤٠هـ	حكومة المخا
أحمد بن علي الحيفي	١٣٤٠هـ	مأمور المال في جبل ملحان
محمد بن علي الحلالي	١٣٤٠هـ	كاتب العامل
علي بن محمد المطاع	١٣٤٠هـ	عامل رداع
يحيى بن علي الذاري	١٣٤٠هـ	المقام الأمامي (كاتب)
سيف الإسلام أحمد بن أمير	١٣٤٠هـ	أعمال الشرفين وحجور
المؤمنين بن محمد حميد الدين		
علي بن محمد الشامي	أواخر ١٣٤٠هـ	أعمال زمام ريمة وجهادها
قاسم الوجيه	١٣٤٠هـ	نظر أعمال الجهة الرداعية (واجباتها
		وحكومتها)
عبد الله بن حسن الديلمي	١٣٤١	عمالة كسمة والكشف على أعمال
		مأموري المالية
القاضي محمد بن حسين العيزري	١٣٤١هـ	حاكم السلفية
محمد بن لطف السرحي	١٣٤١هـ	إدارة الأموال في جهات رداع
صمصام توفيق بن عبد الله،	١٣٤١	عمالة المخا
مملوك الإمام		

الباب الخامس

الدولة والمجتمع وحروب الوحدة

الفصل الأول: حركات المعارضة

المبحث الأول: الأسباب

المطلب الأول: التصدي والمعالجة

المطلب الثاني : المعارضة الداخلية

الفصل الثاني: الإمام وتثبيت الاستقلال

الفصل الثالث: تدعيم الاستقلال (التوحيد والتحرير)

المطلب الأول: الحروب في تغزّ واليمن الأسفل

المطلب الثاني: الامام وحروبه مع الانجليز والتحرير

الباب الخامس

الدولة والمجتمع وحروب التوحيد

الفصل الأول

حركات المعارضة

المبحث الأول: الأسباب العامة

منذ صفر ١٣٣٧هـ / نوفمبر ١٩١٨م، وهو الشهر الذي تسلّم فيه الإمام يحيى رئاسة «الدولة الإسلامية اليمنية»، واجه الإمام يحيى جملةً من الصعوبات والتعقيدات الناشئة عن القوى الخارجية الطامعة في اليمن وهي: بريطانيا، إيطاليا، فرنسا، ومن بعض القوى المحلية الراغبة في إنشاء الإمارات المستقلة تحت ستار التباين المذهبي حيناً أو عدم قبول البعض بالرضوخ لطاعة الإمام يحيى حيناً آخر، وإن كانت من نفس المذهب. ويبدو لي أنّ الإخلاء المفاجيء للقوات التركية من اليمن على أثر هزيمة الدولة العثمانية في الحرب الكونية الأولى، كان من أهم أسباب هذه المشاكل، فإنّ صلح دغان سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، قد أوجد صعوبات جمة للإمام في هذه الفترة، اتصلت بقدرة الإمام على فرض الأمن والاستقرار في المناطق التي كانت تحت نفوذ الأتراك، فاليمن كانت مجزأة وفق بنود صلح دغان إلى مناطق خالصة للإمام يحيى، تمتدّ من حدود عمّران إلى صعدة، ومناطق بالمشاركة مع الأتراك، من عمّران إلى سُمارَة، وثالثة للأتراك خالصة من سُمارَة إلى الراهدة، إضافةً إلى منطقة

تُهمة^(١)، والإخلاء التركيُّ أوجدَ حالةً من الفوضى الإدارية والإرباك السياسي، وخاصةً عندَ شيوخ وعقّالٍ ومناصبِ المناطق التي كانت خاضعةً لنفوذ الأتراك، لا سيما وأنَّ السلطةَ في مناطق المشايخ كانت بدونِ رقابةٍ، فالشيخُ حظيَ بامتيازاتٍ بالغةِ الأهمية، فهو الذي يعطي الأرضَ للفلاحين، ويقدمُ لهم القروض التي يستوفيهما من المحصول، وهو الذي يتولّى جمعَ الضرائب والعشور والزكوات، وما يدفعه للخزينة التركية لا يتعدّى القليلَ مما جمعه، والحكومة التركية قانعةٌ ما دامت الأحوالُ ساكنةً، والمأمورون الأتراك راضون ما دمت الهدايا والتقدماتُ الشخصيةُ يحصلون عليها لأنفسهم.

ثم إن الانجليزَ الذين أخذوا على الإمام موقفه المساندَ للأتراك إبان سنوات الحرب، ومماطلته لهم في الاستجابة السريعة لشروط الهدنة، قد عملوا على حصره في منطقة معزولة بعيدة عن مصالحهم الحيوية في البر والبحر، المتمثلة في المحميات والتجارة والاقتصاد، فتحركوا في عدة اتجاهات، منها: التحالفُ مع الإدريسي في مناطق تهامة، وقبولُ الاتصالات مع مشايخ المناطق المتاخمة لهم، والتلويحُ بقوتهم العسكرية في بعض الأحيان واستخدامها فعلاً ضد الإمام في مراتٍ أخرى، لذا بقي الإمامُ يحبى خارجَ دائرة النفوذ البريطاني فأخذوا يرون فيه القوة الوحيدة المؤهلة لنفاذ القوى الكبرى، إيطاليا وفرنسا، من خلاله إلى اليمن كما أن الإدريسي ظهرَ في المنطقة وكأنه المدافع عن المذهب الشافعي بالرغم من وصمه بالتحالف والتناصر مع الكفرة الإيطاليين ثم الإنجليز. وغدا الإدريسيُّ خطراً يهددُ تهامة ويحولُ دونَ تطوير اليمن، من خلال تنفيذه لما أوكله الانجليزُ إليه من أحكام الحصار البحري على دولة الإمام، ومهاجمته للمراكز والألوية اليمنية. وأصبح الحصارُ البحريُّ خانقاً لدولة الإمام بعد حرمانها من مينائها الطبيعي الوحيد عندما أقدمت القواتُ البريطانية على

(١) زورق الخلو، ٤٩.

احتلال الحديدة ثم تخليها فيما بعد عن الحديدة لصالح الإدريسي، وكذا فإن عدن تحتله بريطانيا والمحميات التسع تحتمي بالانجليز، فإذا ما أضفنا إلى كل ذلك الصعوبات المحلية في الطرف الإمامي، عندما أشغلت ثورات القبائل وتمرداتها قوات الإمام واستنزفت قدراً كبيراً من قوتها في الرجال والعدة والسلاح، وحتى عندما أخذ الإمام يحيى في بسط سلطته على أنحاء اليمن - بقيت بعض الجهات سائبة لتردد أهلها فيمن يتمنون إليه، فحتى سنة ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م، كانت صعدة وجميع بلادها إلى باقم والنظير من أطراف رازح كانت تحت طاعة الإمام ومناطق أبو عريش وصيبا واللحية وما بينهما وبعض حجور كانت تحت نفوذ محمد بن علي الإدريسي، والحديدة وعدن تحت سيطرة الإنجليز^(١).

ولما كان شيوخ القبائل ورؤساء المناطق الأكثر حركة لتثبيت مراكزهم، وكانت بريطانيا هي القوة التي انفردت بالمنطقة فقد بادروا هؤلاء الشيوخ والرؤساء للاتصال بالسلطات البريطانية في عدن يريدون الدعم لمراكزهم، والاعتراف بهم أمراء مستقلين في مناطقهم، ويتضح ذلك من خلال الرسائل الإخبارية News Letter التي كان يبعث بها المقيم السياسي في عدن، أو القائم بأعماله إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة، فقد اتصل كل من عبدالله عبدالرحيم بن قاسم وأحمد أمين بن قاسم حكام الحجرية، يطلبون المساعدة ضد عبدالوهاب نعمان، وطلب الحماية ناجي بن صالح الفتاحي من دُبا الدريجة^(٢)، وعبدالوهاب نعمان، قائم مقام الحجرية، أرسل الشيخ عبدالحق الأغبري إلى عدن ليتأكد من مسلك الحكومة البريطانية اتجاه اليمن، وأبلغ بأن عبد الوهاب نعمان سيكون إلى جانب من يعترف به كحاكم في بلاده^(٣). ومثل

(١) كتيبة الحكمة، ٥٨.

(2) Records, vol. 6. 439, 444.

(3) Recods, Uol. 6.p. 43b.

ذلك فعلَ بعضُ المبعوثين من طرفِ حاشدو بكيل الذين قابلوا Major Reilly، من أهالي سُمارةَ والمخادرِ وشرقها والعُدَيْن، ورأوا أن تكونَ بينهم وبينَ الإنجليزِ علاقاتٌ مباشرةً، فهم لا يريدون سلطةَ الإمام، لأنهم يعيشون في وسطَ مناطقِ الشوافع، ومنذ زمنٍ لا يخضعون لسلطة الإمام^(١). وأهالي ماويةَ وتعز، يفضلون الأتراك على سلطة الإمام أو زعامةَ محمد ناصر مقبل، قائم مقامهم السابق، وأي زعيم محلي^(٢)، وسليمان بخيت من شيوخي جبل بُرج من الدبعوس، قبائل القُحري، والزرانيق يهددون بالاستعانة بالبريطانيين إذا ما حاولَ الإمام فرضَ سيطرته عليهم^(٣)، إلا أن كلَّ هذا الاتصالات لا تنبئُ بقبولِ أحدٍ للأنضواء تحت حماية الإنجليز، وفق النموذج العدني أو المحميات، وإنما توحى برغبتهم بالاستعانة بالبريطانيين لإنشاء إماراتهم الخاصة.

ولما كنا لا نبغي في هذا المقام التفصيلَ في معارك الإمام، سواء في المنطقة الوسطى أو المنطقة الشمالية، والشمالية الشرقية، ولا في اليمن الأسفل، لأن هذه المعارك والحروب التوحيدية قد دُرست من قبل العديد من الباحثين^(٤)، وذهب كلُّ باحثٍ إلى درسها، إما من خلال إطارها الاجتماعي والاقتصادي أو بُعدها المذهبي أو السياسي، وهي دراساتٌ ذهبت إلى الإشادة بالمعارضة والتنديد بحكم الإمام فإنَّ ما نقدّمه في هذا الفصل إنما هو محاولةٌ عرضِ الرأي الآخر

(1) Record, Vol. b. pp. 434.

(2) Record. Vol. b. p. 433.

(3) Ibid. Cp. 446.

(٤) انظر حياة الأمير، علي بن عبدالله الوزير لمؤلفه، أحمد بن محمد بن عبدالله الوزير، منشورات ط، العصر الحديث، زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء، لمؤلفه حمود بن محمد الدولة، تحقيق زيد بن علي الوزير، ط منشورات العصر الحديث، سنة ١٩٨٨، التاريخ العسكري لليمن، سلطان ناجي، ط ١٩٧٦، معالم تاريخ اليمن المعاصر، عبد العزيز قائد المسعودي، ط صنعاء، ١٩٩٢، الثناء الحسن على أهل اليمن، محمد بن عبد الملك المروني، ط بيروت ١٩٩٠م، وغيرها كثير.

من خلال المصنّفات المعاصرة استناداً لبعض الوثائق. ولتيسير الإمام بأَسباب قيام حركة المعارضة سواء في المدن والأرياف والجبال، عند القبلي الرعوي أو الحضري المدني لا بدّ للباحث المنصف من قراءة دقيقة للحوادث التي وقعت في اليمن إبّان العهد التركي وحتى عهد الاستقلال، من قتل وسرقة وحرب لقطع السبيل، وفقدان للأمن والأمان في أنحاء اليمن، مع ما رافق ذلك من حزم وتشدد في جباية الضرائب والواجبات والزكوات، وصرامة في المحاسبات وتدقيق لسجلات ودفاتر الواردات والمصروفات. ثم محاولات الانفصال عن الدولة وتكوين السلطات المحلية بعيداً عن المركز، مما يؤثّر في هيكلية الدولة المستقلة إذا ما تقوَّض إطارها الجغرافي والبشري وحرمت من مواردها تحت وطأة معاول التجزئة ومشارط التقطيع: في المناطق الوسطى والشالية والشرقية.

ومن الجدير بالذكر، أنّ وسائل الإمام في تحقيق الأمن والاستقرار والعمل بما تقتضيه الشريعة، كانت تتراوح بين النصيح والوعظ والإرشاد إلى الكتابة بالزجر والنهي وتسيير القوات لبسط الأمن عند اقتراف ما يوجب القصاص. ومن نهاذجه:

- تسويق ومماطلة قبيلة همدان بجمع مقاتلين من بينهم ليكونوا مجندين في الجيش المظفري أسوة بغيرهم من قبائل صنعاء، وحذو أهل الغولة وبيت الذيب حذو همدان في عدم الإستجابة لدعوات التجنيد، فكان الحزم من الإمام لمراجعيه من عقّال همدان، والغولة وبيت الذيب بوجوب ذلك، والامثال بكل ما يأمرهم به، وكانت هذه القبائل ترى في إجابة الطلب نوعاً من الإذلال والانقياد، لا سيما وقد اعتادوا عدم الإذعان لطلبات الأتراك بهذا الصدد، غير أنّ سياسة الإمام الحازمة معهم نجحت في قبولهم التجنيد في الجيش، وأكثر من ذلك في تحصيل المتأخّر من الواجبات المرتبة على القضب لما مضى من السنين، وعين الإمام على كلّ قرية مقداراً من المال لإيفائه^(١).

(١) كتيبة الحكمة، ١٤٢.

- ولوّح الإمام بالعزم بطوابير من الجيش لقبيلة أرحب، التي قبلت لجوء ثلاثة جنود نظاميين فروا لطرفهم، فكتب إليهم زاجراً وناهياً، ولما لم يستجيبوا، سيّر وكيل الجيش، عليّ بن أحمد بن إبراهيم بعدة طوابير من الجيش، وأمره بمناجزتهم بالحرب إن لم يحصل الانقياد، إذ لا تساهل في ذلك، وإلا انفرط عقد الجيش، فسلموا الفارين وأذعنوا بعدم قبول الفارين^(١) مرة أخرى.

- ويرى عبد الكريم بن أحمد مطهر بأن قوات الإمام قد عملت على تأديب أولئك الذين تورطوا في مضائق القبائح، مثل القتل والسرقة والتعدي على المسافرين وقطع الطرق وإخافة السبيل، فكانت حملات الإمام على أهل جبال عيال يزيد من بكيل في ٢٥ شوال ١٣٣٦ هـ تأديباً لهم لإجبارهم على تسليم الغرامات المفروضة عليه، بسبب تعدي البعض منهم على المسافرين، وتحصيل القروض الواجبة الاستحقاق التي اقترضوها من بيت المال، وتسليم ما بحوزتهم من سلاح لبيت المال، حيث أخربت الحملة بيوت من فرّ، وسأقت البعض إلى حبس شهارة، وتسلمت رهائن مختارة فوق رهائنهم السابقة^(٢).

وعملت قوات الإمام بقيادة محمد بن علي الشامي على ضبط جهات بني بُحَيْتٍ والحدأ ضبطاً محكماً، وسأقت جماعات إلى الحبوس في صفر من سنة ١٣٣٧ هـ، لأنه ظهر منهم العدوان، بكثرة إيذائهم لجيرانهم، وإفهم للغزو والتسلق إلى الدور والامتناع عن دفع الضرائب والواجبات، حتى ضرب بهم المثل في العدوان، وقد نجح محمد بن علي الشامي في إصلاح تلك الجهات من الحدأ إلى كومان المحرق^(٣).

وكانت ثورة حجة من أخطر ما تعرضت له جهود الإمام في فرضه وبسطه

(١) كتيبة الحكمة، ٢٤٢.

(٢) كتيبة الحكمة، ٣.

(٣) كتيبة الحكمة، ١٧، ٣٦.

لسيطرة الدولة، مع أنَّ مؤلفنا وصفَ سببها «بخطبٍ» قد وقعَ فيه يحيى بن ناصر شيان الذي أوكلَ إليه الإمامُ أمورَ الأموالِ وجبايةَ وتحصيلَ الواجباتِ في حجةَ وقضائها وكحلان تاج الدين وقضاءِ كوكبانَ ما عدا شبام، ومن ثمَّ أظهرَ التكلؤَ في المحاسبة مدعيًا عدم وجودِ دفاترِ المحاسبة لديه، وأنه يرغب بالعزم إلى حجةَ لإحضارها، الأمرُ الذي رفضه الإمامُ وأمرَ بابقائه سجيناً حتى تحضرَ الدفاترُ وتنجزَ المحاسبة. ولما كان الشيانيون يتولون إمارةَ حجةَ منذُ أكثرَ من عشرين سنةً، فقد أنابَ يحيى أخاه محسن للقيام بأعماله، فأعلنَ الخلافَ ونبذَ الطاعةَ عندما علم بسجن أخيه وصادفَ في ذلك الوقتَ تجمعُ حوالي أربع مئة من رجالِ حاشد يقودهم محمد بن غالب القديمي على مقربةٍ من حجةَ، كانوا في طريقهم للالتحاقِ بالإدريسي، لمناصرة شيخهم ناصر بن مبخوت الأهرم والذي سبقَ له الثورةُ على الإمامِ وقتلَ عاملَ الإمامِ بنيسا القاضي حمود محسن، وزادتْ خطورةُ الثورةِ حين استنجد محسن شيان برجالِ حاشد ومكنهم من مدينة حجةَ وحصنَ نعمان، وأعلنَ ولاءه للإدريسي، مما يعطي الإدريسي الذريعةَ للنفاذِ إلى المنطقة الوسطى من دولة الإمام، وهنا سيرَ الإمامُ ثلاثَ حملاتٍ كبيرةٍ على حجةَ تولَّى قيادتها العامة ابنُه سيف الإسلام أحمد، وشاركَ في قيادة إحدى الحملاتِ محمد بن محمد زبارة، والأخرى حزامُ بن عبد الله الصعر، وجرَتْ حروبٌ كان التوسطُ في نهايتها على خروجِ محمد بن غالب القديمي والسيد محسن بن ناصر شيان ومنْ معهم من البلادِ، وتسليمُ ما في يدِ محسن بن ناصر شيان من الأموالِ والذخائرِ، وهدمُ بيتِ يحيى بن ناصر شيان في ميين، وأسندتْ نظارةُ حجةَ إلى سيف الإسلام أحمد^(١)، الذي أخذ ثورةَ خولانَ فيما بعد.

وحين تَمرَّدَ أهلُ ملحانَ من المحويت، الذين كانوا يتبعون متصرفيةَ الحديدةَ

(١) كتيبة الحكمة، ٨٩.

في العهد التركي - وحاصروا حاكمها من قبل الإمام، إسماعيل بن حسن الوادعي، سير الإمام إليهم القائد العسكري المجرب عبدالله بن يحيى أبو منصر، طالباً إليه مراسلتهم واندازهم ومحاولة استمالة من يرى فيه اللين، ومن ثمّ محاربة من يستمرّ على عناده^(١)، وكان هذا الموقف اللين من الإمام تجاههم، بسبب رغبته الإبقاء على طاعتهم عندما تحين الفرصة للانقضاض على الحديدة، المحتلة من قبل الانجليز، في قادم الأيام سيما وأن جبلهم منيع - حصين يشرف على المهجم من تهامة ويعاند جبل حُفاش من الغرب -

إضافة لتباعد عهد انقيادهم بما اعتادوا عليه، زمن الأتراك، من عدم الطاعة، وتساهل الأمراء الأتراك في الحديدة معهم، حتى عندما كانوا يعتدون على عمال الأتراك في بلادهم^(٢)، وقد أمكن فرض الأمن وأبقيت رتبة -محطة- من جند الإمام لحفظ الأمن تزيد عن ألفٍ وتحصيل الأموال من ناحيتهم، الخصبة، ذات الغيول والوديان والتي تكثر فيها زراعة الحبوب واللبن.

وقد كان للإمام يحيى لقاء مع شيوخ الجبل سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م أثر مراجعة علي بن يحيى الأصابع للإمام في صنعاء مستدعياً تخفيف محطة العساكر، وتخفيف عدد الرهائن المسلمة إلى الإمام منهم، وشكا من شدة محمد ابن عبدالله وقسوته، ويبدو أنّ الإمام قد اطمأنّ إلى استقرار الأمن في بلادهم، فرغب في تقليل الأعباء المالية التي كانت تنفق على عساكر المحطة الثابتة من بيت المال، والاستفادة من غالبية أفراد المحطة في ميادين أخرى، فكان اللقاء مع شيوخ الجبل، ومحاولة ابرام اتفاق معهم، يقضي باستعدادهم على صون الجبل من الأعداء، وابقاء رتبة معقولة قادرة على حفظ الأمن في حصون الجبل بقيادة أحد أمراء الجيش، فعين كبيرهم علي يحيى الأصابع عاملاً على الجبل،

(١) كتيبة الحكمة، ٥٩.

(٢) المصدر السابق، ٣٠.

وعينَ أحمد بن علي الحيفي مأموراً للمال، ومحمد بن علي الحلالي، كاتباً له^(١). ولما لم يستجيبوا بما يطمئن إليه الإمام، توجهَ عبدالله بن يحيى أبو منصر إلى هناك، وقامَ بعمارة الحصون اللازمة لقوات الإمام وتقوية المحطات. وفرض الأمن في المنطقة الوسطى من الجبل، دونَ الأطراف.

ونعتقد أنَّ وراءَ عدم استجابة شيوخ الجبل للوفاق مع الإمام، القوى التي كانت متاخمةً للجبل من جهة تهامة، والمغربة، وجماعات حاشد الذين لحقوا بالشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، فلم يقع الاتفاق واستمرت المعارك بين التهامين المناصرين للإدريسي، والمقاتلين من حاشد في الأطراف المحيطة بالجبل، حيث لحقت هزائم بقوات الإمام فيما بعد.

ومن ناحية أخرى، فقد واجه الإمام بعض الفتن التي ثارت بين قبائل عيال سريح من بكيل وبين قبائل حاشد سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٢، بسبب نزاعات بين سكان الحدود من الفريقين أدت إلى معارك وقتلى، بروية وحكمة، فما كان منه إلا الارتفاع إليهم وبمعيته كبار أعيان مقامه من سيوف الإسلام والأعوان والكتاب والنقباء والمقدمين، واجتمع بزعمائهم وعاملهم باللين والرفق؛ لأنه يرمى لهم حق الإيواء والمناصرة في الزمن السابق، ولكن لا بد من حسم أسباب الفتنة واحلال الصلح والسلام والنأي عن كل ما يلحق الضرر بالفريقين^(٢).

ولحاشد وبكيل مكائنتها في اليمن، فهما جناحا الإمامة، وعماد اليمن المتين. كما نجح في إعادة الهدوء وفرض الصلح بين المتنازعين من بطون خولان، سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م، فقد كان الخلاف والقتال قد ثار بين قروي (نصري

(١) كتيبة الحكمة، ٢٠١.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٥٦.

وسعيدى) أحد بطون خولان وبين بني سَحَام والسُّهْمَان من بطونِ نفسِ القبيلة، فسَيَّر الإمامُ عليّ بنَ أحمدَ بنِ إبراهيم، وكيلَ الجيش، مع طابورٍ من الجنَدِ النظامي بمدافعِهِ، وشرَعَ في ضبطِ العقَّالِ والمشايع، وتسويةِ أسبابِ الخلاف^(١).

ولم يتوانَ الإمامُ عن الاهتمام بقضايا القتلِ الفردي وإنفاذِ القصاصِ، وفق أحكامِ الشريعة، دونَ سواها من الأعرافِ التي اعتادها شيوخُ القبائل، وهي ما عُرِفَتْ بحكمِ الطاغوتِ، وذلك حينَ قتلَ سفيهُةً من بني النويرة من أهل الخَبْتِ أحدَ أقاربِ النقيبِ محمد بنِ علي رَدْمَان من أرحب، وخيَّرَ النقيب، وهو المطالبُ عن ورثةِ القتيل، باختيار أحدِ الأمرين: القصاصِ أو الدية، إلا أنه اشتطَّ في الطلبِ، لأنَّ المقتولَ نقيبٌ والقتلُ كان غيلةً فهو يريدُ مضاعفةَ الدية عملاً بما اعتاده أرحبُ من طريقةِ حكمِ الطاغوت، ولكنَّ الإمامَ لم يقبلْ إلا بما يلزُمُ شرعاً، فاستنجدَ النقيبُ بقبائلِ حاشد وبكيل ليغزو أهلَ الخَبْتِ بمن اجتمع إليه، غيرَ أنَّ الإمامَ سارعَ إلى تعيين أحدِ قادته، وهو الشيخُ راجع بن سعد للعمالة، وأنفذَ أوامره إلى الجهاتِ التي قد تمرُّ منها جموعُ النقيب محمد بن علي ردمان بحراسةِ حدودهم وحفظها أمامَ جموعِ النقيب محمد ردمان، إلا أنَّ حاشد وبكيل لم تستجب له، ولم يكن الإمامُ بعيداً عن عدم استجابتهم.

ونحن نرى في الكيفية التي واجهَ بها الإمامُ خلافَ أحدِ نقبائه الذين أبلَّوا في القتالِ لجانبِهِ، أنه إنما كان يهدفُ في الأصلِ إلى تأكيدِ العملِ بأحكامِ الشرع وإبطالِ القضاءِ بالأعرافِ، وبالتالي الحدَّ من سلطاتِ شيوخِ القبائلِ وتعويدِهِم على الإذعانِ والانقيادِ لأحكامِ الله وشريعته دون غيرها.

(١) كتيبة، ٢٤٢.

المطلب الثاني: المعارضة الداخلية

كان من أخطر حركات المعارضة الداخلية، حركة محمد بن علي بن أحمد الوزير سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م والتي يستشف من مخطوطنا، أن محمد بن علي الوزير نائب عن أبيه في قبض واجبات جبل اللوز، لكنه شجع بعض عقّال جبل اللوز على الامتناع عن الاجابة لدفع الواجبات، ووعدهم بالمدافعة عن الجبل إذا ما هاجمته قوات الإمام، حتى إذا ما ارتفع إليه وكيل أمير الجيش أنكر ذلك وترك العقّال يلاقون مصيرهم، فقادهم مقيدون بالأغلال إلى صنعاء، حيث أبقاهم الإمام في صنعاء ومنعهم من العودة إلى جبل اللوز، وأما محمد بن علي الوزير فعاد إلى بيته في السر، ثم عاود الانتقال إلى جبل اللوز وقد تجمع حوله جماعة من بني جبر وخولان وبني بهلول، وشرع في بث رسائله إلى الجهات معترضاً على سيرة الإمام يحيى في الحكم، فما كان من الإمام إلا مبادرته بالنصائح والتحذير من مغية ما يُقدم عليه، وكذلك نصحه العقلاء، ولكنه أصر واستفحل خطرُهُ، فصدر الأمر إلى وكيل الجيش علي بن أحمد بن إبراهيم بعزمه مع جند كثيف من طواير الجنود النظامية، والتنكيل به وبمن اجتمع لديه.

وسار وكيل الجيش بجنوده النظامية وجمع قدرهم من مقاتلي الحدأ والأهنوم ومعه مدفعان، وحاصر أطراف الجبل لمنع هروب أحد من المخالفين، وصعد إلى الجبل، ولما أدرك محمد بن علي الوزير استحالة المواجهة، مع هذه القوة المدججة انسحب واتباعه من الطريق الشرقية المائلة إلى جهة الجنوب الخالية من جند الإمام، وفلت محمد بن علي من قبضته وكيل الجيش، فما كان من وكيل الجيش إلا الانتقام ممن آواه، فهدم دورهم وساقهم إلى الإمام مقيدين، وسار إلى هجرة السر ومسكن السادة بني الوزير، وألزم والدّه بالوصول إلى طرف الإمام، حيث أقنعه الإمام بضرورة مثول ولده في المقام، تائباً مما كان منه

من التحرك الويل ثم يكون النظر في أمره خيراً، وإزاء ذلك تنقل محمد بن علي الوزير في جهات بني جبر وبلادهم، حتى إذا كان في زيارته لأهل بيته في السر، أحدثت به قوات وكيل الجيش، الذي كان يترصده لتنفيذ الأمر الإمامي بتصيده واقتناصه، حيث ألقى القبض على بعض أصحابه، ثم عليه وقد اعتصم في بيته وبعد محادثات ونصائح استلسم ونقل إلى صنعاء حيث أودعه الإمام دار الأدب، السجن، بالقصر.

ورواية مؤرخنا تصف محمد بن علي بن الوزير، بأنه قد اعترته لوثة في ما ظهر من الأعمال من جهته، وصورت حركته بأنها ما كانت إلا لتحقيق مطامح شخصية وأنه كان يحاول أن يكون من جملة عمال الإمام، فهو لا يقل نسباً وكفاءة وسناً عن ابن عمه، عبدالله بن أحمد الوزير، ولا عن قريبه أمير لواء تعز، علي بن عبدالله الوزير، وقد حازا من الرياسة وعلو الكلمة والجاه واتساع الأعمال ما يُعَبِّطُ عليه، أما هو فلم ينل منها شيئاً، وتمضي رواية مؤرخنا، فتذكر كيف كان يعرض نفسه على الإمام ليوليه الأعمال، فينصحه الإمام بلزوم المدارس والعكوف على القراءة، والتي ما طاب له البقاء في ملازمته لتعلق نفسه بالإمارة، فطلبها من قريبة علي بن عبدالله الوزير الذي ولاه بعض الأعمال فما حمد منابه، وسعى عند عبدالله بن أحمد الوزير فما رضي الإمام. وحينما يثس من ذلك رب غارب العدوان.

ويبلغ مؤرخنا حدّ النزق وقد اطلع على بعض منشورات محمد بن علي الوزير التي يعترض فيها على سيرة الإمام يحيى في الحكم، مما جعله يخرج في كتابته عن حركة محمد بن علي الوزير، ويورد أكثر من صفحتين، من النقد المرّ هذه الرسائل - السخيفة في الموضوع والمعاني، ركيكة المباني، حسب رأيه، وضمن هاتين الصفحتين تذكيراً بشمائل وفضائل ونزاهة وعدالة الإمام. «وقصده» إزالة ما يسبق إلى الأوهام من إمكان اشتغالها على ما هو من صحيح

الكلام، المعبر عن الواقع لذوي الأفهام»^(١).

وعلى الرغم من النهاية المخففة لحركة محمد بن علي الوزير، فإن الإمام قد حفظ حقَّ حرمة الرعاية، باعتبار بيت الوزير من السادة آل البيت: أهل علم، ثم رعاية لابن عمه عبدالله وأمير جيشه علي، مع ملاحظة أن محمد بن علي الوزير لم يتسبب في قتل أحد خلال ثورته، وانتهت بعد مطاردات، وبعدها أودع محمد بن علي الوزير دار الاعتقال بالقصر.

وقد عثرنا على صورة من رسائل محمد بن علي الوزير التي بثها في الجهات البيانية معترضاً فيها على سيرة الإمام يحيى في الحكم، نشر صورتها إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه هجر العلم ومعاقله^(٢) دون العناية بنشرها كما فعل بالعديد من صور الوثائق التي ضمَّنها أجزاء كتابه، ولعلَّ رداءة خطِّها، وتلف جزء يسير من ورقها وما لحقها من ثقب، وعدم ترميمها حال دون ذلك. وقد بذلنا جهدنا في قراءتها حتى تمكنا من قراءة اعتراضاته على سيرة الإمام يحيى في الحكم، والتي حدَّدها بثمانية عشر أمراً، هي، كما جاءت في المنشور:

الأمر الأول: اتخاذ الإمام المضللين عضداً، وقد كانوا يسمون الإمام شقياً وأصحابه أشقياء ويتصفون بأنهم سعداء، ما الموجب لتقريبه إياهم، هل هو فضلهم أم علمهم أم أعمالهم الصالحة، لم نعلم في واحد من هؤلاء، في واحد منهم الصلاح والحال، أن الإمام من أهل الفضل فلمَ قريهم إليه، وقد عرف عدم فضلهم وعلم خيانتهم وعدم ديانتهم، كما قد سمع منه، ولكن لا شك في صدق ما قاله الشاعرُ

وعينُ الرضا عن كل خيرٍ كليلَةٌ ولكنَّ عينَ السخطِ تُبدي المساويا

(١) كتيبة الحكمة، ٢٤٢-٢٤٨.

(٢) هجر العلم ومعاقله، ٢٠٩.

ومن ادعى صلاحية تقديمه أكذبه الواقع، فإننا لم نعلم بأمرٍ قد صدر كما ينبغي من عند اتخاذهم إلا العكس.

الأمر الثاني: عدمُ تقريبه أهل الفضل وعدمُ مشاورتهم كما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. بقوله جلّ وعلا في الآية الكريمة ﴿وشاورهم﴾ فظاهرُ الأمر يقتضي الوجوب، وأيضاً أنَّ العالم بما يكون الباري، جل وعلا، قد بالغ في شرعية الاستشارة باستشارته الملائكة الكرام في خلق آدم عليه السلام.

الأمر الثالث: عدمُ تعهد العالم والمتعلم ورزقهما من بيت المال ليفرغا إلى العلم كما أمر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم في قوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾، والعلم من الجهاد كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿لولا العلماء لما عُبدَ تبارك وتعالى﴾. ومن المعلوم أنه بوجود العلماء صلاح جميع الأحوال وجريها كما يجب بإرشادهم الناس ووعظهم وتذكيرهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر الممزمق.

الأمر الرابع: عدمُ تعهد الضعفاء فيما يحتاجون إليه من إعطاء أو انصاف من ظالم، والمراد بالضعفاء من لا يتصل به من النساء والصبيان والمرضى والمساكين ما [ها...] ^(١) وتغافل عن إعطاء من وصل إليه واحدٌ لشأنه وعن الإنصاف لمظلوم من ظالمه بعد اتصاله به واحدٌ لشأنه ^(٢).

الأمر الخامس: عدمُ تعهد المصالح والبحث عنها.

الأمر السادس: أخذه غلات الأراضى الموقوفة على بيت مال.

الأمر السابع: التزامات الزكوات وذلك محرّم عقلاً وشرعاً لعدم التوقف على قبض ما يجب، فإنّ بعض العمال أو الرؤساء يلزم زكوات الناس بجملة

(١) غير مقروءة في الصورة.

(٢) الأصح شأنه.

معلومة من الإمام ومن بعض الولاة، ويعزم الملتزم بجعل فوق ما التزم به شيئاً معلوماً ويفرق الجميع على أهل كل محل من البلاد صرة معلومة، ثم يفرق أهل كل محل على صرته بدون قياس فيكون على بعضنا شيء كثير ولا يجب عليهم والبعض منهم قليل، حتى إن من جملة حاصل ثمرته ثلاث مئة قدح، ألزموه تسليم خمسين قدحاً، ولم يكن من الإمام بحث ولا تعقيب على الملتزم، بل شكاً إليه الضعفاء والفقراء ولم يُنصف، بل أصدر أمره في الحزم بالتحصيل، طالما سلم عليه ويُسلم لبيت المال بعضاً، ويقول البقية لदन الرعية ويجرّ بياناً كيف ما أراد، ويرسل العسكر لتحصيل ما في البيان، حتى إننا قد سمعنا من كثير من الزراع يبيعون الخلاص بتسليم نصف ما حصل له أو أكثر ولا يلحق غرامة عسكر وأخذ وحبس ونحوه، ولم يكن ملتزماً توقف على قبض ما يجب فقط وإن قال وشُرط عليه.

الأمر الثامن: التزامات الردايد المسماة فيما سبق ميرى من كل سوق من أسواق المدن والبوادي، وبيائها أن الإمام أو أحد ولاته يلزم بعضنا مثلاً بجملة معلومة، على أن يقبض من كل ما يبيع أو يباع شيئاً حتى من الحطب والبيض والبسباس.

الأمر التاسع: الزام الناس بتقديم عُشر ورُبُع وثمان، وعلى كل مئة رأس غنم نصف الثمن وجزء صوف، وعلى كل رأس بقرة نصف ريال وعلى كل جمل ريالان

الأمر الثامن والأمر التاسع وما فاض من الأمر ملك لصاحبه وليس للإمام استحصاله من خالص الملك إلا بما هو فاضل عن كفاية السنة ولا من كفاية بيت مال. ولا يمكن من شيء يستحقه واستعمال الحقوق وقرض بحد قضاءه في المستقبل واستيصال قطر من أقطار المسلمين، أما هذا فمعلوم غنى بيت المال وكثرة دراهمه الموجودة المنهوبة ألوفاً، واجناس أخر كثيرة، وطالما أن الإمام أجل

وأحسن وأولى من به يقتدي فما باله يأمر بالاعانة ولا يعين، بل يكتسب بألوف عديدة، ولنا أن نطلب الحساب، اختشاء بالله تعالى، من عند عذر مظلوم.

الأمر العاشر: المغاني بالمزينة المحرم سماعها وتعليم مغانيها لأهلها من بيت المال، وبلغ أن الإمام قال في القفلة أو في السودة من حضر عند المزينة فلا تصح الصلاة مطلقة.

الأمر الحادي عشر: عدم انفاق الصدقات على مستحقيها من الفقراء والمساكين والعاملين عليها وفي الرقاب والمؤلفة قلوبهم والغارمين وغيرهم ممن يستحق بنص القرآن الكريم.

الأمر الثاني عشر: عدم تنزيل كل أحد في منزلته وعليها الإيضاح والبيان والبراهين لهذين الأمرين ان حصل انكار مثل كثير من العلماء والعُقَّال.

الأمر الثالث عشر: تولية من لم يجز توليته، فإن بعض الحكام قد حكم بحد وهو واجب عليهم، وهذا سببه عدم استعانتهم بمن يصلح واتباعه مشور المضلين.

الأمر الرابع عشر: عزله من لا يستحق عزله، وغير خاف ما ورد فيه، مع أني أحمد الله تعالى على عدم طلبي لها، فإني بحمد الله لم أطلبها منذ صلحت لها بل أقسمت أيماً نأ للإمام أني موطن نفسي على عدم التولية ما حييت بهذا اللفظ، وقبضت الأمانة، ويشهد الله سبحانه

الأمر الخامس عشر: عدم بعثه للمعلمين الواجبات وتأخيرهم من بيت المال

الأمر السادس عشر: ذهاب الشريعة وجعلها سلماً لأخذ أموال العام بدون حق بل بباطل يعلمه، وكلمن (كل من) شكاً من الضعفاء المظلومين أرجع إلى ظالمه، حتى إن كل من له حق يترك الطلب لعلمه عدم البلوغ إليه.

الأمر السابع عشر: إجبار بعض من الناس لإصلاح طرق لا تجب عليهم
دون غيرهم

الأمر الثامن عشر: مسألة النظام واجبار بعض القبلي دون بعض، وتولية
الظلمة عليهم مثل الكتاب والزباط (الضباط) يخوضون عليهم ويسرقون
معاشاتهم، ويمنعونهم في بعض الأحوال عن الصلاة وعن الأهل والأقارب.

كم من أمور كثيرة قد علمها كثير من الناس لا يليق ولا ينبغي. ولو كتبنا
وجاء في صدر الرسالة المنشور: بعد البسملة والحمدلة دياجة اختارها من
آيات القرآن الكريم، تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتذكرُ بالعدل وتندُرُ
الظالمين، ثم نَبّه إلى أنّ ما سيذكره في الرسالة لا ينبغي أن يفسرَ بأنه لمز في
الصدقات، فإن أُعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا هم يسخطون، وأشار إلى معرفة
الناس معرفةً تامةً بكثرة دراهمنا ومحمولاتنا وملبوساتنا ومأكولاتنا وكثرة أموالنا،
ولعله يقصدُ غنى وثراء أسرته، وبالتالي فإنما هو بلاغٌ للناس وأمرٌ بالمعروف
ونهي عن المنكر.

ويلاحظ على رسالته (البلاغ)، أنها تناولت عدة أمور اتصلت بمصالح
الرعية يمكنُ اجمالها بما يلي:

- عدم رضاه عن معاوني الإمام وصحبته من رجال المقام أو العمال والحكام
وضرورة الاستعانة بصالحى الأعوان، ولعله يشيرُ بذلك إلى الأعوان الذين
اتخذهم الإمام ممن كانوا في غالبيتهم يعملون في الإدارة التركية قُبيل
الاستقلال، ولهم مواقفُ معروفة من الإمامة إبانَ معارك الجهاد ضد الأتراك،
سواءً في الجيش أو الأجهزة المدنية. وقد كان للقاضي لطف بن محمد
الزيري، أحد حكام الاستئناف إشارةً إلى ذلك وردت في قصيدة له قالها

(١) كتيبة الحكمة، ٢٥٦.

بُعَيْدَ إِصْلَاحِ الْإِمَامِ لَذِيُولِ الْفِتْنَةِ الَّتِي ثَارَتْ بَيْنَ قَبَائِلِ عِيَالِ سُرِيحٍ مِنْ بَكِيلٍ وَبَيْنَ قَبَائِلِ حَاشِدِ الْمَتَاخَمَةِ لَهَا^(١)، وَكَذَا فِي عَدَمِ تَقْرِيْبِ الْإِمَامِ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَمَشَاوَرَتِهِمْ، وَمَا أَرَاهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا مَقْتُولًا، فَقَدْ اخْتَارَ الْإِمَامُ الْأَفْرَادَ الْأَفْذَادَ لِتَنْفِيْذِ الْأَحْكَامِ وَإِدَارَةِ الْمَنَاطِقِ، وَكَانَ أَغْلِبُهُمْ مِنَ الْبُيُوتِ الْمَتَوَسُّطَةِ^(٢)، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَزِيْرُ يَشِيْرُ إِلَى تَوَلِيَةٍ مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ التَّوَلِيَةَ بِسَبَبِ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى بَعْضِهِمْ فِيمَا سَبَقَ، وَعَزَلَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَزْلَ.

- وَتَشِيْرُ الرِّسَالَةُ إِلَى عِدَّةٍ قَضَايَا اقْتِصَادِيَّةٍ مَهْمَةٍ تَتَصَلُّ بِغَلَاتِ الْأَرْضِ الْمَوْقُوفَةِ، وَمَشْرُوعِيَّتِهِ بِالْعَمَلِ بِنِظَامِ الْإِتِّزَامِ فِي جَمْعِهَا، وَهُوَ النِّظَامُ الَّذِي كَانَ مَعْمُولًا بِهِ فِي الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ قَبْلَ صُدُورِ أَنْظِمَةِ الْإِصْلَاحَاتِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَكَانَ خَاصًّا بِالضَّرَائِبِ وَلَيْسَ الزَّكَاةُ، وَكَذَا الضَّرَائِبُ الَّتِي فَرَضَتْ عَلَى أَمْوَالِ الْمِيْرِيِّ، الْمَسَاقَةِ فِي الْيَمَنِ بِالرَّدَايِدِ، وَمَا جُعِلَ ضَرِيْبَةً عَلَى الْأَغْنَامِ وَالْبَقَرِ وَالْجَمَالِ. وَكُلُّهَا قَضَايَا مَهْمَةٌ تَوْثُرُ عَلَى الْيَمَنِ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ، وَلَعَلَّ الْإِمَامَ كَانَ يُوَاجِهُ ظُرُوفَ دَوْلَتِهِ الصَّعْبَةَ، الْمَتَمَثِّلَةَ بِقَلَّةِ مَوَارِدِهَا الطَّبِيعِيَّةِ مِنْ مَعَادِنَ وَاخْتِنَاقِ اقْتِصَادِهِ بِالْحَصَارِ الْبَحْرِيِّ وَكَثْرَةِ الْأَعْبَاءِ الْمَالِيَّةِ، الَّتِي يَتَطَلَّبُهَا بِنَاءُ دَوْلَتِهِ وَإِعْدَادُ جَيْشِهِ وَتَسْلِيْمُهُ لِمُوَاجَهَةِ الْأَخْطَارِ الْمُرْتَبِصَةِ بِهِ فِي تِهَامَةِ وَعْدَنَ، بِمِثْلِ هَذِهِ الْإِجْرَاءَاتِ الضَّرَائِبِيَّةِ.

- وَتَنَاقُلُ الْمُنَشُورُ الضَّعْفَاءَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمَصَالِحَ وَالْبَحْثَ عَنْهَا، وَقَدْ وَرَدَتْ إِشَارَاتٌ عَدِيْدَةٌ فِي مَخْطُوطِنَا، يَعْرِفُ مِنْهَا الْعَنَاءُ بِهَذِهِ الْفَتْنَةِ فِي مَجَالَاتِ الرِّعَايَةِ الصَّحِيَّةِ الْمَجَانِيَّةِ فِي الْمُسْتَشْفَى وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ الْمُوَاجَهَةُ الْيَوْمِيَّةُ الَّتِي يَحْرُصُ الْإِمَامُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ صَبَاحٍ فِي سَاحَةِ الْمَقَامِ لِقَضَاءِ الْحَاجَاتِ وَالْإِنْتِصَارِ لِلْمَظْلُومِيْنَ وَالضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِيْنِ.

(١) مِنْ مَقْدَمَةِ الْبِرْدُونِيِّ لِكِتَابِ مَعَالِمِ تَارِيخِ الْيَمَنِ الْمَعَاصِرِ، ١٣.

- وجاء في المنشور (البلاغ). عدم تعهد العالم والمتعلم وتأخير بعث واجباتهم، وهي مسائل ترد إشاراتنا في ثنايا مخطوطتنا، ولا أرى الكثير من دول عالمنا المعاصر إلا ولها المسلك المشابه.

- وناقش المنشور (البلاغ)، مسألة إجبار بعض الناس على إصلاح الطرق وتعزيلها وإجبار القبلي على التجنيد في العسكر النظامي دون البعض الآخر، وهذه مسائل تتصل بتخثير العسكر وفق رؤى مسبقة، في مقدمتها الموالاة والطاعة، وما أحسب محمد بن علي الوزير إلا أنه يداعب مشاعر الناس في مناطقهم، الذين اعتبروا التجنيد النظامي خضوعاً وانقياداً وإذعاناً.

- وأشار المنشور (البلاغ)، إلى تعليم الموسيقى والإنفاق على أهلها من بيت المال، ويبدو أن إدخال فرق الموسيقى في الجيش وتعليمها لنفر من الجند قد قوبل بالاستهجان من قبل العامة، إلا أن الإمام أصر عليه وأدخله في الجيش من باب تعلم إشارات النفير كأداة اتصال وتنبيه عند التعبئة والاقدام والتراجع وإبلاغ الأوامر والتعليمات بسرعة سماع الصوت.

ولكن الإمام ومعاونيه وضباطه من الأتراك واليمنيين جعلوا من الموسيقى أداة إعداد للحروب وإثارة الحماس للجهاد أكثر منها أداة تسليّة وطرب وهو.

- وجاء في الأمر الرابع عشر من المنشور (البلاغ) ما يفيد عزوف محمد بن علي الوزير عن تولي المناصب أو السعي إليها مع تلميح له لصلاحيه لها، ويذهب إلى أكثر من ذلك، بأنه أقسم بالله العظيم، بلفظ أورد نصّه، بأنه موطن نفسه على عدم التولية ما بقي حياً حتى يقبض الله أمانته (روحه). وهذا يخالف لما أورده مؤرخنا من إظهاره وكأنه متهاك على التولية، حاسداً لأقاربه لأنهم تولوها دونّه.

ولعلي أرى أنَّ أهمية معارضة محمد بن علي الوزير لا تكمن في منشوره ولا في حركته من حيث اتساعها أو عدمه فقد تم احتواؤها بأقل ضرر وإنما في انبثاق المعارضة من أحد أبناء السادة، وكان أخطر ما ورد فيه ما جاء في الأمر التاسع: «ولنا أنَّ نطلب الحساب، اختشأ بالله تعالى من عذر مظلوم». فسمألة الاحتساب على الإمام طُرِحَتْ لأول مرة في هذه المرحلة المبكرة من عهد الإمام يحيى سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م، وهو ما زال يعمل لبناء «الدولة الإسلامية اليمنية» الحديثة. ثم كانت من محمد بن محمد زبارة سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، حيث نصب نفسه محتسباً، وطالب تأليف هيئة من كبار العلماء على رأسها زيد بن علي الديلمي لتتظَر في موضوع الاحتساب على الإمام، ولكنه تبرأ من طلبه فيما بعد^(١).

ولعلَّه من المفيد الإشارة إلى استمرار محمد بن علي الوزير في نهجه المعارض للإمام يحيى وتنقله بين ذمار وصنعاء والسرَّ وعدن وتعز وقيادته حملة عسكرية ضدَّ قوات الإمام أحمد بعد نجاح مؤامرة اغتيال الإمام يحيى، حيث أُلقي القبض عليه وأُعدم في ساحة حوَّرة من حجة، ٣٠ جمادي الأولى سنة ١٣٦٨هـ. أخذاً بمؤامرة الاغتيال.

(١) الثابت أن أحمد بن محمد زبارة قد أرسل رسالة إلى الإمام يحيى يشتم منها طلب الاحتساب فحوَّلها الإمام يحيى إلى والده العلامة محمد بن محمد زبارة، فما كان منه إلا أن اصطحب ولده أحمد إلى المقام واعتذر وقضى الأمر.

الفصل الثاني

الإمام وتثبيت الاستقلال

كانت السنوات ١٣٣٧هـ - ١٣٤٢هـ (١٩١٨م - ١٩٢٣). وهي الفترة التي اختص بها مخطوطنا، من أهم وأخطر ما مرّ على اليمن في تاريخها الحديث، وذلك بسبب جسامه الحوادث التي تعرّضت لها، فالأخطار المحدقة بها كانت عظيمة والقوى المتربصة لها كانت كبيرة، وتعاوّل الهدم الناحته لكيانها كانت حادة، ومقصّات التجزئة كانت مشحودة. والباحثون عن الزعامة والمنافع كانوا أكثر. ولو أراد مراقب منصف أن يرسم صورة لما كان يدور حول اليمن، لا يرسم إلا صورة لفريسة تتناوشها وحوش الفلاة من كلّ صوب وحدب، الإدريسي، حليف الانجليز، يتخطّف تهامة اليمن بمعونة ضخمة ممن يوجهون حركته، فما كان قتاله إلا لمنفعة حلفائه من البريطانيين.

وبعض شيوخ ورؤساء اليمن الأسفل ينتفضون ضد اليمن الواحد يداعبهم بريق الإمارة والسلطة، وبريطانيا ترسل طائراتها إلى الدريجة لتصبّ لهيب قذائفها على عساكر الإمام الساعية لتحرير المحتل من الوطن وتخليصه من ربة مستعمريه.

ولما كان مخطوطنا قد صنّف أساساً لإظهار هول الأخطار المحيطة باليمن، ومن ثم إبراز النجاحات الإمامية بهذا الصدد، فإني لا أجد كبير فائدة في معاودة تفصيل تلك الحوادث من حروب ووقائع، وإنما أتركها مبذولة في ثنايا المخطوط كما سجلها مؤلفنا، ولكنني أحاول قراءة الصورة بشمولية، مع

محاولتي تحليلها بعيداً عن تشويه واقع المجتمع اليمني، وفي اعتقادي، فإنَّ أخطرَ ما تعرَّضَ له اليمنُ في هذه الفترة، تلك التحرشاتُ والمناوشاتُ التي كانت نشطةً في تهامةَ والتي رأسها محمد بن علي الإدريسي، وتولَّت قيادتهُ العسكريةُ تنفيذَها بمعونةٍ متحالفةٍ مع الانجليز، وبمؤازرةٍ من أعوانهم، وأولها:

الحروبُ مع الإدريسي:

لا يبذلُ الباحثُ كبيرَ عناءٍ ليتوصَّلَ إلى الحقيقةِ الثابتةِ، بأنَّ محمد بن علي الإدريسي المتغلبُ على أجزاءٍ من تهامةَ كان صنيعةً لينةً بأيدي القادةِ العسكريين البريطانيين، لا يحركُ ساكناً إلا بأوامرهم، ولا يفعلُ شيئاً إلا برضاهم، ولعلَّ في القراءةِ السريعةِ للوثائقِ البريطانيةِ ما يذهب بنا إلى العدد الكبير من اللقاءاتِ والاجتماعاتِ التي كان يعقدها قاداته وأمرأءُ عسكره مع القياداتِ البريطانيةِ، ويدهشُ القارئُ للعددِ الهائل من التقاريرِ الاستخباراتيةِ التي كان يبعثُ بها قائدُ الإدريسي النافذُ، مصطفى بن السيد عبد العلي الإدريسي لمسؤوليه في أجهزةِ الاستخباراتِ البريطانيةِ، ويذهلُ الباحثُ من طواعيةِ مصطفى الإدريسي في تنفيذه للأوامرِ البريطانيةِ.

ولما كان ذاك الإمامُ المشاqqُ يرغبُ باستمالةِ المناطقِ المتاخمةِ له من اليمنِ مثل منطقةِ جبل بُرع وزبيد وتعز وحراز واليمنِ الأسفلِ وهي في معظمها شافعيةُ المذهبِ أو باطنيةُ تفتق ذهنه عن نفسيةِ تعملُ على إثارةِ الخلافاتِ المذهبيةِ، وذلك ليُظهر نفسه وكأنه المدافعُ عن الشوافعِ، وهو من ناحيةٍ أخرى الحامي لحريةِ الاعتقادِ والمذهبِ لاجتذابِ باطنيةِ حراز، فإذا أضفنا لذلك الذهبَ وكميتهِ الجاريةِ بين يديه، واغداقها على المتتمين إليه، صدقَ عندها القولُ الجاري عن أهلِ اليمنِ آنذاك «الإمامُ يحبي عنده المذهبَ والإدريسيُّ عنده الذهبُ» والاختيارُ متروكٌ لكل ما يريد.

ومنذُ سنةِ ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م، ومحطاتُ الإدريسي العسكريةُ منتشرةٌ ما

بين الحمرة حتى عُبال، والحروب مستعرةً من سمهر حتى وادي المرقوع،
والحرب سجالاً بين قوات الإمام والإدريسي في العين والجمجمة من بني
الحمادي وجبل الطروح^(١)، وكان إخلاء الانجليز الحديدة في محرم ١٣٣٨ هـ/
أيلول ١٩١٩ م وتسليمها للإدريسي الحدث الأخطر على الدولة الإسلامية
اليمنية، فقد أحكم الحصار البحري على اليمن، ولم يكن أمام الإمام إلا القتال
أو الاستكانة كرهينة للمصالح الانجليزية، ولما اختار الإمام الطريق الأول وهو
القتال والكفاح لصون الاستقلال وتثبيت الوحدة ودحر قوى الانفصال،
نشطت قوى الإدريسي وأعوانه للعمل في جهات حُفاش وحرّاز وزبيد. وكان
أعوان الإدريسي قد امتدت أيديهم في باجل إلى الزرانيق الشمالي، وذلك
باستمالة عقّالهم، والهدف إزالة الحواجز الحائلة بينهم وبين زبيد، وقد أحبط
هذه المحاولة القوات التي أرسلها الإمام بأمر عبد الله بن أحمد الوزير، حيث
كانت معارك في جبل راس، وفي ديار قبيلة المعاصلة وفي بلاد الرُّكب من
وصاب السافل، لمعاودة فرض الطاعة، والتصدي للاختراقات الإدريسية على
هذه الجبهة، ومحاولة الوصول إلى ميناء المخا أو خوخة للتخفيف من ضرر
الحصار البحري الخانق^(٢). والمخامرسي اليمن تمر من أمامها مراكب الإفرنج
لقصد بلاد الهند والصين وكافة ممالك الشرق الأقصى، وهي حاصرة على
مضيق باب المندب، على مقربة منها الانجليز في بريم، والإفرنسيون في عصب
وجيبوتي، فأهميتها استراتيجية ملحّة، يمكن منها تهديد السفن الفرنجية أو
جعلها منفذاً لدخول البضائع، وخاصة الأسلحة والذخائر والمؤن، ويستطيع
التجار تصدير بضائعهم إلى الخارج^(٣).

(١) كتيبة الحكمة، ٧٠.

(٢) حول المعارك انظر، كتيبة الحكمة، ٥١، ٨٥، زورق الحلوى، ٢٣٩.

(٣) كتيبة الحكمة، ٤٧-٤٨.

ومع أن أهالي زبيد. منذ دخول الإمام إلى صنعاء، راسلوا الإمام في رجب ١٣٣٧هـ / أبريل ١٩١٨م يعلنون الطاعة والانتماء إلى الدولة الإسلامية اليمنية، فقد شكوا إلى الإمام تَمَرُّدَ أهلِ وصاب العالي ووصاب السافل، حيث تمكّنت قواتُ الإمام من فرض النظام والطاعة في مناطق جبل راس ودُبَّاس وخَيْس ومرسى خوخة، ولكنَّ أخطرَ ما كان حين تحرُّك عوض بن علي الزربة، شيخُ مشايخ الرُّكَب، ذو النفوذ القوي في وصاب، وخاصةً بعد تحقُّق الأطماع الأدرسية في زبيد فواجهها الإمام بقواتٍ كبيرة، حيث أطبقت على المنطقة جيوشٌ ثلاث، من أهلِ العُدين وبني جبر ومن جوب في العدين وامداداتٌ من المقام فافشلت تلك القوةُ الكبيرةُ الخطةَ البريطانيةَ الإدريسية^(١).

ومن ناحيةٍ ثانية، فقد تناهت إلى الإمام يحيى طبيعةُ المراسلاتِ الدائرة بين عبدالله بشر، صاحبِ النفوذ والرئاسة في صعفان ومدول، وعلي طاهر رضوان، أحدِ قادة الإدريسي، بواسطة مساوي بن عبدالرب، صاحبِ شويح، وكانت تلك المراسلاتُ تدورُ على ضرورةِ تصنعِ عبدالله بشر الذرائعَ للتخفيف من وجودِ محطاتِ العساكرِ الإمامية النظامية في حراز، حتى تتمكنَ قواتُ الإدريسي المتعاونةُ مع عبدالله بشر من السيطرة على جبل حراز المقابلِ لتهامة بسهولة ويُسرٍ، بالحيلة والخداع دونَ المقاتلة والنزال، وقد نجحَ عبدالله بشر بما قدَّمه للإمام من تسويدِ صحيفة عاملٍ متوَّح محمد بن قاسم الظفري، فقد نسبَ إليه تنفيرَ الرعايا، وعدمَ ملائمتِهِ الناحية لما عليه من جميع السجايا، ويقصدُ بذلك حريةَ المعتقِدِ للباطنية - وقد استجابَ الإمامُ لشكواه مع شكِّهِ في سيرته مذ كان حاكماً في عهدِ العثمانيين، فقد كان عبدالله بشر مرَّناً نفسه على إبقاء الجزء الأكبر من الواجباتِ لنفسه وتسليم القليلِ للدولة العثمانية، وحين انتهى أمرُ المراسلاتِ بين عبدالله بشر وقائد الإدريسي علي طاهر رضوان، أعملَ الرأي

(١) انظر، كتيبة الحكمة، ٣٩، ٥٢، زورق الحلوى، ٢٤٥-٢٤٦.

فيما يكون فيه الصلاح دون الحسم العسكري، فأرسل محمود نديم، الوالي العثماني السابق، والذي بقي في خدمة دولة الإمام الإسلامية إلى مناخه عليه ينجح فيما يكون به حسم الشر الذي استطال شره في أطراف حراز وما قابله من تهامة والتوصل إلى استمالة أولئك القبائل بواسطة سادة تهامة من بني الأهذل، لعل ذلك يدفع الشرور ويحبب السكون، ولم تنجح بعثة محمود نديم بسبب التدخلات البريطانية وانضم أهل صعفان لقوات الإدريسي، فما كان من الإمام إلا أن سار حملة بقيادة عبدالله بن محمد الضمين، نجحت في إخضاع حراز، وأفسدت على الإدريسي خطته^(١).

وكان للإدريسي تدخله في جبل ريمة وبلاد الطعام وساعدهم على ذلك قوات وصلت من طرف شيوخ الضالع، حيث قاد الحملة ضد الإمام شيخ جبل ريمة محمد أمين، والذي ستناول كتابه للبريطانيين في فصل علاقة الإمام يحيى مع بريطانيا، وكان محمد أمين بن محمد أحمد قد تسنم ذرى الحل والعقد في العهد العثماني، ووصلته الامدادات من باجل وعُبال ومن قوات الإدريسي، وخاض معارك مع القوات الإمامية بمساعدة محمد طاهر رضوان الذي عاود الهجوم على ريمة أواخر شعبان ١٣٣٩هـ / أبريل ١٩٢٠م^(٢).

وكان من أخطر ما واجهه الإمام مناوشات الإدريسي لأطراف جبل بُرع وبلاد الطعام، فالمناوشات مستديمة، ولا بدّ لعامل قادر على إصلاح جبل ريمة وأطراف ناحية الجعفرية، لأن أطراف تلك الناحية متصلة بقضاء بيت الفقيه بن عجيل، ثم إن جبل بُرع في جهة الجنوب الشرقي من بلاد الطعام من أعمال ريمة، شماله وادي سهام الذي يفصل جبل بُرع وبلاد القحري ومن الغرب بلاد العبسية من ناحية المراوعة ومن الشرق بلاد الطعام وريمة ومن

(١) كتيبة الحكمة، ٩١، ٩٦، ١١٩، ١٢٠.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٣٠.

الجنوب بغرب بلاد الرافقة. وقد حاول أعوان الإدريسي استغلال الخلاف الذي وقع بين علي بن أحمد بن إبراهيم أمير العسكر وحاكم الجبل عزي عطاء الله، حتى إذا اشتد الصراع، عين الإمام عبد الله الصائغ حاكماً على الجبل، وعندها اندلعت المعارك بين قوات الإدريسي والإمام وكانت حرباً ضروساً^(١).

ولم تخمد منطقة جبل بُرع إلا أوائل سنة ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م، حيث رماها الإمام بقوات كبيرة من حاشد وخولان والحدأ وجبال عيال يزيد بقيادة يحيى ابن علي الذاري فدخلوا حصن المنامة، وراسلوا مَنْ في بُرع، ولما كانت البيئة وخيمة، فقد فشت الأمراض في قوات الإمام، واتصل أهل الجبل بالإدريسي وخادعوا يحيى بن علي الذاري بإطالة أمد المراسلة انتظاراً للوصول للإمدادات من الإدريسي، وقد أصيبت قوات الإمام وعادت إلى صنعاء ولم تحقق ما ترجوه من إخضاع أهل الجبل^(٢).

كما أن قوات الإدريسي شجعت أهل ملحان، وخاصةً غزلة الشويع وقبيلة على الخروج والتمرد، إلا أن عساكر الإمام أسرع إلى احتواء تمردهم، فدخلت حفاش والمحويت وأرباع بني قيس، وأخضع أحمد بن قاسم حميد الدين تمرّد ملحان بصورة تامة في ٧ صفر ١٣٤٢ هـ^(٣).

لقد كان موت محمد بن علي الإدريسي، في شعبان ١٣٤١ م بصيباً، بداية تفكك إمارة الإدريسي، فقد نُصب ابنه الصغير علي مكانه ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، وتفجّر الصراع بين قياداته العسكرية حتى آل أمرها إلى الزوال فيما بعد.

(١) كتيبة الحكمة، ٦٧-٦٩.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) كتيبة الحكمة، ٢٩٩.

الفصل الثالث

تدعيمُ الاستقلالِ (التوحيد والتحرير).

المطلب الأول: الحروب في تعز:

دأبت الزعاماتُ المحليةُ في لواءِ تعز منذُ صلح دَعَّان سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، على تثبيت كياناتها وذلك عن طريق زيادة ثرواتها من الأموال والحبوب، نتيجة تحكمها في مصادر الانتاج في مناطقها المعروفة بخصبها ووفرة محاصيلها، ثم استحوذها على الكثير من الأسلحة والمعدات والذخائر.

وقد ساعدها في تحقيق ذلك، تراخي قبضة الولاة الأتراك عنهم، وقبول هؤلاء الولاة الرشاوي منهم، والقنوع بالقليل من الأموال لخزينة الدولة ما دام هؤلاء الشيوخ والرؤساء قادرين على ضبط مناطقهم وعدم ثورتها على العثمانيين. وحين وقع إخلاء اليمن من العساكر العثمانية بموجب هدنة موندوروس، اشتدت عواملُ التنازع والتنافس بين الزعامات المحلية.

وبرز محمد بن حسان، شيخُ الطريقة الشاذلية الصوفية، كواحد من أهم الزعماء المتنافسين في قضاء المخاعموما، وفي ناحية مقبنة وشرعب وأطراف بلاد العدين وجبل حبشي وجبل صبر، وعلى الرغم من هزيمته في حروبه مع الدولة العثمانية التي قادها الياس الجركسي، وفراة خارج البلاد اليمنية، فإنه عاد بعد رحيل العثمانيين، وأعلن انتماءه للدولة الإمام يحيى كغيره من زعماء لواء تعز الذين هدفوا من موقفهم تجاه الإمام يحيى تعزيز نفوذهم في مناطقهم أكثر منه

ولاء حقيقياً، يُسهم في تقوية الدولة اليمنية الحديثة. وقد ظهرت نوايا محمد بن حسان، عندما دخل في صراع مع علي عثمان، عامل المخا، بسبب رغبته في الاستحواذ على بعض المدافع التي أبقاها العثمانيون لدى العامل^(١).

وكان محمد ناصر مقبل، أكبر مشايخ لواء تعز في العهد العثماني نفوذاً، يحكم القماعة ومخالف من الحجرية وبلاد قعطبة وناحية الحشا، ويضع يده على المدافع والجبخانه وكثير من الأسلحة، يعمل على تأديب كل مخالف^(٢). وشيوخ الحجرية أولاد نعمان مقبل يحاولون دعم نفوذهم بمزاحمة علي عثمان، عامل المخا، على الأسلحة والمدافع والذخائر، وينافسهم نور الدين بن حسان الصوفي على زعامة جبل حبشي، وكان يعمل للانفراد بزعامة الجبل.

ولما كان الإمام يحيى يدرك نزوع شيوخ لواء تعز للرئاسة، ويعرف تخوفهم من امتداد سيطرة الدولة اليمنية الإسلامية إلى مناطقهم، فقد حاول التخفيف من توترهم بإسناد بعض الأعمال الإدارية إليهم، فقد أسند عمالة تعز وملحقاتها وبلاد العدين إلى أحمد بن علي عبد الجبار الباشا، وأسند القضاء والإشراف على كافة اللواء التعزي إلى عبدالرحمن ابن علي الحداد، وعمالة إب وجهاته إلى إسماعيل بن محمد باسلامة، وعمالة قضاء الحجرية إلى عبدالوهاب ابن نعمان مقبل، ولمحمد ناصر مقبل عمالة القماعة ومخالف من صهبان ومخالف من الحجرية ومخالف من بلاد قعطبة والحشا، فقد حاول الإمام إرضاءهم، وعدم التصدي لمطامعهم في هذه المرحلة المبكرة من بناء دولته الحديثة.

ويرى كل من محمد بن علي الأكوع، وزيد بن علي الوزير بأن مشايخ اليمن الأسفل قد تداعوا لعقد مؤتمر، للنظر في أوضاع بلدهم في ضوء انتصارات

(١) كتيبة الحكمة، ٤٣.

(٢) كتيبة الحكمة، ٤٤.

الحلفاء، ومن ثمّ فقد التأم شمل المؤتمرين في آخر شهر محرم ١٣٣٧ هـ في العمّاقي، القرية الواقعة على الطريق بين القاعدة وتعز، وكانت بمثابة استراحة للمسافرين. ويذهب الباحثان «إلى أنّ المحادثات الجانبية بين المؤتمرين قد انتهت إلى تشكيل حكومة لا مركزية» «ولا ترتبطُ بصنعاء إلا في أحوال استثنائية حدّودها»^(١). وقد اختلفت المصادِر في النتيجة التي أسفرَ عنها المؤتمر، فالأكوع يعزو فشل المؤتمر إلى تغيب محمد ناصر الصراري^(٢)، ويحيى منصور^(٣) يعزو فشل المؤتمر إلى محمد ناصر مقل الذي أصرَّ على الطاعة للإمام والإذعان له. وتنفرد وثيقة بريطانية بنجاح المؤتمر^(٤)، واختيار المؤتمرين محمد ناصر مقل رئيساً بهدف مقاومة الزيديين، أما مؤرّخنا عبد الكريم بن أحمد مطهر فيذكر: ومنها أنّه في أثناء ظهور الخلاف من أهل حبيش، كثر من مشايخ اليمن الأسفل التلاقي إلى محلات مخصوصة، ومن أكبر اتفاقهم ما حصل في اجتماعهم في القاعدة، وتداولهم للمراجعة والإفادات للخطّة التي يبنون عليها شئونهم، وكانوا يفصلون على غير رابط كما بلغ، ولم ينتظم لهم أمرٌ ينافي المصالح الأمامية، بل لم يجرأ أحدهم على إظهار رأيه فيما يخالف الطاعة»^(٥) ويضيف عبد الكريم بن أحمد بأنهم تنافسوا على الزعامة والتصدر، فكان ذلك من أقوى الأسباب في فشل مؤتمر القاعدة. وهو ما يتناقض مع ما ورد في الوثيقة البريطانية المشار إليها سابقاً، ويبدو أنّ جهود القاضي علي بن عبد الله الأكوع قد أثمرت في توجيه المشايخ نحو طاعة الإمام والإذعان له. بعد أن

(١) حول ذلك، انظر، حياة عالم وأمير، محمد بن علي الأكوع، ٢٧٤، زورق الحلوى، هود الدولة،

تحقيق، زيد بن علي الوزير، ٩٨، الوثيقة البريطانية رقم 371/ 4407/ 85217.FO.

(٢) حياة عالم وأمير، ٢٧٦.

(٣) شعر وذكريات، ٥٢.

(٤) انظر الوثيقة البريطانية السابقة والوثيقة رقم 371/4207/ E125033/ ME/44.FO. زورق

الحلوى، ٩٩.

(٥) كتيبة الحكمة، ٤٤.

حذرهم من مغبة الارتقاء في أحضان النصارى، أعداء الملة والعرب وإلا جلبوا سبة الدهر ولعنة الأجيال وعار الدنيا والآخرة، والإمام ليس بتاركهم حرباً أو سلباً، بل فتح لهم طريق الاتحاد مع الجماعة، ويد الله مع الجماعة. وبالفعل فقد استجاب مشايخ اليمن الأسفل، ووصلوا في ١٣ صفر ١٣٣٧هـ / ١٧ نوفمبر ١٩١٨م، إلى مقر الإمام بصنعاء، حيث وصل كل من أحمد بن علي باشا وعبد الرحمن الحداد وإسماعيل باسلامة وعبد الواسع نعمان والشيخ علي ناصر الكمراني مندوباً عن محمد ناصر مقل، وأربعة من أولاد الشيخ عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي سعد من مشايخ العدين والشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن محمد بن قاسم والشيخ محمد بن عبد الواحد بن محمد بن قاسم ومحمد عايض العقاب من مشايخ حبش^(١). وكانت الطاعة والاذعان، والتولية لهم في مناطقهم، بعد الاستقلال للإمام يحيى. ويصف مؤرخنا في مخطوطه كيف عاد هؤلاء حكماً على مناطقهم، ولكن الشر قد ظل كامناً في نفوس البعض منهم، يداعب خياله: الإمارة المستقلة «المنفصلة عن الدولة اليمنية. وقد خاضت قوات الإمام معارك كثيرة لتحفظ وحدة اليمن وتحول دون الانفصال، خاضت معارك في حبيش والعدين وذى سفال وجبل صبر وشرعب والحجرية والعاقبة وقعطبة وغيرها من المناطق التي أشرنا إليها سابقاً في زبيد والركب وصنمات، وظهرت شخصية القائد الأمير علي بن عبد الله الوزير والذي أخضع بقواته انتفاضة أهل حبش وجحانة وظلمة، وسيطر على أطراف العدين الغربي المطل على وادي زبيد، ومن ثم ضبط جبل صبر وشرعب والحجرية والقماعرة وغيرها، وتسلم الأسلحة التي كانت بأيدي زعمائها، وانصرف الناس إلى

(١) كتيبة الحكمة، ١٧، الوثائق البريطانية أخطأت وخلطت في الأسماء والأعيان الذين وصلوا، ولعل السبب في الخطأ يقع على عاتق العملاء الذين كانوا يوصلون الأخبار إلى رجال المخابرات البريطانية انظر، الوثائق.

أعمالهم وإحياء أراضيتهم التي كانت إلى حالة الموات^(١).

ومع ذلك فإنّ لواء عزلم يستقرّ، وتحرك الأفيوش وترصدوا الجند الإمامي، وقتلوا منهم جماعة، وأهل العاقبة من قضاء العدين انتفضوا فأسكنت ثورتهم. وحاول الإمام مرة أخرى استيعاب تمردات اللواء والاتصال بهم وتطوير أهداف البعض منهم بالانفصال وتكوين إمارات مستقلة، وكانت أخباراً معاودة بعض زعماء اليمن الأسفل الاتصال بالانجليز قد تناهت إلى الإمام، وقد وقفنا على وثيقة بريطانية تفيد باتصال محمد ناصر بالانجليز يدعوهم لبلاده لحمايته وقبائله، ومع أنّ القيادة البريطانية رفضت الطلب، لكنها وعدته باستقبال وفده وكان معنى ذلك سماع طلباته من الإمداد بالسلح والذخائر والمؤن والأموال.

فقد جاء في الوثيقة

١٧ يناير ١٩١٩

من القيادة - بريم

هيئة الأركان - عدن

B. 481

أرسل الشيخ ناصر شيخ قبائل الساحل الواقعة بين مدينة الشيخ سعيد والمخاشيقه إلينا اليوم، وخوّله بإعلامنا «أنّه إذا أصبحت هذه القبائل تحت الحماية البريطانية، فإنهم سيبقون في مواطنهم على الساحل، وإلا فالعزم في التوجّه نحو الداخل، بمقدار خوفهم من الإمام، وقد اقترح الشيخ ناصر إرسال بعثة مفوضة إلى عدن لشرح قضيتهم، إذا سُمح لهم بذلك.

المعلومات المستقاة من موزع تفيد بأنّ الأتراك قد دمّروا خمس مدافع ضخمة للحيلولة دون وقوعها في أيدي قوات الإمام، كما تُرك ثلاث مئة صندوق ذخيرة في موزع بسبب النقص في وسائل النقل.

(١) كتيبة الحكمة، ٥٧، ٤٩، زورق الحلوى، ١٦٢، ٢١١، ٢١٧، حياة الأمير، ١١٠-١١٣.

إن القوات المتبقية في الشيخ سعيد قد فُرت بالثعل من وجه القوات الإمامية، بعد أن قطعت كافة أسلاك التلغراف قبل مغادرتهم.

وقد وجهت هيئة الأركان تلغرافاً إلى القيادة في بريم تاريخ ١٨ يناير ١٩١٩ تحت/ رقم ٥٧ G/C/

إذا قدم الشيوخ والرؤساء إلى عدن، فإنه إليهم بأننا سنمكّنهم من المقابلة، ولكن دون منحهم أية ضمانات بأن تكون هذه القبائل تحت الحماية البريطانية نسخة F.A.R.^(١).

وقد أسفرت الاتصالات الإمامية مع شيوخ ورؤساء اللواء عن وصول وفد أعيان تعز، فقد وصل عبدالرحمن بن علي الحداد، وأخوه القاضي أبو بكر بن علي الحداد والسيد أحمد بن علي عبد الجبار، والقاضي عبد العزيز بن يحيى المجاهد، وكان البحث بينهم وبين الإمام فيما يكون به الصلاح، والقضاء على أسباب التمرد والفتن، ويبدو أن الوفد شكّا للإمام سوء الإدارة في اللواء واختلال الأحكام فيه، مما دفعه إلى تشكيل مجلس لتدقيق الأحكام هناك من، عبد الرحمن بن علي الحداد، رئيساً

وعضوية كل من: عبد الدائم السادة، والقاضي إسماعيل بن عبدالرحمن الذبيبي، والقاضي حسن بن علي المغربي، وتعيين القاضي عبدالعزيز المجاهد عاملاً على جبل صبر، وأبو بكر بن علي الحداد مفتياً في قضاء إب، ورتب لهم الإمام المقررات الشهرية^(٢). وكان معنى ذلك تحقيق الاستقرار والعمل على إرساء قواعد الدولة الحديثة في منطقة تعز، حيث كوّن آلاي من أهالي اللواء ونظمت الإدارة، وخابت مساعي الانفصال^(٣).

(1) Records of yemen. Vol. 6. p. 406.

(٢) كتيبة الحكمة، ٩١-٩٢.

(٣) كتيبة الحكمة، ٢٢٣.

January 17th. 1919.

To Constaff,
Adon.

491 B. / SHEIKH NASIR of the coastal tribes between SHEIKH SAAD and MOKHA has sent his brother here today and has authorized him to state that if these tribes can come under British protection they will stay on the coast. Otherwise they intend going into the interior as they fear the IMAM. It is suggested that they send an accredited mission to Aden to state their case if you will permit them to do so. Information has been received from MOZA to the effect that Turks have destroyed 5 large guns to prevent their falling into the hands of the IMAM. 300 boxes of ammunition have been left in MOZA owing to shortage of transport. The party now at SHEIKH SAAD practically fled from the IMAM, they cut all wires before leaving. /

January 10th. 1919.

To Comdg.,
Portm.

67 C/O 10th.your 481 B 17th. / If headmen come to Aden they will be granted an interview but no guarantee can be given to the effect that the tribes will be taken under British protection. ix /.

Copy to F.I.R.

رسالة الشيخ ناصر إلى قيادة الانجليز في عدن Vol. 6. p.406

المطلب الثاني: الإمام وحروبه مع الانجليز، والتحرير.

من المعروف أنَّ الإمام يحيى لم يعترف للانجليز باحتلالهم لأجزاء من اليمن الأسفل، وإنَّ قبلَ بوضعية مؤقتة لهم في عدن، وكان دائماً يردُّد في رسائله إلى الانجليز ضرورة عودة اليمن، مملكة أسلافه منذ ألف سنة وزيادة إلى ما كانت عليه. مما جعلَ اسكوت يذكرُّ صراحةً في رسالته إلى وزير المستعمرات البريطاني «إنَّ الإمامَ يرغبُ في الحصول على كلِّ شيءٍ، وعدم التنازل عن شيءٍ»^(١)، وتوجهتْ أنظاره نحو الضالع ويافع والحواشب والقطيب في محاولة لاستردادها ومضايقه البريطانيين الذين سلموا الحديدة للادريسي.

ونقرأ في الدرة المنتقاة لأحمد بن عبدالله الجنداري أنَّ الإمام يحيى قد بعث برسالة إلى مَنْ في الضالع من النصاري، الانجليز، سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، يحذِّرهم من استمرارهم في مناصرة العساكر العثمانية المحاربة لقواته، وجاء في رسالة الإمام يحيى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾.

إن كتابنا هذا إلى مَنْ بالضالع وغيره من الانكليز، نعلمهم بأننا لم نزل قافين آثار نبينا محمد، غير مخالفين له في حكم ولا حد. وقد كان بيننا وبين ولاية السلطان ما أظلم دخانه، وأضرمت نيرانه لتحريفهم الشريعة المنزلة، وإقبالهم على القوانين المضللة وفعلهم الحرام، وأخذهم أموال الضعفاء والأيتام، وظلمهم الرعية من الأنعام حتى نشر العدل جناحه، وأطلع اليقين صباحه، وإننا لنخبركم أنه كان بين فرق النصاري وقدماء المسلمين ما كان من الأحكام التي

(1) Records of yemen. Vol. 6. p.p. 627.

مضت عليها الأوائل، وأقرها أهل الإسلام.

وبلغنا أن منكم من يعين علينا ويسود، ويُغير إلى قتالنا مع عسكر السلطان وينجد ويبدل لهم الأموال، ويسير إليهم الرجال، وذلك فيما يخالف القواعد المبنية والأحكام القديمة المرضية، ولا نريد أن نحول وجه الحرب بيننا وبينكم ولا نلتفت إلى مراكزكم وحربكم، فإن كنتم ترون صحة ما بلغنا عنكم فبالجهر لا بالسِر، وعلى الإقبال لا على الاغتيال، وإن أنكرتم هذا رفعتم مواساتكم لمن في قعطبة، فإن لحقوا بكم، وخرجوا عنها أمنوا أو أحبوا أن يكونوا أمثال من خرج من صنعاء كانوا أمنوا^(١).

والرسالة تفيد تطلّع الإمام إلى الضالع باعتبارها جزءاً خارجاً عن الدولة اليمنية. فبدأ الإمام بتجهيز قواته. ولاحق الفرصة حين دخل نصر بن شايق إلى عدن واستمد الإعانة من الانجليز لدفع جنود الإمام بعد أن انتمى للإمام وأعطى رهينة الطاعة، ولكنه تحرك ضد الإمام، فتقدمت العساكر الإمامية إلى الضالع ويافع لمناطق الأجعود وقصدوا الشعيب، وانقشعت فتنة يافع، وكذلك ردفان التي كان يحكمها محمد بن صالح القطيبي، وكانت محاربات ومجاولات، حيث أرسل الإمام سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م حملة بقيادة يحيى بن محمد بن عباس حيث هزموا المخالفين في جبل ودنة ولكن الإمدادات البريطانية التي وصلت جبل ردفان لم تحل دون بذل الطاعة في نهاية الأمر^(٢) في الضالع ويافع والشعيب والقطيبي، وواصلت قوات الإمام في محرم سنة ١٣٤٢هـ / أغسطس ١٩٢٣م السوق بقيادة صمصام توفيق بن عبد الله، مملوك الإمام، إلى الشيخ سعيد وذباب، لأن إهمال تلك الناحية وترك باب المندب فيه إخلال بالمصلحة العامة لدولة الإمام، وكان فرار ناصر العنبري، شيخ قرية الشيخ سعيد إلى جيبوتي، واستولى الجند الإمامي على ذباب والشيخ سعيد وباب المندب وتم

(١) الدرّة المتقاة، ٧٤.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٩٧.

إصلاح قلاع باب المندب وعمارتها.

وكانت هذه ضربة لأطماع الانجليز في لحج وبلادها واين وحضرموت والنواحي التسع^(١).

ومن الجدير بالذكر أنَّ البداية الأولى لاسترداد المحتل من الوطن كانت بالالتفات إلى القبيطة والوازعية وبعض قرى الصبيحة وبعض قرى الحواشب، والتي كانت خارج النفوذ التركي، بعد تنفيذ بروتوكولات اقتسام النفوذ على الحدود بين الانجليز والأتراك، فقد سارت قوات الإمام إلى القبيطة وتم فتحها بعد حروب، وقوات أخرى إلى الصبيحة وقوة لاسترجاع الوازعية وتم استردادها وألحقت بلواء المخا.

وكانت المواجهة حاسمة بين الإنجليز وقوات الإمام، حين أرسلت الطائرات البريطانية من محطة دكيم على الدُرَيْجَة سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م، وقذفت قوات الإمام بقنابلها، إذ لما أدركت القوات البريطانية دقة وضعها بعد نجاح علي بن عبد الله الوزير بالاستيلاء على قلعة المقاطرة بعد جهود مضنية، لاعتمادهم على الامدادات البريطانية، لم يستجيبوا للمراسلات السلمية التي تدعوهم إلى المسالمة والطاعة، مطمئنين إلى مناعة قلعتهم، ودربتهم العالية في القتال والمقاومة، وركونهم إلى مساعدات الإنجليز، وكانت الخطة المحكمة لمحاصرتها بعد الاستيلاء على المناطق المحيطة بها وعزلها وقطع الامدادات عنها، فقد سارت الجيوش إلى يفرس ثم الأكاحلة ثم إلى الأحكوم والأشبوط وكان الزحف على العزل الشرقية، الزعيمة والمدجرة والأشبوط والزعازع والمسيجد.

وفي الجهة الغربية سارت الجيوش إلى بلاد الزريقة والنجيشة والصولحة والمكابرة وبعد الترتيب على المقاطرة من جهاتها الثلاث، وقعت حصون الليم

(١) كتيبة الحكمة، ٢٩٦.

الأربعة في أيدي القوات الإمامية التي تقدمت بعدها على الخزفار والقاعدة وحصن التميديني، وتم فتح المقاطرة، وهي التي مهدت لسهولة استكمال العمليات العسكرية الإمامية في مناطق اليمن المحتل.

وهكذا نجح الإمام في هذه المرحلة من حكمه ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م من تدعيم الاستقلال بفرضه سلطة الدولة الإسلامية اليمنية في المناطق الوسطى، وثبت هذا الاستقلال بتسويته لمشاكل حاشد وبكيل في الشمال وحسم منازعات تعز.

وأفشل الإمام محاولات الانفصال سواء في تهامة اليمن أو اليمن الأسفل، ونجح في تحرير بعض مناطق اليمن المحتل في الضالع ويافع والحوشب والصبيحة. وفتح ميناء خوخة والمخا، وضمن باب المندب وذباب والشيخ سعيد في محاولة للتخفيف من الحصار البحري الخانق الذي فرضته القوى الفرنسية على دولته الحديثة، وهدد الانجليز في عدن والحديدة.

وكل هذه الجهود العسكرية والتنظيمية لم تحل دون استمرار الإمام في بناء وإعمار مؤسسات الدولة، فقد أكمل عمارة دار الفتوح ببئر العزب، وانتهى من عمارة بئر الجامع الكبير بصنعاء، وعمر منهلاً فوق حارة الأهر ليستقي منه أهل تلك الحارات وعمر دار السعادة في بستان المتوكل، وأصلح مجاري غيل أبي طالب الذي يسقي الروضة، وغيل المهدي أحمد بن الحسن وغيل مصطفى، وحفر الأبار لسقي الماشية أيضاً، واعتنى بالمدارس وفتح المكاتب في مختلف المناطق. وبنى الجيش وأقام التلغراف واهتم بالطب والأطباء ونظم الإدارة.

والسؤال الذي يظل قائماً:

هل يقبل الانجليز باستمرار صفعات الإمام لهم، وهل يرضى الإمام ببقاء الحديدية واللحية في يد الإدريسي، هنا يقف مخطوطينا دون الإجابة على السؤالين. وهذا ما سنتناوله عند نشرنا لبقية المصنفات في سيرة الإمام يحيى.



الباب السادس

العلاقات الخارجية

- الفصل الأول: العلاقة بين الإمام يحيى والشريف الحسين بن علي
- الفصل الثاني: العلاقة بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز بن سعود
- الفصل الثالث: العلاقات اليمنية البريطانية
- المطلب الأول: الحروب في تعز واليمن الأسفل
- المطلب الثاني: الامام وحروبه مع الانجليز والتحرير

الباب السادس

العلاقات الخارجية

الفصل الأول

العلاقات بين الإمام يحيى والشريف الحسين بن علي

(كما أوردتها المخطوطة)

يؤكد جيڪوب أنَّ الأتراك قد ذهبوا من الجزيرة العربية، وتركوا كلَّ عاهلٍ عربيٍّ يلعبُ في الساحة وحيداً، ودورُ البريطانيين الآن صناعةُ الملوك بتشكيلِ دويلاتٍ متساويةٍ حتى لا تكونَ هناك دولةٌ واحدةٌ راجحةٌ أو متغلبةٌ^(١). وفضلُ البريطانيين عظيمٌ إذا ما أبْقَوْا على اللاعب مستمراً في لعبه.

إن مؤلف مخطوطتنا، لا يأنفُ من استنكارِ موقفِ الزعاماتِ العربيةِ في الجزيرة العربيةِ المعادي للأتراك والعملِ مع البريطانيين في محاربتهم للدولةِ العليةِ المسلمةِ، فيفصلُ في الضررِ الذي ألحقه هؤلاء الزعماءُ بالعساكرِ العثمانيةِ، فمنذُ ثورة الشريف الحسين بن عليٍّ على الدولة العثمانية سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م، واستمالتهم كثيراً من رؤساء المسلمين في جزيرة العرب، يُمدونهم بالأسلحة في الحجاز والبحرين وعمان والكويت ولحج ومصر والمحميات. وفلسطين والأردن وسورية، يصفُ عبدالكريم بن أحمد بن عبدالله

(١) ملوك شبه جزيرة العرب، لجيڪوب، ٣١١،

المطهر الحالة فيقول: ولما تمّ من الحوادث المهولة هذه ما تمّ، وصادف وقوع أكثرها في موسم الحج، وكان الحجاج يشاهدون إشعال النيران من طرف الشريف حسين وأعوّاه وضرب المدافع، فيسألون!، فيقال لهم: إن الشريف فيصلاً فتح كذا، وحين تناهت الأخبار إلى الإمام، اهتم لها اهتماماً عظيماً، وظهر عليه أثر الأسف لما تحويه من وقوع الدولة العثمانية في شبكة فكر النصاري، ومن أصبح مغتراً بوعودهم الكاذبة وإمدادهم له بالأموال في سبيل سعيهم في مصلحتهم. ولا يجد المؤلف أبلغ من عبارة «لا قوة إلا بالله»^(١) لاستنكار ما قام به القادة العرب.

وكدليل على فساد الرأي الذي قبله القادة العرب، لأنّ نتائجه كانت وخيمة في سوريا على سبيل المثال، والمصير الذي آلت إليه حكومة الملك فيصل العربية يقول مؤرخنا: بأنّ هذه النتائج الوخيمة، مقدماتها منحصرة في الإخلال بما نهى الله عنه من الركون إلى الذين ظلموا، والثوق بوعودهم الخلابيّة وتسوياتهم الكاذبة^(٢).

من المعروف، أنّ أمراء مكة من الأشراف بادروا إلى الاتصال بالأئمة في اليمن لشنيهم عن محاربة الأتراك في البداية، ولعل ذلك كان يتم بطلبات من السلطنة، فقد كتب عون الرفيق إلى الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين حول ذلك، وكنا قد أشرنا لرسالته في الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور^(٣)، ومثله فعل الشريف علي بن عبد الله الحسني، أمير مكة، إذ أرسل رسالة إلى الإمام يحيى بن محمد حميد الدين بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٢٤ هـ يدعوه إلى ترك محاربة الدولة العلية العثمانية، حملها الشريف حمزة بن عبد الله ومعه

(١) كتيبة الحكمة، ١٤.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٠٩.

(٣) الدر المنثور، ١/١٣٧.

وجيه الدين عبدالرحمن بن إلياس، مدرس المدينة المنورة^(١).

أما الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون فقد أعلن موقفه من الدولة العثمانية بإعلانه الثورة العربية الكبرى، وطوال مدة الحرب كان موقف الإمام معروفاً كما درسناه في الباب الثالث، حتى إذا ما هُزمت الدولة العثمانية، وأصبح مصير الولايات العربية مشار البحث، ونُشرت بنود اتفاقية سايكس بيكو، واشتد الصراع السعودي الحجازي مع الشريف الحسين. ومحمد بن علي الإدريسي يعمل ضد الإمام يحيى. والقيادات العربية في الجزيرة العربية تعقد التحالفات المؤقتة التي ما لبثت أن تتحول إلى صراعات وحروب، التحالفات غير ثابتة، والعداوات والمخاصمات متقلبة، تحمدها وتوترها الحمى البريطانية.

في زحمة الأوضاع غير المحددة المعالم في الجزيرة، كان الشريف الحسين بن علي يسعى لعقد ائتلاف بينه وبين الإمام يحيى من ناحية وبين محمد بن علي الإدريسي من ناحية أخرى، وثالثة بين الإمام يحيى ومحمد بن علي الإدريسي. وما يهمننا في هذا المقام محاولة الشريف الحسين بن علي للائتلاف والاتفاق مع الإمام يحيى، وهو ما تناوله مؤرخنا تارة بالتلميح، وتارة أخرى بالتصريح، ففي شعبان من سنة ١٣٣٩هـ/ أبريل ١٩٢٠م، وصل الشريف ناصر بن شاكر، أحد معاوين الشريف الحسين بن علي يحمل رسالة من الشريف الحسين، حيث أمضى شهر رمضان وهو في مراجعات ومحادثات مع الإمام يحيى ومستشاريه. ولما كان مؤلفنا لم يفصل في وقائع ومجريات المفاوضات، واكتفى بإيراد عبارات موجزة حيث لخص مطالب الشريف في خطبه ود الإمام يحيى، والاتفاق وكما كان مؤلفنا موجزاً في تحديد القضايا التي طرحها مبعوث الشريف، فقد ذهب إلى مثل ذلك في تلخيص رد الإمام فكانت

(١) الدرة المتقاة، ١٧٠.

جوابات الإمام «حاوية للرغبة في ذلك الطلب، وأن سلامة البلاد والعباد من العطب متوقفة على إبرام مثل ذلك، وسلوك هذه المسالك» وقفل ناصر بن شكر راجعاً إلى الحجاز وقد ظفر بالمأمول من رحلته على جهة الإيجاز^(١).

ويبدو أن الردود لم تكن شافية للشریف الحسين بن عليّ، فعاد الشریف ناصر بن شاكر مرة ثانية بكتب من الشریف الحسين بن عليّ، تعاوّد طلب ما في كتابه السابق، وقفل راجعاً مزوداً بالإجابات اللازمة والإفادات الهامة^(٢). ووقف مؤرخنا أيضاً عن إيرادها، وما نلفت النظر إليه عبارة «الإفادات الهامة» فهل كان معنى ذلك الاستجابة لتحالف يتصل بالمصاعب والضغوطات التي كان يتعرض لها الشریف الحسين بن عليّ من قبل الملك عبدالعزيز بن سعود، هذا ما لا نستطيع الإجابة عليه في ضوء ما أطلعنا عليه من مصادر ووثائق.

وفي السنة عينها، حاول الملك فيصل بن الحسين وهو في طريقه للعراق (من عدن لرئاسة الحكومة العربية الاتصال بالإمام يحيى ومستشاره محمود نديم بك، والي اليمن السابق، يدعو الإمام يحيى إلى تفهم أفضل للبريطانيين، ويطلب لمحمود نديم دعم طلبه عند الإمام يحيى، وبعث الشریف الحسين برسالتيه بواسطة القاضي عبدالله بن أحمد العرشي مندوب الإمام في عدن بتاريخ ٩ شوال ١٣٣٩ هـ. وفيهما دعوة للإئتلاف مع الإدريسي وعقد معاهدة مع بريطانيا وفي رسالة الشریف فيصل بن الحسين إلى الإمام يحيى وردت الأمور التالية:

- يؤكد على الروابط والصلات القديمة بين كل من الأشراف في مكة (الحجاز) والأئمة في صنعاء وعماد هذه الروابط القريبى، واتصال نسبيهما بالرسول، صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) كتيبة الحكمة، ٨٣.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٤٤.

- ينهي إلى الإمام يحيى حال الترقى والتطور الذي يسعى الشريف الحسين لبلوغ مملكته إياه، وأنَّ الشريف الحسين بن عليّ قد حقق الأمن والأمان لحجاج بيت الله الحرام، الذين بلغ عدد الوافدين لأدائه من عباد الرحمن حتى شوال ١٣٣٩ هـ أكثر من سبعين ألفاً [وسيكون الشريف الحسين مبتهجاً إذا ما وصل حجاج اليمن].

- يبلغُ الملك فيصل الإمام يحيى أنَّه متوجهٌ إلى العراق لتأسيس حكومة عربية بناءً على إلحاح العراقيين وانتداب والده الشريف الحسين بن عليّ إياه لرئاستهما ولولا ذلك، لتشرف بالحضور لطرفه.

- يطلبُ الملك فيصل من الإمام يحيى تحييده لحسن فهم البريطانيين، فالأتراك أخذوا بجريرة ما ارتكبه بحق العرب، ولكن كما يقول البريطانيون فهم راغبون لعقد اتفاقٍ شريفٍ يحفظ للطرفين منافعهما المتبادلة، ويوطد دعائم السلم في هذه الأرجاء ويقوي التجارة والمواصلات.

- يرى الملك فيصل بن الحسين أهمية الائتلاف مع محمد ابن علي الإدريسي في تُهامه، وأنَّ والده سيوفدُ مبعوثاً لبحث المشاكل بينه وبين الإدريسي، وهو واثقٌ من قدرته على تضيق شقة الخلاف بينه وبين الإدريسي والناشئة من سوء الفهم بينهما لطبيعة هذه الخلافات.

- ينهي الملك فيصل بن الحسين ضرورة التفات العرب إلى شؤونهم، «فنحن لا نكنُ لهم بغضاء أي الأتراك، فقد مضوا إلى بلادهم يعملون لحل مشاكلهم المحلية ولا متسع لديهم للنظر إلى خارج بلادهم وعلى العرب أن يهتموا بأمورهم ومصالحهم، ينظرون لتطورهم وتقدمهم ووحدهم، وعليهم أرساء صداقة مع الآخرين ومع من جاورهم من الأمم ويختم رسالته بأنه سيضع نفسه في خدمة الإمام لما فيه خير العرب في أيِّ زمان ومكان^(١)».

(1) Records of Yemen. Vol. 6. 648-651 .

وفي رسالة الشريف فيصل بن الحسين إلى محمود نديم في نفس التاريخ، يعيدُ إبلاغه ما كتبَ به إلى الإمام يحيى، ويضيفُ عليه أن أخاه عبد الله تقلدَ أمورَ سورية. ويشكره لعمله على تقوية عُرى المحبة والاتفاق بين والده جلالة الشريف الحسين بن علي والإمام يحيى، ويأمل رجوع حسن الصلات بين الإمام يحيى وبين كافة الأمم، وما ذاك إلا تأييداً لمركز الإمام. ويتمنى الملك فيصل ابن الحسين على محمود نديم لو حضر لطرفه لمفاوضته والتحدث معه بشأن فكرة توحيد العرب، وحبذا لو استفادت الأمة العربية من آراء محمود نديم وحسن درايته وبعد نظره. والملك فيصل بن الحسين يرى ما لمحمود نديم من مكانة وتأثير على الإمام يحيى ويدعوهُ للعمل على توحيد العرب^(١).

وقد تجاوز الشريف الحسين بن علي كل هذه المواقف، وعادَ إرسال السيد محمد بن علوي السقاف مبعوثاً جديداً إلى الإمام يحيى، فوصل برفقة علوي بن حسن الجفري وزير السلطان العبدلي والشيخ صالح بن سعد العبادي. وكان محمد بن علوي السقاف يحمل رسالة من الشريف الحسين وهو مكلفٌ بمتابعة ما تمّ التوصل إليه مع الشريف ناصر بن شاكر، وإزاء الإلحاح في ضرورة الاتفاق، أوفد الإمام محمد بن محمد زيارة برفقة محمد بن علوي السقاف، إلى عند الشريف الحسين بن علي، ومعه رسالة هي نصيحة عامة، وقد جاء فيها بعد البسملة والحمدلة والديباجة^(٢): «فهذه نصيحة جامعة قائلة بالحق، إن شاء الله. نافعة، داعية لإخوان الدين إلى الاجتماع، والعمل بالحق والاتباع، فقد وضح السبيل واستنار الدليل، وأكمل الله هذا الدين بما جاء في كتابه المبين، وعلى لسان رسوله الأمين، ويورد آيات وأحاديث تدعو للاعتصام بحبل الله المتين ووجوب الاجتماع وعدم الافتراق، ويضمُنُها آيات شرعية منها:

(1) Records of Yemen. Vol. 6. 653 .

(٢) كتيبة الحكمة، ١٦٤ .

(٢) انظرها في مكانها من المخطوط، ورقة ١٨٦ .

فما بالنا الأمس أسدُ العرين وما بالنا اليوم شاء النجف
وفينا السيوفُ تسوق الحتوف وتفني الألوف وتنفي الصلف
وفينا الرجالُ أسودَ النزالِ بُسْمِرٍ طوالٍ بها الدين رف

ويختتمها بقوله: «جمع الله شمل المسلمين وإخوان الدين، ووقفنا جميعاً
لسلوك نهج الحق المبين، وبصّرنا طرق النجاة، وأخذ بنواصينا إلى ما فيه رضا،
اللهم آمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله، وسلاماً على المرسلين والحمد لله
رب العالمين.

وضمنها قصيدة، يرى إسماعيل الأكوغ أن ناظمها يحيى بن عليّ الذاري،
الذي كان يعمل في المقام الإمامي كاتباً، يرد عن الإمام في بعض الأحيان
شعراً^(١)، جاء منها:

مُغْلَغَلَةٌ مشهورة في المحافل تهيم وتذري الدمع تهيام ثاكل
لما حال بين المسلمين وعزيمهم وبين غلامهم من وبى التخاذل

وقد نشرت الرسالة والقصيدة في جريدة القبلة التي كان يُصدرها الشريف
في العدد ٥٥٧ يوم الخميس ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٠ هـ، ومدير تحريرها
المسؤول حسين الصبان، وقد ردّ عليها فؤاد الخطيب بقصيدة جاءت تحت
عنوان «تلبية على قصيدة الحضرّة الإمامية» وقد جاء فيها:

دعوت وقد أسمعت يا خيرَ قائل مغلغلة ليست تصيخ لعاذل
نسجت لها من وشي صنعاء بُردة محبرة أزرّت بشوشي الخمائل^(٢)

ويبدو أنّ محمد بن محمد زبارة حين وصل إلى مكة قام هو الآخرُ بنشر
قصيدة في جريدة القبلة، العدد ٥٦٠، بتاريخ ١٦ جمادى الثانية ١٣٤٠ هـ،

(١) هجر العلم، ٦٦٣. (٢) انظر القصيدة في كتيبة الحكمة، ١٨٦.

١٣ / فبراير ١٩٢٢م متضمنةً عينَ الأفكارِ والمعاني والأهدافِ التي أوردتها
قصيدةُ الإمامِ يحيى، وجاءَ فيها:

أما آن أن بوعي نظام النصائح وقد صار يملئ بين غاد ورائح
لقد أنطقتني الحادثات وصيرت مداد نظامي من دموعي السوافح

وفيها دعوةٌ للإقتداءِ بما فعله الإمامُ، عندما حاربَ الطامعينَ، حيثُ قال:

كما فعل المولى الامام الذي مشى بنهج سوي واضح أي واضح
وأنصاره اشيع زيّد كأنهم لدى الحرب شهب في وجوه المكافح
لقد أوقدوا نارا لحرب عدوهم وهم بلغوا كل المنى بالتناصح

وعن الإمام، وماله من دورٍ في خدمة الأمة والدين يقول:

له عند دفع الخطب عقل مجرب واقدام عرنين وأعمال صالح
وقد صار سيفاً في يد الدين قاطعاً له نور نصرٍ جاء عن سعد ذابح
حماه آله العرش من كيد معتد وأيده حتى يرى خير فاتح

وقد حمل محمد بن محمد زبارة مشروعَ الملكِ الشريفِ حسين، والتي جاءت موجزةً عند مؤرخنا، لخصها بأن ما يسعى إليه الشريفُ الحسينُ هو الاتحادُ بين طوائفِ العربِ، ويكون توحيدُ كلمتهم في الأمورِ الخارجيةِ، وكلُّ طائفةٍ مستقلةٌ بأمورها الداخلية^(١).

ويلاحظُ أنَّ سببَ عدمِ قبولِ الإمامِ يحيى بالاتفاقِ معَ الشريفِ الحسينِ لرفضِهِ وبشكلٍ قاطعٍ الإقرارَ بسيادةِ الإدريسيِّ بالدرجةِ الأولى على أيِّ جزءٍ من اليمنِ، وهذا ما حُرِّصَ عليه في مراسلاتِهِ العديدةِ معَ الإنجليزِ سابقاً بينما

(١) كتيبة الحكمة، ١٩١ .

انظر الثورة العربية الكبرى لابن سعيد، ٣ / ١٥٤، ملوك العرب، ١ / ١٨٩ .

الشریفُ الحسینُ یسعی لاتفاقِهما ولو عندَ الحدِّ الأدنى من الائتلاف والاتفاق، بالإضافة إلى عدم وثوق الإمام بالأجانب الفرنجة وخاصةً البريطانيين، غیر أن الشریفَ الحسینَ لم یبأس من الدعوة إلى الوحدة أو الاتحاد أو حتی التوافق والاتفاق فعاودَ إرسالَ أمينِ الريحاني وقسطنطين يني الذي كان مستخدماً في شعبة الطيران باسم مديرٍ في شعبة الطيران في جدة مع الثورة العربية الكبرى، وقد كشفت الوثائقُ البريطانية Records of Yemen الجزء السادس تعاون أمين الريحاني مع مكتبِ المعتمدِ البريطاني في عدن. «وجرت مراجعاتٌ فيما یسعیان إليه ثم قفلاً راجعین» بهذه العبارة الأخيرة علّق مؤرخنا على مهمتهما وأوردَ صفحاتٍ من القصائد والدعابات التي وقعت معها ورفعها إلى حضرة الإمام^(١). أما أمينُ الريحاني فقد فصلَ وقائعَ ما جرى معه في صنعاء ضمن كتابه ملوک العرب، ونشر الرسالة التي كلفه بها الإمامُ یحیی، أحمد بن یحیی الكبسي الهجوة للمراجعات والمفاوضات وقد عرف بأنه سياسي إداري، وكان عضواً في مجلس المبعوثان.

وجاء في رسالة الإمام یحیی إلى أحمد بن یحیی الهجوه الكبسي ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: یحیی حمید الدین

أمیر المؤمنین

المتوکّل علی الله ربّ العالمین

الصنو صفی الإسلام أحمد بن یحیی الكبسي حرسه الله

کلّ المراجعات بیننا و بین الشریف ناصر ثم مع السید محمد بن علوی

(١) کتیبۃ الحکمة، ٢٠٣ - ٢٠٤ .

السقاف باطلاعكم، وقد وصل الأستاذ أمين الريحاني ورفيقه قسطنطين ومعهما كتاب ملك الحجاز، وظهر لنا من ظاهر كلام الأستاذ إرادة إنجاز الكلام، والمراد منه البغية المقصودة والضالة المنشودة، فليكن منكم الكلام معهما لتقرر المسألة على الوجه الأكمل ابتداءً وانتهاءً مع لوازمها الذاتية والخارجية إعانةً لنا في ذلك. وليكن الكلام مكتوماً من الجميع عن كل أحد، واعرضوا هذا عليهما.

وقد أعلمنا الحاجب بالإذن لكم بالدخول إليهما، والسلام عليكم^(١)

في ٢٨ شعبان الوسيم ١٣٤٠ هـ.

ويُستفاد من الرسالة أن الإمام قد قبل بالاتفاق ضمن شروط ورؤى واضحة، وكلف أحد معاونيه القديرين والمطلعين على كل ما جرى قبل ذلك من مفاوضات بهذا الشأن، كما يستشف من الرسالة أن الإمام قد فرض نطاقاً من السرية والمراقبة الدقيقة على تحركات أمين الريحاني ورفيقه قسطنطين يني، وقد شكّا الريحاني من المراقبة المفروضة عليه حتى بدا كأنه سجين، وتنفس الصعداء يوم جاءه الإذن أخيراً بالسماح له بالسفر، وبعد مفاوضات مضيئة وطويلة وتباطؤ، تمكن أمين الريحاني وأحمد بن يحيى صياغة بنود اتفاقية للإئتلاف بين الإمام يحيى الشريف الحسين وصفها أمين الريحاني بالمعاهدة وأثبت نصّها في كتابه ملوك العرب، وجاء في لفظها:

(١) ملوك العرب، ١/ ١٧٥، ائمة اليمن، ٢/ ١٩٣.

صورة المعاهدة

بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنَّ الْمَقْصِدَ الْوَحِيدَ مِنْ هَذَا الْإِتِّلَافِ وَالْإِتِّفَاقِ هُوَ الْإِنْتِظَامُ فِي سَلَكِ
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وَبِهِ يَكُونُ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُضُ عَلَى إِنْفَاقِ
أَحْكَامِ اللَّهِ كَمَا يَجِبُ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ لِعِمْرَانِهَا وَإِصْلَاحِ شُؤْنِهَا، وَكَفِّ أَيْدِي
الْمُعَارِضِينَ عَنِ التَّدْخُلِ فِيهَا وَالْإِخْلَالِ بِمَصَالِحِهَا وَبِرَاحَةِ أَهْلِهَا، وَتَأْمِينِ مَعَاشِ
سُكَّانِهَا وَتَقْوِيَةِ صِنَاعَتِهَا وَتِجَارَتِهَا، فَلِذَلِكَ عُقِدَتْ هَذِهِ الْمَعَاهِدَةُ بَيْنَ حَضْرَةِ
الإمام المتوكل على الله يحيى ابن المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين وبين
جلالة الملك الشريف حسين بن علي بن عون على ما تحويه المواد الآتية لتكون
دستوراً للعمل بعد تقديم إصلاح النية، وجعل الأعمال مدارة على الشريعة
الأحمدية في الإقدام والإحجام والنقض والإبرام.

أولاً: البلاد العربية أقصاها وأدناها بلاد إسلامية لا تقبل التفرقة والتجزئة
وانفكاك بعضها عن بعض من حيث الجامعة الدينية والقومية والوطنية واتحاد
اللسان. وليس المراد من عدم قبولها التفرقة تغيير أشكال إماراتها القديمة
وتحويل أمرائها المشهورين المعلومين الذين يجرّون إدارة شئونها وأعمالها وسياسة
داخليتها منذ قرون. وإنما المطلوب اجتماع الكلمة الدينية وتوحيد السياسة
على وجه يرضاه الله، وتصلح به أحوال البلاد من غير مداخلة أجنبية خارجية
من أية الجهات تخل باستقلال البلاد العربية ووحدتها.

ثانياً: يعترف حضرة الإمام لجلالة الملك بالملك، ويعترف جلالة الملك
لحضرة الإمام بالإمامة.

ثالثاً: يختص حضرة الإمام بإدارة اليمن وسياسته الداخلية والخارجية كما
كان بيد أسلافه، ويختص جلالة الملك بسياسة ما تحت إدارته في الحجاز وغيره
داخلية وخارجية، فليس لأحدهما إحداث مقابلة أجنبية في ما يتعلق بما تحت

إدارة الثاني من البلاد، ولا يغير شيئاً مجعولاً من طرف صاحب إدارتها، ولا يتدخل في إدارة داخليتها لا خاصة ولا عامة إلا أن يكون بعد المشاورة بينهما، والاتفاق لمصلحة تطابق مراد الله سبحانه. وإذا فعل أحدهما شيئاً من ذلك، أو عقد مقالة أجنبية في ما يتعلق بمملكة الآخر منفرداً، فلا يعتبر ما فعله ولا يكون معتمداً، وليس لأحدهما نقض مقالة سابقة لتاريخ هذا الاتفاق من الطرف الآخر في ما يتعلق بخاصة عاقيدها ومملكته، ولا تعتبر نافذة في ما يتعلق بمملكة الثاني إذا اشتملت على شيء من خصوصياتها، ولا يعد هذا الاتفاق ناقضاً لما تقدمه من المعاهدات بين حضرة الإمام والحكومة العثمانية أو بين الملك وإحدى الحكومات.

رابعاً: بعد إمضاء هذه المعاهدة يكون كل من حضرة الإمام وجلالة الملك، ومن تجري عليهم أوامرهما الشريفة من الأمراء والتبعية عوناً للآخر، ونصيراً له في دفع كل عدو صائل من الخارج أو معارض من الداخل. وهذا التعاون والتناصر يكون موقوفاً على الطلب من أي الجانبين عند الاحتياج واللزوم، وفي دائرة النصوص الشرعية.

خامساً: عند ظهور عدو مشاق للطرفين إذا لزم لأحدهما إمداد من الثاني، فعلى من تطلب منه الإعانة إعانة الطالب بمقدار ما يدخل تحت إمكانه من مال أو رجال أو سلاح أو معدات حربية. وعلى الطالب للإمداد بالرجال لوازم المطلوبين مع التأمينات اللازمة.

سادساً: بما أن المقدم قبل كل شيء تأمين طرق المواصلات والمراسلة بين الحجاز واليمن من الطريق الأسهل والأقرب لإمكان المفاوضة والمواصلات بسرعة في كل ما يلزم، ومن المعلوم وجود الحائل في تهامة التي هي جزء من أجزاء اليمن. فاللازم تقديم التعاون الحائل المانع من الحديدة ونحوها بأي وجه كان، إما بسياسة يتفق عليها، أو بقوة يكون سوقها من الجانبين بعد

تقديم المذكرات اللازمة في كلا الأمرين، وصفة المعاملات والحركات من الجانبين.

سابعاً: السكة الفضية الخالية من الغش وأنواع الربا التي تُضرب في الحجاز باسم صاحبها معينة قيمة تداولها تكون مقبولة ومعتبرة في التداول في المملكتين بقيمتها المعينة بعد الإعلان كتابةً من الجانب الذي يكون ضربها باسمه بكيفية للتداول وكمية القيمة والصفة المميزة للسكة.

ثامناً: تعيين مندوب من لدن جلالة الملك في صنعاء ومندوب من لدن حضرة الإمام في مكة المكرمة لمداولة الأفكار والتوسط في تعاطي المفاوضات والمذاكرات.

تاسعاً: معلوم احتياج المملكتين لأنواع الأسلحة والمهمات الحربية وسائر أنواع الترقيات الفنية واحتياجها إلى إيجاد معامل وآلات لعمل الأسلحة وغيرها تقوم بالمقاصد. وبعد إمضاء هذه المعاهدة من الجانبين تكون المراجعة وتقرير ما يلزم من الأسباب والوسائل والمقدمات والاستعدادات لإيجاد المحتاج إليه من المعامل، ومحل لتأسيسها واستعمالها مناسب، جامع لمقاصد الطرفين، وكيفية الأعمال، وكل ما يلزم لذلك من المصاريف والمأمورين والمحافظين والعملية وغير ذلك.

عاشراً: يكون تعيين مبالغ من الأموال معلومة مخصوصة لكل سنة بمقدار يكون الاتفاق عليه لتصرف في ما ذكر في المادة التاسعة من الأعمال الضرورية أو ما يتفق عليه من الإنشاءات والاستعدادات العمومية المهمة. وهذه المبالغ تحفظ من كل جانب ما يتعين عليه في خزينته إلى وقت اللزوم، وتعتد تأمينات يتفق عليها بين الطرفين ويتعاطاها الطرفان لتأمين تأدية كل ما يلزم منها في وقته وزمانه بحيث لا يتضرر أحد الجانبين، ولا يكون من أحد تأخر بحصول المقاصد.

إحدى عشر: هذه المواد الأساسية يستمر حكمها إلى عشرين سنة، وإذا كان الاتفاق في خلال المدة على تعديل شيء منها أو تبديله بعد تقريره، فحكمه حكم هذه المعاهدة. وبعد تمام العشرين سنة يكون تجديدها كما هي أو تبديل ما يتفق على تبديله، إن شاء الله تعالى.

حرر في صنعاء ١٨ شهر رمضان سنة ١٣٤٠ هـ.

وفي الرسالة التوضيحية لهذه المعاهدة، كتب أمين الريحاني للشریف الملك الحسين بن علي أوضح ما يلي:

- إن الإمام لا يحب أن يكبر في البدء خطواته، ولا أن يوسع كثيراً صراطه، وأن التمتع باليسير الآن خير من الأمل الكثير.

- يعتبر الريحاني المعاهدة بصورتها الحالية خطوة في طريق الوحدة العربية وأنها خطوة أولى مهمة.

- بعد فترة يمكن خلالها إزالة المخاوف وزيادة الثقة، إضافة بنود جديدة للمعاهدة مثل توحيد الأمور الأجنبية، النقود، التمثيل الواحد في الخارج.

- إن وجود مندوب للإمام في مكة ومندوب للملك في صنعاء يمكن من تبادل الآراء مباشرة.

- إن الإمام لا يقبل أي نص يتضمن ذكر الحكومات الأجنبية^(١).

ويلاحظ أن الهدف الأول للإمام أن يكسب الشريف لجانبه ضد الأدرسي، وقد أشارت إليه المادة السادسة، والمعاهدة بشكلها كانت في صالح الإمام سواء من عدم الاتفاق مع القوى الأجنبية مستقبلاً، وربط التحركات السياسية، بأحكام الشريعة الإسلامية، والتعاون والمناصرة من قبل الأطراف

(١) ملوك العرب، ١/ ٢٢٣.

لكل عدوان يقع على الطرف الآخر بالإضافة إلى قضايا العملة والمندوبين وترقية صناعة الأسلحة والذخائر في بلديهما لنبد الحاجة إليها من الأجانب وتكون مدة المعاهدة عشرين سنة يمكن تجديدها برضى الطرفين، ويبدو أن هذه المعاهدة لم تر النور ولم يعمل بها وليس بين أيدينا ما يفيد التصديق عليها أو وضعها للتنفيذ، وإنما نعثر على مشروع معاهدة مع الإدريسي سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م لتكوين إمارة شافعية عاصمتها تعز، كما يروي حافظ وهبة مرتبطة بها الإمارات التالية. يافع العليا، يافع السفلى، الضالع، قبيلة علوي وصبيحة ويتبعها سلطتا لحج وأبين وإمارة سُقر والعوالق في أمورها السياسية، ولكن المشروع أُوقف بسبب هجوم قوات ابن سعود التي كانت مرابطة بين نجد والحجاز واحتلالهم مدينة الطائف ومكة^(١). وبقيت علاقات الإمام يحيى والشريف الحسين بن علي في حدودها، أبناء الدوحة الهاشمية الشريفة لا اتفاق ولا اختلاف علني.

(١) خمسون عاماً في جزيرة العرب، حافظ وهبة، ٨٠ - ٨٣.

رسالة الملك فيصل إلى الإمام يحيى

٩ شوال ١٣٣٩ (١)

بسم الله الرحمن الرحمن

حضرة سليل المجد والشرف، صاحب السيادة العليا الإمام يحيى بن حميد الدين، حفظه الله، الحمد لله، وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فإني أحرر كتابي هذا ليكون وسيلة لتأييد روابط الثقة، وصلة الرحم، وتوطيد أسس المنافع المتقابلة الواجب تثبيتها والموروثة بيننا منذ أعصر متقدمة، ولقد قسم لي الخط فاجتمعت بمندوبيكم، فكان ذلك أفضل فرصة انتهزتها لأؤكد لمعاليتكم ما حصل بين ذات الشريفة وبين والدي من الصلات الأخوية، وأبشركم بدوام راحة ورفاهية أخيكم والدي وذويه، وأنه بحمده تعالى حائز كامل الأوصاف المرغوبة هو وجميع من يلوذه، ومهتم في الوقت الحاضر بترقية مملكته وترقية رعاياه، وأستكمال صحة وسلامة من يتوافد إليه من حجاج بيت الله الحرام، وقد بلغ عدد هؤلاء إلى يوم خروجي ما يقارب السبعين ألفاً، وأمل عظيم بتزايدهم أضعافاً مضاعفة، وإنه لينتظر ورود حجاج اليمن من كافة الأنحاء ليتتهج برؤياهم، إذ لا هم له إلا خدمة الإسلام عامة والعرب خاصة. الأمر الذي لا أشك في أنه من أكبر رغائب سيادتكم الفخيمة ولقد تأكدنا: ذلك من الكتب المتبادلة بينكم وبينه في هذا الصدد، وما أخبرني به أخوكم الشريف ناصر الذي تشرف بمعالي حضرتكم وإني كنت ولا أزال في شوق عظيم للتشرف بشخصياً بمشاهدتكم، فأرجو من الباري عز وجل أن يقسم لي ذلك عاجلاً أم آجلاً.

ولولا أن انتدبني والدي لتأسيس الحكومة العربية في العراق، لكنت بذلت

(1) Records of Yemen Vol. 6. 652 .

جهدي للحصول على بغية الملاقاة مع حضر تكم، ولكن المهمة التي عهد إلي بها، ولا شك أن معاليكم تقدرون أهميتها، هي اليوم حالت دون هذا المطلوب، وها انني متوجه إلى ذلك القطر لكي أقوم بما يجب علي من تأسيس حكومة عربية مستقلة أخدم بها أبناء وطني، أسأل الله حسن التوفيق والمعونة الكاملة، ثم بهذه المناسبة رغبْتُ أن أزيد في تحريري هذا كلمة من قبيل التنبيه لها، وإن كنتم في غنى عن ذلك، ولكن كما قال الباري جلَّ جلاله، إنَّ الذكرى تنفع المؤمنين.

يعلم الأخ حفظه الله بأن الحرب العامة قضت بما قضت وبقيت البلاد العربية مستقلة بنفسها، منفردة، بعيدة عن اليد التي كانت تحكمها، وكل مسؤولية فيما بعد مادية كانت أو معنوية أصبحت أعاتقُ أبناءها، فإن أحسنوا فلا أنفسهم، وإن أساءوا فعليها وحيثُ إنني عالمٌ بما لسيادتكم من التأثير الهام والكلمة النافذة التي لا تردُّ في البلاد العربية التي أنتمُ بها الآن - حرسها الله تعالى وإياكم - فإني أكونُ سعيداً إن رأيْتُها ممتعة ومعتزة تحت حكمكم ونفوذكم خالية، من كل تأثيرٍ ممتعة بالحرية والاستقلال، مزدانة بالصلات الحسنة الودية مع ما يحيطُ بها من المقاطعات العربية ومع من لها معه تماسٌ من باقي الأمم التي تفتحُ أبوابها للمواصلات والتجارة، وإني لا أكتُمُ سروري عندما أعربُ لي مندوبكم عن رغبتكم.

الأصل العربي ناقص وقد استكملناه من النص الانكليزي

١٣٦٦

١٣٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من فضل سيدنا محمد والشراف عليه السلام بزيادة العلياء الوفاء بحسن محمد الدين السلام
 اودعنا وحده وله اذاعة السلام على من اراد به وعلى كنهه ومحبته اجمعين وبنا في امرنا كتابي
 هذا ليكون حجة لنا في روائد الله ورواه الرحيم وتوابعه ساس المذبح المتعاقب له لم يثبت فيها
 والموروثه بيننا عندنا لم يثبت قاصده ولقد قسم لي الخلفاء حجة بنت وياهم فكان ذلك افضل فريضة
 انتزعتها الاكل اعاليكم امير المؤمنين ذوات الشرف بين وبين والدي من المادون الاموية وابشركم بديار
 راسه ورواه به انبياءكم والرقية وفديه وانتهى بجمع تعالى ما نزل كامل الروايات الارغوبه هروبي مع من
 يادونه ويحكم في الوقت لهما من الرقية فمكاته وترقية رعاياه وليس كمال السباب حجة ويسادته
 من يتوقد اليه من عجايب ريت النما الحليم وقيل بلج عند هؤلاء الخيام من عجي ما يتوارى اليه من عباد الله
 واطيع غلام يترادهم من عجايف ما من عنة وان يثبتوا وروى عجايبهم من كافة النخيل ليدفع
 رويها في اذاعته الاستدلال عامه والرواية خاصه والرواية الاشك في اذاعته من
 ابرغنا في سعة الحكمة الغنية والادب والادب والادب في سعة
 السعد والشراف في سعة الحكمة الغنية والادب والادب والادب في سعة
 عليم الله في سعة الحكمة الغنية والادب والادب والادب في سعة
 ولولا ان انتدب في رويها من الحكمة الغنية والادب والادب والادب في سعة
 بنية المرافقة مع حجة تكبر وان الله الذي هو الذي يراى ولا شك ان معاليه في رويها من الحكمة
 كانت حجة في هذا المذهب وهو الذي يتوقد الى ذلك القدر الذي يراى على من يتدبر في رويها من الحكمة
 مستفاد من رويها من الحكمة الغنية والادب والادب والادب في سعة
 في رويها من الحكمة الغنية والادب والادب والادب في سعة

المؤيد
 يعلم الخلفاء في هذا المذهب والادب والادب والادب في سعة
 بنية عني الذي كانت في اقول مسؤولي ايضا بعد ما دلت كانت اوجه رويها من الحكمة الغنية والادب والادب في سعة
 فان احسنه في هذا المذهب من رويها من الحكمة الغنية والادب والادب في سعة
 النافع الذي اقر في هذا المذهب من رويها من الحكمة الغنية والادب والادب في سعة
 من رويها من الحكمة الغنية والادب والادب والادب في سعة
 الذي من رويها من الحكمة الغنية والادب والادب والادب في سعة
 ابراهم في هذا المذهب من رويها من الحكمة الغنية والادب والادب والادب في سعة

رسالة الملك فيصل إلى محمود نديم

٩ شوال ١٣٣٩^(١)

(خصوصي)

اعزي محمود نديم بك

بعد إهداءكم وافر السلام، وأزكى التحية، أبدي أنه اعتماداً على
الصداقة وتأييداً للولاء القديم حررت.

كتابي هذا بمناسبة قدومي إلى عدن ماراً منها إلى العراق، وقد ساعدني
الحظُّ بأنني وجدتُ أحسنَ واسطةٍ لنقله وهو القاضي عبدالله العرشي مندوب
حضرة الإمام، حفظه الله، وأعانه على ما فيه الخير العام. ولقد كنتُ على يقينٍ
من تمام رفاهيتكم حيثُ إني رأيتُ لكم كتاباً عند أمين أفندي، ناظر الحرم
الشريف أثناء حركتكم من صنعاء إلى تهامة، وحيثُ إنني عالمٌ بشدة اهتمامكم
بالمصالح العامة أخبركم بأنني متوجهٌ إلى العراق، وقد انتدبني جلالةٌ والذي
بناءً على إلحاح العراقيين لتأسيسي الحكومة العربية هناك واستلام زمام
رئاستها، وذلك لأن أخي عبدالله تقلدَ أمورَ سورية، أرجو الله أن يوفقنا جميعاً
لعمل الخير - أي أشكرُكم خاصةً لما تبذلونه من الجهد في توثيق عرى المحبة
بين جلالةٍ والذي وبين سيادة الإمام حفظهما الله، كما أنني أوْمَلُ رجوعَ حسنِ
الصلاتِ بينه وبين كافة الأمم تأييداً لمركزه.

ولقد رأيتُ من البريطانيين الميلَ لعقدِ اتفاقٍ شريفٍ يحفظُ للطرفين
منافعهما المتبادلة، ويوطد دعائم السلم في هذه الأرجاء، فاعتقادي بحسن
درايتكم وبُعد نظرِكُم يجعلُنِي أن أوْمَلُ بالوصولِ إلى هذه الغاية التي سيكونُ
من ورائها النجاحُ الباهرُ، ولا يخفاكم بأنه لم يبقَ للعربِ الآنَ إلا الاعتصامُ

(1) Records of Yemen Vol. 6. 653 .

بجبل الباري عز وجل، والاعتماد على أنفسهم والتبصر بمنافعهم الحقيقية،
وحبذا لو قُسم لي النصيب وتقابلت معكم، ولكن بكل أسف لا مجال لذلك في
الوقت الحاضر. وعلى كل حال، فإني أرجو أن تتحقق هذه الأمنية قريباً، وحبذا
لو تمكنت سورية والعراق وبقية الأصقاع العربية من الاستفادة من آرائكم
الجليلة. أقول هذا بصفة أخوية.

وإني أنتظر جوابكم على كتابي هذا مبشراً بحصول الاتفاق المطلوب بين
الحكومة البريطانية وحضرة الإمام، وما ذلك إلا حباً بتأييد مركزه العام وخدمة
له ولأمة العربية. وأكون ممنوناً جداً لو تمكنوا من القدوم إلى لأفأوضكم بما
ترتاح إليه هميتكم وغيرتكم، ولقد حررت كتاباً مفصلاً لصاحب السيادة الإمام
لا بد أنه سيطالعكم عليه، وفيه الكفاية هذا وسلامي على من هو عزيز لديكم
ورجائي دوام محبتكم ودمتم بسلام.

ابن الملك حسين

نختم

فيصل بن الحسين

الفصل الثاني

العلاقات بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز بن سعود

(كما وردت في المخطوط)

يذهب معظم الباحثين في تاريخ العلاقات اليمنية - السعودية إلى وجود تشابه من حيث الظروف التاريخية للدور الذي قام به كل من الإمام يحيى في بلده، والملك عبدالعزيز ابن سعود في وطنه، فكلاهما تزعم حركة لتحرير وتوحيد بلاده، وكل منهما حارب الأتراك، وحصل على الاستقلال بعد الحرب، وكلاهما عانى من الضغوط البريطانية للحد من حركته، الإمام يحيى تعرض لضغوط بريطانية خانقة في بعض الأحيان من أجل التحالف البريطاني الإدريسي، والملك عبدالعزيز هو الآخر لاقى من العنت البريطاني صنوفاً بسبب التحالف البريطاني مع الشريف الحسين بن علي. ولم يكن يُدخل أياً منهما لا الإمام ولا الملك توجس من حتمية الصراع بينهما، فلا تماس حدود بينهما يستدعي المناوشة أو الاشتباك وكل منهما يواجه صعوبات في منطقته على صعيد التوترات والفتن والثورات القبلية وبريطانيا ترصد حركتهما، وخاصة في هذه المرحلة التي ألف فيها مخطوطنا، خلال السنوات (١٣٣٦هـ / ١٩١٧م - ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م). وكانت الأحوال - كما عبّر عنها مؤرخنا - بين الإمام والملك «لا يُشتم منها رائحة الإرادة لأي عدوان»^(١). فكل واحد منهما يسعى

(١) كتابة الحكمة، ٢٧٩ - ٢٨٠.

للتخلص من الاضطرابات التي تعم بلادَه: وكلُّ ما يبغيانه في هذه المرحلة هو تحقيق الأمن والاستقرار كضرورة ملحة ثم العمل على تطوير وتقديم بلديهما. غير أن التحالفات والاتفاقات والمعاهدات والائتلافات بين ملوك وأمراء وشيوخ الجزيرة العربية والبلدان العربية عامة لم تكن ثابتة ولا مستقرة، وإنما هي في حركة متغيرة تنسجها المصالح لا سيما المصالح البريطانية آنذاك.

يحدد مؤرخنا عبدالكريم بأن هناك ثلاث قضايا كانت لها تأثيراتها على العلاقة بين الإمام يحيى وأمير نجد (كما كان يطلق عليه مؤرخنا) تركت آثارها السلبية على علاقتهما، وهذه القضايا هي: حروب قبيلة يام وعسير، وقضية المحمل اليمني.

ويأى في الأصل جبل يطل على الجوف من الجهة الغربية وكان سكن قبيلة يام حيث انتقلت بعض بطونها إلى نجران فيما بعد، ويأى أحد فروع همدان ثم بكيل اليمنية، وملخص ما وقع أن بعض القوات النجدية بعد إخمادها ثورة حسين بن عائض، وفراره سنة ١٣٣٨هـ / ١٩١٩ إلى الجبال حسن ابن دليم القحطاني للقوات النجدية مهاجمة قبائل يام وكسر شوكتها، وقد توغلت تلك القوات النجدية بمساندة غيرهم من القحطانيين وقبائل الدواسر في موطن يام حتى وصلت مدينة بدر من نجران، وألحقت الهزيمة بهم، وفر الداعي علي بن محسن، بعد جهدي، ثم عاد الجيش النجدي من حيث جاء «وقد أنزل وفق رواية مؤرخنا - بيام كل داء»^(١) وفي أوائل العام التالي ١٣٣٩ / ١٩٢٠م كثر الإرجاف باستعداد الجيش النجدي لغزو قبائل خولان بن عامر، الأمر الذي جعل علماء صعدة وجهاتها ورؤساء وشيوخ قبائلها يتوجهون إلى الإمام يحيى لمساعدتهم بالسلاح والأموال والمؤن لاعتقادهم بقدرتهم على التصدي لجيش ابن سعود بما عندهم من رجال سيتولون ترتيب أطراف البلاد إذا ما أسعفهم

(١) كتيبة الحكمة، ١٠٦.

الإمام يحيى بسيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي، فلا يقوم بجمع كلمتهم غيره ولا مَنْ يقوم مقامه: أو ينوب منابه، ولما كان سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي قد جمع نفسه على العبادة ومطالعة الكتب في جبل الأهنوم، فقد رضي الإمام لعلماء صعدة أن يُبادروا إلى سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي بطلبهم، ولما لم يستجب كلف الإمام يحيى كلاً من سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين والقاضي العلامة علي بن علي اليماني والسيد العلامة وقاسم ابن حسين أبوطالب - وهم من كبار رجال ديوانه - بالارتفاع إلى الأهنوم ومراجعة سيف الإسلام محمد بن الهادي وإلزامه الحجة بدخوله إلى صعدة وقيامه بما عوّل أهل صعدة عليه، وكانت الحجة، أن جماعة النجود الذين وصلوا إلى يام ودخلوا بدراناً، كانوا يرتجزون «قد أرجفت صنعاء وبدراً بدين»^(١) بمعنى أن صنعاء باتت مهددة من قبلي جيش ابن سعود، والخطر غير مقتصر على يام، فصنعاء غدت مطمعا لزعحف «الأخوان». وبالفعل فقد استجاب سيف الإسلام، محمد بن الإمام الهادي، وانتقل إلى صعدة، وجمع البلاد والقبائل تحت قيادته، ورتب المحاط للدفاع، ولكن شيئاً من الاحتكاك أو الهجوم لم يقع.

والنظر في الرواية التي أوردتها مؤرخنا تثير العديد من التساؤلات، فاعتزال سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي في المدان من الأهنوم كان للاشتغال بالعبادة والمطالعة في أحد جوانبه، ولأسباب أخرى اتصلت بعدم رضاه عن تعيين بعض النظار «لنظارة صعدة»، وعدم قبوله بممارساتهم في طرائق جباية الأموال من الأقضية والنواحي. ولعل التعبئة والحشد كان للتصدي للإدريسي وقوان بني سعد العاملة معه وليس لجيش ابن سعود الذي قفل عائداً بعد إنجاز عملياته العسكرية ضد حسن بن عائض، غير أن الأرجاف سرى في مناطق صعدة بسبب الروايات المتداولة عن شراسة «الأخوان في الحروب، وما

(١) كتيبة الحكمة، ١٣٨.

يوقعونه في المنطقة التي يجتاحونها من قتل وخراب وتدمير. ولكن هذه الحادثة وإن نجحت في تعبئة الأهالي والسكان، فأحسب أن لا تأثير مباشر على علاقة الإمام، بالملك عبدالعزيز بن سعود.

غير أن ما وقع في عسير، وخاصة في إمارة حسن بن عائض، كان له أثره في توتر العلاقات بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز بن سعود، وملخصه أن حسن بن عائض، والذي كان يعمل بوظيفة معاون متصرف في عسير، قد نهض بعد إجلاء الأتراك من عسير، لبسط سيطرته على قبائل قحطان وقبائل ربيعة، ونجح في ذلك بما لديه من رجال وسلاح وذخائر تركها له القائد التركي محي الدين باشا قبيل عزمه على الاستسلام تنفيذاً لشروط هدنة موندروز، ولما كانت قبائل ربيعة تنتمي إلى ابن سعود، فقد سار الملك عبدالعزيز حملة على رأسها ابنه فيصل، شارك فيها - علاوة على جنود ابن سعود والذي قُدر عددهم بأكثر من ستة آلاف مقاتل، من قبائل قحطان وزهران وشهران، فاستولت على بيشة وطاردت حسن بن عائض إلى أبها، كما أوقعت بيني شهر الذين ينتمون بالطاعة للشريف واستولى عليها جيش ابن سعود وأبقى قوات مرابطة بها، وعين سعد بن عفيصان أميراً على عسير وخلفه عبدالعزيز ابن ابراهيم فيما بعد، بسبب موت ابن عفيصان^(١).

والأمر اللافت للنظر في هذه الحملة أن التماس الحدودي بين قوات الإمام وقوات الملك ابن سعود أصبح واقعاً، لا سيما وأن الإدريسي في العام التالي، ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م قبل بالتخلي عن قضاء رجال ألمع وبعض قضاء محائل لصالح الملك عبدالعزيز بن سعود، وفوق ذلك رضي الإدريسي بدفع مبالغ كبيرة من الأموال كأتاوة سنوية أيضاً^(٢). ومع أن مؤرخنا وقف عن تفسير سبب

(١) تاريخ نجد، ٣٠٣، تاريخ العربية السعودية لفاسلييف، ٣٢٨، نجد وملحقاته، للريحاني، ٢٩٨ - ٣٠٣، نجد وملحقاته، وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، ملوك العرب، أمين الريحاني، ط الرياض ١٩٨١ م.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٣٢.

إقدام الإدريسيّ على هذا التواني والقبول، فإنّ الأحداث التاريخية توضح أنّ حالة العداء بين الإمام يحيى والإدريسيّ قد وصلت إلى مرحلة اللاعودة، لا سيما وأنّ الإمام يحيى يعتبر الإدريسيّ غاصباً ومعتدياً على جزء من حدود اليمن التاريخية، مملكة أسلافه منذ ألف سنة وزيادة، وأنّ في التنازل عن أجزاء منها لابن سعود كان معناه إطالة أمد الحرب لاستردادها، فقوات ابن سعود تفوق قوات الإدريسيّ المنهكة في الرجال والسلاح والعدة، أمّا لماذا أقدم الإدريسيّ على ذلك، فإننا سندرسه في محله عند بحثنا لحروب الأمام مع الإدريسيّ.

وفي خضمّ هذا التوتر الذي ألقى بظلاله على العلاقات السعودية اليمنية وقعت حادثة المحمل اليمني، والتي تُعرف بواقعة تنومة وسدوان، لتزيد من حدة الخصام، وترفع من وتيرة العداء بما أضفاه الكتاب والشعراء من إشعال لإوارها، ولما كنا لا ننشد إلا الحيدة والاعتدال والنزاهة في معالجتها، آثرنا أن نبسط الرواية اليمنية لهذه الحادثة بشقيها الرسمي والعام، وكذا الرواية السعودية بشقيها الرسمي والعام أيضاً.

يروى مؤرخنا عبدالكريم بن أحمد بن عبدالله مطهر في كتابه الذي ندرسه خبر الحادثة كما يلي: «يوم السبت ١٦ أو الأحد، ١٧ شهر ذي القعدة الحرام ١٣٤٠، كان الغدر بحجاج بيت الله الحرام من أهل اليمن الأعلى والأسفل من طرف أمير بلاد اليمامة ونجد، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود في وادي تنومة وسدوان الأعلى والأسفل من بلاد بني شهر وأعمال عسير»، ويضيف بأن «أمير الحج» من أطراف البلاد الأمامية محمد بن عبدالله شرف الدين كتب إلى أمراء نجد مستوضحاً عن حال الطريق وإمكان الاجتياز فيها بقصد التثبيت في الأمر، والدخول في تلك البلاد، على بصيرة وتعيين تام من تعدي أحد عليهم».

وتمضي الرواية فتذكر «بأنه وصلت كتب من الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم

تفيدُ اهتمامهم بتأمين طريق الحجاج وتيسير مرورهم وتسهيل سفرهم، وأنه لا خوف عليهم مما يجري في أطراف عسير»، وعلم أمير الحج بذلك، فعاد الأمر مؤكداً من سلوك الطريق المعتادة بأمان وسلام، وحين توغلوا في بلاد عسير وقد تلقاهم بعض النجديين بالمسألة، وحين كانوا على مقربة من اجتياز عسير بلغهم أن جيش النجديين أمامهم، اختار بعضهم السير على الساحل، وأما الآخرون فقد سلكوا الطريق المعتادة، وحطت القافلة الأولى في وادي تنومة، والثانية والثالثة في سدوان الأعلى والأسفل، وبينما هم في أشغالهم مستغرقون طلعت عليهم ألوف من جنود ابن سعود، وأحدقوا بهم من أعلى الوادي وأسفله ومن رؤوس الجبال، وبادروهم بالرمي، فاستشهد معظم من كان بالوادي من الحجاج وقتلت أكثر دوابهم وأخذت أموالهم، ثم عطفوا على القافلتين الآخرين وفعلوا بهما كما فعلوا بالأولى» وتصف الرواية ما لحق بالفارين من سلب ونهب حتى الثياب قد نُهبت» وقرر المؤرخ «وقل أن تخلو قرية من قرى اليمن عن مصاب بعض أهلها في هؤلاء الحجاج».

والرواية تفيد بأن الحجاج كانوا عزلاً من السلاح، وأنهم استوثقوا عبد العزيز ابن إبراهيم، أمير عسير، من سلامة وأمان الطريق، ولكنها لا تذكر عدد القتلى من الحجاج بل تؤكد «ولم يتحقق قدر الشهداء حتى الآن» ويظهر التروي اليمني في معالجة أثر هذه الحادثة عند الإمام، فقد اهتم الإمام لهذا الحادث اهتماماً عظيماً وأخذ في تدبير ما يكون به الانتصاف، لا سيما وقد قوبل هذا الحادث بالغضب الشديد والحزن العام في اليمن.

وفي خلال ذلك وصل من عبدالعزيز بن إبراهيم، أمير عسير ما أفاد التبري من هذا العمل القبيح، وأن وقوعه كان بغير اختيار من أحد الأمراء، ووصل التبري أيضاً من الملك عبدالعزيز بن سعود، وأفاد بأنه جاد في التحقق من البحث عمن فعلها، وقد أمر بإرجاع ما أخذ على الحجاج وطلب إلى الإمام إرسال من يتسلمها، حيث أعيدت بعض المنهوبات من دواب ومنقولات

وبعض قيم السمن، ومعها ما يؤكد الإصرار على التبري من هذه الفعلية، وأسفر رأي الإمام يحيى عن طلبه من ابن سعود أن يكون هو الحكم في هذه الواقعة آخذاً بالاعتبار بعد المسافة إذا ما فُكر بالتأثر، ثم إنَّ الخصم ما زال مجهولاً.

وقد اطلعتُ على رسالة مخطوطة صغيرة الحجم لا زالت محفوظة في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، في المجموع رقم ٤٨ بين الأوراق ١٠٧ - ١٠٨ جاءت تحت عنوان «هذا بحثٌ مفيدٌ في ذكر المصيبة العظمى التي لم يقع فيها تقدم إلا في هذا العام بحجاج بيت الله الحرام في طريق الحجاز» والرسالة مكتوبة بعاطفة عصبية حادة، فالقتلى حسب الرسالة (٢٨٠٠) شهيداً والمنهوبات قُدرت بأربع مئة ألف ريال ماري تريزا، ثم نُوردُ أشعاراً تثير الحماس وتستفز الهمم للتأثر. لا سيما وقد كان بين الشهداء يحيى بن أحمد بن قاسم ابن عبد الله حميد الدين والفقير أحمد بن أحمد السياغي الحِمِّي، وأمَّا أمير الحج محمد بن عبد الله شرف الدين فقد عاد سالماً^(١). ولم نعثُر في المصادر اليمنية على رواية منسوبة إلى أمير الحج محمد بن عبد الله شرف الدين تخبرُ بما وقع، كما أن القاضي إسماعيل بن عليّ الأكوخ لم يُشر إلى مكان حفظ الوثيقة التي وجدها بخط العلامة قاسم بن حسين أبوطالب المعروف بقاسم العزي والتي تاريخها ٤ ذي الحجة ١٣٤١ هـ وفيها أنَّ الحادثة وقعت في ١٧ ذي القعدة في الساعة الخامسة بالتوقيت الغروي بين سدوان إلى تنومة من بلاد بني شهر، وكان الحجاج ثلاث فرق، فرقة تقدمت إلى تنومة وفرقة في سدوان الأعلى وفرقة في سدوان الأسفل، وفيها أمير الحج محمد بن عبد الله شرف الدين^(٢) ولم يقيم القاضي إسماعيل الأكوخ بنشرها وصورتها في كتابه.

(١) نزهة النظر، ٥٣٨.

(٢) هجر العلم، ٦٦٢.

وفي رأينا، أن الإمام يحيى حين أفاد بأن الخصم في بلاد نجد ما زال مجهولاً، كان قد انتهى إلى ذلك من خلال توثقه من رواية أمير الحج محمد بن عبد الله شرف الدين بعد عودته سالماً، أما الرواية السعودية والتي جاءت كردود من قبل عبد الواحد بن محمد راغب دلال في كتابه «مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية» دراسة نقدية، ط القاهرة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م والتي يناقش من خلالها كتاب «السعودية تبتلع اليمن» لمؤلفه المهندس يوسف الهاجري وغيره، يرى أن حادثة تنومة أحاطت بها وقتها ظروف وملابسات عديدة، ثم استغلّت من قبل البعض بغرض الإثارة وإشعال الفتنة بين الطرفين، وما زال البعض يثيرها للغرض نفسه، ويُعيد ترتيب الحوادث حيث يشير إلى:

- «وفيما رحى الحرب مشتعلة (المقصود بين جيش ابن سعود وحسن بن عائض)، تداعت إلى الأسراع أيضاً أن هناك قوات أخرى بعثها أمام اليمن لمساعدة ابن عائض بناءً على مراسلة تمت بينه وبين الشريف حسين للتصدي للملك عبدالعزيز، بموجب معاهدة كانت قد وقعت بينهما^(١).

- سارع أمير عسير الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم باستقبال القافلة على مشارف أبها وأكرم وفادة الحجاج، وأن عبدالعزيز بن إبراهيم بادر بإسداء النصيح لرؤساء القافلة بأن يسلكوا طريقاً آخر أكثر أمناً حدّده لهم ودلّهم عليه، ولكنهم لم يستمعوا إلى نصيحته، وعندها أخذ منهم كتابة خطية بأنهم يسلكون هذا الطريق بمحض إرادتهم واختيارهم وعلى مسئوليتهم، وأن السعوديين ليسوا مسئولين عن أي خطر يخيّب بهم أو شر ينالهم، وذهب المؤلف دلال إلى أنهم كانوا يحملون السلاح ربما للحراسة، ثم يمضي ويؤكد بأن المقاتلين السعوديين ظنّوهم مدداً لقوات الشريف حسين بموجب المعاهدة الموقعة بينهما عام ١٣٤٠ هـ. وأنها قوة تتخفى بلباس الحجاج، وعددهم كبير

(١) مطالعات، ٥٠.

وأسلحتهم ظاهرة وشاهرة، وأسند المؤلف روايات تنومة إلى مؤلفات كل من، محمد بن أحمد العقيلي، أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث، وتاريخ العلاقات السعودية اليمنية لفتوح عبد المحسن الخترش، والتي حسب رأيه لم تلتزم بروح الإنصاف في عرضها للحادثة^(١).

ويستفاد من دراسة دلال ما يلي:

- أن الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم قد حذر رؤساء قافلة الحجاج من مغبة مواصلة سيرهم في الطريق المعتادة.

- أنه أخذ منهم كتاباً بإخلاء طرفه ومسئوليته عما يقع لهم من أخطار إذا لم يستجيبوا لنصيحته، وأنهم واصلوا السير على مسؤوليتهم.

- ثم يؤكد أن مقاتلين سعوديين وقد ظنهم مدداً للشرif حسين أو الحسين ابن عائض بناءً على مراسلة بين الإمام يحيى والشرif حسين، وأنهم يتخفون بلباس الحجيج وعددهم كبير وأسلحتهم ظاهرة، فوقع ما وقع ورواية دلال لا تقول بالمراسلة المسبقة الكائنة بين أمير الحجاج محمد بن عبد الله شرف الدين وعبد العزيز بن إبراهيم التي ذكرتها الرواية اليمنية.

وتتوافق مناقشة دلال من حيث العدد مع الرسالة المخطوطة التي أشرت إليها والمحفوظة في المكتبة الغربية بجامع صنعاء في المجموع رقم ٤٨ ص ١٠٦ - ١٠٨، إذ قالت الرسالة اليمنية بأن عدد القتلى الشهداء (٢٨٠٠)، وأما دلال فيشير إلى أن عدد الحجاج كان ثلاثة آلاف.

ونحن لا نميل للأخذ بكل رواية دلال، فلو كان بحوزة الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم كتاب من أمير الحج اليمني محمد بن عبد الله شرف الدين ورؤساء القوافل لأرسل به الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم أو حتى الملك عبدالعزيز بن سعود إلى الإمام يحيى، فإن في نشره في اليمن، الحجة القاطعة لمنع التقولات

(١) مطالعات، ٥١.

بالقاء التبعية على عساكر الملك عبدالعزيز ابن سعود، ولكفي الأمر. ويقابل هذا من طرف اليمينين السكوت عن رواية أمير الحج محمد بن عبد الله شرف الدين، والذي عاد سالماً إلى صنعاء.

ومن ناحية أخرى فلا نرى بأن عساكر الملك عبدالعزيز بن سعود هم الذين هاجموا الحجاج، ونتفق مع رواية دلال بأن المقاتلين السعوديين هم الذين قاموا بالفعل، ومصطلح مقاتلين في تلك الفترة، كان يقصد به المتطوعة من رجال القبائل الذين كانوا يقاتلون مع القوات والعساكر النظامية، لهم الجرايات عند كل معركة، ولهم ما غنموه خلال المعركة، وهذا النوع من التبعية والتشديد كان معمولاً به سواء في اليمن أو الحجاز أو نجد أو عسير، وغالباً ما يكون المقاتلة من ذوي البداوة الغارقين في بداواتهم. وقد جاء في مخطوطنا الذي نشره بأن تبعية الواقعة قد أُلقي على بدو يعرفون بالعطوط، وحين نظرت في أسماء القبائل والبطون التي كانت تبادر إلى الانضواء تحت امرة قيادة العساكر المتحركة للقتال، قادي البحث إلى قبائل منطقة الغطيط، فلعل تحريفاً قد وقع، فإن جماعة من هؤلاء قد رافقوا القوات السعودية (النجدية) التي أوكل إليها وأد فتنة حسن بن عائض، كما تورده الروايات السعودية. والأرجح أن خبر المعاهدة التي تولى صياغتها أمين الربحاني مع الإمام يحيى ومستشاريه والتي لم تُوقع بعد، قد وصلت أخبارها إلى بلاد الملك عبدالعزيز بن سعود إما من قبل عيونه أو سُربت من قبل البريطانيين، وشاع أمرها بين عساكر الملك عبدالعزيز بن سعود والمقاتلين من جماعات القبائل، فأقدمت جماعات من البدو على الإيقاع بالحجاج دون اختيار أحد من أمراء قوات ابن سعود النظامية، ولكنهم يدرون عن ذلك، فحركة قوات مقاتلة بهذا العدد الكثيف لا يمكن أن يتم خفية ودون علم أحد، ولا أعتقد أن أمراء القوات السعودية كانوا قادرين على منعهم، فالإخوان المقاتلة يرون أنفسهم بأنهم أصحاب اليد الطولى، في تحقيق الانتصارات التي حققتها قوات ابن سعود، وفضلهم لا ينكر

ورأيهم لا يقوى أحدٌ على معارضته، فكيف بالتصدي له ولجمه! وحتى تنشر الوثائق إن كانت موجودة عند اليمينين أو السعوديين ستظل هذه الحادثة مثيرة ومستغلة ورقة تُشهر عند التشاحن ومن ناحية فقد كان لحادثة تنومة وقعها على المهمة التي قام بها كل من محمد كامل القصاب ورفيقه حياتي، موفدين من قبل الجمعية العربية التي كانت تسعى لتوحيد كلمة العرب وهم يأملون في الوفاق بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز بن سعود، وقد كان رد الإمام، بأن الوفاق مرغوب، ولا سيما السلامة من عدوان أمم الإفرنج، ولكن ذلك متوقف على تقديم الملك عبدالعزيز الإنصاف بشأن العدوان الذي وقع على الحجاج اليمينين في تنومة وسدوان، ومتى تم ذلك وزال ما في النفوس من غيظ أمكن الشروع في الاتفاق على أساس متين من الاتحاد ونبذ الشقاق، والسعي في إنقاذ ما وقع تحت مخالب الإفرنج من البلاد العربية، وكتب لها الإمام كتاباً ليوزع على جميع شعب الجمعية العربية، ثم عادا على أن يعزما إلى الرياض والسعي عند الملك عبدالعزيز بن سعود لتحقيق الانتصاف من المعتدين^(١)، وحتى عندما وافق الإمام يحيى بعد إلحاح بعض الزعماء العرب وكثرة الوساطات لإرسال مندوب عنه لحضور المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الملك عبدالعزيز لمناقشة أمور المسلمين مع الدول الإسلامية، والذي عُقد في مكة ١٩٢٦، فقد أنهى مندوب الإمام، السيد حسين بن عبد القادر إلى الملك عبدالعزيز بن سعود وجوب تسوية مسألة الحجاج قبل كل شيء^(٢). غير أني لا أعتقد أن قضية يام وحادثة تنومة كان لهما أثرٌ في طبيعة العلاقات التي نشأت فيما بعد بين اليمن والسعودية. وتمخض عنها الحرب اليمنية السعودية. ولكنها مسألة الحدود بين الطرفين والتي ستبقى مؤرقة للطرفين ما لم يجبر التعامل معها بكل حكمة وروية وحلها بتراض تام يقبل به أبناء البلدين في إطار الأخوة في الدين بعيداً عن العصبية الجنسية أو النفعية الذاتية.

(١) كتيبة الحكمة، ٣٠١.

(٢) تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، فتوح الخترش، ١٢١ - ١٢٢.

الفصل الثالث

العلاقات اليمنية البريطانية

(كما أوردتها المخطوطة)

استمرت العلاقات اليمنية البريطانية في تدهور نتيجة مواصلة القوات البريطانية في احتلالها لميناء الحديدة، وإمداد قوات الإدريسي بالأسلحة والذخائر، وقد عبرت رسالة القائد العام، المقيم السياسي في عدن استيوارت إلى الإمام بتاريخ ١٩ يناير ١٩١٩ م عن مدى تدهور العلاقات بين الطرفين، فقد رفض استيوارت مقابلة مبعوثي الإمام الذين وصلوا من الحديدة على دفعتين، الأولى في ٣ يناير والثانية في ١١ يناير بدعوى اتصال أحد أعضاء الفريق الثاني بقنصلية أجنبية (أميركا)، وتسليمه رسالة من الإمام إلى القنصل يُبدي فيها رغبته في عرض مطالبه على مؤتمر السلام الذي سيعقد في باريس عن طريق تلك الدولة، مما ترتب عليه إعادة فريقَي المحادثات إلى الحديدة على أول واسطة نقل.

غير أن المقيم السياسي في عدن لجأ إلى سياسة العصا والجزرة في رسالته إلى الإمام، فأبدى استعدادَه لتلقي أية رسالة من الإمام تُبعث له عن طريق الحديدة، وفي نفس الوقت يقدم شكره للإمام لعدم معارضته في استسلام الجنود الأتراك، الأسرى، في الحديدة، ويُفيد بأن ما تم لا يتعدى كونه تنفيذاً لواحد من شروط الهدنة المفروضة على الدولة التركية، ولا بد من تنفيذ باقي

الشروط الملزمة باستسلام كافة الحاميات التركية المتبقية في اليمن لا سيما وأن مبعوثاً خاصاً قد وصل من تركيا وهو في طريقه للاتصال بالسلطات في اليمن لتنفيذ بقية الشروط، وبعدها يتحقق ذلك فإنه يمكن النظر في جميع مطالب الإمام المالية والإقليمية كما وعدت الحكومة البريطانية^(١).

ويتضح من الوثائق البريطانية، أن السياسة البريطانية كانت تحاول خداع الإمام بشأن الحديدية، فقد نشط الضباط البريطانيون خلال العام ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢٠ م للالتفاف على مطالب الإمام الإقليمية وخاصة في الحديدية، فأعزوا إلى بعض أعيان الحديدية رفع الاسترحامات والاستعطافات والالتماسات بواسطة الحاكم السياسي في الحديدية الميجر ميك ثم بواسطة الحاكم السياسي في الحديدية L. M. Steeler إلى لجنة الأمم (عصبة الأمم) التي ستلتئم في باريس في مؤتمر الصلح، يُعبرون فيها عن مطالبهم تمشياً مع القاعدة المنشأة بين الدول في حق تقرير المصير. وفي هذه الاسترحامات المملة من الضباط البريطانيين، يُبدي الأعيان رغبتهم في الإبقاء على القوات البريطانية وعدم تقليص أعدادها بدعوى حماية أهل الحديدية من هجمات البدو أو من قبل قوات الإمام أو الإدرسي حتى لا تُنهَب المدينة من قبل هؤلاء جميعاً، وهم يرغبون في إعادة دولتهم العثمانية لممارسة سلطاتها عليهم في تطبيق الشريعة وحفظ أمنهم كخيار أول، فإن تعذر فيقبلون بأحد أفراد الأسرة الخديوية المالكة في مصر أو اختيار أي ملك عربي طبقاً لشروط توافق عليها وتقبلها القوى العظمى ولكن بواسطة بريطانيا العظمى، وقد وقّع على الاستعطافين نفر من التجار وكلاء الشركات الأجنبية التجارية في الحديدية، وعدد من الموظفين الإداريين وبعض القضاة الذين كانوا يوالون الإدرسي. ولأهمية الوثيقتين وما حملتا من معاني فإنني أثبت ترجمة للوثيقتين وصورهما المنشورة في الجزء السادس من وثائق اليمن، ص ٤٧٨ - ٤٨١.

(1) Records of Yemen, Vol. 6. P. 547

مقيمة عدن

١٦ يناير ١٩١٩ م رقم: ٩٧

إلى إمام صنعاء

لقد وصل مبعوثوك على دفعتين

الدفعة الأولى: في ٣ يناير والثانية في ١١ منه

لقد أعرب سيادتكم عن الرغبة في إرسال هؤلاء المبعوثين لمقابلتي، وقد وافقتُ مسروراً على استقبالهم، على أمل أن يؤدي ذلك لإجراء ترتيبات سريعة بين الحكومة البريطانية وسيادتكم، كما قمتُ بتأمين سفرهم من الحديدة إلى عدن. وكان في نيتي المبادرة لمقابلتهم بعد وصولهم.

وحين وصل الفريق الأول رأى الانتظار لحين وصول الفريق الثاني، إلا أن الفريق الثاني قام بمجرد وصوله، ودون التشاور معي، بزيارة قنصيلة أجنبية، وسلم القنصل رسالة من سيادتكم لنقلها إلى رئيس حكومته. وفي تلك الرسالة تتذمرون من المعاملة التي تلقيتموها مني ومن الحكومة البريطانية، وتلمح فيها إلى أن يتم عرض مطالبكم في مؤتمر السلام.

إنني اعتبر هذا العمل غير مبرر ويشكل انتهاكاً فاضحاً لمكانتي التي أتمتع بها بالنيابة عن حكومتي، ولذا فقد قررتُ ألا أضي في تقديم المعاملة المشرفة هؤلاء المبعوثين والتي كنتُ أنوي تقديمها. وإن الطريق الوحيد الذي سأسلكه معهم هو إعادتهم إلى الحديدة في أول فرصة.

وفي الحديدة، فإنه يُسعدني تلقي أية اتصالات أخرى من سيادتكم إذا كنتم ترغبون في توجيهها إليّ.

إن رسالة سيادتكم الموجهة إلى جلالة ملك بريطانيا قد سُلمت إليّ وسأقوم

بنقلها، ولقد علمتُ أن الأسرى الذين كانوا تحت يد سيادتكم قد استسلموا في الحديدة وأنتهزُ هذه الفرصة لأشكرُ سيادتكم في تمكيننا من تنفيذ أحد شروط اتفاقية الهدنة المفروضة على تركيا من قبل الحلفاء والواجبة التنفيذ. والذي كان لتنفيذه انطباعاً حسناً لدى الحلفاء.

ولكن يجبُ أن أذكرُ سيادتكم بغير ذلك من شروط، مثل استسلام جميع الحاميات التركية في اليمن، لا سيما وقد وصل مبعوثٌ تركيٌّ خاصٌ من القسطنطينية إلى الحديدة، وهو في طريقه إلى زاوية ليتصل هاتفياً بالسلطات في صنعاء وأملِي أن جميع العقبات الخاصة بالاستسلام المشار إليه سابقاً ستُزال جميعاً وفوراً، وبذلك يمهدُ السبيلُ للنظر في جميع المطالب المالية والإقليمية التركية التي ترغبون سيادتكم في تقديمها.

وطبقاً لأوامرِ حكومتِي، فقدُ أكدتُ لسيادتكم دائماً بأن مثل هذه الاعتبارات سيُنظرُ فيها كاملةً وبشكلٍ عادلٍ.

J. M. Stewart

القائد العام

المقيم السياسي، عدن.

Aden, 16th January 1910.

To,
The Imam of Sana.

Your Excellency,

Your envoys arrived in Aden in two parties, the first on the 3rd January the latter on the 11th inst.

Your Excellency had expressed a wish to send these envoys to see me, and I in the hope that it would lead to a speedy arrangement between the British Government and your Excellency gladly agreed to receive them, and arranged for their passage from Hodeida to Aden.

It was my intention to give them an interview very soon after their arrival.

The first party preferred to await the arrival of the second. The second immediately on arrival, and without consulting me, visited a Foreign Consul, and handed him a letter from Your Excellency, for transmission to the Head of His Government.

In this letter Your Excellency complained of the treatment you had received from me and the British Government and urged that you and your claims might be represented at the Peace Conference.

I consider that this action was most unjustifiable and a grave breach of the privilege I had accorded on behalf of my Government.

I decided that I could no longer extend to these envoys the honourable treatment that I had intended, and that my only course was to send them back to Hodeida at the earliest opportunity.

In Hodeida I shall be glad to receive from Your Excellency any further communications you may wish to address to me.

Your Excellency's letter to His Imperial Majesty The King of England etc. etc. has been handed to me, and will be duly transmitted.

رسالة استیورات إلى الإمام بشأن إعادة وفدي الإمام

I have now learnt that the prisoners who were in Your Excellency's hands have been surrendered at Hodeida. I take this opportunity of thanking Your Excellency for thus enabling one of the terms of the armistice dictated to Turkey by the Allied Powers, to be carried out. It cannot but create a good impression with those Allied Powers. But I must remind Your Excellency of another of those terms, and that is the surrender of all Turkish garrisons in the Yemen. A special Turkish envoy from Constantinople has arrived in Hodeida and is proceeding to Zavia to communicate by telephone with the authorities in Sanaa.

I hope that all difficulties in the matter of the prescribed surrender will now be immediately removed, and the way thus paved for the consideration of all financial and territorial claims which Your Excellency may wish to advance. Under the orders of my Government I have always assured Your Excellency that such consideration will be complete and just.

ed. J.M. Stewart, Major-General,
Political Resident, Aden.

ترجمة الاسترحام المرفوع
من بعض الأعيان في الحديدة

بتاريخ ٢٥ جماد الأول ١٣٣٨ هـ / ١٥ / ١٢ / ١٩٢٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

نحن شعب اليمن، الملتزمون بشريعة محمد، صلى الله عليه وسلم، وعملاً بشريعتنا، فإن بلادنا ما كان لها أن تخضع ولا تُحكَم إلا من قبل حكومة مسلمة.

وفي ظل الظروف الحالية، فإن على حكومتنا أن تهتم بالشؤون العالمية، وأن تكون قادرة على اتخاذ الإجراءات المناسبة - الخ بين شعبنا في هذا الجزء من البلاد والأمم الأخرى، ولا بد من الاحتفاظ بجيش قوي وعادل وكاف لحماية البلاد من كلا الجانبين من البر والبحر.

وكنيجة للحرب العامة، فإن حكومة بريطانيا العظمى ستزُل في الحديدة وأنهم يحتلونها لمدة عام كامل، ولا ندري الدوافع التفصيلية التي تسببت في هذا النزول ولا الإجراءات التي تم التوصل إليها بين القوى حتى الآن. ولكننا علمنا من الأخبار التي جمعناها من الصحف المصرية العربية، أن اجتماعاً عاماً قد تم بين كافة وفود القوى في باريس تحت اسم (لجنة الأمم)، وذلك لبحث الترتيبات وجعلها نافعة لكل الأجناس العربية والطوائف الأخرى.

نحن سكان الحديدة من مثقفين وسادة وتجار وأشراف نسارع بتقديم هذا البيان، ونطلب من الميجر ميك، الحاكم السياسي في الحديدة نقله مشكوراً إلى

لجنة الأمم، ونستعطف التعبير عن وجهة نظرنا المبينة أدناه.

الأمر الأول: نحن لا نريد أية حكومة أخرى غير حكومتنا العثمانية

الأمر الثاني: وإذا لم تتنازل القوى لتوسلاتنا، فإننا نطلب تعيين أحد أفراد العائلة الخديوية ملكاً علينا، لأنه مسلم وعربي. كما أن هذه الحكومة سبق وأن احتلت اليمن، ولديها المعرفة بشريعتنا وقوانيننا الأخرى، وبتبني مثل هذا المسار، فإن الرفاه سيتحقق، مثلما يتم الحفاظ على الأمن، وسيؤدي إلى وقف كل دولة طموحة من التناول على بلادنا انسجاماً مع القواعد المنشأة والمتمدنة، وننتطع لحمايتنا وتطوير بلادنا، ونلزم كل حاكم علينا أن يعمل طبقاً للظروف القائمة.

الأمر الثالث: وإذا لم يتم تلبية هذه المطالب - على أية حال - لا سمح الله، سنكون مضطرين لاختيار ملك عربي، طبقاً لشروط توافق عليها وتؤيدها القوى العظمى، من خلال وساطة بريطانيا العظمى، والتي ستصرف كذلك كدولة انتداب، ولكن لا نريد أية دولة أجنبية غيرها.

الأمر الرابع: ولحين إبلاغنا نتيجة هذا البيان، فإننا نُصلي من أجل بقاء القوات البريطانية معنا من أجل حمايتنا من البر والبحر ولاستمرار التجارة كما هي الآن وتوسيعها أكبر قدر ممكن.

التاجر: أحمد طاهر زكي

التاجر: عبدالقادر بن أحمد زكري

عضو المجلس البلدي في الحديدة: سيد الشراعي

التاجر: علي داود

التاجر: مرجان سليمان هنومي

نيابة عن تجار الحديدة:

طاهر يوسف رجب
عمر سليمان مزجاجي
مرجان سالم
صالح بن محمد شادلي
قاضي الحديدة:
أحمد بن عبدالله مراوعي
يحيى عبدالله
قاسم ناشري
أحمد بن محمد بن علي بن عبدالقادر الأهل
عبدالقادر بن علي عبدالقادر الأهل
علي عبدو عبيد
عبدالله عمر
يحيى سليمان زكري
محمد عبيد

In the name of the Merciful and Benevolent
God. God said in His Holy Book. "Most
surely He who has made the Koran
binding on you will bring you
back to the destination."

We the people of Yemen continue to observe the Moh-
ammedan Shariah and in accordance with our Shariah, our
country should be occupied and ruled by an Islamic Govern-
ment.

In view of the present conditions, this Government
should be conversant with the affairs of the world and
capable of making proper arrangements etc. between the
people of this part of the country and other foreign
nations. They should keep a sufficient, just, and strong
army to protect the country from both sides by land and sea.

As a result of the general war, the troops of the
Great British Government had ^{to} land at Hodeidah. They have
been occupying it for a whole year. We are not in pos-
session of the detailed reasons which actuated this landing
and the arrangements arrived at between the Powers up to
now, but we have learnt from the news gathered from the
Arabic Egyptian Papers that a general meeting has been ar-
ranged between all the ^X (Delegates of the) Powers at Paris
under the name as the League of Nations, in order to dis-
cuss and make arrangements useful to both the Arab races
and other nations.

literally
in Commit-
ee of Na-
tions.

We, the inhabitants of Hodeidah consisting of learn-
ed men, Sayyids, merchants, and notables, therefore hasten
to submit this proclamation and request that Major Cook, the
Political Officer at Hodeidah, will please transmit it to
the League of Nations. We beg to express our opinions
which are set forth herein below:-

-2-

164

1. Subject. We do not want any Government other than our Ottoman Government.
2. " If the Powers will not accede to our prayer, we request that one of the members of the Khedive's family may be appointed as King over us, because he is a Moslem and an Arab. This Government in the past occupied Yemen and have knowledge of our Shariah and other rules. By adopting such a course the welfare as well as the maintenance of order in our country would be preserved. He should stop every ambitious Nation from transgressing on our country in accordance with the established and civilized rules and see to our protection as also to the improvement of our country, as it is incumbent on every ruler to do under the present conditions.
3. Subject. If, however, these requests cannot be granted, which God forbid, we will be compelled to elect an Arab King under terms approved and confirmed by the Great Powers, through the mediumship of the Great British Government, who should also act as a mandate, but we do not want any other Foreign Nation.
4. " Until we are informed of the result of this proclamation, we mercifully pray for the stay of the British Forces now with us for the purpose of our protection both from the land and sea, and for the continuance of trade as it is now, and its expansion as far as possible.

Merchant ad. Ahmed Tahir Zakira.
 " ad. Abdul Kader bin Ahmed Zakira.
 Municipal officer of Ho- ad. Shora i.
 doidah.
 Merchant. ad. Ali Dawood.
 " ad. Morgan Sulaman Samad.
 On behalf of Hodeidah ad. Tahir Yusuf Fajah.
 merchants. ad. Omar Sulaman Rizajji.
 " ad. Morgan Salim.
 " ad. Sulah bin Mohammed Thadli.
 Cazi of Hodeidah. . . . ad. Ahmed Abdullah Farwal.
 ad. Yahia Abdullah.
 ad. Kamim Hachiri.
 ad. Ahmed bin Mohammed Ali bin Abu
 ad. Kader al Aidaj
 ad. Abdul Kader bin Ali Abdul Kader
 al Aidaj
 ad. Ali Abdo Ghaid.
 ad. Abdullah Omar.
 ad. Yahia Sulaman Zakira.
 ad. Mohammed Ghaid.

نص كتاب الاسترحام

مؤرخ في ٢٥ جماد أول ١٣٣٨ هـ

١٩٢٠ / ١٢ / ١٥

إلى لجنة الأمم (عصبة الأمم):

باريس

بواسطة: الحاكم - السياسي البريطاني - الحديدية - .

احتلت القوات البريطانية الحديدية قبل ١٤ شهراً. وقد عوملنا معاملة حسنة من الضباط البريطانيين خلال الأربعة أشهر الماضية.

ولما كانت أغلب الكتائب البريطانية من الهنود قد غادرت الآن إلى عدن، فقد تناقصت قوات الحماية عندنا، ونخشى من قدوم رجال القبائل وسيطرتهم على الحديدية والإقدام على نهبها، كما نخشى من قدوم قوات الإدريسي أو قدوم قوات إمام صنعاء من صنعاء عن طريق الحل الدبلوماسي، حيث إن قواتهما على حدود باجل القريبة من الحديدية، وقد رفعنا بياننا المؤرخ في ديسمبر ١٩١٩م إلى الحاكم السياسي الموجود حالياً في الحديدية، مضمينه أفكارنا وتوجهاتنا، وإذا لم يصل إلى عصبة الأمم، فإننا نطلب إرساله إليها من عدن.

نريد حكومة مسلمة قادرة على فرض القانون على النحو التالي:

أولاً: الحكومة العثمانية، وإذا كان هذا مستحيلاً، فالحكومة المصرية تكون هي المطلوبة، وإذا كان - على أي حال - كلاهما غير ممكن، فتعيين قاض عربي أو تعيين ملك، ممن يتمتعون بالمؤهلات القانونية والمدنية، على أن يتم انتخاب هذا الحاكم من قبل أهل الحديدية يكون ذلك برعاية الحكومة البريطانية. ولا يجب تخفيض القوات البريطانية الموجودة في الحديدية، ويجب إبقاء القائد

البريطانيّ الميجر ميك إلى أن يتمّ اتخاذ قرار بخصوص مطالبنا.

في انتظار ردكم

عبدالقادر زكري	علي يوسف السنوسي	سليمان باغفار	أحمد محمد
سيد أحمد مراوعي	عبيد نوره	عبدالقادر بن علي الأهدل	عمر سليمان مزجاجي
طاهر رجب	راجح باهشاوين	سرور صالح باسودان	يحيى علي عامر
صالح شادلي	حمد الخدري	علي عبدو عبيد	سيد عواد مروعي
أبو بكر العطاس	محمد سليمان الهجام	محمد سعيد داود	يحيى نوح
محمد صالح شواف	محمد علي	محمد علي عبدالله حسين	أحمد طاهر زكريا
		عامق	عقل عبدالله عمر
		مرجان هنومي	

... ..
Dated 15th February 1920.

To, 480

174

The League of Nations,

Paris,

Through the British Political Officer, Hodeidah.

The British force occupied Hodeidah some 14 months ago. We have been getting good treatment from the officers during the last 4 months.

Most of the Indian troops have to-day left for Aden thus the strength protecting the place decreased. We fear lest the tribesmen come and lay their hands on Hodeidah and commence looting.

We also fear the coming of the Idrisi force or that of the Imam of Sanaa to Hodeidah by diplomacy as their forces are already on the borders of Hajil which is close to Hodeidah.

We submitted a proclamation dated December 1919 to the Political Officer now at Hodeidah expressing our ideas therein. If it has not reached the League of Nations, we request that it may be sent for from Aden.

We want an Islamic Government which is capable of enforcing the rules viz: first our Ottoman Government but, if this is impossible, the Egyptian Government should be the one. If, however, both are not possible, then an Arab Judge (or King) who bears full legal and civil qualifications should be appointed. His election should be made by the Hodeidah people and he should be under the British Government as guardian.

The available British force at Hodeidah should not be decreased and the British Officer, Major Meek, should be kept till a decision is passed on our applications.

A reply is solicited.

/ (Signed)

رسالة إلى لجنة الأمم من أهل الحُدَيْدَة

Imam Yahya, 1919-1921

-2-

(Signed)

Abdul Kadir Zakira.
Ali Yusuf al Sanusi.
Suloman Ba Ghafur.
Ahmed Mohamed.
Sayed Ahmed Marwai.
Obeid Nurah.
Abdul Kader bin Ali Al Ahdal.
Omer Suleman Mizjazi.
Tahir Rajab.
Rajeh Ba Hashwain.
Saroor Saleh Ba Sodan.
Yehia Ali Amer.
Saleh Shadli.
Hamid al Khadri.
Ali Abdo Obeid.
Sayed Awad Marwai.
Abubaker Al Attan.
Mohamed Suleman al Huggam.
Mohamed Saeed Dawood.
Yehia Nuh.
Mohamed Saleh Shawaf.
Mohamed Ali.
Mohamed Ali Abdulla Husen Amak.
Ali.
Ahmed Tahir Zakirah.
Margan Hanumi.
Akil Abdulla Omer.

ويُستشف من الوثيقتين المحفوظتين في نفس المجلد، الصفحات ٥١٩، ٥٢٢، ٥١٧، ٥١٨ أن بريطانيا قد خطت خطوة متقدمة اتجاه الحديد، ففي ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠ بعث الميجر القائد العام T. E. Scott، المقيم السياسي في عدن، والذي خلف استيوارت، المقيم السياسي في عدن السابق برسالة إلى المندوب السامي في رملة الاسكندرية ضمنها ملاحظاته ورأيي المعاون الأول للمقيم السياسي في عدن باريت خلال زيارته الأخيرة إلى الحديد، وأرفق معها رسالة من أعيان الحديد تتصل بمستقبل حكومة المدينة في حالة انسحاب الحكومة البريطانية منها. والرسالة وإن كانت تكرر ما ورد في الرسالتين السابقتين إلا أنها تضيف بأن التجار في الحديد يرغبون في إنشاء مملكة تضم متصرفية الحديد بحدودها التركية التي تمتد من أبي عريش (أي المنطقة التي يسيطر عليها الإدريسي في الشمال إلى زيد في الجنوب التابعة للإمام وتشمل أيضاً جبل ريمة وملحقاته وجبل بُرع بمدينة ونواحيه وعُزلاته. ويؤكد T. E. Scott استحالة إنشاء هذه المملكة بسبب معارضة كل من الإمام والإدريسي. غير أن رسالة أعيان الحديد بتاريخ ١٢ ذي الحجة ١٣٣٨هـ/ ٢٦ أغسطس ١٩٢٠م والتي حررت بعد اجتماع الأعيان مع باريت المعاون الأول للمقيم السياسي في عدن، وناقش باريت مع الأعيان تصميم بريطانيا على تحصيل رسوم جمركية على البضائع بواقع ٢ إلى ٣٪ لمواجهة مصروفات التكاليف البريطانية فإنها أكدت رغبة الأعيان في عودة الإدارة والحكومة العثمانية إلى الحديد أو حكومة قانونية عوضاً عنها، ويشيرون إلى تخوفهم من الحروب الواقعة بين الإمام والإدريسي من جهة، والتحالف السعودي الإدريسي من ناحية أخرى، وإلا فالحكومة المصرية أو الحكومة البريطانية انتظاراً لقرار لجنة الأمم، ومع ذلك فقد أعاد الأعيان تذكير بريطانيا بعودها حين احتل استرنج (Strong) الحديد وأصدر منشورة إلى الأهالي في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ/ ديسمبر ١٩١٨، بأن بريطانيا ما أقدمت على احتلال

الحديدة إلا لحماية أهلها وفرض النظام والقانون، وليس من مقصدها توسيع سيطرتها على مناطق أخرى ولا البقاء إلا لحين صدور قرارات لجنة الأمم. وهذه ترجمة للوثائق وردت باريت على رغائب بعض أعيان الحديدة.

مقيمةٌ عدن

١١ سبتمبر ١٩٢٠ م

رقم: C - 735

الأرشف:

ختم: المندوب السامي مصر

٢٥ سبتمبر ١٩٢٠ م

رقم ١٧٧ / ٣٦٦٥

من القائد العام: C. B. , C. I. E., D. S. S. O., T. E. Scott

المقيم السياسي - عدن -

إلى: سيادة المندوب السامي، رملة، الإسكندرية.

بالإشارة إلى المراسلة التي تنتهي برسالتكم رقم ١٧٢ م (172M) / ٣٦٦٥ / ١٧٧، المؤرخة في ٩ أبريل ١٩٢٠ م، فإن لي الشرف أن أرفع الأصل والترجمة الإنجليزية للالتماس المؤرخ في ٢٦ أغسطس ١٩٢٠ م والموجه إلى C. C. J. Barret، المعاون الأول للمقيم خلال زيارته الأخيرة إلى الحديدة من قبل أعيانها، والمتصلة بمستقبل حكومة المدينة في حال انسحاب الحكومة البريطانية منها، كما أرفق نسخة من جواب الميجر باريت المعطى للأعيان.

٢: أدرك الميجر باريت من خلال الحاكم السياسي Mr. L.A. Steele في الحديدة. أن مسودة الالتماس قد أوجدت خلافات هامة بين الأعيان، ولكنهم تمكنوا من التغلب عليها أخيراً، بفضل الجهود والدور الذي قام به طاهر رجب، وهو تاجر معروف في الحديدة، والذي أثار تساؤلاً حول عبارة «عودة الأتراك» الواردة في الالتماس، وأوضح طاهر رجب للأعيان المجتمعين، أن مثل هذا الطلب ليس له نصيب في القبول.

أما الطلب للملك مصري، فيعني حاكماً مستقلاً عن عائلة السلطان الحاكم في مصر، ولا يتضمن أي خضوع لمصر.

ويرغب التجار في مملكة تضم أجزاء متصرفية الحديدة التركية التي تمتد من

أبي عريش في المناطق التي يُسيطر عليها الإدريسي في الشمال إلى زبيد في الجنوب، وتشمل أيضاً جبل ريمة وجبل بُرع في الشرق، وهذه فكرة مستحيلة لأنها لن تكون مقبولة لا للإمام ولا للإدريسي.

ويعارض التجار في تولية أي حاكم عربي، سواء أكان الإمام أو الإدريسي أو أي زعيم محلي منتخب.

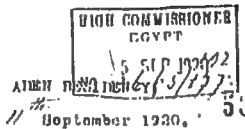
لي الشرف، سيدي أن أكون خادمكم المطيع

القائد العام

الميجر T. E. Scott

المقيم السياسي، عدن

No. C-715



From,

Major-General T. H. Scott, C.B., C.I.E., D.S.O.,
Political Resident, Aden.

To,

His Excellency
The High Commissioner,
Ramleh, Alexandria.

Sir,

With reference to the correspondence ending with your letter No. 1724, dated the 9th April 1920, I have the honour to forward, in original with its English translation, a petition dated 26th August 1920 addressed to Major G. C. J. Barrett, C.I.E., First Assistant Resident, on his recent visit to Hodeida by the notables of Hodeida on the subject of the future Government of the town in the event of the withdrawal of the British Government. I also attach a copy of the reply given by Major Barrett to the notables.

2. Major Barrett gathered from Mr. J. A. Moute, Political Officer, Hodeida, that the drafting of this petition caused considerable difference of opinion among the notables, and that they were only won over finally by Tahir Hujab, a leading merchant of Hodeida, who asked that a proforma request be made for the return of the Turks. Tahir Hujab explained to the assembled notables that such a request was not in the least likely to obtain acceptance.

The request for an Egyptian King means a really independent ruler from the Sultan of Egypt's family and does not imply any subservience to Egypt.

The merchants desire a Kingdom embracing the whole of the Turkish Mutasarriflik of Hodeida stretching from Abu Arish in Idrial territory in the north to Zubaid in the south and including Jabal Rahim and Jabal Bura in the

cont

رسالة اسكوت إلى المقيم السياسي

Records of Yemen

-2-

cast. This is an impossible ideal as it would be unacceptable to both the Imam and the Idrisi. 57

The merchants are opposed to any indigenous Arab rule be it that of Imam, Idrisi or a locally elected Chief.

I have the honour to be,

Sir,

Your most obedient servant,



Major-General,
Political Resident, Aden.

ATJ

بواسطة الدكتور استيل الحاكم السياسي لدولة بريطانيا العظمى بالحديدة،
يقدم إلى معاون أول لوالي عدن الميجر باريت.

في يوم الثلاثاء ١٧ أغسطس سنة ٩٢٠، ثان شهر ذي الحجة سنة ٣٣٨،
شرف معاون أول الحضرة والي عدن الميجر باريت وتواجهنا به بدائرة المحكمة
السياسية بالحديدة، فأول خطاب أبداه لنا هو أنه قد صممت دولة بريطانيا
الفخيمة على وضع عشور كمرك بحري بالحديدة في المائة اثنتين، إلى ثلاث
لمقابل مصارفات مأمورين الملكية الانجليزية، وأن الحكومة لا تريد استفادة
لنفسها من هذا العشور، وقرأ حضرة المعاون (البودجة) الميزانية لمدة سبعة
شهور مادة بمادة، ومع كل مادة يسئلنا (يسألنا) القبول أو عدمه.

وأخبر بأن الحديدة ستبقى لأهلها وهم يدورون أمر حكومتها بأنفسهم،
فأفهمناه بأنه لا يمكن إدارة الملك بمعرفتنا ولا يوجد بيننا رئيس حائز شروط
الملك، فأجاب: فمن تريدون، فقلنا: حكومتنا العثمانية أو حكومة قانونية
عوضها، وأنقض المجلس فنعرض بأن الدولة البريطانية العظمى لما احتلت
الحديدة أصدرت منشور مؤرخ ١٢ ربيع الأول سنة ٣٣٧، موافق شهر ديسمبر
١٩١٨، بإمضاء الكولونيل (استرنج) قوماندان القوة الانكليزية إلى جميع
السادات والعقال والقبائل بأن من كون تبعة الانجليز تحت محافظة الأتراك،
فلأجل تسليم التبعة منطرف (من طرف) الأتراك إلى الدولة الانكليزية نزلت
الدولة الانكليزية القوة لحماية الحديدة، وأن ليس عندها مقصد، ولا تريد
توسيع مملكيتها في اليمن، ولا مرادها إنزال القوة إلى محل آخر في اليمن لأجل
أخذه، وأن عين مقصد الدولة الانكليزية هو أن تقيم بهذا المحل وتجعله مركز
لأجل تنظيم البلد المذكور وتأمينه وما تيسر حتى يصير القرار من جميع الدول
عن قريب لمن يملكها، وافتونا بأن ما قصدكم أخذ بلادنا بل مرادكم تخليصنا
من إساءة العثمانيين.

ففي الحقيقة غير الثلاثة المهجوم الذي وقع من العبسية على الحديدية بشهر أغسطس ١٩١٩ أي شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٧ ما بعد صار هجوم لكن لم نزل نخشى لا سمح الله تكرر الوقوعات منطرف (من طرف) العبسية وغيرها من القبائل الخوف طبعاً مقدر لدى قوماندان العسكرية وهو المسؤول عنه لأن حكومة بريطانيا لما أخرجت حكومتنا العثمانية من اليمن تركتنا بلا حكومة، ولا نعلم ما لموجب لإخراجها حيث ما قد صدر في حقها لا سابق ولا لاحق. بل إن خروج الدولة العثمانية من اليمن أوجب النفور والعداوة بين إمام صنعاء يحيى بن محمد حميد الدين^(١) وإمام تهامة محمد علي الإدريسي، ولم يزل الحرب بينهما متواصل ومستمر في ضالع وتغز وأطراف زبيد وفي نفس جبل زيمه وجبل برع وجبل صقفان الواقع بحراز والدماء تسفك في شواقي ونواحي اليمن، وعلاوة على ذلك بلغنا بأن جيش ابن سعود والوهابيين إلى عسير، وأنه زاحف على صعدا، وأنه متفق مع الإدريسي ضد إمام صنعاء وكل هذه الأخبار جعلت الخوف في قلوبنا على ديننا (كون المتحاربين مختلفين المذاهب) وصرنا بأرواحنا عرضة لضرباتهم وطمعاً لغنائمهم، فالمرجوا من المقام المسئول امعان النظر في هذا الحال قبل اتساع الخرق.

وجل استرحامنا هو إعادة دولتنا العثمانية إلى اليمن، رجاء تسكين الفتنة فإذا ما أمكن نرجو جعل حكومة للحديدة تكون قانونية لأن الحديدية أسكلة اليمن الوحيدة، ومحل التجارة وأهلها لا قبل لهم بالقبائل والبدوان ولا توجد حكومة تناسب جنسنا ومذهبنا سوى الحكومة العربية المصرية، وإذا ما أمكن فتكون الدولة البريطانية حكومة علينا، وذلك من بعد قرار مجلس الدول ثم وكيل حكومي من القوة الانكليزية بالحديدة لمحافظةتنا وقبول استرحاماتنا اللائقة بالمقام ودمتم.

١٢ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ و ٢٦ أغسطس ١٩٢٠ م

(١) هو يحيى بن محمد حميد الدين

عن الحديدة

عبدالقادر زكري
أحمد طاهر زكري
علي داود
محمد سليمان زكري
صالح بن محمد الشادلي
يحيى بن علي عامر
طاهر رجب
مرجان سالم الحرازي
مختار محله المشرع والهنود بالحديدة
علي بن إبراهيم موريه

عمر سلمان مرجاجي
قاسم بن أحمد الناشري
امام وخطيب الجامع الكبير بالحديدة: محمد مكرم
مختار محلة اليمن
حسن علي

سرور بن سويدان
عبدالرحيم حسن شاهين
عبيد نوره
أحمد بن إبراهيم صابون
محمد سعيد داود
محمد علي عامق
مرجان هنومي
سليمان باغفار
حسن يحيى شرعان

جوابُ الميجر باريت إلى أعيانِ الحُدَيْدَة

كان ردي عند قراءةِ الميزانية، أن أهلَ الحُدَيْدَة، تحت إشرافِ الحاكم السياسي ستديرُ عائداتِ الحُدَيْدَة لما فيه مصلحة المدينة، طالما بقيتِ القواتُ البريطانية محتلةً لها، ومن ثمَّ فإنَّ الحكومةَ البريطانية لا تريدُ عائداتِ الحُدَيْدَة لنفسها.

وعندما تغادرُ الحكومةُ البريطانيةُ الحُدَيْدَة، ستتخذُ الترتيباتُ المناسبةَ لضمانِ أمنٍ وخير حكومة المدينة مستقبلاً، وستعملُ قدرَ الإمكانِ على تلبية رغباتِ الأهالي. ولكني لا أعلقُ آمالاً على الرغبةِ بعودةِ الأتراك، والذين هم في حالةٍ ضعيفٍ شديدٍ ولا يفعلونَ أكثرَ من حماية القسطنطينية والأناضول، وليس لديهم - امكانية - على توفيرِ قواتٍ إلى اليمن.

المرسل:

C. C. J. Barrett. الميجر

١٩٢٠ / ٢ / ٢٨ م

ولتدعم بريطانيا حجتها في عدم إقدامها على احتلال الحُدَيْدَة، فقد قبلتُ من شيخ مشايخ ريمة محمد أمين رسالته التي يطلبُ حمايته وقبيلته التي يزيدُ تعدادُها عن مئة ألفٍ ويزيدونَ من الإمام وقواته، ولعلَّ القادة البريطانيين في عدن والحُدَيْدَة يشيرونَ إلى رغبةِ التجارِ في الحُدَيْدَة في إنشاءِ مملكة تكونُ ريمة أحدَ ملحقاتها. وقد جاء في رسالة محمد أمين^(١) ما يلي:

حضورُ مقامِ جنابِ الحاكمِ السياسيِّ من طرفِ الدولةِ البريطانية بلوا الحُدَيْدَة

(1) Records fo Yemen. Vol. 8. P. 84.

مادة

- ١ - عند ابتداء الحرب بين الدول والدولة ما علمنا هل هو حربٌ دوليٌّ أو حربٌ دينيٌّ.
- ٢ - حسبَ المسموعِ أنَّه انعقدَ الصلحُ بينَ الدولِ وصارتُ هدنةٌ وصارَ مؤتمرُ الصلحِ في فرانسة.
- ٣ - أخذتِ الدولةُ العليةُ العثمانيةُ وهي (حاكمة) القطعةَ اليمانية، وكان تحت إدارتها خمسةٌ مليون نفوس.
- ٤ - إنَّه لما انسحبتِ القوةُ المحاربةُ العثمانيةُ من (قطعة) اليمن، بقيتِ قطعةُ اليمن تحتَ مخالبِ الوحوشِ ومهددةٌ بالانتهاكِ حتى استولى على قسم منها الإمامُ يحيى، وقسماً منها الإمامُ الإدريسيُّ، ولم يجر فيها أحكامَ شروطِ المtarكةِ إلا الحديدة فقط.
- ٥ - حسبَ المسموعِ بموجبِ المفاوضةِ بينَ الدولِ المحاربة، تكونُ الحكومةُ العظمى (العظمى) البريطانيةُ محافظةً لحقوقِ أهالي القطعةِ اليمانيةِ حالاً، وما لا ولم صار اجرا هذه المفاوضةِ إلا بنفسِ الحديدة فقط.
- ٦ - بعد انسحابِ الدولةِ العثمانيةِ من ولاياتِ اليمنِ لم حصلٍ من طرفِ الحكومةِ البريطانيةِ المحافظةِ على عمومِ الأهالي حسبها كان جلَّ اعتقادنا، وحسبها كنا نؤملُ من جلالَةِ ملكِ إنكلترا. فقط استلمتِ اليمنَ السيدينِ الجليلينِ الإمامَ يحيى حميد الدين والإمامَ الإدريسي، ولما استولى الإمامُ يحيى على أغلبِ قطعةِ اليمنِ نشر فيها ألويةَ الظلم، وانسلب راحةَ العموم، وصارتِ الرعايا في دورِ الاستبدادِ والظلم، وخربتِ دورُهم وديارُهم وأخذ حالهم وأموالهم، وكان المؤملُ من الحكومةِ المعظمةِ البريطانيةِ حسنِ الإدارةِ لأجلِ جلبِ قلوبِ الأهالي وتأمينِ راحتهم.

٧- المرجو من الحكومة المعظمة البريطانية رفع أيدي السجينين الجليلين المومى إليهما من بلادنا، وبلاد أمثالنا، وكلاً منهما يقف على حدوده المعلومة لأجل إراحة الأهالي من سفك الدماء ونهب الأموال إلى عند ظهور نتيجة الصلح بأي صورة كانت الآن، وجعلت أراجع مقام دولتكم والعاجز شيخ مشايخ ريمة وأهاليها إلى نحو مائة ألف أو يزيدون مما وقع بنا من الظلم حسبما ذكر اعلى في المواد ملتجياً بالدولة العظيمة أنا ومن بمعيتي، دفع المومى إليهم عن تعديهم إلى بلادنا وبلاد أمثالنا، وإراحة الأهالي من سفك الدماء ونهب الأموال، فإن سيحصل مطلوبنا من مقام دولتكم، فنعم المطلوب، وإذا لم يحصل فنرجو من مقام دولتكم إرسالنا أنا ومن بمعيتي إلى مقام ولاية عدن، وهنالك سيكون الخطاب باللازم ودمتم في ٨ شهر صفر الخير ١٣٣٩، ٢٣ أكتوبر ١٩٢٠.

صحيح
شيخ مشايخ ريمة
محمد أمين

٥٠

مذكور مقام جناب الحاکم السياسي من طرف الدوله البريطانيه بلوا الحیدر

- ١ عند ابتداء الحرب بين الدوله والدول ما عداها من هو صرب دولي او صرب ديني
- ٢ حسب المسموع ان انعقاد الصلح بين الدوله وصارت هدنة وصار ما غزا الصلح في فرنسا
- ٣ اخذت الدوله العثمانيه وهي حاليه القطع ايمانيه وكان تحت ادارتها خمسة مليون نفوس
- ٤ انه لما انسحبت القوه العثمانيه من قطعت ايمانيه تحت غطاء الرهوش ومعهده بالوكلاء
- ٥ متبر استولا على قسم منها الامام يحيى وقسم منها الامام الادريسي ولم يجر ايضا اطلاق شرط المناكره الاولى
- ٦ حسب المسموع بموجب المقاومه بين الدوله الخارجيه تكونت الحكومه العظمى البريطانيه مما فطر لحدوث اهالي القطع ايمانيه حاله ومالا مع صار اجماع هذه المقاومه الذي يفتقر الى حيدره فقط
- ٧ بعد انسحاب الدوله العثمانيه من ولايت ايمانيه لم جعل من طرف الحكومه البريطانيه الما تنظر على عموم الاهالي صبا كان جولي اعتقادنا وصبا كنا نفعل من جهلنا من ذلك النكده فقط استولت ايمانيه كيميدي
- ٨ الجليليين الامام يحيى صيد الدين والامام الادريسي وما استولا الامام يحيى على اغلب قطع ايمانيه نشر فيها الحريه الظلم وانتلب راحته العدم وصارت الرعايا في دور الاستبداد والظلم وضربت دوزخهم وديارهم واخذ حاكمهم واموالهم وكان المؤمل من الحكومه العظمى البريطانيه صن الاداره لا جل جديده تعلم الادعائي وتامين راحتهم للمسلمين عن الحكومه العظمى
- ٩ المرجو من الحكومه العظمى البريطانيه رفع ايدي السيفيين الجليليين المولى اليها من بلادنا وبلاد اشان وكاد منظر يقف مع حدوده المعلومه لا جل راحه الاهالي من سنك الرما ونسب الاموال الى عند ظهور رتبته الصلح باي صوره كانت
- ١٠ الان وجهت ارجح مقام دولتكم والعاجز شيخي شايخي ريعم واهاليه الى نحو ما بالان اوفيد يدع صا وقع بنا من الظلم صبا ذكر اعلا في المواد صديجا بالدولم العثمانيه انا ومن جميعي دفع الموعود اليهم عن تمديدهم الى بلادنا وبلاد اشان والرحمة الاهالي من سنك انما ونسب الاموال فان لم يحصل مصلحتنا من مقام دولتكم فنعم المطلب واذ لم يحصل فنبه من مقام دولتكم اننا ومن جميعي الى مقام ولايت عدت وهناك سيجوز الخطاب باللائحه كرمتم في ٨ شهر صفر الحيد ١٣٢٩

صلى
على النبي وآله
محمد ١٠٠٠٠

وبالعودة إلى مخطوطنا الذي نشره فإنه يمكن اعتبار سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠ - ١٩٢١ م، بداية مرحلة في مراسلات الإمام يحيى مع الدولة البريطانية هدفت إلى توقيع معاهدة كان الوفد الإمامي قد قدم مسودة لها في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٢هـ / ٢٦ يونيو ١٩٢٤، ولكن لم يتم الاتفاق حولها إلا في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ / ٦ سبتمبر ١٩٣٤ بعد ١١ سنة حيث صدقها الإمام بما جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين

الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

وفقه الله

ثم: المتوكل على الله سبحانه

نحن أمير المؤمنين، ملك اليمن الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين اعتماداً على التوفيقات الربانية واستناداً إلى العناية الجلية الرحمانية نصدق ونقرر هذه معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل مع دولة إنكلترا المعظمة وحضرة جلالة ملكها جورج الخامس المبجل عن أنفسنا وعن مملكتنا وحكومتنا وخلائفنا، ونلتزم التزاماً ملوكياً بتنفيذ هذه المعاهدة الشريفة بكل صداقة واحترام ونرعى جميع ما احتوت عليه بنودها، ونقاوم بكل ممكن كلما يخالف أي بند أو شرط بأي واسطة كانت، وحررنا هذا وأمضيناه بخطنا الملوكي ووقعنا عليه ختمنا ونسأل الله تعالى أن يجعل هذه المعاهدة مقرونة بالخير والسعادة للمملكتين والشعبيين مفتاحاً لكل مناسبة ودية شريفة تحريراً في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣^(١).

(1) Records of Yemen Vol. 8. p. 84.

في سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠ عُين القائد العام T. E. Scott، المقيم السياسي في عدن، والذي عدل عن سياسة المقيم السياسي السابق استيوارت، فأرسل إلى الإمام يحيى، كما جاء في مخطوطنا يبغي ألا يكون بين الإمام والانجليز الخصام، وأنه مكلف بتنظيم مصالحه تتضمن تحسين علائق الجوار وضمان حقوق من يصل من رعية الإمام إلى عدن وتلك الديار، وأنه أي اسكوت طلب من الإمام إرسال مندوب من طرفه للمراجعة في ذلك الموضوع، ولاقتضاء المصلحة العامة مع ملاحظة مثل هذه الأمور ودفع الشرور^(١) ويمضي عبد الكريم بن أحمد مطهر، فيذكر بأن الإمام قد انتدب القاضي عبدالله بن أحمد العرشي الخولاني لذلك، فتوجه إلى عدن مزوداً بالوصايا من الإمام وأهمها ألا يكون منه إبداء أي شأن أو الخوض فيه إلا بعد الإذن من الإمام. ويؤكد جيكون بأن الإمام كتب لمندوبه إذا تمكنت من العمل على إعادة فتح طرق التجارة وعلى التخلص من الإدريسي، وهذا الأمر مرتبطان ببعضهما، لا انفصام بينهما فهذا شيء جميل^(٢).

ويذكر عبد الكريم بن أحمد مطهر بالموقف العدائي الذي سلكه المقيم السياسي السابق استيوارت بحق مطالب الإمام، ومكر وخداع وآلعي بريطانيا والتي لا ينخدع الإمام بها ولا تروج تمويهات وأضاليل الإنجليز عنده.

ونحن نرى بأن الإمام كان يسعى جاهداً لإيجاد شرح في التحالف البريطاني مع الإدريسي ومن ثم التخلي عنه، وعندها يتم للإمام القضاء عليه بسهولة إذا ما توقف الدعم البريطاني للإدريسي بالأموال والسلاح والذخائر، وكذا فإنه سينجح في كبح تمردات وثورات القبائل ضده ويحول دون محاولات شيوخ بعض القبائل للالتجاء لحماية الإنجليز، ويفسد التوجهات البريطانية باحتمالية إنشاء دويلات أو ممالك سواء في الحديدة أو تعز، ويلتقط أنفاسه في

(١) كتيبة الحكمة، ١٥٥.

(٢) ملوك شبه جزيرة العرب، ٣٢٩.

استراحة محاربٍ لدعم الاستقلال والعمل على توحيد اليمن، أما بريطانيا فقد كانت ترى في استمرار مراسلاتها مع الإمام الضغط عليه لتنفيذ بقية بنود الهدنة المفروضة على تركيا لإضعافه وانتزاع الاعتراف من الإمام بحق حمايتها للسلطين والشيخ واستقرارها في محمية عدن، ثم الحيلولة دون سعي القوى العظمى، إيطاليا وفرنسا، في المنافسة معها على اليمن ببحره وموانئه وبره ومعادنه وتجارته. غير أن الوثائق البريطانية في تناولها للعلاقات اليمنية - البريطانية تذهب إلى غير ما قرره مؤلفنا، ومن المعروف أن بعض هذه الرسائل نقلها وزير سلطان لحج عبد الكريم بن فضل العبدلي^(١) وبترتيب الوثائق وإعادة قراءتها يفيد ما يلي:

- رسالة من باريت إلى الإمام بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٩٢١ م كانت جواباً على رسالة الإمام إليه تاريخها ٢٩ جماد أول سنة ١٣٣٩ هـ / ١٥ فبراير ١٩٢١ ورسالة الإمام المشار إليها غير مضمنة في سجلات وثائق اليمن، سقطت من المجلد الذي حرره Doreen Ingrams و Leila Ingrams، ونشر سنة ١٩٩٣ م أو غير مثبتة في ملف الوثائق أصلاً.

- رسالة ثانية من الإمام إلى باريت بتاريخ ١٣ رمضان ١٣٣٩ هـ / ٢١ مايو ١٩٢١ م.

- رسالة ثالثة من الإمام إلى اسكوت المقيم السياسي، عدن بنفس التاريخ ومرفقة معها.

- رسالة رابعة من أسكوت، القائد العام، المقيم السياسي في عدن إلى وزير

(١) كتيبة الحكمة، ١٨٠، حيث ورد أن أكبر أعوان سلطان لحج عبد الكريم بن فضل العبدلي وهو علوي بن حسن الجفري وصل معه صالح بن سعد العبادي ومعهم كتب من حكومة عدن مرسلة إلى الإمام، ومعهما سيارة اتومبيل هدية من الانجليز للامام.

الخارجية لشئون المستعمرات، لندن، تاريخها ٣٠ حزيران ١٩٢١ م.

ويُستفاد من الرسالة الأولى أنَّ الإمامَ في محاولةٍ منه لدفع البريطانيين للتخلي عن احتلالهم للحديدة والتخلي عن الإدريسي وحتى المحميات، فقد هاجمت قواته المحميات ونجحت في السيطرة على أربع منها، وهذا ما درسناه في حروب دعم الاستقلال وحروب التوحيد، وفي نفس الوقت بعث برسائله إلى عدن للالتفاف على ردة الفعل البريطانية وجاء في رسالة باريت إلى الإمام:

- أنه يشكر الإمام لعدم تفكيره في التدخل بالمصالح والحقوق البريطانية، وأنهم متضايقون من تقدم قوات الإمام واحتلالها لأراضٍ تحتمي ببريطانيا، إلا أنه يقدر مبادرة الإمام بوقف الهجوم وإخلاء الأراضي التي احتلتها قواته.

- يؤكد للإمام الادعاء البريطاني بعدم رغبة بريطانيا بتوسيع مناطق سيطرتها واحتلال أراضٍ جديدة في اليمن، ولا استعدادها للموافقة على تقديم أية مساعدات لمن يطلبها للعمل ضدَّ الإمام وسيادته.

- يبلغ الإمام رضى بريطانيا وسعادتها حين ترى العرب موحدين ويستشهد بالآية القرآنية ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وأنهم على استعداد لتقديم خدماتهم لتذليل وتيسير أية مشاكل قد تثور بين العرب، ولكن دون الانخراط في صراعات الحكام العرب، الذين عليهم أن يسووا خلافاتهم بأنفسهم، لأنهم يرغبون في الاحتفاظ بوفاقٍ مع الجميع.

- أما ما يتعلق بسياساتهم اتجاه المحميات، فإنهم لا يضمرون أي نوع من العداء تجاه الإمام، وهذا الوضع كان موجوداً قبل الحرب، وليس في نيتهم تغييره أو التدخل في شئون القبائل التي تدير أمورها دون تدخل من قبل

بريطانيا فنحن أمة نبيلة، تحافظ وتلتزم بكلمتها اتجاه الجميع.

- ثم يُنهي رسالته بإبلاغ الإمام مبادرته في الردّ على رسالة الإمام بنفسه ويطلب إليه الاستمرار في توجيه رسائل إلى القائد العام، اسكوت، المقيم السياسي الذي خلف استيوارت.

أما رسالة الإمام إلى باريت والمؤرخة في ١٣ رمضان ١٣٣٩ هـ، فقد أشارت إلى الأمور التالية:

- الإشادة بقدرّة باريت العقلية واتساع افقه في إدراكه لمتطلبات الصلاح والإصلاح وسكون الحروب، فإنّ تبادل المنافع للأطراف هو الأساس الذي يبنى عليه سلامة الدول.

- يُبدي ارتياحه وتفاؤله من وضوح طريق الانصاف عند البريطانيين، ولذا كتب إلى الوالي الجديد بما كان قد بعثه إلى الوالي السابق، لا سيما وقد وصل إلى الإمام من أمير الجيش الإمامي في تعز، حيث كان علي بن عبدالله الوزير، كتاباً يفيد بإزالة ما يمنع من روابط الصداقة بين إمامتنا والحكومة البريطانية.

- ثم يُنهي إليه رغبة الإمام في العودة للتداول والمراجعة لتحقيق الأماني المرغوبة، والتي يكون بها حفظ حقوق الطرفين ورعاية شرف مقام الإمامة وزوال سوء التفاهم.

- ويأمل الإمام يحیی مخاطبه بأنّه يعلم محبة بريطانيا للعرب، ورغبتها في إصلاح أحوالهم، وعدم سعيها في توسيع مملكتها الواسعة وتصديقه لذلك، وعليه فقد انتدب القاضي الأجل عبدالله بن أحمد العرشي مأذوناً بإجراء المحادثات وكل ما يلزم للنظر والمداولة فيه.

- ويعود الإمام للإشادة بقدرات باريت وشمائله المنصفّة، ويتمنى عليه أن يكون مثلاً لرجال السياسة الذين يتصدون لحل المشاكل الصعبة بالإنصاف

المقبول وأهدى إلى الوالي الجديد رأسين من الخيل النجاف وقهوة وزبيب ولوز ولباريت قهوة وزبيب ولوز.

وتضمنت رسالة الإمام إلى اسكوت، المقيم السياسي، التهئة والتبريك بمنصبه الجديد، وتمنياته له بتحقيق الأمن والراحة وسلامة اليمن، وهو واجب الفائدة لدولتكم ثم تناول الأمور التالية:

- إن الوالي السابق لم يقابل جهودنا واهتمامنا بتحقيق الوفاق بما تستحقه من حسن التفاهم وما أملناه. ولكننا نؤمل عليكم خيراً.

- يطلب الإمام إلى الوالي اسكوت ألا يبخل بجزء من وقته لمراجعة منا في خزائنه من مراسلات وقعت قبل مجيئه، ولو فعل وراجعها بحسن نية وعدل فسيعرف أن مطالبنا محقة ومعتدلة ولكنها لم تجد لها أثراً، لما كان يضمُرُه الوالي السابق من عدااء لنا بتحريضه القبائل للتمرد علينا ومحاربتنا وتسليحهم، والأوراق الممهورة بتوقيعه تثبت صدق دعوانا.

- وبالرغم من ذلك فإن الإمام ينجح إلى المسألة معتمداً على حسن تقديره للإنصاف والعدل.

- يبلغ الإمام اسكوت أن أولئك الذين يحتمون بهم سوف لا يجدون من طرفنا إلا المحبة والفائدة إذا ما كانوا راغبين في ذلك، وعدم إقدامهم على معاداتنا.

- يؤكد الإمام بأنه ما قام إلا باتخاذ التدابير الطبيعية التي أُجبر عليها وذلك للحفاظ على «حقوقنا المشروعة وسلامة وطننا»، فما حارب إلا لأنه أكره على ذلك لحفظ الوطن والرعايا وسلامتهم.

- ويحسمُ الأمر مع اسكوت بأنه لا حاجة للتطويل والشرح الزائد، «فنوايانا حسنة» كما جاء في رسائله، وما يريده إجراءات فعالة وجدية لإزالة أسباب الخلاف، ويشير الإمام إلى ابتلاء بريطانيا بخسرانٍ سياسيٍّ إذا ما

واصلت سياستها في تهامة، لأنها ستنجح بقوتها العسكرية وتخسر سمعتها السياسية، وما يرجوه إحقاق الحق وإظهار العدل، وعلى اسكوت أن يعمل لما فيه منع توسيع الخلاف على نطاق العالم، فيقال «مسألة اليمن وانكلترا».

- ثم يبلغه بانتداب القاضي الفخري عبدالله بن أحمد العرشي مندوباً عنه للمراجعة والمحادثة لقصد السلم والتحابب الوارد في مراسلاته السابقة وحل المسائل المعلقة بما هو أوفق وأسلم، ومن ثم تمنيات الإمام بالتوفيق في البداية والنهاية.

والنظر المتعمق في الرسائل الثلاث يدرك بأن بريطانيا تحاول دفع الإمام للاعتراف باحتلالها للمحميات بما فيها عدن، وتجبره للاتفاق مع باقي الزعماء العرب لتحقيق مصالحها، والتخلص من شوكتها، والحد من حركته وحصره في جزء من اليمن، أما الإمام فقد حاول إظهار عداة الوالي السابق لمطالب اليمن العادلة، وعزوف استيوارت عن تحقيق الأمن والراحة لينال به بالقبول بسلامة اليمن، ثم إن الإمام لم يقدم شيئاً سوى ما يسعى إليه من الاستجابة لما جاء في رسائله المحقة. ويحذره بطرف خفي إلى أن ما قام به من حرب ضد الانكليز وأعوانهم ما كان إلا مجبوراً عليه، يدفعه إليه حفظ حقوق اليمن المشروعة، ومنع محاولات تجزئة اليمن التي تدعمها بريطانيا بما تقوم به من تحريض القبائل وتزويدها بالأموال والسلاح والذخائر، وما تنفذه في تهامة بدعمها للإدريسي. وما أرسل مبعوثه إلا لإحقاق الحق والانتصار للعدل، ويلاحظ أن الإمام يضيف المزيد من الإجلال والاحترام على مبعوثه فيقرنه بالقاضي الأجل والقاضي الفخري، وذلك لتدعيم هيئته عند المراجعة ويوحي بأن مندوبه مخول بالصلاحيات لإنجاز محادثاته بسرعة الحق والعدل. أما كيف فهم اسكوت رسائل الإمام، فقد بينته رسالة اسكوت إلى وزير المستعمرات البريطاني بتاريخ ٣٠/ حزيران ١٩٢١م، وقد جاء في

مضمونها:

- إن رسالة الإمام لا تحملُ تغييراً في موقفه المعادي للإدريسيّ، وليسَ هو في طريقه للمساومة مع خصمه الإدريسيّ.

- إن الإمام يرغبُ في الحصولُ على كل شيءٍ وعدم التنازلِ عن أي شيءٍ، ولذا كانَ موقفُ استيوارت من الإمام طبيعياً في ضوءِ سياسةِ الإمام الصعبة. ولذا فإنَّه من المتعذرِ الدخولُ معه في علاقاتٍ وديةٍ بالرغم من التقائه مع سياستنا في محمية عدن، واستعدادِه لاحترام أولئك المشمولين بحماية بريطانيا.

- يفيد اسكوت بأنَّ القاضي العرشي بالرغم من قوله: إنَّ لديه السلطةَ لمناقشةِ كافةِ المسائلِ مع السلطاتِ في عدن، إلّا أنَّ القاضي العرشي، والذي سبقَ أن أوفد من قبل الإمام سنة ١٩١٧ م. ليسَ مخولاً بصلاحياتٍ تمكنه من توقيعِ أيةِ اتفاقاتٍ إلّا بعد الرجوعِ إلى الإمام وموافقةِ الإمام على ذلك.

- ومع ذلك فإنَّ المحادثاتِ مع العرشي مُستمرّةٌ، ويُرسَل اسكوت إلى الوزيرِ ترجماتٍ لخمسِ رسائلٍ من باريت واسكوت والرد عليها، ورسائلٍ من الإمام إلى الإدريسي والرد عليها، ورسالتين من فيصل بن الحسين إلى الإمام ومحمود نديم بك.

وكنا قد أشرنا إلى رسالتي الملك فيصل إلى الإمام ومحمود نديم في موضعه من الدراسة. أما رسالةُ الإمام إلى الإدريسيّ، وردُ الأخيرِ عليها فسندرسها عندَ تعرضنا لحروبِ تدعيم الاستقلالِ وحروبِ التوحيد.

ولما كانتْ هذه الرسائلُ الوثائق من الأهميةِ بمكانٍ فإنِّي أثبتُها في هذا المقام، مترجمةً وأصولها الانجليزية.

رقم ٢١٨
مقيمة عدن
٨ ابريل ١٩٢١ م

إلى: سيادة الإمام

يُشرفني أن أبلغكم بتسليمي كتاب سيادتكم المؤرخ في ٢٩ جماد أول ١٣٣٩ هـ. وأن أشكر لكم مشاعركم الوطنية التي عبرتم عنها في رسالتكم اتجاه الحكومة البريطانية يسعدنا تأييدكم أنكم لن تفكروا البتة في التدخل ولو قدر ذرة في حقوق مصالح الحكومة البريطانية. ويؤسفنا أن قوات سيادتكم قد احتلت جزءاً من أرض رؤساء لنا معهم معاهدة وعدناهم بحمايتنا لهم من أي هجوم. إلى جانب إحساسنا بمزيد من الضيق في رؤية قواتكم تتقدم نحو المزيد من الأقاليم الخاضعة لحمايتنا وتحتل وادي تيم. وهو ما يخالف مضمون رسالتكم لنا، غير أنني سعيدٌ للغاية من أنه بمجرد أن انتهى هذا التقدم إلى علمكم، فتم إصدار الأوامر بوقفه وإخلاء الأرض الخاضعة لحمايتنا، ونشكر سيادتكم على هذه المبادرة، والتي هي في اتجاه الاتفاق مع الحكومة البريطانية. ونعبر عن رضانا، ولولا مسألة الاحتلال العسكري لمناطق من تلك التي تحت حمايتنا، فليس هناك من نقاط خلاف بين حكومة سيادتكم والحكومة البريطانية.

ونؤكد لسيادتكم، أن الحكومة البريطانية لا تسعى لتوسيع مناطق سيطرتها، وكسب المزيد من الأراضي في اليمن، ونؤكد لكم بحزم رفضنا منح أي موافقة لأي كان خارج حدود محميتنا في حالة طلب المساعدة منا ضد سيادتكم.

وسنكون سعداء في أن نرى العرب موحدين، وهو في قناعتنا الأسلوب الوحيد الذي يمكن به تحقيق السلم والأمن لكل تقدم وتطور، فالقرآن يقول:

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

وإذا طلبت منا الأطراف جميعاً، سنكون سعداء في تقديم خدماتنا لتيسير أية مصاعب بين العرب التي قد تُثارُ بينهم، غير أنَّ سياسة حكومة صاحب الجلالة هي في تجنب الانخراط في صراعات الحكام العرب، الذين نأمل أن يسووا خلافاتهم فيما بينهم بأنفسهم. ويمكن لحكومة جلالته أن تقدم النصيحة الودية لجميع الأطراف بناءً على رغبتهم، ولتكون في وفاق مع الجميع.

وفيما يتعلق بمحميتنا، أؤكد لسيادتكم بأننا لا نضمّر أية دوافع عدوانية اتجاة حكومتكم، وليس لدينا رغبة في تعديل هذا الوضع السياسي الذي كان موجوداً قبل الحرب، والتي مكنت القبائل من تسيير شئونها دون أي تدخل من قبلنا، ولكننا نؤكد عدم تردّدنا في تقديم المساعدة للقبائل التي لنا معاهدات معها تتضمن حمايتها. وليس لنا أية مكاسب من هذه المعاهدات، ولكننا على ثقة من أن سيادتكم بصفقتك عميد الأسرة الشريفة، ورئيس حكومة سيتفهم مشاعرنا كأمة محترمة (نبيلة)، عليها أن تلتزم بكلماتها اتجاة الجميع حتى ولو كانوا أضعف منا.

وما أن وصلني خطاب سيادتكم، كان لي شرف الردّ عليه بنفسي، وليس لدي شك في أنَّ سيادتكم سيوجه أية رسائل أخرى إلى المقيم الجديد في عدن الميجر جنرال سكوت، الذي حل محل الجنرال ستوارت.

C. C. J, Barret, Major

1st Assistant Resident, Aden.

الميجر باريت، المعاون الأول للمقيم - عدن -

No. C. 318
ADEN RESIDENCY,

8th April 1921.

To,

His Excellency the Imam.

I have the honour to acknowledge receipt of Your Excellency's letter of 29th Jomad Awwal 1339 and to thank you for the friendly sentiments towards the British Government expressed therein.

We are very pleased with your assurance that you never thought of meddling in the rights of the British Government to the extent of an iota.

We saw with much regret that Your Excellency's troops had occupied a portion of the territory of Chiefs with whom we had a treaty promising our protection from attack. We were further distressed on seeing that your troops had advanced still further into our Protectorate and had occupied Wadi Tam, in contravention of the terms of your letter to me, but I am very glad to see that as soon as this advance had been brought to your notice, Your Excellency issued orders to stop it and that the evacuation of our Protectorate has commenced. We thank Your Excellency for this mark of your desire to come to an amicable agreement with the British Government, and are satisfied that except in this matter of the military occupation of portions of our Protectorate there are no points of difference between the Government of Your Excellency and the British Government.

We assure Your Excellency that the British Government seeks no territorial aggrandisement in the Yemen and has consistently refused to grant any countenance to such misguided individuals living beyond our Protectorate as have appealed to us for assistance against Your Excellency.

We would be glad to see the Arabs united, as we are satisfied that it is only in this manner will be

attained

attained that peace and good order which is necessary for all advancement. The Koran says:— Do not dispute amongst yourselves lest you would lose your power and be faint-hearted. Peace and good order are the spirit of happy life and the precursor of advancement and flourishing and these are not unknown to you. And if we are requested by all parties we will be glad to offer our services in meeting any difficulties between the Arabs that may arise but it is the policy of His Britannic Majesty's Government to avoid being drawn into the quarrels of the Arab rulers who we desire should ~~will~~ settle their ^{own} affairs for themselves. His Majesty's Government can only offer friendly advice to all parties as it is their desire to be on good terms with all.

As regards our Protectorate, I assure Your Excellency that we entertain no aggressive designs against your Government. We have no desire to alter the system which existed before the war by which the tribes were allowed to manage their own affairs without any interference from us, but we consider ourselves bound to render assistance to those tribes with whom we have treaties guaranteeing them protection.

We have nothing to gain from these treaties, but I am sure Your Excellency who is the head of an honourable family and Government will understand our sentiments that as an honourable nation we must abide by our word to all even though they be weaker than ourselves.

As Your Excellency's letter was addressed to me I have done myself the honour to reply to it but I have no doubt Your Excellency would like to address any further communication to the ~~now~~ now Resident at Aden, Major-General Scott, who has taken the place of Major-General Stewart.

sd. G.C.J. Barrett, Major
1st Assistant Resident, Aden.

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أمير المؤمنين، المتوكل على الله، رب العالمين

الإمام يحيى حميد الدين

حضرة ذي الأوصال الميستر مادور بيرت معاون والي عدن الأول، وفقنا الله وإياه بيد الإعزاز والاحترام تناولنا تحريركم الرسمي المؤرخ ١٢ نيسان ٩٢١ تحت العدد السري (٢١٨) الممضي من طرف أصالتكم وتأملناه بنظر الإنصاف، فوجدناه مملوءاً بالعبارات الأنيقة الدالة على وسعة اقتداركم الفكري في الاطلاع على مزايا الصلاح والإصلاح والسكون وأن تبادل المنافع بصورة ودية متقابلة بين البلدان هو الأساس الذي تبنى عليه سلامة الأمم، وقد عرفتم من ماضي محراتنا ما تنطوي عليه إحساساتنا وأميلنا نحو الحكومة المعظمة البريطانية. وإننا نؤثر أن تكون صداقتنا معها متينة لا تغيرها زوابع الحوادث فضلاً عما سواها من الحوادث الجزوية والموهومة، فلذلك كان منا اعتبار ما تضمنه تحريركم المشار إليه من الإفادات دليلاً وفألاً على وضوح طريقة الإنصاف، ولما كان الاستعداد منا لبناء الصداقة على أحكم أساس هو السبيل الذي نرجحه على ما سواه. كنا قد حررنا ما أشرتم إليه من الجواب على حضرة الوالي الجديد وأعلمناه على صورة الإجمال بحقيقة ما جريات المخابرة بيننا وبين الوالي السابق، واعتمدنا على قيامكم بمهمة إيضاح ماضي المخبرات تفصيلاً، فوصل إلينا من أمير الجيش التعزي أنه وصل إليه من حضوركم كتابة دالة على ارتفاع موانع ربط الصداقة بين إمامتنا وبين الحكومة المعظمة البريطانية، فرأينا كتابكم هذا إلى الأمير المشار إليه يشف عن نظر إنصافي جدير بالإقبال إليه، وتزايدت لدينا الرغبة في تحقيق الأمان المرغوبة وفي التقريب من مساحة إدراكها بالمباشرة في مداولة الأفكار والمراجعة في المواد التي يكون بها حفظ حقوق الطرفين ورعاية شرف مقام إمامتنا وزوال سوء

التفاهم مع علمنا بما عليه الحكومةُ المعظمةُ من محبة العرب، والرغبة في صلاح
أحوالهم، وعدم طمعها في توسيع مملكتها الواسعة، وصدق ما تشيعه الحكومةُ
في هذا السبيل، فبادرنا بأعزام القاضي الأجل عبدالله بن أحمد العرشي مندوباً
من طرفنا ومأذوناً بتقديم جوابنا على حضرة الوالي الجديد وإجراء المخابرة في
كل ما يلزم مداولة النظر فيه، ونؤمل أن يصادف هذا البدارُ الواقع منا، والدالةُ
على رغبتنا في إحكام الصداقة مع الدولة الفخيمة البريتانية، نظر الاستحسان
والرغبة المقابلة. فإننا نعتقدُ مهما كان الحال كذلك أن تُسفر النتيجةُ المرغوبةُ
بسهولة، وأن تزول جميع الصعوبات المتوهمّة.

ونرجوكم أن تقبلوا منا الثناء على حسن احساسكم نحو هذا الجنب،
واتصافكم بالدراية التامة المشتملة على مزايا الإنصاف، ونتمنى أن تكونوا
مثالاً حسناً لرجال السياسة في تقريب مسافة حل المواد التي تعرض من
الجانبيين على طريقة الإنصاف المقبول.

وقد استحسنّا إهداء رأسين من الخيل النجاب مع شيء من القهوة
والزبيب واللوز لحضرة الوالي، وتفضلوا بقبول اليسير من القهوة والزبيب
واللوز.

ونسأل الله لنا ولكم التوفيق

وحرر في ١٣ شهر رمضان ١٣٣٩



حقيق في الاموال البتر ما يورثه من معاوني في هذا الاول وقتنا الله واياهم
والاخر انما نزلنا تحريك الرسل في الارض ١٢ نيسان شمع تحت لعمه الذي (٢١٨٦) المنع من طسوف الصالحين والماناه
نظر الانصاف في حوزته ما زاد بالعبارة الاثنية الله على وسعة افق اركم الفكري في الاطلاع على انما الاصل
الاصل في السلوك وان تبادلا المنافع بصورة ودية متعاقبة بين البلدان هو الاستس الذي تبين عليه سلامة
الانتم وقدرتهم من ماضي عراشنا مشطوع ليد اسسنا واسيا لنا نحو الحكومة العظمى البريطانية وانا نقر ان تكون
مذاقنا معرا يتقنه لاثنتها نرايع الوداد فتبادلا عساها من الحولت الحزنية والرهومة فذلك كان منا اعتبد
ما تضمنه تحريك المنا واليه من الافادات وليا وقال على وضيع طريقة الانصاف ولما كان الاستعانة منا
ببناء الصلة على الحكم اساس هو السبل الذي نرجو على اسواه كنا قد عرنا ما نرسم اليه من الارب على عرق الارب كجده
والعلماء في صومر البجبال بحقيقة ما جرات القارة بيننا وبين اللجج السابق فاجتهدنا على قيامكم بهتم ايضا
بماضي القارات فقصيلا فوصل اليان امير الجيز الشهير انه وصل اليه من حضوركم كنية دالة على ارتضاع موانع
من طالع الصلة بين امانتنا وبين الحكومة العظمى البريطانية فليدنا كتم هذا الى التبريد الى الرديف عن
فلك انصاف في جدير الاقبال اليهم وترايت لدينا الرغبة في تحقيق الدما في الزر وفي التقريب بين ساحة دولهما
بالباشرة في عدولة الاذكار الرجعة في الزاد التي ياكل بها هذه حقوق الاثنية من ثمانية سنين فاما انما
ونزال سؤ القاهم مع ثمان باعلية الحكومة العظمى من جهة العيب والفساد في مصالح احوالهم وقد طمعوا في
توسيع مملكتنا الواسعة وصفتها شريعة الكرم في هذا السبل فبادرنا باعزام القاض الامم للجنة
بن احوال العري من دوا من حضرة فنادونا بفتحهم جونا على مفتحة التالى الجدية واجراء القارة في كل ما يلزم
عدولة التفسيرية ونرسل انصاف هذا البدر الدافع منا والدال على ريقنا في احكام الصلقة مع الدولة العظمى
البريطانية فذلك التمسك والفرقة القابلة فاننا نعتقد انها كان الحال كذلك ان تسعة للجنة البريطانية مسبوكة
وان نرسل جميع الصعوبات المتروكة ونرجو ان تقبلوا منا الشاء على حسن الحسابكم بخزنة الجباب
وانصافكم بالدرية التامة التملة على نزا الانصاف ونتمنى ان تكونوا منا لادستنا لثال السباب في
التعريب مسافة حل الداء التي تعرض من امانتكم على طرية الانصاف المعقول وقد اختصنا اهدا راسين
من الخيل النجاة مع شيخ العترة والطبيب والذين كلفوا اللجج وبفضلوا بقبول البشير العترة والطبيب
والذين ولسا الله لنا فكم التوفيق طر في شهر رمضان ١٢٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم
ختم: أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين
الإمام يحيى بن حميد الدين

إلى جانب والي عدن العالي الميجر جنرال اسكوت، وفقنا الله وإياه، بهذه
الكرة ورد لنا جواب رسمي من حضرة الميستر مادور بيرت، المعاين الأول في
مقام ولايتكم العالي مؤرخ ١٢ نيسان ٩٢١ وعليه رقم سري ٢١٨، وعند
وصوله ومطالعته استلزم حصول الاطمئنان، وما ذكر فيه أنه قد كان تعيين
جنايبكم العالي لولاية عدن خلفاً لحضرة استوارت الوالي السابق، وأنا نتمنى
بخلوص وسلامة أن يكون لحضرتكم في هذه المأمورية العلية الموفقيات
الخيرية، وأن تكون ذاتكم مظهراً مخصصاً لتقدير واستجلاب حلول الأمن
والراحة في الوضعية وسلامة اليمن، والمأمول بذلك تحقيق الاستفادة لجانب
فخامة دولتكم المعظمة. وقد عددناه من لوازم تقديم التبريكات لذات
ولايتكم العلية وكانت جرت مخبرات ومعاملات عمومية مع اليمن بزمان ولاية
سلفكم الجنرال استيورات، وبذلنا حين ذلك المجهود ومزيداً الاهتمام، فلم
تصادف حسن التفاهم بدرجة أملنا، ومرتبة اهتمامنا، فإنه لا يوافق مسلكنا
إسناد ذلكم إلى حضرة المشار إليه ولكننا الآن نرجح تأميل حلول وقت تيسير
حصول هذه الكيفية الخيرية بزمان ولايتكم العلية، ولا تشتبه في أنكم لا
تضنون بحصر جزء من أوقات ساعاتكم الثمينة وتعيينه لإمرار النظر العالي
على ما في خزانة مقام ولايتكم من أوراق المخبرات المهمة الجارية منذ سنتين
مع مقام الولاية العالي، ومن مطالعتها بما يليق من الدقة المخصوصة
لدرائتكم، يظهر لكم ما فيها من التصريحات بما لنا من حسن النية في كافة
مراجعاتنا المحقة المعتدلة التي لم نر في شيء منها أثر مقابلة تقديرية وتلطيفية
وتطلعون على أن إمامتنا كلما تقربت بكمال الصداقة في الوضعية نحو دولتكم

المفخمة العظيمة، لم تجذ وجه حسن إجابة، ويتضح لكم غاية الوضوح أن ذلكم كان لغير سبب جدي ولا موجب حقيقي ومعلوم أنكم إذا طالعتم أوراق المخابرة المحفوظة المذكورة لا ترون لزوماً ولا احتياجاً لطلب مزيد الإيضاح منا ولا تكريره، وأنه مع ما لنا من كمال الثبات والافتحام في الإخلاص أو التقرب بما نراجع فيه ونطلبه كان من حضرة سلفكم في مدة السنتين الجارية فيها المخابرة بتشويق بعض القبائل علينا وتسليحهم. وقد وصلت إلينا أوراق عليها إمضاؤه المعروف، مبرهنة على صدور ذلك منه، وإن أمانتنا حتى في حضور هذه التصادفات، الغير مقبولة والمصادمات الأليمة لم تزل ثابتة القدم في ملك المسألة، وهي كذلك على الدوام، وفي الحال ساعة ومنتظرة حسن الأتلاف، والأمل من جانب ولا يتكم العالي وشعائر إنصافكم حسن تقدير رتبة لياقتنا ومزية، فإن حسن التأليف والتفريق في مقابلتنا وستجلب في هذا الباب بكل انتظار آثار الفعلية الباهرة من نظر عدالتكم ودقتكم، أما من لهم الحماية القديمة من جانب الحكومة البريطانية الفخيمة، فإذا لم يكن شوقهم لمعادتنا ومخاصمتنا، فهم لا يجدون منا غير الحرمة والمحبة في كل الأوقات، وستكون لهم منا الاستفادات ونرجو أن لا يكون لديكم مقدار ذرة من الاشتباه في هذا ومع كل هذا فإننا ننتظر من حضرتكم التفضل والاعتراف بعدم وجود محل في ميزان العدالة للتنقيد علينا إذ لم يكن منا حتى في زمن التجاوز والتعدي علينا وعلى وطننا غير مجرد اتخاذ التدابير الطبيعية بالمجبرية اللازمة لحقوقنا المشروعة، وسلامة وطننا، وبذلك نصير مشغوفين بما نراه من وجوه العدل العالية من طرفكم.

وبناء عليه، فلا حاجة للتطويل والشرح الزائد عند وجود وسعة اقتدار فكركم العالي، ونكتفي بحسن نيتنا بما أشارت إليه التحريرات العلية سالفه الذكر الواردة من مقامكم العالي بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٢١ ورقم ٢١٨ من قيد تقدمات منا وماهيتها الطبيعية وتدقيق وتأمل مجبورياتها المقتضية، ولا حاجة

أيضاً لتكرير وإعادة تمني رفع الآمال والسوابق المجبرة لنا التي أحدثت قبل الآن، وربط السندات الائتلافية المقتضية لمنع تكرار وقوعها، ويكون ذلكم بفعالية جديّة، فهذا تزول كل الأسباب الباعثة للتقدمات من جهتنا للاحتياط والمحافظة بإيجاب الضرورة ويتيسر لنا التوقف بصورة حية خالصة طبيعية. وإننا نؤمن ذاتكم العلية أن نتمنى بكل إخلاص حصول وتقرر الصداقة الصميمية بيننا من كل الوجوه والأطراف في الشكل القوي المتين.

وكذلك مما فتحه زمن سلفكم العالي مع الأسف ليجعله منتهياً إلى عدم امنيتنا وإلى اضرارنا من الوقوعات والفعليات المؤثرة فيما أدركناه من طرف المواردات الغير مفيدة ما استحدثه من مسائل تهامة وحواليها، فإنها في الحال موازنتها والاستقبال إذا اقتضى موازنتها بالتدقيق ستصير الدولة الانكليزية عظيمة الشأن بالقوة مبتلاة بخسران سياسي مثلنا. وإن إمامتنا تتمنى بكمال الأحقية والاعتدال أن يكون في كمال عزمكم وجهدكم وإبراز ثباتكم الكفاية والكفالة بعدم ترك محل يقال فيه مشكلة اليمن وإنكلترا.

والحصول على الخير والحسنات حالاً واستقبلاً لأمنية الطرفين في كافة الأوامر والخصوصات لاستجلاب حصول الائتلاف والسلامة.

وبناء على أهمية هذه الأحوال المبسوطة واستناداً إلى مقصد السلم والتحاب المندرج والمعلن في متن وتحريرات مقام ولايتكم العالي المرقمة برقم ٢١٨ سالف الذكر، ولقصد حل المسائل العمومية المذبذبة بدائرة تمنياتنا الخالصة، وبما هو أوفق واسلم وانفع للطرفين قواماً وسياًقاً ولتسهيل فصلها قد بعثنا القاضي الفخري عبدالله بن أحمد العرشي إلى حضور سمو ولايتكم مأموراً من طرفنا، وتفضلوا باعتماد المومى إليه وأتموا معه ما يلزم عقده وإجراؤه من الخصوصات كما هو غاية مطلوبنا من هممكم العلية، وتقديم عميق إحساسات احتراماتنا ونعرض صميم تمنيات مخلصيتنا، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق في البداية والنهاية.

تحريراً في ١٣ رمضان ١٣٣٩

حسنة يروى بها لياقتنا ومزينة فله حسن التاليف والتدقيق في مقابلتنا ونسجل هذا الباب بكل انتقار آثار الغلبة الباهتة من ظلمكم وقتكم أن من لهم اليد القوية من جانب الطامع البريانية النعمية فإذا لم يكن تنويعهم لمعاداة وحي صحتنا لم نجد من غير الحسنة والخسنة في كل الأوقات وسنكون لهم من الاستغاثات ورحيل الأياكة لكم مقدار رزق من الاستغاث في هذا... وسيعمل هذا فنانا ننتصر من حقكم الفضل بالأعزاف لعدم وجود عمل في ميزان العدالة المتعدي علينا اذ لم يكن منا حق في زمن النجاة والمقارعة علينا وعلى وطننا عز محمد واتخاذ التدابير الطبيعية المحبوبة الأربعة لموطننا المستقيمة وعلامته وطننا وبذلك لم يغير شغوبنا بما نراه من وجوه العدل العالمية من ظلمكم وبناء على ذلك فلا حاجة للتفصيل والتشريح الزائد عند وجود وسعة اقتداركم العالي وكنتي عيسى بنينا على اشارت اليه التحريات العلمية سالمة الذل والارادة من بقاكم العالي بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٢١م ورقم ٢١٨ من بريد قريتنا وماهيتها الطبيعية وتدريب وتأمل غير رايها المتعقبة والاحاجة اذ في الفكر باعادة تأني ربح الاموال والارايين الميزة لنا التي احشيت الى الآن وربط السندان الاشتراكي للمقننية لمصلحة تكملة وقدرنا وكرهه فلكم نبعنا اليه حبة من غيرنا تروى كل الاسباب الباعنة للتعديات من جهتنا للاجانب والمالاطة بايضا البضرم ويتيسر لنا التوقف بصورته جيئة خالصة طبيعية وانا نؤمن بانكم العلمية الانتمش بكل الخادمات حصول وتزويد الصداقة الصميمية بيننا من كل الجور والالطاف في الشكل القديما المثلين... وكذلك مماغرة من سلككم العالي مع الاوصاف لجعل منة ثيا الى عدم امنيتنا بالامر انما من الرقومات والتعليقات المؤثرة فيما ادركناه من طرق المواررات الغير مفيدة ما آخذته من مسائل تهامه ومولها نانا نراعي الحال لا مستقبل اذا اقتضى الحال ما ننتسب بالارتفاق تسوية الدولة الانكليزية علمية الشان بالثوة مبتلاة بخبر ان سلكي قلنا... والله اما استناتة من كمال الاممية والادعة الى ان يكون في حال سلككم وصحيتكم وادبار ثيا فكم الكفاية والكنالة لعدم ترك مجال ثيا لية مسئلة... البن... والنكلا... والموسم الى التزم بالحسنة سالما مستقبلا لالامنية الامميين في كافة الاوامر والمضمرات للاحتجاب

حصول الاتفاق والصلح...
وبناء على أهمية هذه الاموال الميسورة واستنادا الى مقصود السلم والتحابيل للندرج والمعلن في من تحريرا مقام ولا يتكلم العالي المرحمة برقم ٢١٨) سالنه الذكر لمقصود المسائل العوسيلة المذبذبة بلثرة قنيات الثالثة وبها ووفق سلكم وانفع للذين قواما وسياتا وانجيل فصلها تدبشنا الناضية الفخر من عبد العزيز العوشي الى حضوره ووليتكم مأمورا من طرفنا فانتموا باعنا والذين اليه فاعلى معهما يلزم عقده بالاجراء من الخصومات كما هو غايته مللنا من كلكم العلمية ولقد تم عبقا امس استاهاماتنا ويزمن صميم غنياتنا فالحقنا وانسا لالامر لاكم التوفيق في البداية والنهاية تحريرا في ١٣ ربيع الثاني ١٣٤١

سري رقم: ٢٩
مقيمة عدن
٣٠ حزيران ١٩٢١ م
ختم: ٢٠٥
٣٥٠٤٦

مِن: القائد العام، T. E. Scott. C. B., C. I. E., D. So.,

المقيم السياسي، عدن

إلى: سعادة وزير الخارجية لشئون المستعمرات، لندن

سيدي:

لي الشرف أن أشير إلى تلغرافي رقم 1. C.O., بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٢١ م والتي ننقل فيها خبر وصول مبعوث الإمام القاضي عبدالله العرشي إلى عدن.

وقد أحضر هذا المبعوث معه رسالتين، إحداها إلى، والأخرى إلى الميجر باريت، معاوي الأول، وذلك رداً على رسالة رقم ٢١٨. C. التي أرسلها الميجر باريت له طبقاً للقرار الذي تم التوصل إليه في مؤتمر القاهرة حول شئون الشرق الأوسط.

والقاضي العرشي، هو نفسه المبعوث الذي أرسل الإمام من قبل إلى عدن في عام ١٩١٧ م، للتفاوض بشأن الوصول إلى معاهدة، والقاضي العرشي ليس مخولاً بالصلاحيات الكاملة، ولكنه يقول: إن لديه السلطة لمناقشة مسائل مع السلطات في عدن ويحمل معه أية مقترحات ليوافق عليها الإمام بخصوص معاهدة صداقة بين الحكومتين، ويضيف بأنه مخول بتوقيع المعاهدة بعد موافقة الإمام عليها.

وقد كُتِبَتْ رسالةُ الإمام على طريقته الودية المعتادة وتمثِّل خطوةً متقدمةً على رسائله السابقة التي تسلمناها منه ويُبدى ميلاً لاحترام مقولة إن عدن محميةٌ، وهو ما يتضح في كلماته، فيما يخص أولئك المعنَّين بحماية حكومة بريطانيا العظمى من القدم. نرجو إدراك عبارة «أنه إذا لم تشجعهم الحكومة على أن يكونوا ودودين وغير معادين اتجاهنا، فإنهم لن يجدوا دوماً إلا الاحترام والمحبة» كما سيلقوا كل نفع منا».

ورغم أن الإمام أبدى ميلاً للالتقاء معنا سياسياً في محمية عدن، فإن رسالته لا تتضمن أيَّ تغيير في موقفه المعادي للإدريسي، والذي يقول «بأننا نرسل له صداراتٍ غير مجدية، أسلحة وذخائر.

ولقد أبدى القاضي خلال المحادثات عداءً لا هوادة فيه تجاه الإدريسي، والتي لا تتناقض مع الرسالة المبعوثية من الإمام إلى الإدريسي، والتي ردَّ عليها الإدريسي بمثلها والواصله إليه بواسطة القائد فضل الدين، وأرففها لمعلوماتكم. هذه الرسائل إذا قرأناها بتبصر، تدلُّ على أن الإمام ليس في طريقه للمساومة مع خصمه، ويبدو، وما يزال على استعدادٍ ليعيد إشهار الدين ضدنا.

ويبدو أن الإمام يعتقد بأن القائد العام (الميجر سير ستوارت) المقيم السابق يعمل بوحى من مشاعر العداء ضده، بينما هذا هو الموقف الطبيعي من الإمام (الراغب في الحصول على كل شيء وعدم التنازل عن أي شيء)، مما يجعل صعباً الدخول معه في علاقات ودية:

وقد زار الأمير فيصل عدن في ١٥ حزيران، وأجرى لقاءً مع القاضي العرشي، وكتب على أثرها رسالةً وديةً إلى الإمام، ورسالةً أخرى إلى محمود نديم بك، الوالي السابق، ناصحاً إياه بمغادرة اليمن، وأرفق معلوماتكم الترجمة

الانجليزية لهذه الرسائل، والتي قد تُرجمت في مكنتي:
إنَّ المحادثات مع القاضي العرشي مستمرة، وأملِي أن أزدكم بالمزيد من
الاتصالات حول هذا الموضوع في مراسلتي القادمة، وفي نفس الوقت أرفق
لمعلوماتكم الترجمات الانجليزية كنسخ الرسائل التالية:

- ١: رسالة الميجر باريت رقم ٢١٨ إلى الإمام
- ٢: رسالة الإمام لي وردّه على الميجر باريت
- ٣: رسالة من الإمام إلى الإدريسيّ وردّ الإدريسيّ
- ٤: رسائل من الأمير فيصل إلى الإمام ومحمود نديم بك
- ٥: تفسيرات القاضي العرشي للنقاط المثيرة للشكل في رسالة الإمام

وملاحظات عليها،
لي الشرف أن أكون سيدي
خادمكم المطيع
القائد العام اسكوت
المقيم السياسي، عدن

See also
No. 2.9

ADEN RESIDENCY,

30th June 1921.

From,

Major-General T. R. Seath, C.B., C.I.C., D.S.O.,
Political Resident, Aden.

To,

Vin Rejuntyn's Secretary of State for the Colonies,
London.

Sir,

I have the honour to invite a reference to my telegram No. C.O.10 of 13th June 1921 reporting the arrival in Aden of the Imam's emissary the Qadhi Abdullah al Aramhi.

This emissary brought with him two letters one to my address and one to the address of Major Barrett my First Assistant, in reply to a letter No. C.218 which Major Barrett wrote to him in accordance with the decision reached at the Cairo Conference on Middle East affairs.

The Qadhi al Aramhi, who is the same emissary sent by the Imam to Aden in 1917 to negotiate a treaty, is not a plenipotentiary but states that he has power to discuss matters with the Aden authorities and to submit for the approval of the Imam any proposals for a Treaty of Friendship between the two Governments. He also states that he is empowered to sign the treaty after approval by the Imam.

The Imam's letter is written in his usual friendly style and in considerable advance on previous communications received from him in that he now shows an inclination to respect the Aden Protectorate as is shown in the words—

"Regarding those who are entitled to the protection of the Great British Government from of old, please understand that if Government will not encourage them to be inimically and hostilely disposed towards us, they will get from us at all times nothing but respect and affection

and

and they will also receive benefits from us."

628

Although the Imam shows an inclination to meet us in the Aden Protectorate, his letter shows no abatement in his hostility to the Idrisi to whom he states we have been sending "useless exports" i.e. arms and ammunition.

The Qadhi in conversation showed uncompromising hostility to the Idrisi which is not borne out by the copy of a letter from the Imam to the Idrisi, and the Idrisi's reply thereto, received from Captain Fazluddin, which I enclose for your information. These letters, if genuine, show that the Imam is not an avenger to coming to a compromise with his rival, as he pretends to be and is still ready to pull the religious string against us.

The Imam appears to consider that Major General Sir James Stewart, the late Resident, was actuated by feelings of hostility to him, whereas it was of course the Imam's own attitude of acquiring everything and giving nothing that rendered it so difficult to enter into friendly relations with him.

The Amir Faizul visited Aden on 16th June and accorded an interview to the Qadhi al Arwabi and thereafter wrote a friendly letter to the Imam and also a letter to Mahmud Hadhim Bey, ex-Wali, advising him to leave the Yemen. I enclose, for your information, English translations of these letters made in my office.

Conversations with the Qadhi al Arwabi are proceeding and I hope to make you a further communication on this subject by the next mail. In the meantime I enclose, for your information, English translations and copies of the following letters:

1. Major Barrett's C.218 to the Imam
2. The Imam's letter to me and his reply to Major Barrett
3. Letter from the Imam to the Idrisi and the Idrisi's reply.
4. Letters from the Amir Faizul to the Imam and Mahmud

Hadhim

Anglo-Yemeni negotiations for a treaty, 1921-1924

3.

Madhim Bey.

5. The Qadhi al Arashi's explanation of doubtful points in the Imam's letter and my remarks thereon.

I have the honour to be,

Sir,

Your most obedient servant,

Tr. Saleh Major-General,
Additional Resident, Aden.

ويروي مخطوطنا خبر وصول جيكوب في سنة ١٣٤٢هـ / ٢٨ أكتوبر ١٩٢٣م إلى مقام الإمام في صنعاء، ومعه آخر، عرفه عبد الكريم بن أحمد مطهر «بأن ملامحه تدل على أنه من أمراء جنودهم، ولكن أشارت إليه الوثائق البريطانية بأنه الميجر سبيرز»^(١) Major Spiers في مهمة تجارية كما زعم جيكوب، وذلك بعد تقاعده من عمله كمعاون أول للمقيم السياسي، عدن. ومع أن الوثائق البريطانية التزمت تجاهل مهمة جيكوب، فإن مؤلفنا عبد الكريم بن أحمد مطهر قد اسهب في حديثه عن المهمة التي جاء جيكوب ورفيقه من أجلها. حيث كان جيكوب قد أُحيل على التقاعد، فبعث بعده كتب إلى الإمام يطلب السماح له بزيارة صنعاء ومقابلة الإمام للبحث في أمور تجارية بحتة تتصل بتنفيذ مشروع تمديد سكك حديدية في اليمن واستخراج المعادن من قبل شركة انجليزية أطلقت على نفسها اسم الشركة الزيدية، وحين وصلا وأقاما تحت رقابة صارمة فرضت عليهما، اشتغلا لمدة أربعة أيام في نصب نماذج لسكك حديدية تسير عليها قطارات وقد كتب على القطارات عبارة «الشركة الزيدية».

وكان للإمام يحيى معهما لقاءات كانت محصلتها النهائية «أن الخوض في هذا الأمر متوقف على حصول معاهدة بين دولة الإمام وبين حكومة الإنجليز، ولم يتم ذلك حتى الآن، ومن المعلوم أن الدخول في هذه الأمور والنظر في المقبول منها والمفروض يتوقف على إبرام المعاهدة، وإلا كان ذلك داعياً للنزاع»^(٢).

وحين التّم مجلس الإمام في المقام، أعاد على أسماع المجتمعين ما قام به

(1) Records of Yemen, Vol. 6. P. 698

وفيه أنه وصل Major spiars، في ١٢ أكتوبر وأنه وصل غادر إلى صنعاء عن طريق المخا في ٢٨ أكتوبر ١٩٢٤.

(٢) كتيبة الحكمة، ٣٠١.

الساسة البريطانيون في بداية سيطرتهم على الهند، حيث شكّلوا شركة سمّوها «الشركة الهندية»، تعاطت أعمال التجارة في الهند، ثم ما زالت أعمالها تتسع حتى استعان بها ملوك الهند في حروبهم مع بعضهم البعض، والشركة قامت بتشكيل فرق عسكرية أطلقت على بعضها الفرقة الجعفرية إرضاءً للشيعة وعلى الفرقة الأخرى «الفرقة العمرية» إرضاءً للسنة، وقدمت الأموال والسلاح والذخائر للفرقتين ودعمت الحروب بين ملوك الهند، حتى إذا حانت الفرصة أعلنت الشركة بيع أملاكها ومصالحها إلى الحكومة البريطانية التي أسرعَت إلى الاستيلاء على نحو سبعين مملكة في البلاد الهندية. ما بين مسلمة ووثنية، وصارت كلها تحت حمايتها وأضاف ملك إنجلترا إلى لقبه أيضاً ملك الهند، فلا بُدَّ من الحيلة والحذر من ألاعيب الانجليز، لا سيما وأن جيكونب هذا موصوف بالدهاء والمكر والخديعة^(١).

وما يجدرُ ذكره هنا، بأن جيكونب، المعاون الأول للمقيم السياسي في عدن، ومنذ سنة ١٩١٨ كان يحوم حول الإمام بدافع من مصالح بلده وسعيًا لتحقيق طموحه الشخصي فحين نجح فلبى نأم على أكاليل الغار، أما لورنس فوجد نفسه خارج الحلبة في الحجاز. وأمّا جيكونب فلا يزال يبحث عن المجد الشخصي.

لقد تناولت المصادر المعاصرة قصة احتجاز بعثة جيكونب إلى الأمام في باجل من قبل قبائل القحري الشافعية^(٢)، حيث غادر عدن في ١٤ أغسطس (١) كتيبة الحكمة، ٣٠٢.

(٢) وردت أخبار بعثة جيكونب في: ملوك شبه الجزيرة العربية لجيكونب نفسه، ٢٦١ - ٣٠، ملوك العرب لأمين الريحاني، ١/ ٢٠٢، مذكرات سفير، ٧٩، وكانت تفاصيل البعثة موضع عناية السلطات البريطانية ورجال المخابرات وأعوان رجال المخابرات من العرب وغيرهم في الصفحات (٤٤٨ - ٤٥٢)، ٤٥٦ - ٤٥٩، وكتب هو نفسه تقريراً في ١٦ فبراير ١٩١٩ من المجلد السادس من وثائق (سجلات اليمن)؛ انظر

Sixth News Letter

(آب)، ١٩١٩ ووصل إلى الحديدية يوم ١٦ أغسطس وتحرك يوم ٢١ أغسطس (آب) من الحديدية إلى باجل وهناك احتجزته قبيلة القُحري، وتولى شيوخ القُحري، أبوهادي، ويحيى على مزربه وإسماعيل بغاوي ومحمد زيد وأحمد حزام المحادثات مع مندوبين الإمام والحكومة البريطانية، شارك فيها السيد عبد القادر الأهدل بالرغم من تحليق الطائرات البريطانية فوق باجل لإرهابهم، وكانت مطالبهم وفقاً للوثائق البريطانية:

- تأكيدات من بريطانيا بمنحهم الاستقلال، وعدم تركهم لقوات الإمام لإخضاعهم وإلحاقهم بدولته، أو الإدريسي.

- التعويض عليهم لقاء الخسائر التي لحقت بهم بسبب مهاجمة بلادهم في باجل ومصالحهم في الحديدية بالطائرات والمدافع، ودفع تعويضات (ديات) لورثة الذين قتلوا بسبب هجماتهم.

ولم يواصل جيكوب رحلته إلى صنعاء، وإنما سمح لأفراد البعثة بالعودة إلى عدن في ١٢ ديسمبر ١٩١٩م ومنذ ذلك الحين وهو يحاول لقاء الإمام ولعله اتخذ من التجارة هذه المرة ساتراً لمهمته الأصلية.

ويتذكر جيكوب كيف رفض شيوخ القُحري عرضَه بتقديم (٥٠) ألفاً من الجنيهات الاسترلينية كفدية، وكان جواب المشايخ «نحن لا نريد شيئاً من نقودكم القدرة وأموالكم المحرمة We Want none of your Fifth Lucre».

وبالرغم من محاولة جيكوب التجارية هذه المرة، فإنه عادَ خالي الوفاض من صنعاء، لتبدأ مرحلة جديدة من صراع الإمام يحيى مع الانكليز، وهو ما يكون موضع عناية في المؤلفات التي صُنفت بعد كتابنا هذا «كتيبة الحكمة» وإنما المخابرات مستمرة لما يمكن فيه الوفاق بين الانجليز والإمام، ولم تصل المراجعة إلى درجة الختام والنهائية.

الباب السابع المؤرخ والمخطوط

الفصل الأول: المؤرخ

المبحث الأول: سيرة حياة المؤرخ

المبحث الثاني: منهجه في الكتابة التاريخية

الفصل الثاني: المخطوط

المبحث الأول: أهمية المخطوط بين المصنفات في سيرة الإمام يحيى

المبحث الثاني: وصف المخطوط



الباب السابع المؤرخ والمخطوط

الفصل الأول:

المبحث الأول: سيرة حياة المؤرخ:

هو عبدُ الكريم بنُ أحمد بن عبد الله مطهر الصنعاني، ولدَ بمدينة صنعاء سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م كما وردَ عندَ زبارة^(١)، أو في إِب أو العُدَيْن كما ذكره الأكو^(٢)، والأرجحُ ما أشارَ إليه زبارة، فإنَّ تفحصَ سيرِ شيوخه الذين درسَ عليهم ينتهي بنا إلى أنَّ النشأةَ الأولى لمؤرخنا كانت في صنعاء، اللهمَّ إلا إذا كانَ والدُه وأسرته يومَ ولادته في إِب أو العُدَيْن، وهو ما لم يتوصلَ إليه الباحثون في سيرة المؤرخ حتى الآن. درسَ علومَ العربية والفقه والأصول والتفسير والحديث والفروع، وأجاد النحو والبيان والمعاني. وكان شاعراً بليغاً، وعُرف من شيوخه:

العلامةُ الحسين بنُ علي العمري حيث درسَ عليه سننَ النسائي وصحيحَ مُسلم والأدبَ المفردَ للبخاري، ومن الفقه، درسَ عليه البحرَ الزخار والروضَ النضير، والعلامةُ علي بنُ حسين المغربي، المحققُ في الفروع والحديث والنحو،

(١) نزهة النظر، ٣٥٨.

(٢) عالم وأمير، ٢٢٦.

وكان يوصف بأنه علامةُ عصره، ولازمَ التدريسَ في جامعِ صنعاء، والعلامةُ إسماعيلُ بنُ علي الرِّيمي، الذي كانَ بارِعاً في الفروع، والعلامةُ محمدُ بنُ قاسم الظفري، الذي تصدرُ للوعظِ والإرشادِ والخطابةِ والتدريسِ بجامعِ الرُّوضَةِ، وقد سمعَ عليه دروسَه في النحوِ والبيانِ والفروعِ والمعاني والحديث، وحينَ انتهى من دراستِهِ لكتابِ «تيسيرِ المطالبِ في السيدِ أبي طالب» سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م على شيخه محمد بن قاسم الظفري، قال يمتدحُ الكتابَ المذكورَ شعراً:

أُشراقُ بدرٍ في دياجي الغياهِبِ أزالَ من الظُّلُماءِ ضُخْمَ الكُتائبِ
وقد أوردَ صاحبُ نزهِةِ النظرِ، طلبَ مؤرِّخنا الإجازةَ من شيخه العلامةِ حسين بن علي العمري، فكتبَ إليه:

أناذي يراعي وهو في الطَّرسِ راعٍ يحزُّ ما تصغي إليه المسامعُ
بعثتُ القوافي تستجيزُ إجازةً سواكَ لها لا يُرتجى ويُراجعُ
أجزلي يا مولايَ وامننْ تفضُّلاً عليّ فلي من فضلك اليومَ شافعُ
وما شئتُه شرطاً عليّ قبولُهُ أدينُ بهِ أني لأمرِكَ طائعُ^(١)

وقرأ مؤرخنا كتبَ السَّنةِ على عدَّةٍ من العلماءِ أيضاً. حتى إذا بلغَ درجةً عاليةً من إتقانه فنونَ اللِّغةِ وآدابها، ووُصِفَ شعرُه بالجزالةِ، وصاقبَ الذرَّةَ العليا من طبقاتِ البلاغةِ، وفدَّ عليه طلبَةُ العلمِ، فأخذ عنه أحمدُ بنُ أحمد السياغي، الفقيهُ الذي استُشهدَ في معركةِ تنومة سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، والقاضي عبدُ اللهِ بنُ محمد بن محسن السرحي، حيث درسَ عليه في الإيساغوجي (المدخل إلى علم المنطق)، وشرح ابن عقيل في النحو^(٢). هذا

(١) نزهة النظر، ٣٥٩.

(٢) نزهة النظر، ٣٩٤.

إضافة لإجادته اللغة التركية. وقد وهب قدرة إبداعية في الإنشاء والشعر علاوة على حسن الخط وجماله، مما أهله ليتولّى الوظائف في العهد العثماني، فشغل مناصب قضائية وإدارية، منها: الكتابة في مجلس التدقيقات للأحكام الحنفية بصنعاء، وعُيّن سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١١م كاتباً ثانياً في محكمة الاستئناف الشرعية بصنعاء، ولما كان راتبه في الوظيفة الجديدة أقلّ منه في مجلس التدقيقات فقد رفضها.

وبعد استقرار الإمام يحيى في صنعاء، سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م، انتقل للعمل في المقام الإمامي بتركية من صهره عبدالله بن حسين العمري ومعه أخواه محمد وحسين، وترقى حتى أصبح رئيس الكتاب، يكتب الرسائل والبلاغات وأوامر التعيين، ويُعتبر من أعلم رجال المقام في ذلك العصر.

ويورد كتاب الدرر المنتقا خبر شكوى مؤرخنا للإمام يحيى، لما خرج عبد الكريم بن أحمد مطهر من صنعاء إلى شبام في سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م لشراء الحب لأهله، فتعرّض له العساكر، ورُمي بأنه يحمل الطعام إلى الأتراك، وألحقوا به بعض الأذى، فكتب إلى الإمام شكايته وجاء فيها:

شكوى إليك أمير المؤمنين لما	تلقاني ^(١) بالأمس بعد العصر من عار
قد كان ما كان فيما لا أطيع له	وصفاً لموقع تخويفي وإذعار
فالبعض منا ترى عينه قد هملت	حزناً وأخراً في تقلب أفكار
فانظر إلينا أمير المؤمنين فقد	أوهى القوى حادث لم يجر في دار
وامنن علينا بتنفيس لكربتنا	أولاك كل المرام الخالق الباري

ثم خاطبه بعبارات بليغة وسرد شكواه وما لاقاه من العساكر ومن الجدير بالذكر أن مؤرخنا كان من أعضاء اللجنة التي وفدت على

(١) الدرة المنتقا، ٧٢-٧٣، وفي البيت الأول خلل عروضي.

محمد بن علي الإدريسي في ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٢م للبحث فيما يكون به الصلح وحقن الدماء وتسكين الدهماء وإراحة الناس، وقد ترأس الوفد الوالي العثماني محمود نديم بك وضم القاسم بن حسين العزي، ناظر الأوقاف الداخلية، وحسين كامل، رئيس التدقيقات، والسيد محمد بن عبد الرحمن الأهمل، من علماء ثمامة والسيد عبد القادر بن محمد الأهمل، وفشلت اللجنة في مسعاها ولم تقابل الإدريسي، لما كان قد أمضاه مع الطليان والإنجليز من تحالف واتفاق^(١). وفي مرحلة لاحقة كلفه الإمام يحيى باصدار جريدة الإيمان التي كانت أول صحيفة لدولة الإمام، وتنشر أخبار الدولة، والبلاغات الرسمية والتعيينات^(٢).

كما كلفه الإمام سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م برئاسة اللجنة للتحقيق مع محمد ابن قاسم أبو طالب ومحمد محمود الزبيري في قضية جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث ضمت في هيئتها، زيد بن علي الديلمي، والأمير علي ابن عبدالله بن أحمد الوزير وعبدالله بن أحمد الوزير وعامل صنعاء حسين بن عبد القادر والقاضي لطف بن محمد الزبيري^(٣).

ويتضح من وثائق الإمام يحيى التي كانت تُحفظ في المقام، استمرار مؤرخنا في وظيفته كرئيس للكتاب حتى ما بعد ٩ صفر سنة ١٣٥٧هـ / ١١ أبريل ١٩٣٨م، فالوثيقة المرسلة إلى سيف الإسلام الحسين بن الإمام يحيى حميد الدين وهو في طريقه إلى اليابان لحضور حفل افتتاح الجامع هناك بدعوة من الجمعية الإسلامية بطوكيو وقبول بالغ من الحكومة والأمبراطور الياباني، كانت بخط عبد الكريم بن أحمد بن عبدالله مطهر. وفي الوثيقة تبرع من الإمام يحيى

(١) نزهة النظر، ٤٧٨.

(٢) تحفة الاخوان، ٨٨، هجر العلم، ٤٤٠.

(٣) حياة الأمير، ٣٨٩.

بمبلغ ١٣٠٠ جنيهًا لمنكوبي فلسطين، تُسلَّم للحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين المقيم في لبنان و٢٥٠ جنيهًا إعانة لمنكوبي الفيضانات حوالي دمشق^(١).

وتوفي مؤرِّخنا في صفر سنة ١٣٦٦هـ / يناير ١٩٤٧م، بعد مرافقة للإمام يحيى جاوزت الثلاثين عاماً، وخلف من الأولاد الذكور القاضي عبد الغني والقاضي محمد وهما من أهل المعرفة والثقافة^(٢).

المبحث الثاني: منهجه في الكتابة التاريخية

من خلال نظرنا في كتاب «كتيبة الحكمة» وتحليلنا للروايات الواردة فيه، فإننا نسجِّل الملاحظات التالية:

- أوضح مؤرِّخنا سبب إقدامه على تصنيف «كتيبة الحكمة»، وهو «انتدابه للقيام بهذا الواجب بعد الإيعاز والإلزام ممن طاعته فرض لازب» فالكتاب قد كُلف به باعتباره أحد كتَّاب المقام الإمامي، وأنه يشعرُ بالعجز والقصور عن الإحاطة بكلِّ مجريات الأحداث، لأنَّ عصرَ الإمام يحيى قد امتلأ بوقائع الجهاد لإعلاء شوكة الدين، فكانه «مُكره أخاك لا بطل»، وهذه مقدِّمة اعتاد المؤرخون الرسميون على إبرازها في كتاباتهم حتى لا يقع الواحد منهم تحت طائلة الخطأ أو النسيان، وهي اعتذار عن التفسير الذاتي للحدث إن تخالف أو تضارب مع رؤية ذوي السلطان في بيانه.

- وبالرغم من ذلك، فإنَّ مؤرِّخنا يرى في التاريخ ديوان العبر ومطمح أنظار ذوي الفكر، ومسرحاً للتجارب العديدة، وآلةً لتثقيف العقول بمعرفة الآراء السديدة، فالعظة في الأخبار، «كفى بالله مرشداً فيما يقص من الأخبار»،

(١) هجر العلم، ١٧٥٨.

(٢) نزهة النظر، ٣٦٠، تحفة الإخوان، ٨٨، هجر العلم، ٤٤٠.

وعليه يرى مؤرّخنا أن حوادث التاريخ عبّرٌ وعِظَاتٌ، وهي نظريةٌ قديمةٌ إن صدقت على القصص كإحدى وسائل التربية، فإنّها لا توافُق فلسفة التاريخ المستندة على دراسة الماضي وإحيائه لخدمة المستقبل، فالتاريخ في مثل هذه الحالة الأخيرة يزوّد الباحث بالقدرة على تحليل واقع المجتمع، وإدراك العوامل المؤثرة في صنع الحدث واستمراريتها من عَدَمِهِ، وبالتالي فهم المجتمع ودراية مشاكله والقوى الفاعلة في صياغة تاريخه.

- ويرى مؤرّخنا أنّ تدوين سيرة الإمام يحيى، «كتيبة الحكمة»، ما كان إلا اقتداءً بما سُجِّلَ من أخبار آل البيت النبوي فيما سلف، لا سيّما وأنّ أحداث عصر الإمام يحيى فيها ما يربو على أحداث عصور الأئمة السالفين في العصر الحديث، لأنّها نظمت شتات المسلمين وتجددت وتعمّرت معالم الدين، والمؤرخ هنا يودّ التنبيه إلى مآثرة الاستقلال التي تحقّقت في عصر الإمام يحيى، والعودة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدل القوانين الوضعية التي كان يجري العمل بها وفق لوائح وقوانين «مجلة الأحكام العدلية»^(١).

- أورد مؤرّخنا العديد من الآيات والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة والأمثال والأشعار الكثيرة، ومع أنّ المؤرخ كان يرغب في ترسيخ قوة الحدث عند القارئ، ويدعمُ مقولته بالبراهين القطعية المستندة إلى الدين، فإنّها تدل على سعة وإطلاع وثقافة المؤرخ، ولاغرو، إذ اعتُبر مؤرّخنا من أعلم رجال عصره آنذاك.

- يبدو واضحاً من منهاج مؤرّخنا في الكتابة اطلاعه على التغيرات والتطورات الواقعة في العالم، وفهمه لما يجري من أطماع عند القوى المتنافسة على اقتسام العالم الإسلامي، ومن الإثارة بمكان ما أوردته حول الانجليز وفلسطين وبيت المقدس، إذ قال «وجعلوا فيها يهودياً من يهود الإنجليز

(١) كتيبة الحكمة، ١.

(ويقصدُ المندوبَ الساميَّ هربرت صموئيل)، ووعدوا اليهود بالوطن القومي، ومعنى الوطن القومي كما فهمه مؤرخنا «أن يعتبروا فلسطين وطناً قومياً لليهود، ومعنى هذا: أنه متى اجتمع اليهود من أقطار الأرض إلى تلك البلاد، وأكثر ممن فيها من المسلمين والمسيحيين، أمكنَ لهم أن يقيموا فيها دولةً يهوديةً، وأوحوا إلى اليهود أن يؤلفوا لهم جمعياتٍ لدعوة اليهود من أقطار الأرض إلى سكنى فلسطين» ويضيف «وقد ظهرت آثارُ هذه الدعوة في يهود اليمن، فكثيرٌ منهم قصدوا بيت المقدس بعيالاتهم خلاف العادة، والمسلمون والمسيحيون هناك لا يزالون يحتجون على الإنجليز، ولم يظفروا من الإنجليز بالاعتراف بأنهم قد أبطلوا اعتبارَ فلسطين وطناً قومياً لليهود»^(١).

ونقفُ عندَ عبارة، «وطن قومي لليهود في فلسطين» و«أمكنَ لهم أن يقيموا دولةً يهوديةً». و«أكثر من المسلمين والمسيحيين» و«المسلمون والمسيحيون لا يزالون يحتجون» ففهمه بقيام دولة يهودية في فلسطين، ثم عدُّ الفصل بين المسلمين والمسيحيين من أهل البلاد، في فلسطين، واستغرابه لاقتصار مقاومة المسلمين والمسيحيين في فلسطين للوطن القومي بالاحتجاجات دون الجهاد، هو فهمٌ يتقدّم على إدراك القيادات والزعامات الفلسطينية آنذاك، والكثير من القيادات الإسلامية وبعض الأفراد مثل أحمد لطفي السيد وطه حسين حينذاك، وهذا ينبيءُ بدرجة الوعي السياسي والتاريخي الذي كان يحوزه مؤرخنا، ومثلُ هذا ينسحبُ على وعيه لدوافع الحرب بين تركيا واليونان، ونتائج معاهدة سيفر التي سترتبُ عليها تمزيقُ الامبراطورية العثمانية كما يفسره مؤرخنا^(٢)، وفهمه للتحالفات العربية في الجزيرة العربية والوطن العربي مع القوى الفرنجية، «بأنها مؤقتة، وما صنعت تلك التحالفات، وما قدّمت

(١) كتيبة الحكمة، ١١١.

(٢) كتيبة الحكمة، ٦١.

الأموال والإمدادات للزعامات العربية المتحالفة مع القوى الأوروبية إلا من أجل مصالح القوى الأوروبية، وما الزعامات العربية إلا مطية لرغبات الأوروبيين الكفار»، وظهر وعيه المتميز في إدراكه لأحداث تلك الحقبة من التاريخ العربي والإسلامي^(١).

- لقد خرج مؤلفنا عن نمطٍ ومنهاج المؤرخين اليمينيين في العصور المتأخرة، والذي يوصفُ منهجهم في الكتابة التاريخية بأنه «محلي»، إذ نادراً ما يتناول المؤرخون قبل مؤرخنا الأحداث التي تتجاوز البحر والمحيط، أما مؤرخنا فقد أَرَّخَ للأحداث في الهند وإستانبول والعراق وسوريا وفلسطين والأردن والحجاز وروما وفرنسا ولندن وأثينا.

وهذا يخبرُ بنوعية الوعي التاريخي الذي يحكمُ كتابته التاريخية، وإدراكه بأنَّ الحدث التاريخي له نتائجُ التي تنعكسُ آثارها على العالم في مجالاته المختلفة. فمؤرخنا يرى الحدث في إطاره الشامل والممتد وليس «المحلي والمحدود»، وعليه، يصنّفُ مؤرخنا كواحدٍ من بين المؤرخين العالميين، المهتمين بتاريخ الإنسانية.

- وأضاف مؤرخنا إلى شخصيته كمشتغلٍ بتدوين التاريخ تسجيل الانجازات الحضارية الجديدة في ميادين العلوم والفنون، فأرَّخَ للأسلحة والمدافع والسيارات والدبابات المدرعة والطائرات، وكيفية سير وعمل البوابير البرية (السكة الحديد). وأرَّخَ لمصانع الذخيرة والتلغراف السلكي، والتلغراف اللاسلكي، وكان دقيقاً في تعبيره عن التلغراف السلكي بأنَّ عَرَّبَهُ إلى «البرقي». واللاسلكي وعَرَّبَهُ إلى «طار الهواء». وكان يفسّر الاصطلاحات التركية المتعلقة

(١) انظر، كتيبة الحكمة الصفحات، ١٠٩، ١١١، ١٦٤، ١٩١، ٢٩٠.

بالأسلحة مثل أردو: جيش، وطوبجي ومعناه: طوب مدفع وجي وهي أداة نسبة، ومعناها الكلي «المدفعي» ثم يصفُ آلات ومكائن عمل المعامل وإصلاح المدافع وصناعة قُلل المدفع. وتتصفُ مشاهداته العلمية بالدقة. ولذا، يمكن أن يُدرج مؤرخنا من هذه الناحية بين مؤرخي تاريخ العلوم والتكنولوجيا.

- كانت المصادر التي اعتمد عليها مؤرخنا، مصادر أولية، إذ أن عمله كرئيس كتاب المقام، أتاح له فرصة الاطلاع المباشر، ورصد الأحداث من مظانها الأولى، ومعرفة أسبابها ونتائجها، ولأنه الكاتب المنشئ الأول في المقام، كان على بصيرة من الإجراءات والتعليمات والأوامر والخطط والرسائل والكتب الأصلية التي تعلقت بالخبر، وبالتالي التحقق من سير وقوعه ونتائجه. ويبدو أن مؤرخنا كان دائم الاستقصاء لثبت الرواية فيورد: «قال حاكم العر»^(١) و«حكى غير واحد من الواصلين من عدن» و«أبلغني» و«قال»^(٢).

أو يعتمد على مصادر موثوقة كانوا شهود عيان، فقد أثبت روايات الحجاج اليمنيين عادوا من موسم الحج، وأبلغوا عما شاهدوه أو سمعوه في الحجاز»^(٣).

ويعتقد محقق كتاب «زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء» أن مؤرخنا قد اعتمد على كتاب «زورق الحلوى» اعتماداً رئيسياً، ودل على ذلك أن الإمام يحيى قد علّق على الكتاب المذكور بتعليقات مفيدة، وأن الإمام يحيى قد زود مؤرخنا بكتاب زورق الحلوى مع إضافات جديدة باعتباره مركز الأخبار

(١) كتيبة الحكمة، ٩٥.

(٢) كتيبة الحكمة، ٣٣.

(٣) كتيبة الحكمة، ١٢.

الواردة من مختلف النواحي والفئات^(١). ومع أننا لا نستبعد ذلك، ونراه ممكناً، فإنَّ عَرْضنا لكتاب مؤرِّخنا على روايات زورق الحلوى، وجدنا اتفاقاً في بعض الروايات، وتناولاً لبعضها بصورة أكثر تفصيلاً، وكثيراً منها انفرد بها مؤرِّخنا، مما يجعلنا نُقرُّ بأنَّ اعتمادَه على كتاب زورق الحلوى كان محدوداً^(٢).

- والمسألة الأكثر أهميةً، وتستحقُّ النظرَ الدقيقَ من البحثِ المتأنِّي هي في تقديرِ مدى التزامِ مؤرِّخنا بالحيادِ والنزاهةِ والأمانةِ في تناوله لسيرة الإمام الشخصية، وفي تأريخه للأحداثِ بشقيها: الأحداثِ اليمنية، وتلك التي اتصلتْ بأخبارِ الصراعِ والعلاقاتِ مع القوى العربية (الإدريسي، ابن سعود، الشريف حسين)، والقوى الأجنبية بريطانيا بالدرجة الأولى، وإيطاليا بالدرجة الثانية. وقبل الإجابة على السؤالِ بهوى أو انحياز، فإننا نعودُ إلى ما وردَ في «كتيبة الحكمة» حولَ هذه المسألة، وكأني بالمؤرخِ كان مدركاً لما يمكنُ أن يُثارَ حولَ نزاهته وعدالته في كتابه، فيروي عبدُ الكريم بنُ أحمد مطهر «والتاريخُ خيرُ كفيلٍ بسردِ أخبارِ العصورِ على شريطةِ الأمانة»، «إنَّما المرءُ حديثٌ بعده إذا انقضتِ المدة»^(٣)، ويقولُ في موضعٍ آخر «والتدوينُ لا يكونُ إلا بنصبِ هذه الموازين، إلا إذا خُلِّصَ من أدرانِ الاختراعِ وثبتَ على أساسِ البرهان»^(٤)، ولإظهارِ تقصيره في تقديمِ الحدثِ بأصحِّ صورةٍ يقول «ولم يكنْ في وسعي وصفُ حُثَاثةِ ذلكِ المعملِ وأعماله وإنما أثبتُّ هنا ما قدرْتُ عليه، وانتصبَ بفكري حالَ تحريرِ هذه السطور».

ونخلصُ من كلِّ ما سبقَ إلى أنَّ «الأمانة» كانت هي المقصدَ والهدفَ، فإنَّها شهادته أمامَ الله أولاً وأخيراً، والتزودُ والاختراعُ والابتداعُ ليست من أصولِ

(١) زورق الحلوى، ٤٧١.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٤٨.

(٣) كتيبة الحكمة، ٢.

(٤) كتيبة الحكمة، نفس الصفحة.

التدوين التاريخي، فقد جعل، ونصب للتدوين «ميزاناً» معياره «الأمانة والصدق» و«فساده في الاختراع والابتداع» والرأي لا يكون موثقاً إلا إذا قام على أساس البرهان، فلا يقبل بالتدليس والتزوير» ونحن نرى أن مؤرخنا ما كانت تُطلَب منه الحيادية فهو يكتب سيرة إمامه، ولا أقول ولي نعمته، فإن الإمام يرى السخاء في وضع أموال بيت المال في مكانها ولا تُصرف إلا في مستحقها، والتبذير ما كان صرفه في غير موضعه. ومؤرخنا يرى في الإمام صانع ناموس الدولة الإسلامية اليمنية، ولولا وجود الإمام لكان نصيب اليمن مثل نصيب سائر الأقطار التي تسلطت عليها واحتلتها القوى الأجنبية، حين احتلت إنجلترا: مصر، والأردن وفلسطين والعراق. وفرنسا احتلت سوريا ومزقتها إلى سبع حكومات، وبلاد المغرب تونس، والجزائر، والدولة العلية تمزقت والروس يحتلون بخارى، وطرابلس يحتلها الايطاليون، والهند يحتلها الانجليز، حتى اليونان احتلت وفصلت أجزاء من الدولة العلية العثمانية، والجزيرة العربية متشاحنة متنافرة بسبب دفع الانجليز لزعامتها للقتال. وأجزاء من اليمن، «عدن والمحميات» تنن تحت النير الانجليزي. فلم لا ينحاز إلى الإمام، ويرى فيه المنقذ من سطوة الطامعين. فالحياد في مثل هذه الحالة يظل غير ذي بال. وحين يؤرّخ للأحداث المحلية وخاصة ثورات وتمردات القبائل ومحاولات الانفصال من قبل لواء تعز أو تهامة أو غيرها في الحديدة واللحية والمحميات وعدن، فإنه كان في بؤرة تجميع الأخبار، ويدري بالمسارب والاتصالات التي كانت تجري والعلاقات التي تُبرم في الخفاء، وعليه فقد كان أميناً في تاريخه لوجهة النظر الرسمية إزاء ذلك. ولعلي في موضع، وبعد اطلاعي ودراستي وترجمتي لمجلدات من الوثائق البريطانية المنشورة في ثانيا هذا البحث أقول إن مؤرخنا كان أميناً في طرحه لأسباب تلك الثورات والتمردات.

- وأما الجانب الفني من الكتابة التاريخية، فالأسلوب كان سلساً بسيطاً، ولكنه افتقد إلى التبويب المنظم، وقد وقع الاختلال في منهجية الكتابة، فترأه

يؤرِّخ بالحواليات، المستندة إلى اليوم والشهر والسنة، ثم لا يلبث أن يُسهب في التاريخ العام، فلا الأحداث كانت حولية التزاماً ولا عامة عرضاً. فالحديث عند مؤرِّخنا ذو شجون. فيذكر «وقد سبق لنا الإمام في أثناء حوادث السنة الأولى، ذكر بعض الحوادث الواقعة في بعض الأقاليم، بمناسبة اقتضت ذلك، والحديث ذو شجون، فرأيت إتماماً للفائدة أن أذكر ما خطر على البال عند تحرير هذا المقال».

فهو يؤرِّخ ويذكر بعض الأحداث في بعض المناسبات، ثم يطلب الفائدة بما خطر على البال^(١)، وفي مرة أخرى يذكر «وقد فات على جامع هذه السطور أن يذكر ما رُفِع إلى مولانا الإمام عند وصول.. الخ وكان الظفر حال تحرير هذه القصيدة للأخ محمد بن أحمد المطهر^(٢)» والرواية تفيده أنه قد كتب مسودة لكتابة ثم حرَّرها، وفاته شيء ثم استدركه. وكان مؤرِّخنا ينييه إلى انتهاء الفصل الذي يحزره، وذلك بانتهائه من تدوين أحداث تلك السنة، فيورد، قلت: «وقد تمَّ بما سردناه من الوقائع العظام بيان ما حصل في خلال هذا العام^(٣)» وفي تالية ذكر: «بتمام هذا وقف جواد القلم مستريحاً من بيان حوادث هذه السنة والماضية بمعظم ما حصل فيها من الوقائع والحروب^(٤)». وفي مرة ثالثة «ههنا ما قدرت عليه وانتصب بفكري حال تحرير هذه السطور^(٥)». فالكتاب يعوزه التنسيق والانتظام، وقد يقع مؤرِّخنا في السهو، ويدرج حدثاً في غير مكانه، فيستدرك، ومثله حين قال: «وأدرجت وفاة اسحق بن عبدالله المجاهد ههنا في أحداث ١٣٣٩ هـ للسهو عن ادراج ذلك في حوادث السنة الماضية^(٦)». ومع ما في هذه المنهجية الفنية من ارتباك وتشويش، فإنها تدعم أمانته في الكتابة التاريخية.

(٢) نفس المصدر، ١٩٢.

(١) كتيبة الحكمة، ١٠٧.

(٤) المصدر السابق، ٢٨٣.

(٣) المصدر السابق، ١٠٠-١٠١.

(٦) المصدر السابق، ١٤٦.

(٥) المصدر السابق، ٢٨.

سيما وأنَّ مؤرِّخنا سجَّلَ على صفحةٍ عنوانَ كتابه «جمعُ الفقيرِ إلى عفوِّ باريه وغفرانه، أحقرِ خدامه، عبدِ الكريمِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الله مطهر، سترَ اللهُ عيوبه ومحا ذنوبه، وملاً مِنْ زلالِ العفوِّ ذنوبه». فهو جامعٌ كما وصفَ نفسه، ولم يدَّعِ التصنيفَ أو التأليفَ أو الإبداع.

- وملاحظةٌ ختاميةٌ حولَ منهجيةِ مؤرِّخنا وكتابه التاريخيَّة، فإنَّ شخصيَّته في الكتابةِ التاريخيَّة كانت واضحةً، يُبدي رأيه في الحدِّثِ بصراحةٍ في بعض الأحيان^(١)، أو يكتفي بتأييدِ الحدِّثِ بعبارَةِ «والعياذُ بالله» أو استنكاره له وعدمِ رضاه عن الحدِّثِ بعبارَةِ «لا قوَّةَ إلا بالله»^(٢). ثم هو يطلبُ العذرَ من وقفَ منه على عشرةٍ أو زلَّةٍ^(٣).

وبالإجمال، فإنَّ مؤرِّخنا كان أديباً بليغاً، ذا ثقافةٍ دينيَّةٍ وسياسيَّةٍ وإداريَّةٍ وقضائيَّةٍ واسعةٍ. صاحبَ نظرةٍ شموليَّةٍ للتاريخ وكتابه، ذا نزعةٍ إنسانيَّةٍ عالميَّةٍ. أميناً في تناوله للأحداثِ، منحازاً بأسبابِ موضوعيَّةٍ إلى من يكتبُ سيرته، وسيرتُ أثرًا في تدوينه لفترةِ بناءِ الدولةِ اليمنيَّةِ الحديثةِ عندَ الباحثين والدارسين المنصفين. ولكن، ما أهميَّةُ كتابه «كتيبة الحكمة» في مدوناتِ تاريخِ اليمنِ الحديث؟، هذا ما سندرسُه لاحقاً.

(١) انظر الصفحات، ٩٥، ١٠٩، ١٩١، ٢٣٢ من المخطوط.

(٢) انظر الصفحات، ١٤، ١١١ من المخطوط.

(٣) المخطوط، ٤.

الفصل الثاني

المخطوط

المبحث الأول: أهمية المخطوط بين المصنّفات في سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

اقتنت المكتبات العربية والأجنبية عدّة مصنّفات تناولت سيرة الإمام يحيى ابن محمد حميد الدين، اهتمت كل واحدة منها بتاريخ حقبة زمنية من سيرة الإمام، ويبدو لي أنّ الإمام نفسه كان يرغب إلى تدوين الأحداث لتُحفظ في سجلّ الزمن وحتى لا يضيع أو ينسى ذكرها مع توالي العصور، فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ الطباعة والصحافة قد عُرفت في فترة متأخرة من عصر الإمام يحيى وأنّ الأساليب الحديثة في حفظ الملفات وتنظيم الأرشيف كانت في بدايتها، أدركنا معها سبب حرص الإمام يحيى على تدوين أحداث عصره، ثمّ إنّ كتابة السير هو منهج وتقليد قد أخذ به الأئمة وحافظوا عليه، اقتداءً بكتابة وتدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وسير الخلفاء والصحابة والتابعين، والأئمة منذ تدوين سيرة الإمام الهادي وغيره من الأئمة حتى عصر الإمام يحيى.

وقد كان منّا البحث في فهارس المكتبات العربية والأجنبية بحثاً عن مصنّفات سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وذلك من أجل مقابلة روايات مخطوطنا كتيبة الحكمة على مخطوطات السير الأخرى، وقد نجحنا في الوصول إلى عددٍ منها، وما زلنا نُجدُّ البحث في المكتبات الأسرية الخاصة علنا

نظفّر ببعض المخطوطات التي لا تزال حبيسة تلك المكتبات الخاصة. ومن السّير التي ظفّرنا بها والمحفوظة في المكتبات العربية والأجنبية نذكر:

١- الدرّة (الدرر) المتّقاة في سيرة الإمام المتوكّل على الله وخصاله المرتضاة، لأحمد بن عبد الله الجنداري ت ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م. شيخ الإمام. ومُرافقه لسنوات، وقد أشرتُ إليه عند بحث، شیوخ الإمام یحیی بن محمد حمید الدین، حيثُ دوّن سيرة الإمام یحیی منذ ولادته ونشأته وشیوخه، والمهام التي تولّاها في عهد والده الإمام المنصور بالله، وأوردَ العديد من أشعاره ونثره وترسّله ثم البيعة ودعوة المعارض الحسن بن یحیی القاسمي الضحیاني، والحروب التي وقعت بين قوات الإمام یحیی والأترک، ثم الأزمات بين الإمام یحیی والداعي الضحیاني. وكانت السيرة مفصلة ودقيقة في تتبّعها للأحداث. ولكنها توقفت عند أحداث سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م، حيثُ جاء في أحداث ٢٣ رجب ١٣٢٤هـ، «رجوع حوالي ثلاثماية من الرديف المفسوحين، ثم قصيدة لأحمد بن صالح الجلال. وأهمية سيرة «الدرّة المتّقاة» في أن كاتبها كان شاهداً على الأحداث، ومشاركاً فيها، فيوردُ عبارة مثل «وأنا في الجميع حاضر».

كما تزخّر السيرة بالوثائق والرسائل التي كانت تردّ على مقام الإمام سواء في قفلة عذر أو شهارة، ويقوم الجنداري بتسجيلها في كتابه، وقد تفرّدت السيرة بالعديد من المراسلات التي لم تُذكر في غيرها، سواء بين قادة الإمام الذين يخوضون المعارك أو الرسائل السياسية المتبادلة بين الإمام یحیی والمأمورين الذين يخوضون المعارك أو الرسائل السياسية المتبادلة بين الإمام یحیی والمأمورين الأترک في اليمن، أو مع السلطان العثماني عبد الحميد مباشرة أو مع الفرنجة كإيطاليا مثلاً.

لقد كان التفصيل والتدقيق واضحين في الدرّة المتّقاة، فإنّ أحداث سنة ١٣٢٣هـ احتلت الأوراق من ١٢-١٥٧. وقد وقعت السيرة في ١٩٢ ورقة

حجم ورقتها من القطع الكبير. وإن أضفنا إلى ذلك حسن الخط الذي كتبت به وزخرفة العناوين وأرقام الحوادث بالمداد الملون، وحجب الصفحات بشكل جميل، مع ما يعرف به أحمد بن عبد الله الجنداري من عدالة ونزاهة - ثمناً أهمية هذه السيرة، التي تؤرخ للإمام يحيى بن محمد حميد الدين وعصره من سنة ١٢٨٦هـ وحتى ٢٣ رجب سنة ١٣٢٤هـ. وقد حصلنا على نسخة منها.

٢- تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني، لما التفت أمير المؤمنين المتوكل على الله لعنانه ثاني، مستعيناً بمن أنزل السبع المثاني، بتاريخه شهر شوال ١٣٢٥هـ. وفي فهارس المكتبات التي أطلعت عليها ورد على عنوان نسخة منه «لم يُعَلِّم مؤلفه»، وعلى عنوان النسخة الثانية لمؤلفه محمد بن سعد الشرقي ت ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، وحين أعملنا النقد على النسختين، وحللنا الروايات والأخبار، والتي سنشرها عند عنايتنا بهذه المخطوطة، انتهينا إلى أن المؤلف هو سعد بن محمد بن عبد الله الشرقي ت ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م، وأن التقييد ليس إلا أحد فصول الكتاب الأصلي الذي غني بسيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وعنوانه «قلائد النحور في سيرة إمامنا المتوكل على الله يحيى ابن الإمام المنصور»، وقد نقل عنه زبارة في كتابه «أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر، سيرة الإمام يحيى»، ونقل عنه أيضاً يحيى بن علي بن ناجي الحداد ت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م في كتابه «عمدة القاري».

تناول مخطوط «تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني»، الوقائع والحروب التي خاضتها القوات الإمامية ضد الأتراك خلال السنوات ١٣٢٢هـ، وحتى سنة ١٣٣٣هـ، وقد تفرّد بإيراد حوادث وأخبار محلية وخارجية، كان فيها المؤلف شاهداً عياناً لم ترّد عند غيره، لا سيما وأنه كان أحد أعضاء الوفد الذي انتدبه الإمام يحيى هو وعبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن الإمام ومحمد بن أحمد الشامي وبمعيّتهم ستة من الرجال للسفر إلى طرف السلطان عبد الحميد في

محرم سنة ١٣٢٦هـ. والتباحث مع المسؤولين الأتراك والسلطان عبد الحميد بشأن قضية اليمن.

ويشير مؤلف الكتاب إلى اشتغاله بجمع سيرة الإمام يحيى قبل سفره إلى استانبول، وأنه أكملها بعد عودته، وكان قد استعفى الإمام من الكتابة لضعف النظر، وحتى من القضاء، لكثرة الحكم بالرأي، وعدم قصر الحكم القضائي على الحكم بالمذهب الشريف (الزيدي)، وتكدر الطبيعة، فقد وهن العظم وضعف البدن وخدمت القرينة ولكنه أمر فأطاع، وقسم الكتاب إلى فصول، لكل جهاد باب ولكل جهة فصل.

الباب الأول: باب الجهاد الأول، كما سبق في فتح صنعاء وخروج فيضي على شهارة

الباب الثاني: في الجهاد الثاني حسبما تقدم تحريره،

الباب الثالث: حسب تفصيله في بابيه ومحله

وهذا الباب الرابع في الجهاد وفصوله

الفصل الأول: في الوقعات الحادثة في حوازات صنعاء وكونها مركز الولاية
الفصل الثاني: في تفصيل الأعمال العدنية.

وتقف المخطوطة عند «قال: بلغ خروج نصراني إلى الادريسي وصل في بابور إلى جازان وعزم، ووصل من محمد يحيى، وزير الادريسي، أنه يريد الإصلاح شأنه سيفعل ويفعل لكن عند ظهور القوة، وأجبنا عليه أن له الإجلال والرياسة والأمان التام، تاريخه محرم الحرام سنة ١٣٣٣، وقال مولانا الإمام، ولا بد من التجهيز على رداغ وقعدة. ثم وقفة كاتب. وهو دقيق ومفصل في تدوينه للأحداث يوماً فيوماً، وأسبوعاً وشهراً وسنة، فيه فيض من الوثائق الرسائل، ووقع في ٢٠٨ أوراق ومسطرته ٢٢-٢٤ سطراً.

وأُطلعتُ على فهرسةٍ لنسخةٍ أخرى من المخطوطة، محفوظة في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، رقمها ٦٣ تاريخ، وقع الخطأ في العنوان والمؤلف، عددُ أوراقها ٢٠٠ ورقة، ومسطرتها ٢١ سطراً، أولها متفق مع النسخة التي بحوزتنا، أمّا خاتمتها فمختلفة، وحين حاولتُ الاطلاع عليها في مكتبة الجامع المذكورِ أبلغني أمينُ المخطوطات محمد بن عبد الرحمن الطير بأنَّ ورثة محمد بن سعد الشرقي استعادوها من المكتبة، لأنها كانت برسوم الإعارة عند الإمام أحمد بن يحيى بن محمد حميد الدين.

وما زلتُ أبحثُ عنها وعن الأمِّ الأصل، «قلائد النحور».

٣- عمدة القارئ في سيرة إمام زماننا، سيف الباري المتوكل على ربِّ العالمين الإمام يحيى بن الإمام المنصور بن سيد المرسلين تأليف القاضي، يحيى ابن علي بن ناجي الحداد، ت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

وقد جاء بأولها فهرسٌ لما تحتويه من سيرة الإمام، النشأة والدراسة والمهام والبيعة وأنجاله والجهاد، حتى صلح دَعان ١٣٢٩هـ / ١٩١١م، والصراع مع الادريسي والقوى الخارجية العربية والفرنجية الأوروبية، وتفصيلُ في الأعلام الذين عملوا مع الإمام يحيى من سادة وعلماء وقضاة وعَمالٍ وكتابٍ وأدباء وشعراء، وتقفُ عندَ سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م حيثُ يردُّ: «ودخلتُ سنة ١٣٤٣، والدخولُ في غايةِ الصلاح، ونورُ الحقِّ في ازديادٍ من الفلاح، والفتوحُ لمولانا الإمام، أيده الله تعالى في ازدياد، وعالمُ النصرِ في سائرِ الآفاقِ قد لاح، والأمطارُ الغزيرةُ في سائرِ البلدانِ والأمصارِ»، ثم بيأضُ قدرَ صفحتين، ثم تبدأ في ص ٤١٣ بترجمة أعلام أرجوزة «سلسلة نسب الإمام المتوكل على الله»، بدءاً من ترجمة سيرة الإمام المنصور بالله» وتقفُ في ص ٤٤٨ بالقول؛ إلا أنَّ علي بن يحيى بن يحيى بن يوسف الأشلِّ كان عاملاً للمنصورِ

بالله، عبدالله بن حمزة على واثلة ودهم، وكان من العلماء المتبحرين في فنون، كما ذكرنا في سيرة المنصور بالله عبدالله بن حمزة، ومحمد بن يوسف الأشلّ وولده يحيى، فكذلك كان من العلماء الأخيار، «وعبارة» انتهى نقلاً من اللآلئ المضيئة وغيرها.

أي أن المخطوطة توقفت عند ترجمة:

ابن التقي محمد عزّ الهدى نجل عليّ كان بحرًا يُقتدى
ابن الرشيد الفذّ نجل أحمد ابن الحسين بن عليّ الأجد

وجاء في المخطوط الكثير من الوثائق والرسائل الهامة والفريدة، ووقعت في ٤٤٨ صفحة ومسطرتها من ٢٢-٢٤ سطرًا من القطع العادي، وقد حصلت على نسخة منها.

٤- العقد الثمين في شمائل مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين، يحيى بن أمير المؤمنين محمد بن يحيى حميد الدين بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن الإمام القاسم، جمعه علي بن أحمد الحجري. وجاءت بأوله فهرس لحصر أسماء العلماء والأدباء والقضاة والشعراء والقادة حتى سنة ١٣٥٩ هـ.

وأوله بعد البسملة والديباجة «... أما بعد، فقد عرفت خيار الصحابة من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان وعلماء الإسلام العارفين على تعاقب الدهور والأزمان فضل أهل البيت النبوي». ثم يذكر فصول الكتاب وقد جاءت في ثمانية فصول هي:

الأول : الطائفة الزيدية

الثاني : في حقيقة الإمامة

الثالث: في وجوب نصب الإمامة

الرابع : المنصب المعتبر في الإمامة

الخامس : في الأدلة في فضل أهل البيت عليهم السلام
السادس: في ذكر مذهب الأئمة الأربعة، أهل المذهب، في اختصاص مذهب
الخلافة في أهل البيت.

السابع: في طريقة ثبوت الإمامة التي بها يصير إماماً.
الثامن: في ذكر الشروط المعتبرة عند الصحابة، رضي الله عنهم والزيدية.

ونهايته جاء فيها بيت من الشعر، حول الشروط المعتبرة، جاء فيه:

وليس يصح في الأذان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ووقعت المخطوطة في عشرين ورقة، ومسطرتها ٢٢ سطراً.

وبعد الورقة (٢١-٣١٣)، جمع فيها المؤلف القصائد الإماميات التي قيلت في
الإمام، آخرها، تهنئة من علي بن أحمد الحجري، قال من قصيدة في سنة ١٣٥٧ هـ.

وهذه القصائد الإماميات له فائدتها في التأريخ للأحداث والمناسبات التي
قيلت فيها. والتأريخ بالشعر مسألة معروفة عند المؤرخين المسلمين.

ومن سير الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، التي ما زلنا ننشدها، ولما يُعثر
عليها حسب ما انتهى إلينا، إما لأنها فقدت أو لكونها ما زالت حبيسة
المكتبات الخاصة. علاوة على قلائد النحور، وتقييد حوادث انشاء تجديد الجهاد
الثاني لسعد بن محمد الشرقي، نذكر:

٥- سيرة الإمام يحيى حميد الدين، التي ألفها أحمد بن أحمد بن محمد المطاع
الهاشمي ت اعداماً سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م، بالاشتراك مع أخيه السيد محمد
ابن أحمد. فقد ذكر صاحب كتاب، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي،
أنها قد أخذت مع ما نُهب من مكتبته في أعقاب ثورة عبد الله بن أحمد الوزير
سنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م، ومعها كتب خطية نفيسة^(١).

(١) مصادر تاريخ اليمن، أيمن فؤاد سيد، ٣١٩، ط المعهد الفرنسي بالقاهرة، ١٩٧٤.

٦- القسم الأخير من سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين تأليف عبد الكريم بن إبراهيم بن حسين الأمير، رئيس تحرير جريدة الإيثار، ساكن جدة الآن^(١).

٧- أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة (سيرة أمير المؤمنين، المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين) من مجاميع محمد بن محمد زبارة، ط المكتبة السلفية ومطبعتها، القاهرة، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، بجزئها، وهي مبذولة للباحثين، وقد اطلعت على الجزء الأول منها.

٨- مملكة الإمام يحيى (رحلة في بلاد العربية السعيدة)، تأليف سلفاتور أبونتي ترجمة طه فوزي عن الإيطالية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.

أما ما ورد في المؤلفات المخطوطة والمطبوعة، كفصل من كتاب أو مخطوط، واهتم بأحداث وأخبار عصره، فكثير منه: ملوك العرب لأمين الريحاني، وملوك جزيرة العرب لهارولد جيكونب، ونشر الثناء الحسن للمروني والوشلي وغيرها للواسعي والجرافي والويسبي والشاحي مما لا يدخل في مجال بحثنا.

وأما أهمية مخطوطنا، كتيبة الحكمة بين المصنفات في سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين. فلا تدرك قبل وصف مخطوطنا.

(١) نزهة النظر، ٣٦٠، هجر العلم ومعاقله، ١٨٦٤.

المبحث الثاني: وصفُ مخطوطةِ كُتَيْبَةِ الحِكمَةِ وأهميتها.

عُثِرَتْ على نسختين من مخطوطينا، بياهما وصفاً:

الأولى: النسخةُ المحفوظةُ في المكتبةِ الغربيةِ بجامعِ صنعاءِ الكبير تحتَ رقمِ
جديد، ٢٦٠٧ تاريخ وتراجم، رقم ١٥٩ قديم.

وجاء على صفحةِ العنوان:

كُتَيْبَةُ الحِكمَةِ من سيرةِ إمامِ الأُمةِ، أميرِ المؤمنين

وسيدِ المسلمين، ودرّةِ تاجِ الأُئمةِ

الهادين مولانا الإمام

المتوكل على الله المعين

أبي أحمدَ يحيى

بن

الإمام المنصور بالله ربِّ العالمين محمد بن يحيى حميد الدين، ضاعفَ الله
أيامَهُ وأدامَ سلطانه وسلامه، جُمعَ الفقيرُ إلى عفوِ باريه وغفرانه أحقرِ خُدامِهِ
عبدِ الكريم بن أحمدَ

بن عبد الله مطهر، سترَ الله عيوبه

ومحى ذنوبه، وملاً من

زلالِ العفوِ

ذنوبه

أمين

وجاء بأولها، بعدَ البسملةِ «الحمدُ لله الذي يسّرَ بمواهبِ العقولِ فتحَ كنوزِ
الاعتبارِ المكنونِ، وأنشَقَّ النفوسَ الزاكيةَ من أَرَجِ النظرِ الصحيحِ نفحاتِ
اليقينِ المصون... الخ

وجاء بأخيرها في حوادث عام ١٣٤٢ هـ «وفيها في شهر محرم الحرام استقدم مولانا الإمام السيد الأمير فخر الدين عبدالله بن أحمد الوزير إلى حضرته الشريفة من دمار، وكان الباعث على ذلك الطلب ما تكرر العرض من الشيخ أحمد قايد الجبري عامل السوادية والسلطان حسين بن أحمد الرصاص بأنه قد أوصل السلطان المذكور الرهينة التي تم الوفاق عليها، وأنه يطلب إنفاذ الجيش لدفع أعدائه عنها، فوصل الأمير الفخري إلى حضرة الإمام»، ثم وقفة كاتب.

كُتِبَ المخطوط بخطٍ نسخيٍّ جميل، بالمداد الأسود، وُضِّحت العناوين بالمداد الأحمر، ووضعت عناوين جانب الصفحات للتنبيه على الأحداث والوقائع، ولتأكيد أهمية الخبر في الصفحة يكتب عبارة قف. والنسخة مضبوطة لغةً وأعراباً إلا في بعض المواضع

الناسخ: المؤلف نفسه، أي أنها بخط المؤلف

عدد الأوراق: ١٥٠ ورقة (٢٩٩ صفحة)

عدد الأسطر: مختلف من ١٧-٢١ سطراً

المقاس: ٢٣,٥ × ١٧,٥

ملاحظات على النسخة: النسخة خزانة، روجعت من قبل المؤلف أولاً ثم من أحد المطلعين عليها، كما يظهر من الصفحة رقم ٢٣٥، إذ جاء على حردِها «انتقل إلى بعد كراسين، إلى الكراسية التي أولها، وهاك نظاماً الخ، وبعد كراسين أرجع قيد الصفحة المقابلة وهو، ومهابط التنزيل الخ إلى نهاية كراسية، وينظر ما بقي بعدهم من بقية حوادث بلاد البيضاء» وهذا يفيدنا بأن النسخة قد رُمِّمت وجُلِّدت أوراقها خطأ، وقد اضطررنا هذا لإعادة ترتيب وترقيم الصفحات بعد ٢٣٥، لتكون صحيحةً وسليمة. وقد جُلِّدت النسخة بغلاف جيد من غير لسان، ولصق عليه ورق سماوي اللون.

وليس على غلاف النسخة تمليكات أو اهداءات، وقد كانت في خزانة

كتب الإمام يحيى، والسنوات التي تناولتها هي سبع سنوات من سنة ١٣٣٦ هـ وحتى ١٣٤٢ هـ. وبسبب دقتها وضبطها ومراجعتها وجمال خطها، فقد اعتبرتها الأم، (الأصل) ورمزت لها بالحرف «ص».

- النسخة الخاصة التي كتبها أحمد بن علي بن أحمد زبارة، الأمين المساعد في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء والمتولي للإشراف على دار الكتب حتى الآن.

وجاء على صفحة العنوان:

كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة، أمير المؤمنين وسيد المسلمين ودرة تاج الأئمة الهادين مولانا الإمام المتوكل على الله المعين أبي أحمد يحيى بن الإمام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى حميد الدين ضاعف الله أيامه وأدام سلطانه وسلامه، جمعة القاضي العلامة عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله مطهر، رضي الله عنه.

جاء في أولها: «... المنصور بالله رب العالمين، ضاعف الله مدته، وعمر بالنصر العزيز سدته، وتمتع الإسلام والمسلمين بأعوامه المسعودة، وأيامه الزاهرة المحمودة.. الخ.

وفي آخرها، في حوادث سنة ١٣٤٢ هـ «... وفي يوم العشرين من الشهر المذكور، رفع الأمير عبد الله الوزير من قرى ناحية السوادية إلى المحطة حول حكومة الناحية المذكورة، وبقي الأمير في دار الحكومة، وطلب آل منصور الملاحم منه الأمان فراراً من الهوان، بعد ترغيبهم للطاعة بكتب منه، فوصلوا إليه ورهنوا، فأطاعوا وتبعهم الشيخ سالم أبو بكر «ثم وقفة كاتب».

كتب المخطوط، بخط نسخي حسن وبالمداد الأسود، ووضحت العناوين والسنوات بخط أكبر حجماً

الناسخ: أحمد بن علي بن أحمد زبارة

تاريخُ النسخ: عام ١٣٦٣ هـ.
عددُ الأوراق: ٧٢ ورقة من القطع الكبير
عددُ الأسطر: مختلف من ٢٨-٣١ سطراً

ملاحظاتُ على النسخة: في النسخة نقصُ في بدايتها يصلُ إلى ورقةٍ وثلاثٍ من أوراقِ النسخة التي بخط المؤلف، وفيها زيادةٌ في آخرها حوالي ورقتين، ولكنها غيرُ كاملة. وقد كتب الناسخُ في الخاتمة.

«انتهيتُ بحمدِ الله من زبر ما وجدتُ من كتيبةِ الحكمة، ثم يضيفُ على عنوانِ الأصل «القاضي عبدُ الكريم بنُ أحمد بن عبد الله مطهر، الكاتبُ الكبيرُ والشاعرُ الشهير، والحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلامُ على سيِّدنا محمد وآله الأكرمين، بركة عام ١٣٦٣، كتبه المفتقرُ إلى عفوِ الله ومغفرته أحمدُ بنُ علي أحمد زبارة.

والنسخة فيها سقطٌ كثيرٌ، لعلَّه من سبقِ نظيرِ الناسخ أو للاختصار، ويصلُ السقطُ فيها - كما سيظهرُ من مقابلتها مع الأصل - لأكثرَ من ثلثِ أوراقِ الأصل، حُذِفَتْ منها الكثيرُ من الحوادثِ والأشعارِ مما أفقدها أهميَّتها، ولولا السعيُّ لجني الفائدةِ مهما كانت مقدارها لاعتبرْتُها ثانويةً، وقد حصلتُ على صورةٍ منها، ورمزتُ لها بالحرفِ س.

وتظهرُ أهميَّةُ مخطوطِ كتيبةِ الحكمة في تأريخها لمرحلةٍ من أهمِّ مراحلِ التاريخِ اليمني الحديث، وهي مرحلةُ بناءِ الدولةِ الحديثة في اليمن، الدولة الإسلامية اليمنية كما اطلق عليها الإمام يحيى في مرحلة الاستقلال بعد إخلاء اليمن من الوجود العثماني، فهي تؤرِّخُ للمؤسسات التي قامت في عهد الإمام يحيى، وترصدُ بتفصيلٍ تطوُّرَ مجرياتِ الأمور بعد توقيع الهدنة بين الدولة العثمانية ودول التحالفِ الفرنجية عقيبَ هزيمة تركيا في الحرب الكونية الأولى، وتذيعُ المخطوطة عدداً من الوثائق والمراسلات بينَ المقامِ الاماميِّ في صنعاء

وقيادة القوات الطامعة في اليمن، سواءً من الزعامات العربية المحلية، أو الأوروبية وخاصة البريطانية.

إن الدقة والتتبع الواسع للأحداث يُعتبرُ ميزةً انفردت بها هذه المخطوطة. وما ذاك إلا لأنَّ جامعها كان على صلة مباشرة بمركزية الدولة. يدري بكلِّ ما يردُّ إلى المقام من مكاتبات في أغلب الأحيان. ولا أعدو الحقيقة إذا ما نبَّهتُ إلى انفرادها بأخبارٍ لم تردِّ في المصادر المعاصرة لها، فكانت مخطوطةً كتبية الحكمة إضافةً جديدةً لما كان معروفًا من تاريخ اليمن الحديث للأحداث من عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م - ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م، وهي مرحلة ما بين الحرب الكونية الأولى والإخلاء العثماني لليمن، وبناء الدولة وتدعيم وحدتها أرضها، وهي كلها قضايا جوهرية ومفصلية في تاريخ الأمم، فاستحقَّت العناية والنشر والدراسة.

فوضلا في لجنة من اللجنة
المسيرة عبد صباغ
الذين هم من التتبع
المسيرة (د) يوم ثلاثة
استقر

كتبه الخليفة منيرة أمان الافند امير المؤمنين وسيد العلماء
 ودين تاج الافند الهادي مولانا الامام انور علي رضا ابن اخامد
 علي من الامام المنصور بالله ربه العالمين محمد بن يحيى سيد الدين
 صاحب الامام وادام سلطانه وسلامه بعد اعاشي العلماء
 محمد الكرخي بن محمد بن عبد الله مطهر

[illegible]

انزل الامام المنصور في سنة ثمان مائة من مدينه السجدة متوجها نحو مدينة
خمس في اواسع اعام ١١٣٣ هـ واستمر هناك وفدت اليه الوفود من قبائل جامد وغيرهم حتى خاضعت
لادبار الامام المنصور

الكرم والوفاء والاحسان وقد كان في انفسنا من صفات الكرم والوفاء والاحسان
 منهم من يريد الظاهر الخلال الطاهر وسيدنا عن ابي عبد الله عليه السلام بعض المساقين من صفاتهم
 من انهم لا يمانعون من ان يكونوا في الدنيا من الفقراء والضعفاء والذليلين والفقراء

مبارك الله الذي لا يذل العباد ولا يخذلهم ولا يتركهم ولا يفرق بينهم ولا يفترقون منه ولا يفترقون عنه ولا يفترقون من غير أن يشاءوا ولا يفترقون من غير أن يشاءوا ولا يفترقون من غير أن يشاءوا

اصحبه احد الدافع فطاره فمات له من اهل بيته ثمانية الامام ارسلوا اخوه واليه حتى غصقت
الوى بخنود الحق ورمى من روى القدر الامام من ثم الى دوقان احد بني جيل عبدال

ويعتد المحسود وهذا شرع الإمام بما دبت من تطاهر بأحوال الطاعة والزم أهل الجمل كافة
منهم ما لا يهون الغرامات وقوضت له الأموال من السلاح له المال فأنقذوا رخصته

ورهبه واليه ايمانهم المعتدين على المساكين فاصحابهم واوصلوا ايضا ما
امرهم من الخبز من افلاذ اكبادهم فوق رءسهم التي كانت تحرق من السوداء

كافة وتقرير احوالها والاعمال المنعقدة من ماله وقدره السلام لغيره من الخلق

١٢ الجبينة شجرة الحور

اشکال

صفحة عنوان المسححة التي بحوزة رباته

٤١٠

روض
 من
 درت به
 خواهر
 و صديق
 مع الوعد
 راز الهی
 فار کر
 میله و دو
 ساعد
 م از کمر
 که جمع ا
 عطا و
 و علا
 من شان
 ۱۳۳
 ایوار
 تم کل
 عهد الی
 بجان

تاريخ و ترجم

ص ٢٦٧

كتبة الحكمة من بين ائمة الائمة المبشرين

وسيد المسلمين و دة نابع الائمة

الحاكم مولانا الامام

المؤكل على الله الميعين

المؤكل على الله الميعين

بن

الامام المنصور بالله العالمين محمد بن جعفر الدين ضاعف الائمة

وادام سلطانة وسلامه جميع القوم في القوم

و غفرانه امير خدامه عبد الكريم بن محمد

بن عبد الله مطهر سنة اربع مائة

ومحى ذنوبه وملائه

نور العيون

ذو القعدة

ابن

صفحة العنوان من المخطوط الذي كتبه المؤلف بنفسه (١)

بهم استر الممنون ربحهم نسيبته الذي يستر بهما حب العقول فتح كنوز الأرباب المكنون واشفق
 النفوس الزائفة من أريج النور الصحيح نفحات اليقين المصون وارشد برحيل المنور إلى غير في
 الشكر في الكائنات من العلم الخزون وتنبج المدارك الأنانية بالكيل الوفير على سنة الله في خلقه خلقت
 في عباده وبشائها يخفى العارفون واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكفل بالثبوت
 حين يحسن المطلقون واشهد ان محمدا عبده ورسوله الشافع المشفع الأمين المأمون صلى الله عليه وسلم
 عليه صلوة وسلاما يحيد وبها حارى الاعتزاز بالنور وان كن لا ارضى بالدون ويضلع بعدد ما
 بمقدار ما سقته اليم والخيال والأيام والسنون وعلى الله فيناه وجهه واكرم به ومن قرأنا بمؤمن
 ورغبنا الله عن محابته الراشدين الذين جاهدوا في سبيله الى ان اتاهم رب المنون ونبيهم
 فانه لما كان التايخ ديوان العيزر ومطلع انظار ذوي الفكر ومنهجا للتجارب العديدة والته
 لتشفيع العقول لمعرفة الآراء السديف رفعت النفوس الى ما لا يحصى من عظم الحكمة ووجدت
 خير كفييل بسيرة اخبار العصور على شريطة الأمانة وانما المروءة حديث بعدة اذا انقضت المدق
 رفي كل من الأخبار عظمت والمقول من التبر الحسنة وصنوها يتوى في افادة تلك الغايات
 وكفى بكتاب الله مرشدا فيما مضى علينا من الخيارات وارزقها بوجوب التامل بمصداق فاعتبرا
 يا اولي الأنصار ولا يكون التهورين كافلا يصب هذه الموارد الا اذا اخلص من اران الاختراع
 وثبت على اساس البراهين والآثار من الأفكار المدنوم والتفصيل المثلوم وابن مرتبة الكذب
 الصراح من الصدق الوصاح ولم تزل ابادي من خلف من اعلام العلماء وبهرة الأديان تشدني اينا
 من احاديث سيرة الزهراء الراشدين من اهل البيت النبي عليهم السلام ومعاشرهم ما تشفى لهم المص
 وتسلط الأضواء وتردده الألسن احسانا كلما مرت ذكره اعند ذكر نعمان لنا ان ذكره هو
 المسكر ما كثرتم يتبعون لاجرم كان من احسن المقبول ان يحذروا الخلف حذرهم فيما تلقى بالقبول
 وفي العصور الأخيرة من حوادث الزمان ما يربو على العصور ان لفقة لدى الامعان ولا سيما
 عصر من نظم الله بهشتات السنين وعصر بعوره الحارقة معالم البرية واقام بطون القاهرة

نيل

ب في الم

به صار هذه النظر في أوج رغبة ١
 بهتمته قام القويم يساقبه ٢
 وأوقفنا أهل الدين من سيرة الهوى ٣
 وعدلنا ليليف الصدوق أعوجهم ٤
 ولم رام باج استنابوا طوق ٥
 ولا غرو من كان الآله نصير ٦
 ولورام سكان الدنيا وصفه ٧
 فكم لاثير المؤمنين محامد ٨
 بقى الهدي والحمد والعز منزلا ٩
 وشا وقصورا للمفاخر العلى ١٠
 وأخيرا ربنا بالحمد المثرن ١١
 وورد العلى في سقمها فاحشر ١٢
 وعلى احاديث العديروا ابنا ١٣
 ونشدوا على اعقابها وروحه ١٤
 وكم حار ذو العرفان في حشد ١٥
 تباها لاجيا الهدي ونشره ١٦
 وشاد بها الشرح الشريف عدا ١٧
 فقل لدوى البغضاطين ناهم ١٨
 ومن رام خطا من عليها وقدا ١٩
 إمام الهدي حيث دارا بينها ٢٠
 وعثرت فيها لابساته رشدا ٢١
 نقاصر عنها اصمها وجر جان ٢٢
 وفدت لأرباب الصلا لئيقان ٢٣
 وكلف المعالي والمكارم نعان ٢٤
 فلم يبق في النظر المعالي فتان ٢٥
 ضاد وشواه انصاف وحرمان ٢٦
 نصيبا عاكفة حار وخذلان ٢٧
 نقاد الجلي وهو البحر تجلان ٢٨
 تجلى بها فوق السماكين عذنان ٢٩
 وللمفضل فيه المكارم افنان ٣٠
 يرى صدها في قصر فارس مقبل ٣١
 والحمد فيها اخوان ورسنان ٣٢
 وسخط النقي فيها رطب وريان ٣٣
 عليها ابوبكر وحضر عثمان ٣٤
 فكم الطرب منها المسامح انجان ٣٥
 فالحق لها ندود مشق ولوان ٣٦
 اذا ما بجى الملك والفخر بينان ٣٧
 ومكنه عرش ومنج وابدان ٣٨
 سبكت من نظم ذي الحجب شان ٣٩
 فاللهدي في قلبه وقفا عسران ٤٠
 نشد بها للديب والمعد اركان ٤١
 ونصير وبشر سارادق اركان ٤٢

٤١٣

استعمل الاعداد في
 اربع الالفة اربع ارباب
 اربع الالفة اربع ارباب
 اربع الالفة اربع ارباب
 اربع الالفة اربع ارباب

لاحظ عدم الدقة في الترميم

ومما بطلنا تزييل دوت أنه ٥ فيها يثير بوجها ورواة
 طول اذ ال على المذنب الذي ٥ بائي العلى الملك الربيع مكانه
 طول بن راسه والملك الذي ٥ يحوى المعالى سيفه وبنائه
 انا اليانين الكرام لمعشر ٥ فزنا لجهد قد علا بنائه
 اذ نحننا بولاء ال محبه ٥ ونعبرهم رب فاطم ثانه
 فبا الصلاه كابر من كابر ٥ شددت وعلم واضح برهان
 محب يدوم وانه في عصرنا ٥ قد طأ الحق لا ينال عنانه
 بايا ساجد خير الورى الملك الذي ٥ جلا فصلت خلفه افرائه
 ويبعل الملك الامانه قد عل ٥ وقطاطات قهر له تيجانه
 سبك هو لعلم الشريف دانه ٥ عند الذي في كفه ميزانه
 فالدهر ود بانه عمر له ٥ والناس طرا انهم اعوانه
 سبك به افخرت قريشانه ٥ منها وناه على الزمان رثانه
 ملك به افخرت لوى بل لى ٥ تخرت مل كل الورى قد ثانه
 شئ تعالى في ذوانه هام ٥ وباحمد قد شددت اركانه
 بالمصطفى لجهد خير الورى ٥ من كان نوع باسمه فرائه
 باي البتور ووجهها وابنهها ٥ عذر قولى مدحه فرفانه
 لب كعقد الدر في الجيد ٥ وائمه ال الكرام جمانه
 هذا هو الفخر الطويل وغايه ٥ مجد الأئبل وفي الكتاب ثانه
 حشفت له كل المثار لم نزل ٥ نشو بظل رواقه خطانه
 سلك له الملك استتب على بلا ٥ سلام لما رانه احسانه

لتولينه القيام بهذا الأمر وانفاذ ما كان الوعد به للسلطان حسين المذكور وتبديد
 لبث الأمير المذكور مدّة جرت في اثناهما اكمال الملبسات واخذ الألبسة وتبديد ما يحتاج اليه هذا
 القدر من البغائر الحربية والمدافع وجمع ما يلزم من الجيوش من النظام وغيرهم وارسل الكثير
 الى ديار الرضائل والامير المذكور مع من بقي من الجند الى ديار روضه مولانا الامام وزوده من العتاد
 ما ظهر اثر قبوله في نجاح الأعمال وتذليل الشعب من الآمال ونهت عن الناس من الاقوال فتقوى الأمير
 في الدين في ديار ايتانا تاهبته بغير وسبغ حتى وصل اليه بطيخة الفيلق المباشرة بالامام محمد
 قايدين رايحه البغداني سكنوا واخلوا في اصلا مع عصابة من خولان واهل بغداد وغيرهم وجمع من اهل
 حبيش فاستجاب الأمير الخزي مكانه لخواه السيرة الاسلام محمد بن الوزير ووصاه بما يلزم من ركب
 الأعمال التي ينظر وتوجه في جمع عتيد وجند كبير وركب شهير من ديار في اليوم الثالث عشر من
 هذه السنة فاجتهد البهجة التي ابرأ توجه اليها فبات في المنع من مختلف عنس بحر الشام
 الناصر الى النسخة الدبلي رحله وقرن الجند في المحلات القريبة من الطريق ومنهم من كل اذية على اية
 وفي اليوم التالي انصرف الى ملج من مختلف القربى وبات به وخلق في اليوم الرابع عشر من الشهر المذكور منته
 رزاق فتلناه عاملها برقيولنا الامام الى السلم قائم بر الحجة ورساء اهلها وائمان ببلادها
 ولشفا مع جنده الى اليوم التاسع عشر من الشهر المذكور مشتملا بجلبت يحتاج اليه الجند من الأقوات
 ومعدات السفر ونهض في اليوم المذكور الى السوادية واهتفب معه بقاير المدافع الامانية التي رآه
 وقد كان اخذ مدفعين المدافع التي بذار بنا ديار القاهر من السوادية لكن عاملها الشيخ احمد
 قايد الجبوري وكان قد رزق الجند بغيره العامل المذكور وانه اهتم في الاماكن اللائقة وانفاق
 الجميع احسن منافية واكرمهم بآية الاكرام واسن بسخه مع لخدمه ولخدمه بنفس طيبة وسلوبة
 خاطر وفي يوم العشرين من الشهر المذكور رزق الامير الجند من رزق ناحية السوادية الى النخلة ول
 حكومت الناحية المذكورة وبقي الامير في دار الحكم منه وطالب السفير المذموم من الامان فرازا
 من الجوزان بعد رغبتهم في الضاعة بكتب منه فوصلوا اليه في رهنوا واطاعوا قبيهم الشيخ سالم

مدد الزمان

نصفه من الزمان

انتقاله الى الناحية

طاعة الملاح

Σ 16

الملاحق

- رسالة من الإمام يحيى إلى السيد محمد بن منصور المؤيدي.
- نص هُدنة موندروس.
- رسالة إلى محيي الدين باشا من إستيوارت.
- أوامر وينجت لترتيب لقاء مع الإمام.
- صورة رسالة للضغط على الإمام.
- رسالة من إستيوارت إلى الإمام بتاريخ ٢٠ مارس ١٩١٨.
- المنشور (البلاغ).
- برقية سعيد باشا.
- رسالة من الإمام المنصور إلى سعد بن محمد الشرقي.
- رسالة من الإمام إلى عز الدين محمد بن يحيى.
- ترقية النقيب عزيز بن يحيى.
- رسالة من الأمير فيصل بن الحسين إلى الإمام (النص الإنجليزي).
- رسالة من الأمير فيصل بن الحسين إلى محمود نديم (النص الإنجليزي).
- رسالة المقيم السياسي إلى المندوب السامي ٢٠ مارس ١٩١٧.
- رسالة إستيوارت إلى الإمام يحيى ٢٤ أكتوبر ١٩١٧.
- رسالة إلى الإمام يحيى من إستيوارت ٢٠ مارس ١٩١٨.

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

ختم أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين

الأخ عز الدين محمد بن منصور أصلح الله له جميع الأمور، وشريف
السلام التام عليه ورحمة الله وبركاته في كل عشية ويكور.

وصل كتابكم، وذكرتم أن الإشكال في تقدم الأخ الشرفي فإن كان تقرؤه
باعتبارة أنها حصلت منه دعوة في أيام الإمام المنصورة رضي الله عنه، فلا بأس،
وإن كان بعد وفاته بحثتم، مع أنه لم يخرج الإمام رضي الله عنه من الباب مجهزاً
للدفن إلا بعد دعوتنا، وسبق العلماء إلى إجابتها وإن كان الشك في المحاكمات
والمباحثات، فإننا طلبنا علماء الشام أجمع وأن المطلوب خروجهم للمباحثة
والمسائلة والمذاكرة. وحتى إلى الشرفي والمحاكمة أجبننا على الشرفي أنه ما أراد
من محاكمة أو مناظرة للجواب خمسة أيام، أرسلنا من هنا من لايتهم بالمحاباة.
في فتارة يقول التقاه.

(١) رسالة من الإمام يحيى إلى محمد بن منصور المؤيدي وهي ناقصة.

نص هدنة موندروس

هدنة وقعت في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ م بين الأتراك ودول الحلفاء، اشتملت على الأمور التالية:

- انسحاب القوات التركية إلى حدود ١٩١٤ م.
- دخلت هذه الهدنة حيز التنفيذ في ٣١ أكتوبر، ويمكن تعليق ذلك من قبل الحلفاء في أي لحظة حتى يتمكنوا من اجراء الرقابة والتفتيش^(١) وتلخص بنودها بما يلي^(٢):
- ١- المحافظة على حقوق الأسرة العثمانية.
- ٢- تحديد شكل الإدارة في بعض الولايات.
- ٣- وقف القتال من يوم دخول المعاهدة وعدم الإعتداء.
- ٤- تأمين الهدوء، خارج المياه أو داخلها بحراً وبراً، وعدم وضع أي قوات عسكرية على أي من هذه النقاط.
- ٥- المحافظة على الحدود والأمن داخلها، والحلفاء هم الذين يحددون القوة العسكرية.
- ٦- إعادة جميع السفن التي استولت على القوات العثمانية.
- ٧- يترك للحلفاء السيطرة على النقاط الاستراتيجية.
- ٨- استفادة سفن الحلفاء من جميع الموانئ العثمانية دون استثناء.
- ٩- تسهيل استانبول الطريق أمام القواعد العسكرية للحلفاء دون الموانئ العثمانية.
- ١٠- احتلال طوروس من قبل الحلفاء.
- ١١- عودة القوات العثمانية إلى حدود ما قبل الحرب في شمال إيران وقفقاسيا.

(١) م. لارشر: بويوك حرب وتورك حربي، ترجمة محمد نهاد، نشر الأركان العامة العثمانية، استانبول، ١٩٢٧.
(٢) اشكر الدكتور وليد العريض على ترجمته للوثيقة من التركية.

- ١٢ - إدارة الاتصالات البرقية من قبل الحلفاء.
- ١٣ - ائتلاف المواد التجارية والعسكرية والبحرية المدمرة.
- ٢٤ - تسهيل الحصول على الفحم والمحروقات العثمانية.
- ١٥ - مراقبة الحدود من قبل الحلفاء سواء في قفقاسيا أو جميع حدود الدولة العثمانية.
- ١٦ - تسليم جميع القوات العسكرية الموجودة في الحجاز واليمن وسوريا وكيلىكا والعراق في أقرب وقت ممكن، إما للحلفاء أو للمثليين العرب.
- ١٧ - تسليم القوات العثمانية في طرابلس وبنغازي لإيطاليا.
- ١٨ - تسليم الموانئ في طرابلس وبنغازي ومصراته إلى الحلفاء.
- ١٩ - تسليم القوات الألمانية والنمساوية البرية والبحرية إلى الحلفاء.
- ٢٠ - إطاعة القوات العثمانية وتجهيزاتها وأوامر الحلفاء.
- ٢١ - مراقبة الحلفاء للارزاق واللوازم.
- ٢٢ - المحافظة على الأسرى من قبل الحلفاء.
- ٢٣ - قطع الحكومة العثمانية أية علاقة لها بمراكز الولايات.
- ٢٤ - أ- احتلال الحلفاء لولاية الأرمن وإدارتها.
- ب- السيطرة على سيس، هجين، زيتون، عينتاب، إضافة إلى المواد السابعة والعاشرة والخامسة عشرة.
- ٢٥ - انتهاء حالة الحرب بين الدولة العثمانية والحلفاء اعتباراً من وسط يوم الاثنين، ٣١ تشرين أول من عام ١٩١٨ م.

عن الحلفاء
(١) Arther Galthorpe

وقد وقع المعاهدة عن الأتراك
حسين رؤوف
رشاد حكمت
سعد الله

(١) انظر ، ، Bayer, Turk inkilabi tarihi, Ankara, 1983, Vol. 3. pp. 742-746.

يقرأ مع G 274 No. No.Q.N تاريخ ٢٠/١١/١٩١٨ م.

إلى سيادة الجنرال محيي الدين باشا

حاكم وقائد القوات التركية في عسير

صاحب السيادة:

علمنا أن إعلاناً أو تصريحاً قد أُرسِلَ بالفعل من قبل القائد الأعلى للبحرية في جيزان، حول اتفاقية الهدنة التي منحتها بريطانيا وحلفاؤها للحكومة التركية. وأرسل لكم الآن نسخاً بالنصوص الرسمية لاتفاقية الهدنة، كما أُرسل لكم البرقيات المفتوحة والشفيرات التي تسلمتها من الحكومة التركية لنقلها إلى القادة الأتراك.

وستلاحظون أن البند ١٦ من اتفاقية الهدنة يتضمن استسلام الشكنات التركية في الحجاز وعسير واليمن، والتي ستعتبر جزءاً من الإدارة المدنية لهذه المحافظات.

وانسجماً مع ذلك، فإني أطلب من سيادتكم الاتصال بأقصى سرعة ممكنة مع القائد الأعلى للبحرية في جيزان، تبلغونه فيها عن أكثر المراكز ملائمة لاستسلام القوات وغيرها من المسؤولين الأتراك، وأن يتم ذلك تحت قيادتكم مع ما ترونه ضرورياً من تفاصيل أخرى. وعند اكتمال إجراءات استسلام القوات التركية سيتم نقلها بالسفن البريطانية إلى أماكن تأمر بها الحكومة البريطانية. وذلك قبل إعادة إرسالهم إلى بلادهم.

وإنني على ثقة من أن سيادتكم تدركون ضرورة التصرف المبكر جداً لتنفيذ بنود اتفاقية الهدنة.

واقبلوا مني خالص تقديري

المرسل: جي، أم، استيورات

القائد العام للقوات البرية في عدن.

Records of Yemen

Ref. to. with H. Q. Aden, 17. 7. 1916. 17. 7. 1916

(13)

To

His Excellency Major General KHEIRUD-DIN PASHA
Governor and Commander of the
Turkish Forces in Aden

Your Excellency,

I understand that already intimation has been sent to you by the Senior Naval Officer at GEIZAN of the Armistice which England and her Allies have granted to the Turkish Government.

I now send you copies of the full terms of this Armistice, as well as telegrams in clear and in cipher which have been received by me from the Turkish Government for transmission to Turkish Commanders.

You will see that Clause 16 of the Armistice involves the surrender of the Turkish garrisons in the BELJAZ, ASIR and YEMMA, and is to be taken as including the Civil Administrations of these provinces.

In accordance with this, I would ask Your Excellency to communicate as soon as possible with the Senior Naval Officer at GEIZAN informing him of the most convenient centre at which the surrender of the troops and other Turkish Officials under your command can take place together with other necessary details.

When all arrangements for the surrender of the Turkish Forces are complete they will be conveyed in British ships to such places as may be ordered by the British Government prior to repatriation to their own country.

I am sure Your Excellency will recognise the necessity of very early action to carry out the Terms of the Armistice.

I ask Your Excellency to receive the assurance of my high consideration.

J. M. Stewart

Ed/ J. M. Stewart, Major General,
Commanding Aden Field Force.

Turkish evacuation, 1918-1920

EGYPT.

787991
1918
MILITARY.

Decypher from Sir R. Wingate (Cairo) November 29th.

D. 9 p. m.

R. 1.35 a. m. November 30th. 1918.

No. 1783.

-----000-----

Your telegram 1410 November 22nd.

Imam has been urged to expedite evacuation of Turks and reminded that future benefits will depend on his present course of action. Landing of British detachment at Hodeidah should facilitate communications with him and dispose him to compliance. It must be remembered that during the past few years he has placed increased reliance on (? Turkish) support of his authority over his contumacious tribesmen and is probably in need of funds.

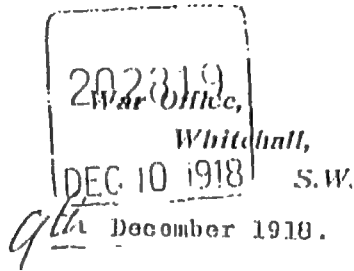
I am sending Colonel Jacob to Aden to discuss with Resident and to try and arrange meeting with Imam.

(30. 11. 4 - 12.)

أوامر وينجت لترتيب لقاء مع الإمام

Records of Yemen

(M.I.2)



The Director of Military Intelligence presents his compliments to the Under Secretary of State for Foreign Affairs and with reference to the attached copy of a telegram from the General Officer Commanding, Aden, begs to suggest that there seems reason to suspect an alliance between Imam Yehia and the Arab element in the Turkish Administration of that country.

The Vali, Mahmoud Hadim, is a Syrian of Nationalist proclivities, and many of the staff officers with the Turkish forces are believed to be Nationalist Arabs, their chief being Sayid Taha, who is a brother of Yasin Pasha, now in command at Dammam.

Major General W. Thwaites would suggest that, as the Arab officers in Yemen are cut off from accurate knowledge of Sherif Faisal's movement and may still look on the British as their enemy, the matter might

be

صورة رسالة للضغط على الإمام (ملحق)

Turkish evacuation, 1918-1920

be brought to the notice of His Majesty's High Commissioner in Egypt. The latter might then arrange with the General Officer Commanding Egyptian Expeditionary Forces to obtain a letter from Yasin Pasha in Damascus to his brother in Yoman, for despatch through the General Officer Commanding at Aden. By this means it is possible that we should be able to bring indirect influence to bear on the Imam and thus obviate any possibility of an attempt by the Imam to occupy Lahoj or to oppose the surrender of Turkish garrisons in the hinterland.

Major General Thwaites would, therefore, be glad if Lord Hardinge of Penshurst would inform Sir R. Wingate accordingly should he concur in the above.

No. C - 325

Aden Residency:
20th March 1918.

To His Excellency
The Imam of Sana.

Salutation.

This is to inform Your Excellency that I have received your message sent through the medium of your emissary, Nakib Abdul Wahid bin Ahmed El Khaulani.

Since its receipt it has been my fortune to have an opportunity of discussing the whole situation personally with His Excellency Sir Reginald Wingate, His Majesty's High Commissioner in Egypt. With this letter I am forwarding you a personal letter from Sir Reginald Wingate which I trust will make clear to you our friendly intentions and will be pleasing to you.

As a result of the discussion I am now in a position to make more definite proposals on certain points.

If Your Excellency is prepared definitely to engage to turn the Turks out of Yemen I am to inform you that the British Government is prepared on its part to make the following promises to Your Excellency:-

- (1) To ensure Your Excellency's independence in the Yemen as they have already promised the Idriss that they would ensure his
- (2) To furnish Your Excellency with the necessary paraphernalia of war against the Turks.
- (3) To leave to Your Excellency the disposal of Turkish prisoners of war in accordance with your wishes.
- (4) To finance Your Excellency and your tribesmen on the pre-war Turkish scale. The amount for the tribesmen would be paid through Your Excellency and not direct.
- (5) To open to trade a non-Idrissi port such as Ghuleifika, or such other place as may be free from interference by the Turks as soon as Your Excellency is committed to a definite course of action against the Turks.

I am to point out that the treaties we already have with different Sultans and Sheikhs must be kept outside all discussion.

With regard to the Idrisi Your Excellency is aware that we have a treaty engagement with him. I am to emphasise the fact that we have every intention of upholding the terms of that treaty and would not countenance any aggressive action against the Idrisi on Your Excellency's part.

صور الرسالة التي بعث بها إستيوارت إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩١٨ م

In order that there may be no misunderstanding between us as to the position we take in connection with the Idrisi I will now inform Your Excellency of the terms of our treaty with him. The object of our treaty is two-fold, i.e. war against the Turks and the consolidation of friendship between the British Government and the Idrisi. The conditions of the treaty are that the Idrisi shall conduct warlike operations against the Turks only and that he shall abstain from hostile action against Your Excellency so long as Your Excellency does not join hands with the Turks. In return the British Government have undertaken to safeguard the Idrisi's seaboard from any enemy who may molest him; they have guaranteed his independence in his own domain; and have agreed at the termination of the war, by every diplomatic means possible, to adjudicate between the claims of the Idrisi and Your Excellency or any other rival. It was further emphasised that the British Government had no desire to enlarge its borders on Arabian soil but desired to see the Arabs living peacefully together and in friendship with the British Government. It was further agreed to maintain trade with Idrisi ports as heretofore.

These terms, Your Excellency, formed the basis of our treaty with the Idrisi, and I trust this explanation will satisfy you that while making the treaty we had Your Excellency's welfare in view.

In conclusion I would ask Your Excellency to give the matter early and careful consideration. I trust that the declarations now made will remove from Your Excellency's mind any doubt you may have entertained as to our bona fides. And I hope I may now receive an early and favourable reply to my letter.

Greetings.

(Sd.) J.M. Stewart, Major-General
Political Resident, Aden.

صورة الرسالة التي بعث بها إستيوارت إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩١٨ م

[illegible]

صورة عن البلاغ الذي أصدره محمد بن علي الوزير

Copy of Telegram.

From G.O.C. Aden.

To War Office..Repeated C.G.S. India and General Wingate, Cairo.

2200 C/G November 30th.

30.11.18.

Further communication from Said Pasha has reached me.

1. The Corps Commander has categorically forbidden him to take any independent action pending the receipt of an answer to telegram mentioned in my telegram 2169 C/G dated November 17th. He reiterates the statement that the Imam has forbidden the surrender of a single Turkish soldier and has also reduced Said Pasha's command putting Sheikh Said and other places under his own orders.
2. Said Pasha states that he personally has received a telegram from the Imam urging him to continue the war and promising help in food, money and reinforcements.
3. I have informed Said Pasha that I consider his duty to his country demands independent action on his part and have assured him that such action will be supported by the British Government if necessary.
4. I have written again to Imam pointing out that future friendly relations depend on his assisting in evacuation of Turkish garrisons.
5. I have little doubt that the Wali and probably also the Corps Commander are intriguing with the Imam, to evade the terms of the armistice. They have issued proclamations denying the truth of the terms published by me.
6. I consider the issue of orders by the Turkish Government to all Turkish detachments to surrender independently of the orders of the Corps Commander, vide my telegram 2196 C/G November 28th would be the best means of bringing them to reason.

صورة البرقية التي تبلغ عن اتصالات سعيد باشا بالبريطانيين في عدن

بسمه الوسیعة بخط وختم الامام الشافعی محمد بن یحییٰ متبذل الذی

واما كانت اصلا برجال الحميد لا تلب الا الحميد
 وارومات المناصب السعيد لا يتبع عنها
 الا السعيد الرشيد صمدق هذه الكليب
 او كذا بها مشاهدات الافعال في معالي
 شوانمها او محكمات الاقوال في حضيض
 روايتها وكان ممن رانتم الاعمال
 الشريف والعناصر المنيعة المعاصر العلماء
 سعد بن محمد الشرقى المدحى الكندي

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي هدانا لهذا
 الذي كنا لنهتدي لولا أن
 هدانا الله والحمد لله
 رب العالمين
 سيد مولانا محمد بن يحيى
 وحيا حياته شريفكم وزلفى التحية والالتم
 والله يحفظ مولانا الدمام ويؤدبه سراياكم
 ويجعل هذا الله برحملاً بذنوبنا بحمد الله
 وانه وصل كتابه الكريم البشر بخرجه من
 النار والى الارض ولما يقال فتتبع الغنم بالانبار
 ولقد اصبتم المرمى ونصتم اعلى السند
 العظمى فالله است الا المظلمات هذه

رسالة يحيى بن محمد حميد الدين إلى عز الدين محمد بن يحيى أثناء حياة والده

٢٥ - امر عسکري دن الامام يحيى عام ١٢١١هـ بترقية النقيب عزيز بن يحيى من يلوک

منعاه التي رتبته ملازم ثاني . وقد اهديت نسخة من هذا

الامر انمولى من قبل حفيد صاحب الترقية

ترقية النقيب عزيز بن يحيى إلى رتبة ملازم ثانٍ

Praise be to God
the compassionate
and merciful.

Dated 9th Shawwal 1339.

15th June 1921.

From,

Amir Ithual bin Al Hussen.

To,

Imam Yehia bin Hamid-udin,

Imam of Yemen.

A.C.

We are sending this letter to you in order that it may serve as a means for strengthening friendly ties, showing benevolence to kinsfolk and establishing basis for reciprocal benefits, which should be firmly maintained owing to their having been in existence since olden times. We fortunately had an audience with your emissary which was one of the best opportunities we could seize, in order to assure your Excellency of the existence of brotherly relationship between your Excellency and His Majesty our father. We are glad to tell you that our father as also his family members are in a comfortable and prosperous condition and that he, as also those attached to him, are enjoying the desired sound state of health.

He is at present engaged in improving the state of his country as also that of his subjects and in making full arrangements for the comfort of the visitors coming for pilgrimage to the holy place of God. The number of the pilgrims who have already arrived upto the date of our departure was nearly 70,000 men. We are full of hope that this number will be doubled and continue to be multiplied. He is expecting the arrival of pilgrims from all parts of Yemen, in order that he may be pleased with seeing them there because he has no object other than to serve the Islam in general and the Arabs in particular. We have no doubt that this is one of the best aims of your Excellency. We become

continued

رسالة الأمير فيصل بن الحسين إلى الإمام يحيى بن محمد حميد الدين (النص الانجليزي)

2.

convinced of this from the letters exchanged between you and him as also from the information gathered from your brother Sharif Nasir (the Sharif's Envoy who went to the Imam sometime ago) who had said had the honour of seeing Your Excellency. We have been and continue to be very much eager to have the honour of personally seeing you. We therefore pray the Almighty God will decree our seeing each other either sooner or later.

Had not our father selected us to go and establish an Arab Government in Mesopotamia, we would have done our utmost to attain the object of seeing your Excellency, but the important affair with which he entrusted us and which your Excellency will agree as to its importance, was the only cause which prevented us from doing so. We are now proceeding to that province in order to perform the duty incumbent upon us to establish an independent Arab Government with the object of serving our country people. We pray God to grant us full assistance and bring our attempt to a successful conclusion.

We feel inclined to add in this letter a few words for remembrance sake, even though you are not in need of them but the Great God may be glorified said "Remind them for surely the reminder profits believers."

Please note, oh brother - may God protect you, that whatever the consequences of the general war were, the Arab country has become independent in itself and far from the hand (Government) which was reigning it, as a result of which all responsibilities whether material or otherwise, became a burden on the shoulders of its country people. If they manage it well, it is for their own good but if they act otherwise they will have to suffer. Being conversant with the important position you hold and the influence you possess in the Arab country in which you live - may God protect it and your goodness - where your words meet no disregard, we shall be happy to see it in a powerful and respected state under your reign and authority, free from every influence,

Yours

enjoy freedom and independence and is in an excellent friendly relation with the surrounding Arab tracts (apparently the Idrial and others) as also with those other nations (the British) with whom you are in contact, thus keeping the doors of your country open for trade and other intercourse.

We cannot but express our pleasure on having heard from your emissary of your peaceful and friendly disposition and also of your wish to find a way for a better understanding with the British Government. Your Excellency is not unaware of the great benefits which would be derived therefrom for all the Arabs. It was our intention to say something about the present political situation, but the time is so narrow that we could not do so. We, however, deem it sufficient to tell you that after the expulsion of the Turks, from our Arab countries, their own (Arab) Governments have been able to establish themselves thereon and we are now going for the purpose of establishing a Government in Mesopotamia.

As regards the Ottomans, we would say nothing ^{the result} against them that they belong to "people who have passed away". "They shall have what they have earned and you shall have what you earn". (Koran's words). They are now in their homes, doing their utmost to improve the condition of the remaining portion of their country. They have no power to look after those outside their own. We therefore hope that the Arabs will now look to their own interests, devote their energy to improve their affairs, see to the progress of their country and unite together as well. They should also do their best to maintain friendly relationship with one another as also with the neighbouring nations (apparently the British Government).

Here we are glad to inform you that His Majesty our father, has made up his mind to send a delegation to your Excellency to express his sympathetic feeling, with the hope of finding a way for settling the existing differences between you and the Idrial Sayed. There is no doubt that these (incumbrances) will disappear by and by.

Anglo-Yemeni negotiations for a treaty, 1921-1924

4.

sincere dealing with one another owing to their being the outcome of some misunderstanding.

In conclusion we pray the Great Almighty God may He be exalted to protect and support you as also make you an asylum for the Islamic and Arab Nations to resort to.

We are ready to act upon your hint in every time. May God cause us to do things conducive to general good and guide both of us to the proper path for He is the one who hears the prayer.]

Dated 9th Shawal 1339.

4th June 1921.

From,

Amir Faisal bin Al Muniri.

To,

Mahmud Hadim Bey.

A.C.

We are sending you this letter after our arrival in Aden on our way to Mesopotamia. We have by good luck found Kadi Abdulla Al Arnahi - the emissary of our brother His Excellency the Imam - may God protect and help him in matters of general welfare to the public - as the best medium through whom we could despatch this letter.

On seeing your letter with Ameen Efendi - Superintendent of the honourable Harem (Holy Place) at the time of your departure from Sanaa to Zohama, we became certain of your being in a prosperous condition. Being aware of your keen desire to see to the general interests, we inform you that we are going to Mesopotamia as His Majesty our father selected us for that post on account of the influence of the Mesopotamians to establish an Arab Government and to take charge of the rulership there because our brother Abdulla has already taken charge of the Syrian affairs. We pray God to grant us success to do things conducive to good.

We offer our special thanks to you for your wish to strengthen friendly relations between His Excellency the Imam and His Majesty our father - may God preserve both of them. We are likewise cherishing a hope for the re-establishment of good relations between him and all other Nations to enable him to maintain his position.

We have noticed an inclination on the part of the British to conclude an honourable compact which would preserve for both sides their respective interests and establish basis for peace in these parts. We

(S) (S)

We

رسالة الأمير فيصل إلى محمود نديم (النص الانجليزي)

2.

We have confidence that by devoting your capabilities and far reaching sight in the matter, there is a hope of attaining this object which will have brilliant and successful consequences. You are not unaware that there is no other alternative for the Arabs but to rely on the illustrious and Exalted God, depend on themselves and look to their own inner interests. What a praise would it be were we fortunate enough to have an audience with you but sorry this is not possible now. At any rate, we hope we will attain this aim shortly. What a praise would it have been, had Syria, Mesopotamia and the remaining Arab provinces been profited by your excellent ideas. We say this because we maintain a brotherly personal feeling towards you. We expect a reply from you to this letter conceiving to us the good tidings of the conclusion of the desired mutual understanding between the British Government and our brother the Imam. We say so simply because we want to see him strengthening his position which we consider a duty incumbent on us to do for him and the Arab nation.

We shall be pleased if you will come to us to have discussion with you on matters pleasing to you. We have written a letter containing full particulars to His Excellency the Imam, believing that he will shew it to you.

Please convey our compliments to those whom you consider dear to you. We hope that you will always look upon us as your affectionate friend. May you live in peace.

From Resident, Aden, 20th July 1917.

(Reprinted to Foreign, India, and High Commissioner, Cairo.)

(Received at India Office 11 p.m.)

409 A.P. An envoy has arrived from Imam. He is a Sheikh of Habi Silam section of Khairan-el-Tawal tribe.

Imam is prepared to make an agreement with us on three main conditions:--

- (1) That Imam must have all Yemen from Habi Point south, excluding Aden only, but including Ash and Hadramout, all serapts in Yemen which used to belong to his predecessors are to be handed over to him.
- (2) That Idri must be removed from Arabia.
- (3) That Government have no communication with people of Yemen except through or with knowledge of Imam.

Envoy claims that Imam can call up whole of the Yemen at once, including Hashid and Bakel, that really all tribes are ~~(group-omitted)~~ and sound with Imam.

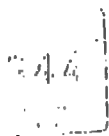
There are some minor conditions such as the disposal of Turkish prisoners to rest with Imam. Government to give Imam adequate financial assistance and provide arms and ammunition quick firing guns at once and more personnel. The Abdulla Sultan thinks Imam is now trying to serve his own interests and to test how far we will go, that action on part of Imam is doubtful, and on the whole it would be better ~~(support)~~ confederacy, but advises that Imam is a more powerful factor than confederacy and we might be given a final chance to accept our terms.

In my opinion the Imam's terms are preposterous and present no basis on which we can work. I think that they are prompted by knowledge that confederacy had approached us, that he realises that his hold on Yemen generally is failing and wishes to ~~delay all~~ action on our part. A sufficient reply to be sent to the effect that he has been already informed of terms on which his co-operation is desired, that all territorial questions must await end of war, that Idri is an ally of ours and his proposals are conveyed by his envoy ~~offer for~~ for agreement. Meanwhile, we shall probably hear of confederacy and of result of all disturbances now undoubtedly taking place in Yemen. Our inaction has here probably induced Imam to take an inordinate view of his own value of which it might be as well to disabuse him in our reply.

١٩١٧ م ٢٠ يولي

رسالة المقيم السياسي إلى المندوب السامي في ٢٠ يوليو ١٩١٧ م

50/203)



ADEN RESIDENCY,

24th October, 1917.

No: C-710.

From: Major-General J.M. Stewart, C.B.,

Political Resident, ADEN.

To: Imam Yehya of Sana'a.

A.C.

Your Excellency's letter dated 8th Ramadan (18th June 1917) duly reached me by the hand of your Emissary Isakib Abdul Wahid bin Ahmed al Khulain. We have noted all he had to say and after referring matters to the Great Government are now instructed to give you the following reply:

Government welcomes Your Excellency's present approach to us as evidence of sincere friendship on Your Excellency's part and would gladly enter into an agreement with you.

For Your Excellency's information I would point out the general lines on which we work. We and you both look on the Turks as our enemies and enemies of Arab independence. We are prepared to give every assistance to Arabs who are fighting against the Turks for their freedom and independence. By giving such assistance however we do not mean to depart in the least point from our traditional policy of non-interference in internal or religious matters. We have no desire to take sides in the case of Arab disputes. But we deprecate, at a time like the present when all Arabs should continue against the Turk who is the common enemy of their race and independence, any proposals, whencesoever emanating, which tend to ^{discourage} disunion. In our agreements with the Arab Chiefs we make no understandings to support any one Arab faction against any other.

رسالة استيوارت إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩١٧م

The other points mentioned by Your Excellency are not such as can be discussed now.

We assume from the friendly manner in which you have approached us that Your Excellency is ready at once to declare against the Turks. Your Excellency has pointed out in former letters that your endeavours have for years been directed to ousting the Turks from Yemen. May I suggest that at no time in Your Excellency's rule have circumstances been more favourable for bringing about that event. An opportunity lost is an opportunity gone.

In conclusion may I once again assure Your Excellency that our aims are entirely based on the desire to see an independent Arabia governed by Arabs.

We are sending this letter through Your Excellency and we sincerely trust that you will allow no consideration to delay you in sending us a favourable reply. Time and tide wait for no man. We expect to receive an answer from you that you will at once openly join the cause against the Turks and we can promise you that on receipt of that assurance all help will be supplied in as far as possible.

May Your Excellency be preserved.

(Signed) J. H. STEWART,
Major-General,
Political Resident,
Aden.

No. C - 325

Aden Residency:
20th March 1918.

To His Excellency
The Imam of Sana.

Salutation.

This is to inform Your Excellency that I have received your message sent through the medium of your emissary, Nakib Abdul Wahid bin Ahmed El Khoulani.

Since its receipt it has been my fortune to have an opportunity of discussing the whole situation personally with His Excellency Sir Reginald Wingate, His Majesty's High Commissioner in Egypt. With this letter I am forwarding you a personal letter from Sir Reginald Wingate which I trust will make clear to you our friendly intentions and will be pleasing to you.

As a result of the discussion I am now in a position to make more definite proposals on certain points.

If Your Excellency is prepared definitely to engage to turn the Turks out of Yemen I am to inform you that the British Government is prepared on its part to make the following promises to Your Excellency:-

- (1) To ensure Your Excellency's independence in the Yemen as they have already promised the Idriss that they would ensure his
- (2) To furnish Your Excellency with the necessary paraphernalia of war against the Turks.
- (3) To leave to Your Excellency the disposal of Turkish prisoners of war in accordance with your wishes.
- (4) To finance Your Excellency and your tribesmen on the pre-war Turkish scale. The amount for the tribesmen would be paid through Your Excellency and not direct.
- (5) To open to trade a non-Idrissi port such as Ghuleffika, or such other place as may be free from interference by the Turks as soon as Your Excellency is committed to a definite course of action against the Turks.

I am to point out that the treaties we already have with different Sultans and Sheikhs must be kept outside all discussion.

With regard to the Idrisi Your Excellency is aware that we have a treaty engagement with him. I am to emphasise the fact that we have every intention of upholding the terms of that treaty and would not countenance any aggressive action against the Idrisi on Your Excellency's part.

رسالة إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٠ مارس ١٩١٨ من القائد السياسي إستيوارت

In order that there may be no misunderstanding between us as to the position we take in connection with the Idrisi I will now inform Your Excellency of the terms of our treaty with him. The object of our treaty is two-fold, i.e. war against the Turks and the consolidation of friendship between the British Government and the Idrisi. The conditions of the treaty are that the Idrisi shall conduct warlike operations against the Turks only and that he shall abstain from hostile action against Your Excellency so long as Your Excellency does not join hands with the Turks. In return the British Government have undertaken to safeguard the Idrisi's seaboard from any enemy who may molest him; they have guaranteed his independence in his own domain; and have agreed at the termination of the war, by every diplomatic means possible, to adjudicate between the claims of the Idrisi and Your Excellency or any other rival. It was further emphasised that the British Government had no desire to enlarge its borders on Arabian soil but desired to see the Arabs living peacefully together and in friendship with the British Government. It was further agreed to maintain trade with Idrisi ports as heretofore.

These terms, Your Excellency, formed the basis of our treaty with the Idrisi, and I trust this explanation will satisfy you that while making the treaty, we had Your Excellency's welfare in view.

In conclusion I would ask Your Excellency to give the matter early and careful consideration. I trust that the declarations now made will remove from Your Excellency's mind any doubt you may have entertained as to our bona fides. And I hope I may now receive an early and favourable reply to my letter.

Greetings.

(Sd.) J.M. Stewart, Major-General
Political Resident, Aden.

وقد موضوع نيلهم المستر بعد وفاة والدهم فانه زوجه في البر الى السيد الامير يحيى
 عامر المعروف ثابته عند اكثر ان الامام يحيى اجازها مفاتيح من بيت المال من
 اسلحه ونمبرها دارسها اليهم مع مفتاحي مخزن الخزود وطلب منهم ان يثبتوا
 خليفة لوالده فثبتوا اولوا السلاطين منهم واما قشمة في ما ولم الوصول الى
 يا يحيى عليه السلام خلفا للمصور رحمه الله يا يحيى بران المستر (صحت بمصر)
 فاجمعوا على تحصيل المستر اليه وله بعد من قشمة ان يراض ان يكون
 اي شرا تباركوا فاجمعوا على ترجيح يحيى وادعوا اليه فلكل المباح وادعوا
 اليهم برتيب ادخلت ثم قبلها

صورة رواية العلامة أحمد بن يحيى عامر كما نقلها بخطه
 سيف الاسلام الحسن بن الإمام يحيى



الولاء للعلماء سيف الاسلام الحسين بن ابي المكارم خلفه الله وذن جميع ساعده بالفتح والوفاء والظفر كقبح
وشريف السهم عليكم ورحمة الله وبركاته صدرها اليكم والاصل ان نصل اليكم وانتم اتمام عدل ادينا اذ حصل السراج
الكتاب بالخرقة ان نزلوا الى عدن وقد كتبنا الى وال عدن هذا الاصل ان يقدم اليكم هذه الظروف التي اودع
فيه هذا الكتاب وخرقه من الكتب حبا وتوقنا وانما جواسيس من نعوذكم الى اليابان بالصحة والعافية والسلامة
وحضور حفلة افتتاح التجمع هناك كم خير كثيرا واجزا وفرحنا والذي فنهنا من كلمات محسن كين الزكي من
الحجة الاسلامية بظهور الوصل بيننا ان الامبراطور وكونه ميلا الى اشارة معلم هذا الاصلح وكبر شأنه ولا يحد
ان يكون ذلك لغرض التعرف الى الشرقيين فمن الغريب ان تكون الامبراطورية الشرقية معنونة في الغرب
اكثر منها في الشرق وسيستتركم معنونة اسم معاملة الامبراطور ورجال كونه واستقبالكم بانتم لاهل من الاقارب
والاقرام والنجيل وانما نأمل ان تكون هذه الزارة فاحشة للمساكين وتنظيم العلاقات الودية والتجارة بين
مملكتنا وبين الامبراطورية العظيمة الشرقية ويكون ارسال نذرها بالاجزاء ذلك ولكم الكمال ما يغني تحقيق الالية
واختتام كل ما ترونه فرصة سانحة جديدة بان لا تترك فترتي في هذا الاجال ما يكفي عن غيره ويمكن تقديم
كن بالامبراطور عند معاملة مع عرض قطعنا الصبيحة لبطنة وتاريخ الحجة الاسلامية هو اننا مكنات معنونة ساعده
ايكم لان نذركم بحجة ذهب الى الجواز فستوه اليه ولا تعفوا في منع فتم الاحوال ومجاربها هناك لتبشوا اليانها عند
السلام ان شاء الله كل ما في معبده هذا وانما ان استخلصنا شيئا بالف وخصمانه وخصين جنبا السربني باسمكم لرسالة
ايكم الى انتم عند وصولكم اليها فخير هذا السفر وافق احوال ارسال الشيك اليكم ليعلم ان يكون عند وصولكم الى دمشق
تسلم الف ولامانة جنبه الى جمعية امانه مكر في فلسطين جهارا وامانين فاني جنبا الى جمعية امانه مكر في فلسطين جهارا
ومشجنا فاذ اجبنا على معنى فلسطين نزل البيان بمعنى هذا وانما اخرنا ارسال ذلك بكم فتم انذروا من نزل الراساط الحما
بحوم حول اماننا الاستباه واسمكم عليكم ورحمة الله وبركاته حري ٩ صفر ١٣٥٤

رسالة من الامام يحيى إلى ولده سيف الإسلام الحسين وهو في طريقه إلى اليابان
لحضور حفل افتتاح الجامع الكبير هناك، ودعوة الامام يحيى لإقامة علاقات
اقتصادية مع اليابان

نص هدنة موندروس

هدنة وقعت في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م بين الأتراك ودول الحلفاء، اشتملت على الأمور التالية:

- انسحاب القوات التركية إلى حدود ١٩١٤م.
- دخلت هذه الهدنة حيز التنفيذ في ٣١ أكتوبر، ويمكن تعليق ذلك من قبل الحلفاء في أي لحظة حتى يتمكنوا من اجراء الرقابة والتفتيش^(١)
- ويخلص بنودها بما يلي:

- ١- المحافظة على حقوق الأسرة العثمانية.
 - ٢- تحديد شكل الإدارة في بعض الولايات.
 - ٣- وقف القتال من يوم دخول المعاهدة وعدم الإعتداء.
 - ٤- تأمين الهدوء، خارج المياه أو داخلها بحراً وبراً، وعدم وضع أي قوات عسكرية على أي من هذه النقاط.
 - ٥- المحافظة على الحدود والأمن داخلها، والحلفاء هم الذين يحددون القوة العسكرية.
 - ٦- إعادة جميع السفن التي استولت على القوات العثمانية.
 - ٧- يترك للحلفاء السيطرة على النقاط الاستراتيجية.
 - ٨- استفادة سفن الحلفاء من جميع الموانئ العثمانية دون استثناء.
 - ٩- تسهيل استانبول الطريق أمام القواعد العسكرية للحلفاء دون الموانئ العثمانية.
 - ١٠- احتلال طوروس من قبل الحلفاء.
 - ١١- عودة القوات العثمانية إلى حدود ما قبل الحرب في شمال إيران وقفقاسيا.
 - ١٢- إدارة الاتصالات البرقية من قبل الحلفاء.
 - ١٣- اتلاف المواد التجارية والعسكرية والبحرية المدمرة.
 - ٢٤- تسهيل الحصول على الفحم والمحروقات العثمانية.
- (١) م. لارشور: بويوك حرب وتورك حربي، ترجمة محمد نهاد، نشر الأركان العامة العثمانية، استانبول، ١٩٢٧.

- ١٥- مراقبة الحدود من قبل الحلفاء سواء في قفقاسيا أو جميع حدود الدولة العثمانية.
- ١٦- تسليم جميع القوات العسكرية الموجودة في الحجاز واليمن وسوريا وكيلىكا والعراق في أقرب وقت ممكن، إما للحلفاء أو للممثلين العرب.
- ١٧- تسليم القوات العثمانية في طرابلس وبنغازي لإيطاليا.
- ١٨- تسليم الموانئ في طرابلس وبنغازي ومصراته إلى الحلفاء.
- ١٩- تسليم القوات الألمانية والنمساوية البرية والبحرية إلى الحلفاء.
- ٢٠- إطاعة القوات العثمانية وتجهيزاتها وأمر الحلفاء.
- ٢١- مراقبة الحلفاء للارزاق واللوازم.
- ٢٢- المحافظة على الأسرى من قبل الحلفاء.

٢٣- قطع الحكومة العثمانية أية علاقة لها بمراكز الولايات.

٢٤- أ- احتلال الحلفاء لولاية الأرمن وإدارتها.

ب- السيطرة على سيس، هجين، زيتون، عيتتاب، إضافة إلى المواد السابعة والعاشرة والخامسة عشرة.

٢٥- انتهاء حالة الحرب بين الدولة العثمانية والحلفاء اعتباراً من وسط يوم الاثنين، ٣١ تشرين أول من عام ١٩١٨م.

وقد وقع المعاهدة عن الأتراك

حسين رؤوف

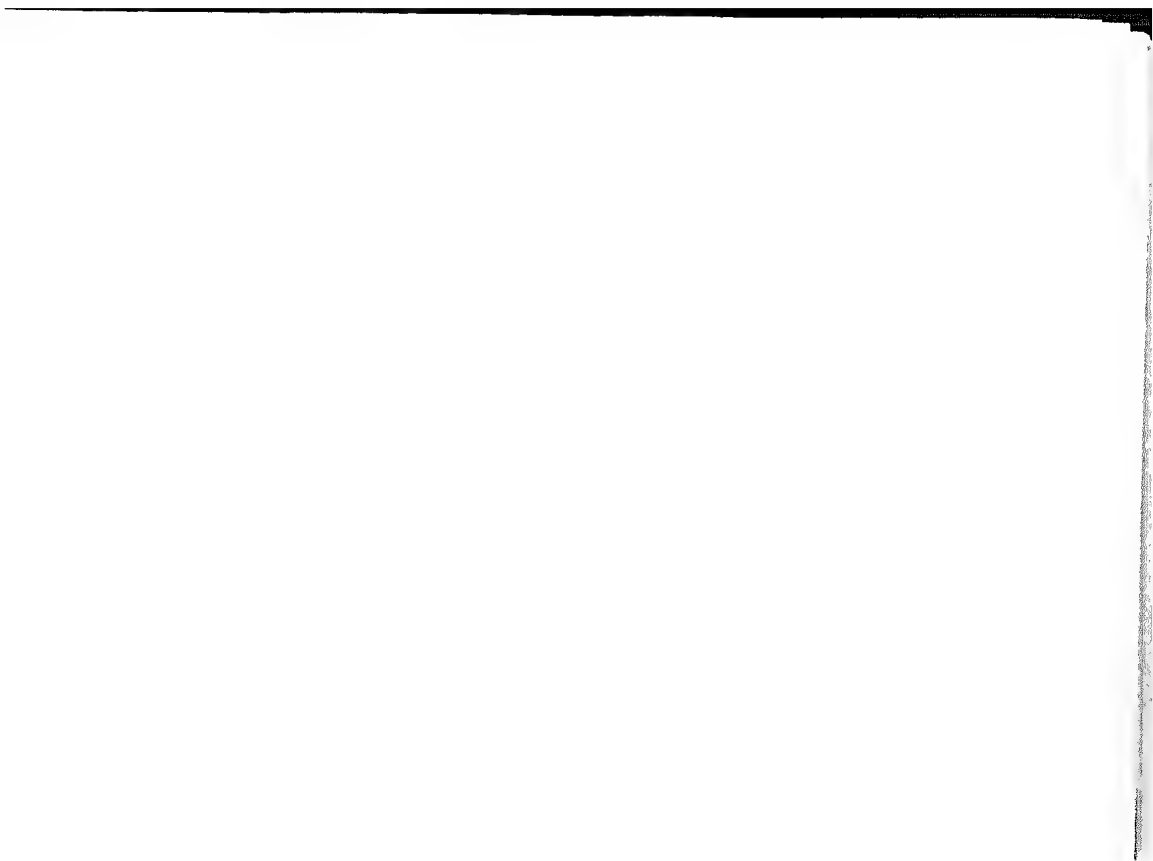
رشاد حكمت

سعد الله

عن الحلفاء

Arther Galthorpe

(١) انظر ، ٧٤٦-٧٤٢، Vol. 3. pp. ٧٤٢-٧٤٦، Ankara, 1983, Bayer, Turk in kilabi tarihi,



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة:	أ
الباب الأول: الإمام يحيى النشأة والدراسة والمكانة العلمية.....	٩
الباب الثاني: الإمامة والبيعة.....	٨٣
الباب الثالث: بناء الدولة الحديثة.....	١٣٣
الباب الرابع: استراتيجية الإعداد والعُدة.....	١٨٣
الباب الخامس: الدولة والمجتمع وحروب الوحدة.....	٢٤٧
الباب السادس: العلاقات الخارجية.....	٢٨٩
الباب السابع: المؤرخ والمخطوط.....	٣٨١

Copy of the original of the Alexan-
dria (1870)
Samuel J. May

-
